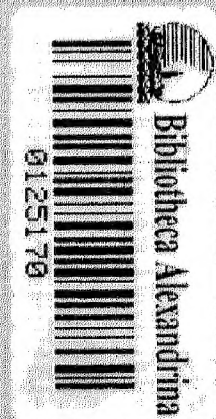


مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات
عبد الرحمن فليحي
يوميات مصر السّياسيّة

الجزء الأول

إشراف
دكتور يونان لبيب رزق





General Organization of the National Library (G.O.N.L.)
الهيئة العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٤٤ / ١٩٨٨

ISBN ٧ - ١٦٩٤ - ٠١ - ٩٧٧

١٦١	• • • • •	نداء للامة المصرية
١٦٦	• • • • •	تصريح اللورد كيرزون
١٦٧	• • • • •	احتجاج الموظفين على تصريح كيرزون
١٧٠	• • • • •	شكوى عمدة العزيرية
١٧٤	• • • • •	شكوى عمدة البدرشين
١٨٧	• • • • •	تقرير الوفد المصرى الى المندوب السامى
٢٠٧	• • • • •	الاجتماع العظيم بجامع طولون
٢٢٩	• • • • •	اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه الثلاثة
٢٢٣	• • • • •	احتجاج مجلس مديرية الجيزة على الفظائع الانجليزية
٢٣٦	• • • • •	تكوين لجنة الوفد المركزية
٢٣٨	• • • • •	سفر الوفد المصرى الى باريس
٢٤٩	• • • • •	الموظفون والحركة الوطنية
٢٦٢	• • • • •	عودة الموظفين الى أعمالهم
٢٦٤	• • • • •	عودة المحامين الى أعمالهم
٢٦٥	• • • • •	مذكرة الأستاذ مكرم عبيد الى المستشار القضائى
٢٧٣	• • • • •	اعتراف ويلسون بالحماية
٢٨١	• • • • •	مؤتمر الصلح
٢٨٣	• • • • •	الوفد المصرى فى أوروبا
		مأدبة الوفد لرجال الصحافة الانجليز والأفريكان وخطاب محمد محمود باشا
٢٨٩	• • • • •	استمرار اضراب الطلبة
٢٩٥	• • • • •	اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية الانجليزية
٢٩٨	• • • • •	تلغراف الوفد الى مجلس شيوخ أمريكا
٣٠٣	• • • • •	خطاب الوفد الى الرئيس ولشمن
٣٠٥	• • • • •	تصريح اللورد كيرزون فى البرلمان الانجليزى
٣٠٧	• • • • •	تأليف وزارة سعيد باشا
٣١٢	• • • • •	التلغراف المشنوم
٣١٨	• • • • •	انشاء وزارة المواصلات

الفهرس

٥	نقديم
٧	دراسة تمهيدية
٢٦	فهرس المذكرات العام
	بين لقاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وانطلاق القضية فى الميدان
٣٥	الدولى
٣٧	المقدمة
٤١	مبادئ الرئيس ولسون الأربعة عشر
٤٥	وميض النار من خلل الرماد
	حديث سعد زغلول باشا وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى بك
٤٧	مع المندوب السامى
٥٢	تأليف الوفد المصرى
٥٧	عمل التوكيل وظروفه
٦٦	وفد الحكومة
٧٠	نداء الوفد لمعتدى الدول الأجنبية بمصر
٧٤	من الوفد المصرى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة
٨٠	ملخص وجيز عما تراه الأمة المصرية فى نظام مستقبلها
٨٢	بيان للنزلاء الأجانب
٨٤	من الطلبة النازلين بانجلترا الى مؤتمر الصلح
١٠٤	مغادرة السير ونجت المندوب السامى البلاد المصرية
١٢٥	مطالب المحامين الانجليز العشرة ورد رئيس الوفد عليها
١٢٨	كتاب الوفد المصرى الى عظمة السلطان
	استدعاء القائد العام للقوات البريطانية فى مصر لأعضاء الوفد
١٣٢	وانذاره لهم
١٣٩	ابتداء الثورة
١٥٩	تعيين اللورد اللنبى مندوبا ساميا فى مصر

(وهنا تكلم دولته عن خرج موقفه وموقف زملائه الوزراء ، ثم قال :)

« ان الهياج كان أشد من أن يسكن دفعة واحدة . غير أنني لا أزال واثقا كل الثقة بوطنية مواطني وحكمتهم وهل كان يصح ترك البلاد بلا حكومة وإهمال حقوق مصر السياسية إهمالا يجعلها عرضة للضياع بمرور الزمن ؟ فنحن بازاء أمر واقع يجب أن نعتد به رضينا أو كرهنا . وهل كان يمكن أن نكون أكثر تقدما لو لم يكن اليوم هنا وزير مسئول يتكلم باسم مصر ؟ »

« نعم ان هناك الوفد المصرى وهو يقوم بمهمة جسيمة كبيرة وأنتك لتدرك بدهاءة أنني بصفتى مصرياً لا يسعنى الا أن أتمنى له نجاحا تاما . ولكن هل كانت الأحوال الحاضرة تسمح له بمجابهة الدولة الحامية رأسا ، أليست مهمتى والحالة هذه أشبه شئ بالوسيط العامل بين الفريقين ؟ نعم انها المهمة لا أعتبط عليها . ولكن لماذا ألام على قبول هذه المهمة فى حين أنها من أصعب المهمات ؟ هذا وان الوفد قد رفع القضية الى مؤتمر الصلح ، وهناك سيقدر مصيرنا ، كما تقرر مصير سائر الشعوب ، فنحن فى حالة ارتياح تام وواجبنا أن ننتظر . »

[٤٠٧]

« وأنا أنتظر لأنى أعتقد أنه لايمكن الآن محاولة أى عمل يكون ثابتا ، فمئذ شهرين عندما دار البحث على ارسال اللجنة البريطانية التى رأسها ملتر الى القطر المصرى طلبت أنا نفسى تأجيل مجيئها لأنه لا يسعنا فى الحقيقة أن نتباحث الا متى مهد السبيل تماما فى باريس ، والذى أراه أن هذا العمل لا يتم الا بعد توقيع الصلح مع تركيا ، نعم ان بريطانيا العظمى تصرح لنا بأنها بسطت حمايتها على القطر المصرى ، ولكن هذا الحادث من حوادث الحرب . »

« وما دامت لاتوجد وثيقة نهائية تتضمن تخويل حقوق تركيا الى انكلترا فكيف يمكن الشروع فى مفاوضات على قاعدة راسخة ؟ »

« لا شك فى أن مصر حاجات جديدة وأمانى جديدة وبينما كان يظن أنها مخدرة بالحمول الشرقى اذا بها تبرهن للعالم الذى أدهشته على أنها قد تطورت أسوة بسائر بلدان العالم ، وان جهل هذه الحركة وأهميتها لما جعل حوادث الأشهر الأخيرة من الأمور المحتم وقوعها وفى اظهار الداء ارشاد للدواء ، فعسى جميع المخلصين الذين لا أنفك عن استنهاضهم أن يتركوا الحقائق وخطورة الحالة ، وأنا أرجو كل الرجاء أن يمدونى بمعونتهم . »

بلاغ-وزارة الداخلية..الى المديرين والمحافظات

[٤٠٥]

بعد أن سافر الوفد ونظمت طريقة الاتصال به ، وأصبح هو موضع آمال الأمة واعترفت به الوزارة اعترافا رسميا صريحا ، وجهت اليه جهود كلها لمعاونته في مهمته ، بالقول والكتابة والمال ، ولم يعد للمظاهرات وأعمال العنف نفع كبير .

لذلك هدأت أحوال البلاد هدوءا نسبيا. وأخذت الحياة العامة تعود بالتدريج الى سيرها العادي ، ولذلك أصدرت وزارة الداخلية في يوم ٧ يونيو سنة ١٩١٩ الآتي الى المحافظين والمديرين وهو :

« بناء على ما علمنا من أغلب حضرات المديرين والمحافظين وكثير من الأعيان من انتشار الهدوء والسكينة في البلاد ، فقد اتفقنا مع السلطة العسكرية على البدء في أن نعيد للسلطات المحلية اختصاصاتها لتسيير الأمور تدريجيا من الآن فصاعدا في مجراها العادي - كما كان الحال من قبل - وقد أصدرت أوامرها فعلا الى السلطات الفرعية لهذا الغرض .

» فالمأمول من حضرات المديرين والمحافظين ومن سائر الموظفين أن يقدروا هذه المسؤولية التي أقيت على عاتقهم حق قدرها ، وأن يضاعفوا الهمة ويبدلوا المجهودات القصوى للمحافظة على حالة الأمن بالبلاد واستمرار الهدوء والسكينة شاملين لجميع طبقات الشعب ونطلب منكم جميعا أن تعملوا يدا واحدة على تحقيق ما نرجوه ويرجوه كل محب لخير البلاد وسعادتها لما في ذلك من الفوائد العظمى تحقيقا لرغائب عظمة مولانا السلطان وبالله التوفيق ، »

قلنا ان الأمة لم تكن مرتاحة كل الارتياح الى تأليف الوزارة في هذه الظروف ولذلك كان رئيس الوزارة ينتهز الفرص لشرح موقفه وبيان الظروف التي يعمل فيها واتباعا لهذه السنة تحدث الى مراسل جريدة الطان الفرنسية الحديث الآتي في شهر يونيو ١٩١٩ .

حديث محمد سعيد باشا رئيس الوزراء

[٤٠٦]

مع مراسل جريدة « الطان »

ان واجب كل فرد في مثل هذه الأحوال الحرجة أن يكون حسن الادارة. واني بطبيعة الحال لا يخالني ريب في مخاطر الحالة ، ولكن لما كان قد اعترف بأنني كنت صالحا في مسألة خاصة ، فقد حسبت أنه قد تيسر لي أن أكون ذلك الوكيل الصالح عن الشعب .

ولا أجهل أن وزارتي هدف حملات شديدة ..

انشاء وزارة المواصلات

[٤٠٣]

وفي يوم ٣ يونيه سنة ١٩١٩ نشر المرسوم السلطاني . بانشاء وزارة المواصلات وهاك نصه :

« نحن سلطان مصر »

بعد الاطلاع على الامر العالي الصادر في ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ بتوزيع مصالح الحكومة بين الوزارات ، ونظرا الى اتجاه رغائبنا على الدوام الى العمل بجميع الوسائل التي من شأنها ترقية ثروة البلاد وتوسيع نطاق الحركة الاقتصادية بها .

« ونظرا لما يعود من النفع من جراء حصر جميع المصالح الخاصة بطرق النقل على اختلاف أنواعها في يد وزارة واحدة مما يؤدي على الدوام الى تنظيم وترقية وتحسين جميع وسائل النقل والمواصلات التي هي من أهم وأقوى العوامل في نجاح البلاد ونماء الثروة العامة بها .

رسمنا بما هو آت

المادة الأولى : انشئت وزارة جديدة باسم وزارة المواصلات يتولى ادارتها وزير يعاونه وكيل وزارة وتكون هذه الوزارة الجديدة شاملة للمصالح الآتية :

« مصلحة السكة الحديدية والتلغرافات والتليفونات ، مصلحة البوستة ، مصلحة الليمانات والفنارات ، قسم هندسة الأشغال البحرية ، الملاحة النهرية ، النقل الميكانيكي ، الطرق الرئيسية والكبارى ، النقل بالهواء للأشغال الملكية (الاشراف عليه والترخيص به ومراقبته) ويكون للوزارة الجديدة أيضا الاشراف العام على جميع سكك الحديد الضيقة .
« المادة الثانية : على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا القانون »
« فؤاد »

ونشر مع هذا القانون كذلك المرسوم التالي :

[٤٠٤]

« نحن سلطان مصر »

« بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، رسمنا بما هو آت :

« المادة الأولى : عين أحمد زيور باشا وزير المعارف العمومية وزيرا للمواصلات وأحمد طلعت باشا النائب العمومي لدى المحاكم الأهلية وزيرا للمعارف العمومية .

« المادة الثانية : على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا .
« فؤاد »

« جاء تلغراف لسعادة محمود باشا سليمان بالصورة الآتية : (وهذا ذكرنا صورة التلغراف) فلم يخامرني أى شك فى أن هذا التلغراف مفتعل وغير صادر منكم لأنه يصعب على جدا أن اعتقد أن سعد باشا زغلول ذاك الرجل العظيم يظن أن أمته من البلاهة بحيث تظن أن الاستقلال عبارة عن طرد أو شيء موجود فى مخازن اللوفر أو غيرها بباريس يمكنه مشتراه فى بضعة أسابيع والعودة به الى مصر ، فإذا كانت الأبواب الرسمية قد أقفلت فى وجه الوفد فهناك الأبواب الغير رسمية كالمجالس والهيئات النيابية والجرائد والرأى العام صاحب السلطان الأكبر على الحكومات ، كل هذه الأبواب مفتحة أمام الوفد . » [٤٠١]

فجاءني منه الرد يقول فيه : انا يجب على أن أبين لك الحالة هنا تماما وأنت لك أن تذيب فى الأمة ما يصح نشره وتخفى عنها ما لا يصح العلم به .

ولكن فات سعادته أن هذا التلغراف أرسل لمحمود باشا سليمان وأن أربعة من أعضاء اللجنة عرفوه قبل أن أطلع عليه .
على كل حال فانا أحمد الله الذى وفقني لابتكار هذه الطريقة التى أقنعت بها حامله بعدم صحته .

ذكرت أن الوفد لما سافر الى أوروبا انقطعت أخباره عنا ، فلم يرد منه أى خبر اللهم الا ذلك التلغراف المشئوم ، فرأيت من الضروري أن أبذل كل جهدى للاتصال به اتصالا وثيقا دائما .

ولما كانت الرقابة لا تزال دائمة على جميع المخاطبات العادية والبرقية فقد فكرنا فى ايجاد طريقة تربط الوفد بلجنته وبالبلاد ، ولما كان مثل هذا العمل يحتاج الى كثير من الدقة والعناية ، فقد استدعيت موظفا كان يعمل تحت ادارتى بالأقاليم ، وكاشفته فى اختيارى اياه للمأمورية وطبقة عظيمة خارج البلاد ، فأظهر استعداداه لذلك وارتياحه لأننى جعلته موضع ثقى ، وبعد أن وثقت به ومن تمكنه من الكتابة الى بطريقة ومزية مبتكرة علمته إياها ومن قدرته على حل رموز ما أرسله اليه خاصا بالوفد بلا خطأ أوفدته الى أوروبا مزودا بالتعليمات اللازمة كى يبقى بعيدا عن كل شك حتى يقوم بمأموريته على الوجه الاكمل فقام بما كلف به خير قيام وأصبح الاتصال بين الوفد والبلاد اتصالا منظما ووثيقا (١) . [٤٠٢]

(١) هذا الشاب هو الاستاذ محمد وجيه وكان يعمل مع سعد بالجامعة المصرية وقد حصل على اجازة ثلاثة أشهر ونصف من الجامعة للعمل كمسكرتير خاص لسعد زغلول فى باريس .

(انظر : د. محمد انيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ص ١٥ ، ١٦ .)

التلغراف مفتعل فقالوا : وكيف ذلك ؟ فقلت لهم : ألا يوجد معكم تلغرافات واردة اليكم من الأقاليم فوضّع كل منهم يده في جيبه وأخرج إبراهيم بك الهلباوى والسيد بك خشبة تلغرافات كانت قد وردت اليهما فى بلديهما فطلبت منهما بسطها وعندئذ ظهر الفرق الكبير بين تلغرافاتهما وتلغراف الوفد اذ أن التلغرافات المتبادلة بين بلاد القطر تكتب عادة على ورق الكربون فتطبع الكتابة على ظهر الورقة ، أما التلغرافات الواردة من الخارج فتكتب بالطريقة العادية وبذلك انطلت الحيلة عليهم أجمعين واعتقدوا بأن التلغراف المذكور مفتعل ، وأظهر الهلباوى بك ارتياعه واعتقاده بنجاح قضيتنا .

ولكننى لم أكتف بذلك لأننى - ييمى وبين نفسى - كنت معتقدا أن هذا التلغراف أت من الوفد بلا شك - بل أردت ألا يتسرب خبره الى خارج الغرفة التى كنا بها لهذا وجهت اليهم القول قائلا :

- هل تعتقدون أن الأمة كلها معنا ؟ وأنه لا يوجد بالبلاد من يتمنى عدم نجاح الوفد فى مأموريته لمرافات شخصية بينه وبين الرئيس أو الأعضاء ؟

فقالوا جميعا :

- لا نعتقد ذلك بل بالعكس نعتقد أن هناك أشخاصا يودون الفشل لا لشيء سوى الغيرة والحقد .

فقلت لهم :

- حينئذ يجب علينا بعد أن وثقنا وتأكدنا بعدم صحة هذا التلغراف ألا نشيعه ؟

[٤٠٠]

فقالوا : نحن نوافق على ذلك .

فقلت : حينئذ : اذن فلنقسم بأغلظ الأيمان بألا نذيع شيئا عن هذه البرقية حتى ولا الى محمود باشا سليمان رئيس اللجنة وإبراهيم باشا سعيد وكيلها .

وبالفعل أقسمنا جميعا على الكتاب والسيف والشرف ألا نذيع شيئا عن هذا التلغراف قطعا . وهكذا دفن هذا التلغراف بين أوراقنا الخاصة بالقضية الى أن أفرج عنا سنة ١٩٢٤ .

ولكننى لم أرد أن أترك هذا الحادث يمر بدون أن أفهم سعد باشا أن ارسال مثل هذه البرقية بالمهجة التى صيغت بها كان يجوز أن يحدث ما لا تحمد عقباه لو علمت به البلاد .

لذلك أرسلنا اليه بعد أن انتظمت المراسلات بيننا وبين الوفد الاشارة الآتية :

صالح بك رئيس نيابتها وأحد القضاة فيها . وتهمة الجميع أنهم حاولوا انتقاض الحكومة وتأليف حكومة مستقلة إبان الثورة في مارس الماضي ، وكذلك ألقت السلطة القبض على أحد مأموري المراكز بمديرية أسوان .

ومما يجب ذكره أن سعيد باشا لما خطب في أمر التوسط لهؤلاء في الإفراج عنهم أبى قائلا أنه لا يستطيع التدخل في أمرهم .

التلغراف المشؤوم

[٣٩٨]

لما سافر الوفد إلى أوروبا بعد تشكيل اللجنة المركزية انقطعت أخباره مدة ليست بالقصيرة شغلت بسببها أفكارنا وتضاربت الخواطر في كنهها ولم يرد منه أى خبر إلا البرقية الآتية في ١٣ مايو ١٩١٩ :

« محمود باشا سليمان بمصر :

من يوم وصولنا والأبواب مقفلة وحبط كل مجهود وسعى ، ولقد اعترفت ألمانيا في معاهدة الصلح بالحماية » .

فازداد القلق بعد وصول هذه البرقية ، ويحسن بى أن أذكر هنا الأثر الذى أحدثته هذه البرقية وبأن به (١) من الوسائل لازالة ذلك في نفوس رجال لجنة الوفد .

وقبل منتصف شهر مايو ١٩١٩ أثناء اشتغالنا بمكتبنا الخصوصي بالأعمال الخاصة بالحركة الوطنية جاء لزيارتنا كل من حضرات ابراهيم بك الهلباوى والسيد بك خشبة وعلى بك محمود وحفنى بك محمود - وكلهم من أعضاء لجنة الوفد المركزية - وكانت علامات الحزن والتأثر بادية عليهم جميعا بحالة تلفت الأنظار ، فبعد أن سلموا قلت لهم ما خطبكم ؟ وما سبب هذه الكتابة البادية عليكم ؟ فقدم إلى أحدهم وهو حفنى بك محمود البرقية السالفة الذكر . فلما تلوتها كدت أصعق أولا : لصيغتها الموجبة لليأس ، وثانيا : لأنها اذا علمت الأمة بما فيها فلا يعلم الا الله ماذا تكون نتائجها ، لذلك قصرت تفكيرى في حمل محضره على أن أدخل في روع القادمين على أنها مزورة .

وبعد تردد وتفكير طويلين أخذت في التظاهر بالضحك العالى مدة طويلة حتى خيل اليهم أننى مسست في عقلى من تأثير الصدمة ، حتى انهم نظروا الى بعيون جاحظة وأفواه فاغرة وعندئذ قلت لهم ان هذا

[٣٩٩]

(*) تسلسل الصفحات من ٣٩٦ الى ٣٩٨ وصفحة ٣٩٧ غير موجودة بأصل المذكرات .

(١) غير متسقة وتصبح مفهومة لو كانت « وما استخدم من الوسائل » .

القرآن الكريم واستماع الذكر الحكيم وتأدية سائر العادات التي ألفوها في مثل هذا الشهر المبارك (١) .

« وعلى ذلك فقد صدرت الأوامر المؤكدة الى رؤساء المناطق العسكرية المختلفة في القطر المصري بعدم التضييق على المسلمين في استعمال الأنوار بمساكنهم وعدم التعرض لهم في غدوهم ورواحهم للتزاور خارج بيوتهم مع احترام ما جرت به عادة الكثير منهم من حيث تمضية ليالي هذا الشهر المبارك كلها أو بعضها في المطاعم والقهوات . كل ذلك لكي يتمكن المسلمون كل التمكين من الاجتماع وتأدية الصلوات المفروضة والمشفرة وتلاوة القرآن الكريم واستماعه وقراءة ما جرت فيه العادة من الأدعية والأحزاب والأوراد ونحوها في مساكنهم .

« وفوق ذلك فقد صدرت الأوامر المشددة الى المناطق العسكرية باجتنب أى عمل يكون من شأنه الحيلولة دون قيام المسلمين بشعائهم وفروضهم وعاداتهم المألوفة في هذا الشهر المبارك وقد صدرت الأوامر المشددة أيضا بتفهم الجنود ما لهذا الشهر الكريم عند المسلمين من المكانة الممتازة والحرمة الخاصة حتى لا يتطرق الى أذهان هؤلاء الجنود أن تلك الاجتماعات لها مغزى سياسى اذ أنها في الحقيقة ونفس الأمر لا تخرج عن كونها احتفالات دينية محضة .

[٣٩٦]

« هذا ولا يزال دولة الوزير يواصل الاهتمام بكل أمر يترتب عليه راحة الأمة ورفاهيتها والله الموفق للخير » .

وقد احتفل المسلمون في ٢٩ مايو ١٩١٩ برؤية هلال رمضان المعظم فكان احتفالهم بهذا اليوم رائعا اذ انقلب الى عيد قومى تجلى فيه الآخاء والتضامن بين عنصرى الأمة المصرية : المسلمين والأقباط ، ولقد زار الأقباط اخوانهم المسلمين في الجامع الأزهر بالقاهرة وفي جامع أبى العباس بالاسكندرية لتهنئتهم بهذا الشهر المبارك .

وفي ٣٠ مايو سنة ١٩١٩ تمكنت الوزارة من استصدار أمر بالافراج عن ١٣ شخصا من المعتقلين في رفح (٢) كما تمكنت أيضا من اخلاء سبيل تسعة من المعتقلين في القاهرة في أول يونية سنة ١٩١٩ .

ولكن اعتداءات السلطة العسكرية لم تقف عند حد بل استمرت تقبض على الآمنين من الناس . ففي ٣١ مايو ١٩١٩ ألقت القبض على حمدى بك وكيل مديرية المنيا وقد انتحر قبل محاكمته كما قبضت على الاستاذ يونس

(١) محاولة من وزارة سعيد لاجتذاب الشعب من خلال استعراض الشعور الدينى .

(٢) كانت رفح مكانا من الأماكن الغنية النائية لاحتجاز الثوار .

- ١ - أن الوزارة مصرية وطنية قبل كل شيء • لا تسعى الا لما فيه صالح البلد •
- ٢ - ستكون مهمتها تسيير الأمور المعطلة واعادة النظام الداخلى الى السلطة المدنية حتى تزول الشكاوى من المنظمات الحالية •
- ٣ - ليست لها مهمة أو صيغة سياسية (١) خصوصا وأن المسألة المصرية يبت فيها فى مؤتمر الصلح العام •
- ٤ - لا تبت فى شيء بالنسبة لمركز مصر السياسى •
- ٥ - نجنبه فى أن تعود الجمعية التشريعية الى الانعقاد والعمل •
- ٦ - تبتدىء حالا فى السعى فى رفع الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية الحاضرة والغاء الرقابة على الصحف •
- ٧ - تسعى منذ الآن فى الغاء قانون المطبوعات •
- ٨ - تسعى بكل ما يمكن من الوسائل لتحقيق أمانى الشعب المصرى القومية بأسرع ما يمكن •
- ٩ - لن تبسح أى ارغام أو ضغط على الأفراد أو المجموع خصوصا فيما ليس فيه صالح للوطن •
- ١٠ - ترجو الا تصدر الأمة حكما الا بعد أن تظهر بوادر أعمالها •

(منشور وزارة محمد سعيد باشا للأهالى)

— بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٩ —

[٣٩٥]

نظرا لخلول شهر رمضان المبارك الذى قضت الأوامر الدينية والعادات المألوفة عند المسلمين باحياء لياليه بالتقرب الى الله بالصلوات والدعوات الى ما هنالك من صلة الأرحام والتزاور بين الناس • قد رأى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية تمهيد الوسائل للاحتفاظ بهذه السنة الحميدة والعمل على استمرارها فلذلك بذل فى هذا السبيل سعيه الموفق حتى انتهى الى الاتفاق مع السلطة العسكرية على ازالة بعض القيود لأجل زيادة التسهيل على المسلمين فى التفرغ أثناء هذا الشهر المبارك الى احياء لياليه بقراءة

(١) ليس هذا صحيحا اذ تشير الوثائق البريطانية أنه كان من أهداف وزارة سعيد باشا تأليف جماعة سياسية جديدة تمثل النيار المعتدل وتتعاون مع الوجود الاحتلالى لتواجبه الوفد • (انظر : د. يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٣ •)

الاحتجاج على تأليف وزارة سعيد باشا

[٣٩٣]

قوبل نبأ تأليف وزارة سعيد باشا كما قوبل تصريحه السالف بإقامة المظاهرات في القاهرة والاسكندرية لأن الأمة لم تطمئن لما حواه هذا البرنامج وتواتر بعدئذ عرائض الاحتجاج ترفع الى المسامع السلطانية كما تعدت المظاهرات في بعض المدن الأخرى .

وفي يوم ٢٥ مايو ١٩١٩ أقيمت مظاهرة كبرى بالاسكندرية تدخل فيها الجنود البريطانيون فخرج ضابط بريطاني وقتل أحد المتظاهرين كما قبض على كثير منهم .

وفي يوم ٢٧ مايو ١٩١٩ اجتمع خلق كثيرون في الجامع الازهر وإلقيت الخطب احتجاجا على تأليف وزارة سعيد باشا (١) .

على أن الوزارة في هذا الوقت كانت تروجو تنفيذ برنامجها الذي اختطته على نفسها بقدر المستطاع فأذاعت المنشور الآتي على السبكن في ٢٨ مايو ١٩١٩ وهو :

تصريح دولة محمد سعيد باشا بعد تأليفه الوزارة

[٣٩٤]

لم يكن يدور في خلد مصري أن يقدم انسان على تأليف وزارة في هذا الوقت العصيب فكان طبيعيا أن تقابل وزارة محمد سعيد باشا بالاستياء الشديد من المصريين ولقد أحس سعيد باشا نفسه بهذا فصرح لجريدة مصر في ٢٢ مايو سنة ١٩١٩ ببرنامج وزارته الذي نشره فيما يلي :

(١) تعددت أشكال الاحتجاج على تأليف وزارة محمد سعيد ، ففي يوم الجمعة ٢٣ مايو نالت ضدها مظاهرة بالاسكندرية (وسعيد باشا من أهلها) عقب صلاة الجمعة بمسجد أمي العباس المرسى وطافت في بعض الشوارع ثم فرقا البوليس وفي يوم الأحد ٢٥ منه قامت ضدها مظاهرة أخرى أكبر من الأولى اذ عقد اجتماع كبير في مسجد أمي العباس وخرج المجتمعون في مظاهرة سارت في شوارعها تهتف ضد الوزارة وتدخل الجنود البريطانيون فخرج ضابط بريطاني وقتل أحد المتظاهرين وقبض على كثير منهم وشيعت جنازة القتيل في مشهد رهيب .

وعقد اجتماع كبير في الأزهر أقيمت فيه الخطب العدائية ضد الوزارة وبالجملة كانت هدفا لتيار كبير من السخط العام ، وفي ذلك يقول سعيد باشا في حديث له بجريدة « الطان » الباريسية : اني لا أجهل الطعن الشديد الموجه الى وزارتي فانه لا يمر يوم الا ويكون زملائي كما أكون أنا نفسي موضع تهديدات توجه اليها مباشرة ولا يخطاك أنه قد أطلقت في إحدى الليالي طلقات نارية على منافذ منزلي وكان الهياج من الشدة بحسب استحيل أن يهدأ مرة واحدة ، غير أني مع ذلك ممثلا ثقة بوطنية المصريين وحكمتهم .

عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ .

الذين اخترتهم لمعاونتي على القيام بهذه المهمة ، وقد حفظت لنفسى مسند وزارة الداخلية ، فاذا صادف هذا الانتخاب قبولا لدى عظمتكم ، فالتمس التكرم باصدار المرسوم السلطاني باعتماده .

« ولا زلت لمولاي العبد الخاضع المطيع والخدام المخلص الأمين »
(محمد سعيد)

المرسوم السلطاني

[٣٩٢]

« نحن سلطان مصر »

وبعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ .
« وبعد الاطلاع على امرنا انكريم الصادر في ٢٠ شعبان ١٣٣٧ (٢٠ مايو ١٩١٩) وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء
« رسمنا بما هو آت »

« المادة الاولى »

« عين : - محمد سعيد باشا - وزيرا للداخلية
واسماعيل سرى باشا - وزيرا للأشغال العمومية
والبحرية والبحرية
ويوسف وهبه باشا : وزيرا للمالية
وأحمد زيور باشا - وزيرا للمعارف العمومية
وعبد الرحيم صبرى باشا - وزيرا للزراعة
وأحمد ذو الفقار باشا - وزيرا للحقانية
ومحمد توفيق نسيم بك - وزيرا للأوقاف .

المادة الثانية

وعلى رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا «
« فؤاد »
بأمر الحضرة السلطانية - رئيس مجلس الوزراء
« محمد سعيد »

هذا وقد أنعم السلطان برتبة الباشوية على محمد توفيق نسيم بك
وزير الأوقاف العمومية .

ولقد زعم سعيد باشا - كما سيأتي - أن وزارته ادارية لا تمت
الى السياسة بسبب ، وهذا يفاير المعقول ، حتى ولو كان الزعم صحيحا -
أن عمل الوزراء يطبيعته سياسى .
والى القارىء نصوص الموائيق الرسمية الخاصة بهذا الشأن وجواب
سعيد باشا كما سنرى خال من ذكر أى برنامج للوزارة :

خطاب عظمة السلطان

[٣٩٠]

« عزيزى محمد سعيد باشا »

« ان لكمال وثوقنا بدولتكم ولما نعهد فيكم من مزايا الجدارة والقدرة
فى القيام بمهام الأمور قد اقتضت ارادنا السنية السلطانية توجيه مسند
رياسة مجلس وزرائنا مع رتبة رياسته الجليلة لعهد لياقتكم وأصدرنا
أمرنا هذا لدولتكم لبذل الهمة فى انتخاب وتاليف هيئة الوزراء وعرضه
لجائبننا لصدور مرسومنا العالى به . والله المسئول أن يمدنا فى كل الأمور
بعونه وعنايته وأن يوفقنا جميعا للعمل بما ينفع البلاد والعباد ان
شاء الله » .

٢٠ مايو ١٩١٩

« فؤاد »

جواب محمد سعيد باشا

[٣٩١]

« يا صاحب العظمة :

« بيد الاجلال تلقيت أمركم الكريم الذى تفضلتم فيه بتكليفى تأليف
الوزارة الجديدة .

« فأقدم لعظمتكم شعائر الشكر والامتنان على ما تعطفتم به نحوى
من دلائل الثقة العالية المقرونة بالاحسان برتبة « الرياسة » الجليلة .

« ومع علمى بصعوبة المركز وما يحف به من المشاق لم يكن فى
وسعى الا امتثال أمركم السامى لكى أقوم بما هو مفروض علينا جميعا
من خدمة الوطن تحت ظلكم الكريم وبحسن رعايتكم الفخيمة .

« وانى أتشرف بأن أعرض على أنظاركم العالية أسماء حضرات لوزراء

مصر وللبحث في الحالة الحاضرة وفي شغل النظام الدستوري الذي يعود على مصر بالسلام واليسر والنجاح والتقدم في سبيل الحكم الذاتي وحماية المصالح الأجنبية في ظل الحماية . وسترسل هذه اللجنة - يعلم المندوب السامي الخاص وموافقته - وستستند الى معاونته ومشورته . وفي هذه الأثناء يهيئ الجنرال اللنبي لها السبيل في عملها بمباشرة تحقيق محل منظم عن أسباب الاضطرابات الأخيرة وشكاوى الفلاحين . فان المعلومات التي سيحصل عليها بهذه الطريقة ستكون ذات فائدة كبرى للجنة الخاصة متى وصلت الى القطر المصري ، واني أظن وأعتقد عن صدق بأن نتيجة أعمال هذه اللجنة ستكون ازالة سوء التفاهم وستثبت الحماية البريطانية على مصر على قواعد توجب رضا الدولة الحامية وسكان البلاد على نسبة واحدة .

« اننا لم نعقد النية على قمع الشخصية المصرية ، وبالعكس اننا نقبل المبدأ الذي بموجبه يعطى المصريون نصيبا يزداد مع الأيام في حكم بلادهم ، ورغبتنا الشديدة أن نرى مصر في ظل حمايتنا تتقدم في سبيل اليسر والتدور وتحصل على المركز الذي تستحقه كدولة اسلامية كبرى » .

[٣٨٩]

تأليف وزارة سعيد باشا

٢١ مايو سنة ١٩١٩

استقالت الوزارة الرشدية في ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ بعد أن عجزت عن تلافي الخطر الحال بالبلاد ، وظلت مصر شهرا تحكم بغير وزارة مسئولة حتى قبل دولة محمد سعيد باشا (١) تأليف الوزارة الجديدة في ٢١ مايو ١٩١٩ في نفس اليوم الذي نشر فيه تصريح اللورد كرزون .

وقد قوبل خبر تأليف الوزارة بالاستياء الشديد من جميع طبقات الأمة وعدوه خروجاً على الوحدة القومية وازعاجاً للحركة المصرية ولم يقلل من هذا الاستياء ما أذيع وقتئذ من أن هذه الوزارة وزارة ادارية محضة لها صبغة سياسية ستقتصر مهمتها على تصريف الشئون الادارية المحضة . تاركة الشئون السياسية للوفد المصري وحده .

(١) كان محمد سعيد باشا رئيساً للوزارة المصرية التي خلفت وراثة بطرس غالى بعد اغتيال هذا الأخير عام ١٩١٠ واستمر يتولى هذا المنصب حتى بداية عام ١٩١٤ ، وقد اشتهر عهده بمطاردة الوطنيين ، كما اشتهر بخصومه لسعد زغلول .

في البلاد الاخرى لم ينل الموظفون والمستخدمون وسكان المدن فائدة
توازي فائدة المزارعين فرأت هذه الطوائف صعودا في الأسعار [٣٨٧]
لا يوافق مطلقا الزيادة في دخلهم ولا شك في أن ذلك سبب شيئا من
التبرم .

« وكان من الصعب أن تأمن مصر العدوى من تيارات الاضطرابات
العامة وعدم الرضا والمطالب السياسية المهمة التي تحتاج العالم أجمع وهي
نتيجة أزمة دامت أربعة أعوام . ولا يوجد أي شك في أن كرامة نفس
الطبقة المتعلمة قد جرححت لعدم إيجاد مركز مصر في مؤتمر الصلح الذي
حضره مندوبو امبراطورية الهند ومملكة الحجاز . ولقد أظهر انتشار
الاستياء الذي سببه عدم السماح لسعد زغلول وحزبه بالسفر الى أوروبا
للدفاع عن قضية استقلال مصر مقدار ما كان لتهميجهم من النجاح وقد
سبب الغاء الامتيازات المتوقع خوفا لا مبرر له من جعل المحاكم المصرية
انكليزية بعد ذلك الالغاء . وظهرت هناك مخاوف أخرى من أن يكون
في عزمنا استبدال كثير من الموظفين المصريين بالموظفين الانجليز .

« ويظهر فوق ذلك أن ما عرض على رشدي باشا بصفة خصوصية
من اقتراحات تخص بالاصلاحات الدستورية قد سبب أيضا خوفا شديدا
في النفوس لا مبرر له خصوصا لأن المبادئ السياسية التي بنيت عليها
هذه الاقتراحات لم يكن لها أي تعضيد هنا .

« أما أسباب استياء طبقة المزارعين فمن السهل ادراكها وقد شهد
جميع الذين تولوا القيادة العامة البريطانية في مصر بالخدمات الجليلة التي
أدتها لجيوشنا فرقة العمال المصرية وفرقة الجمالة . وكان عدد رجال
هاتين الفرقتين عظيمًا في السنتين الأخيرتين (١) . [٣٨٨]

« هذا عن الماضي ، ولا شك أن حضراتكم تنتظرون مني أن أقول
شيئا عما تراه وتنويه حكومة جلالة الملك في المستقبل خصوصا وقد طلب
الى ذلك حضرة الرئيس ، فقد كانت حكومة جلالة الملك تنوى دائما انتداب
لجنة عظيمة الى مصر بعد انتهاء الحرب ، ومفاوضات الصلح ، فتحدد هذه
اللجنة صفة الحماية الجديدة وتعرض رأيها فيما يختص بإدارة البلاد في
المستقبل لنك ترى حكومة جلالة الملك أن تقترح انتداب لجنة خاصة عرضت
رياستها على اللورد ملنر للتحقيق عن أسباب الاضطرابات الأخيرة في

(١) كان لما اتبع خلال أواخر الحرب من تجنيد المصريين بالإجبار في فيالق العمال
تأثيره البالغ في إثارة الريف المصري ، لما كان يتبع في هذا التجنيد من أساليب شاذية
الفساد والسخرية وأدت الى أن تصح (السلطة) بين الفلاحين رمزا لاغتصاب كل ما هو
عزيز حتى انتشر الموال الذي جاء فيه « والسلطة خدت ولدى » .

المحصول وستتبع الحسارة والمشقة على كاهل أصحاب الأراضي والمزارعين الذين يحتمل اشتراكهم فيها ، على أنهم سيدركون عما قريب أنهم هم الذين سيتحملون الحسارة أكثر من غيرهم وأنهم قد ضلوا سواء السبيل . « ترى ماذا يجنيه هذا الاضطراب في مصر ، مع ما صحبه من الحسارة في الأرواح والآلام العامة وتدمير الممتلكات ؟ فإذا كان الغرض من هذا الاضطراب وضع جد لعلاقة البريطانيين بمصر والحصول على استقلال مصر فقد قضى عليه بالفشل ، ولا يمكنني أن أصرح بلهجة أكثر تأكيداً بأن حكومة جلالة الملك لا تنوى مطلقاً أن تجهل أو تتخلى عن القيود والتبعات التي تحملتها عندما وضعت مهمة حكم مصر على عاتقها ، وهذه القيود والتبعات قد تأيدت باعلان حمايتنا على البلاد . وهذه الحقيقة تقدر تقديراً عاماً ليس هنا فقط بل يقدرها الرأي الأجنبي الواقف على مجرى الأحوال جيداً ممن لهم مصالح في مصر ، وبهمهم فلاحها والحكم الطيب في المستقبل . أما إذا كان الغرض من هذه الاضطرابات لفت النظر الى الأمانى المشروعة والشكاوى والتبرم من نظام الادارة الحالي فان هذه ليست الوسيلة التي يمكن الوصول بها الى هذه الغاية . »

[٣٨٦]

« والحكومة البريطانية مستعدة دائماً أن تعبر سمعها بأعظم عطف الى كل ما يقوله الوزراء المصريون أو المندوبون المسئولون عن الرأي المصرى في هذه المواضع وليس لدينا أية نية على أن نضع قراراً بشأن شكل الحماية أو بشأن التغيرات الادارية التي قد تكون لازمة في جميع هذه المسائل التي تمس مصالح المصريين مسا جوهرياً . بدون أن تعطى المصريين الفرصة التامة لابتداء آرائهم ، وقد أعطيت تأكيدات بهذا المعنى للسultan الحالي ، وقد كنا على استعداد تام لسماع أقوال سعد باشا وزملائه ، لو لم يبدأوا أعمالهم بطلب انسحابنا التام من البلاد وهو شرط مستحيل لا يصلح أن يكون قاعدة لبحث معقول وحكومة جلالة الملك آخر من يقول بعدم وجود أمانى حقة للمصريين أو شكاوى ، وستعطى تلك الأمانى الحققة على مر الأيام وعند ثبوت الدعوى قسماً من الوطنية يزداد زيادة دائمة . أما الشكاوى فيجب الاعتراف بها ولكن يجب عدم المغالاة فيها ، قل أن توجد في العالم أهم لم تتحمل ويلات ومشاق في خلال الحرب ، وقل منها من كان في مركز سعيد كمصر التي استطاعت الافلات بفضل الحماية البريطانية من الحسائر والآلام والحرمان في الأعوام الأربعة الماضية الى درجة عظيمة ، فقد زاد احتياطي الحكومة المصرية ثلاثة أضعاف وازدادت الثروة القومية زيادة عظيمة بسبب أسعار القطن وجميع المحصولات الزراعية المرتفعة ، ولا يوجد ما يحمل على الظن أن الأهالي بالاجماع لم ينالوا قسماً في حركة اليسر العامة ، غير أنه في مصر كما

« وفى يوم ٢٢ ابريل أصدر الجنرال اللنبى منشورا دعاهم فيه الى العودة الى العمل فى الحال وتهدد من لا يرجع منهم بالرفت . وقد كان لهذا المنشور التأثير المطلوب . ان لم تمض مدة وجيزة حتى عاد أغلب الموظفين ، الى أعمالهم . كذلك أمر الطلبة الذين كانوا قد غادروا مدارسهم وكنياتهم بالعودة الى العمل يوم ٣٠ مايو غير أنه لم يعد منهم غير نسبة قليلة فأغلقت المدارس .

« وقد قرر الجنرال اللنبى على اثر وصوله بما خول له من السلطات المطلقة كمنسوب سام خاص أن يسمح لكبار الوطنيين أن يغادروا مصر الى أوروبا وأن تعطى نفس الحرية للزعماء الأربعة ومنهم سعد زغلول الذين كانوا معتقلين فى مالطة وقد أفضت هذه المنحة الى تأليف وزارة مصرية فى الحال برئاسة رشدى باشا وكانت المهمة الكبرى لهذه الوزارة حمل موظفى الحكومة على العودة الى العمل ولكنها فشلت فى مهمتها هذه تماما . وبعد أن ظلت نحو أسبوعين فى مركزها استقالت فى ٢٢ أبريل . ومنذ ذاك التاريخ تدار شئون مصر بدون مساعدة الوزراء الوطنيين .

[٢٨٤]

ومن خلال ذلك وصل سعد زغلول وزملائه الى باريس فى أبريل وقد أطلقوا على أنفسهم اسم الوفد المصرى الوطنى ، ولكن التمتع بالاكتمالات الوافرة والقدرة على انفاق هذه الاكتمالات لم تظهر لها حتى الآن نتائج معينة .

« وفى ٢٢ اعترف الرئيس ويلسون بالحماية البريطانية على مصر . وبمنشور ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ (١) وكانت فرنسا والحكومة الروسية الامبراطورية الأخيرة قد اعترفتا بحمايتنا ، كما أعلن فى سنة ١٩١٤ ، وقد وضعت كما تعلمون سيادتكم مادة فى معاهدة الصلح مع دول الأعداء دعوا فيها الى الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر . وعليه لا يمضى غير زمن يسير حتى تنال الحماية الاعتراف التام وسيأتى وقت - ان لم يكن قد أتى - يسأل فيه المعتدلون وذوو الرزاة من المصريين أنفسهم عما اذا كانت الحركة من الأمور التى تستحق القيام بها وعندها لحقت مهمات السكة الحديدية والمواصلات فى خلال الاضطرابات كانت شديدة جدا ، فقد دمرت مصنوعات وآلات لازمة لا يمكن اصلاحها أو استبدال غيرها بها بسهولة وقد كان لمشاق النقل والسفر تأثير سيء ولكن سيظهر تأثير ذلك أكثر فى أواخر الصيف اذا ما حان وقت نقل

[٢٨٥]

(١) منشور ١٨ ديسمبر اعلان بوضع مصر تحت حماية بريطانيا العظمى وزوال حمايتها

والاعتداء على النساء في مثل هذه الأحوال الى وقوع مثل هذه الوحشية على أن المسألة بأجمعها هي الآن موضع البحث والتحقيق القضائي . وسيجرى العدل مجراه .

« وقد وقع في القاهرة أيضا اعتداء منظم على الأرمن المساكين . وقد قتل منهم أربعون أو جرحوا ، وتطلب الأمر جمع بضعة آلاف منهم وضعوا في معسكرات المهاجرين تحت حماية الجنود البريطانيين ولا مشاحة في أن مثل هذه الحوادث لا شأن لها بالحكم البريطاني ولا تدل على شيء غير وجود يد للأتراك من وراء الستار (١) ، وعندى أن أعمال الاعتداء هذه وتدمير أملاك اليونانيين في مدن المديرية تفسر تفسيراً ينطوي على التثقيف والتعذيب واحتجاج الوطنيين القائل بأن حركتهم ليست موجّهة ضد الأجانب . وقد بذلت المساعي لاقامة صورة تمثل أن الجنود البريطانيين في مصر ارتكبوا أعمالاً تنطوي على القسوة والتوحش . ومثل هذه انهم هي الكيفية الطبيعية التي يتخذها الوطنيون في بث دعوتهم وهي بعيدة كل البعد عن الحقيقة . فقد أظهر الجنود جلدا يشكر في أحوال مؤلمة خصوصا إذا تذكرنا أنه عدا حادثة الاعتداء على اكسبريس الاقصر التي أشرت إليها فيما سبق ، قد وقع كثير من حوادث القتل الشنيع الذي قتل فيها الرعاع الوطنيون جنودا بريطانيين منفردين وغير مسلحين ، وقتل رجال الدوريات والحراس بواسطة الرماة كما وضعت لهم المكائن بدون أدنى تحرش منهم . ويسرني أن أقول ان كثيرا من الأبناء المختلفة التي وردت ونشرت في بعض الأحيان عن أعمال الاعتداء وقتل الملكيين والنساء البريطانيين في المنطقة المتطرفة لم يظهر له أثر من الصحة . هذا إذا استثنينا قتل مفتش بريطاني في السكة الحديدية في الواسطي وسوء معاملة زوجته . ولكن بعض الملكيين نجوا بأعجوبة . وقد أظهر المصريون في أحوال معينة بسالة وتفانيا في انقاذهم .

[٣٨٣]

« وفي أوائل شهر ابريل ضرب جميع موظفي الحكومة (٢) تقريبا عن العمل للاضرار بمصلحتهم الشخصية ولحساسة أبناء وطنهم وازعاج خواطهم وقد فشلت جميع المجهودات التي بذلها رشدي باشا والوزراء المصريون لحملهم على العودة الى أعمالهم . ومن بين المطالب التي طلبوها (الموظفون) استقلال مصر التام والاعتراف حالا بسعد زغلول وزعماء الوطنيين كممثلين للأمة المصرية .

(١) خلال هذه الفترة كانت الحرب على أشدها بين أتاتورك وبين اليونانيين الذين يساندتهم البريطانيون .

(٢) يرجع الى كتاب : حرائث ونمبرلى : أوروبا في العرين ١٩ ، ٢٠) .

(٢) انظر المذكرات ص ٢٤٩ وما بعدها .

لهذه الأسباب أرجو أن تسمح سعادتك لي ولأحد زملائي بمقابلتكم
حسب نيتكم سقيقة الحال في مصر .
وأشرف أن أكون لكم يا سيدي

المخلص المطيع الخاضع
الامضاء

سعد رغلول

تصريح اللورد كيرزون في البرلمان الانجليزي

[٣٨١]

في يوم ٢١ مايو نشرت الجرائد تصريح اللورد كيرزون الذي القاه
في البرلمان الانجليزي في يوم ١٥ مايو . وقد تناول فيه سياسة حكومته
ازاء المسألة المصرية .

وايك هذا التصريح كما نشرته شركة روتر التلغرافية :

« لندن في ١٥ مايو - رد اللورد كيرزون على سؤال القاه
مركيز كروي (١) يتعلق بالحالة في مصر ، فبعد أن قال أنه يرحب
بالفرصة التي تمكنه من ابداء بيان عن الحالة قال :

« مضى الآن ستة أسابيع منذ تصريحى الذي ألقيته في مجلس
سيادتكم في هذا الموضوع وقد طرأ في خلال تلك المدة بالطبع تحسن
في الحالة في مصر ، ولو أنه لا يمكن وصف الحالة بعد بأنها تبعت على
الرضا والارتياح ، وقد أعطيت جميع المعلومات التي لدينا للصحف فنشرت
أبناء كاملة للحوادث الأخيرة وقد عاد النظام في المديرية بالاجمال وعاد
النزاعون الى العمل . على أنه وقعت في بعض المدن ولا سيما في القاهرة
فلاقل متقطعة تطلب اخمادها استخدام القوة ، ولا يزال الأزهر مركزا
للتحريض ، ولقد لعب الطلبة في طول المدة أكبر دور في التحريض على
المشاعبات ، أما فيما يتعلق بما حدث في المديرية فقد قرأتم سيادتكم
بهلع وسخط عن قتل ثمانية من الضباط والجنود البريطانيين قتلا ينطوى
على الجبن وهم عائدون في اكسبريس الوجه القبلي من أجازة في الاقصر .
وقد وقع ذلك منذ أسابيع كثيرة في الأدوار الأولى من الاضطرابات ،
ويؤخذ من الأنباء التي وردت بعد ذلك أن الذين اقترفوا هذه الجريمة هم
الفلاحون المحليون وليس البدو كما ظن أولا . وليس فلاح الوجه
القبلي بطبيعته ميالا الى العنف والشدة ولكن قد تفضى الأنباء التي أذيعت
عن أعمال الاعتداء التي اتهم الجنود البريطانيون بارتكابها كحرق المساجد

[٣٨٢]

(١) عضو مجلس اللوردات .

[٣٧٩] « ولم يكن ليتزعزع إيمانه القاطع بالأربعة عشر نقطة ، وبخطاب ٢٧ سبتمبر الماضى ، وبغير ذلك من التصريحات ، وقد عجز رصاص الجيش البريطانى فى مصر عن أن يزعزع قيد أنملة اعتقاده الثابت فى مقدرتكم ومقدرة الشعب الأمريكى الى تحقيق المبادئ التى قاتل فى سبيلها وفاز بتحقيقها . »

« وقد رأى الشعب المصرى فى نفى ونفى زملائى محاولة من السلطات البريطانية يراد بها حرمان البلاد من الاستفادة برعايتكم . ولكن ارادته تغلبت فأطلق سراحنا . وكان أول واجب قمنا به اذ وصلنا الى باريس أن طلبنا مقابلة سعادتكم . على أننا منعهنا ذلك . ثم لم تنقض الا أيام قلائل حتى نشر فى جميع أنحاء العالم اعتراف حكومة الولايات المتحدة الامريكية بالحماية البريطانية على مصر . »

« ولكن الأنباء الواردة تدل على أن الخبر لقى فى مصر آذنا صماء اذ لم يكن فى استطاعة المصريين أن يتصوروا أن المبادئ التى جعلت العالم يعامل نفسه بعهد حرية ومساواة جديدين هى التى تسجل العبودية على أمة بأسرها . »

« لقد كانت نتيجة قرار مؤتمر الصلح فى سان مصر أن عمدت السلطات العسكرية البريطانية الى اتباع سياسة انتقام مطرد فى جميع أنحاء البلاد ، ونفذت فى المدن والقرى شر أنواع النهب ، وأحرق بعض القرى عن آخره آلاف الأسر عديمة المأوى . »

[٣٨٠] « ويحاكم الذين لا يحيون الضباط البريطانيين أمام المحاكم العسكرية ، حتى أن القضاة فى مديرية قنا أبوا أن يذهبوا الى المحاكم حتى لا يتعرضوا لمثل هذه المهانة . »

« ويستخدم الكرياج بغير حساب وتساء معاملة الأعيان ويسجنون وتنتهك أعراض النساء ، وقد حدث أن زوجا كان حاضرا وحاول أن يحمى شرفه فقتله الجنود بالرصاص . »

« كل هذا لأن الشعب المصرى اجترأ على أن يطلب تحريره سياسيا ، ولا مجال للشك فى أنه سيثابر على طلب حريته السياسية ، سيفعل ذلك وهو يعتقد اعتقادا ثابتا فى عدالة قضيته وموافقته من أعماق قلبه على المبادئ التى أعلنتموها سعادتكم فاما أن ينجح بمساعدة أمريكا أو يهلك ضحية ولائه وحسن اعتقاده . »

فباسم الشعب المصرى كله أتقدم محتجا على حكم ينتهك فيما يختص
بمصر ، حرمة المبادئ الانسانية والأمريكية التى ترمى الى عقد صلح
عادل دائم » .

رئيس الوفد المصرى
سعد زغلول

خطاب الوفد الى الرئيس والسن

[٣٧٧]

رأى الوفد بعدئذ نفسه أمام قوم لا يصغون لصوت الحق والعدل
فالمساومات تجرى بينهم لصالح بلادهم على حساب الأمم الضعيفة ، ورأى
نفسه كذلك أمام خصم قوى جبار لا تفيد معه أساليب الشدة ، لذلك لم
يجد بأسا من أن يعيد الكرة بمحاولة طلب مقابلة الرئيس ولسن ، وهذه
صورة خطابه الذى أرسله اليه :

« سيدى العزيز :

[٣٧٨]

« سبق لى أن تشرفت فى ٢٢ ابريل الماضى بطلب مقابلتكم رجاء أن
أعرض على سيادتكم بصفتى مندوب أمة متمدنة ذات تاريخ مجيد حالة
الأمور الحقيقية فى مصر ، وأمانى أبناء وطنى القومية ، وقد ذكر الرد الذى
تلقيته من سكرتيركم فى ٢٤ الماضى أن طلبى سيعرض على سعادتكم ، نى
حينه ، ثم لم أسمع بعد ذلك شيئا .

« يرجع طلبى المقابلة الى حقيقة واقعة ، وهى أن آمال المصريين
معلقة بشخصكم السامى باعتباركم واضح تلك المبادئ النبيلة وباعتباركم
الرئيس المكرم للديمقراطية الامريكية العظمى ، الديمقراطية التى
ما دخلت الحرب بغير مأرب ذاتى ، بل مجرد خدمة قضية الحرية والعدالة .

وأذكر ثانية أن موارد الولايات المتحدة العلمية استخدمت بتمامها
مع الجهود الأدبية التى بذلتها الجمهورية . ولم يكن استخدامها للدفاع
عن نفسها ، ولا رغبة فى الفتح . وليسمح لى أن أقول أيضا أنها لم
تستخدم لتثبيت سيطرة أجنبية على بلاد لا تريدها بل استخدمت كما
أكدتم سعادتكم لاقامة نظام عدالة دولية يجب أن تخضع لها الأمم القوية
والضعيفة على حد سواء .

« ان تلك المبادئ التى أعلنت باسم الشعب الأمريكى لتكون قاعدة
صلح ديموقراطى دائم تأصلت فى قلوب الشعب المصرى كله الى حد أنه
ثار وهو أعزل من السلاح طلبا لتطبيق تلك المبادئ على قضية بلده »

المبادئ التى أعلنتها أمريكا الحرة على لسان رئيسها المكرم اذ قال : (ان مصلحة الأمم الضعيفة مقدسة كمصلحة الأمم القوية سواء بسواء) . ولا يمكن أن يدرك أحد مصلحة مصر أكثر من الشعب المصرى نفسه .

« ان قرار المؤتمر لا يحرم مصر حقها الطبيعى الشرعى فى الاستقلال فقط بل يحرمها أيضا الصفة السياسية التى تمتعت بها منذ سنة ١٨٤٠ والتى أطلقت يدها فى ادارة شئونها الداخلية اطلاقا تاما . وجعلت لها حق عقد المعاهدات التجارية مع الدول الاجنبية دون الرجوع فى ذلك الى تركيا صاحبة السيادة على البلاد (تراجع معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠) (١) .

« ويدل الاضطراب الحالى (٢) فى مصر على رغبة متأصلة فى نفوس الشعب المصرى فى استقلال بلاده استقلالا تراعى فيه مصالح السكان الأجانب بعناية تزيد عما كان عليه الحال حتى الآن .

[٣٧٦]

« فهل يرضى الشعب الأمريكى أن يبرم حكم مؤتمر الصلح الذى معناه القضاء بالموت الأدبى على أكثر من ثلاثة عشر مليون نسمة ساعد آباؤهم العلم والمدنية البشرية مساعدات جمة . وكان لجهودهم فى هذه الحرب العامة « الفضل الى حد كبير جدا فى الفوز الحاسم فى الشرق » . كما قال الجنرال اللنبى (٣) نفسه ؟ هل يعقل أن يعامل الشعب المصرى الذى ضحى كثيرا فى سبيل فوز « الحرية والعدالة » كالتناع الذى يمكن بيعه والسلع التى تنقل من يد الى غيرها ؟

« ولقد وجدت المبادئ التى دخلت الولايات المتحدة الحرب لأجلها فى وادى النيل منبتا خصبا حتى ان الذين خروا ضحايا رصاص الجنود فى القاهرة وغيرها من مدن الاقاليم كانوا دائما أبدا يهتفون بصوت خافت لكنه ثابت « ليحيى ولسون . . لتحىى أمريكا » .

(١) أدت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والفرمانات اللاحقة لها خلال العام التالى (١٨٤١) الى أن يصبح لمصر وضع متميز أقرب الى الاستقلال الذاتى وهو ما لم تتمتع به أية ولاية عثمانية أخرى . وقد نجحت مصر فى توسيع هذه القاعدة الاستقلالية خاصة من خلال الجهود التى بذلت فى عهد الخديو اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) .

(٢) حرص سعد زغلول على استخدام تعبير الاضطراب بدلا من الثورة ولعله اراد بذلك عدم استفزاز الجانب البريطانى .

(٣) الفيلد مارشال ادموند اللنبى (١٨٦١ - ١٩٣٦) أحد قواد الحرب العالمية الاولى البارزين تولى قيادة حملة فلسطين سنة ١٩١٧ ، وأصبح مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر (١٩١٩ - ١٩٢٥) .

« فهل وقع الاختيار على الشعب المصرى ليكون ضحية تقدم فدية لحسن اتفاق الدول العظمى ؟ اذا صح ذلك فكيف يمكن التسليم بأن تكون نحن تلك الضحية ، ونحن أمة ذات تاريخ وماض مجيدين ، وما الذى كان نصيبنا لو كنا قد انضمنا لأعداء الحلفاء عوضا عن أن نتحمل معهم أعباء القتال ؟ »

« ان الواجب المفروض علينا ، بصفتنا نوابا عن الشعب المصرى ، يقضى علينا بأن نسمع المؤتمر صوت ذلك الشعب السىء الحظ الذى حرم دون غيره من التمتع بالعدل الذى عمت ظلاله على جميع الأقطار المسكونة ، وقد بات يرى أنه ما كان يعمل للاضرار بمصالحه باشتراكه فى العمل مع الحلفاء ، نعم وإن صوته ليرتفع عاليا للاحتجاج لأنه وحده حرم من نعم الصلح ومزاياه مع أنه كان عاملا آمينا فى الحرب ، ولكن الأمة التى لها أمنية خاصة تضعها فوق كل احترام ، والتى تحس بشخصيتها وتشعر بحقوقها لا يمكن لأجنبى عنها أن يتصرف فى أمرها وهى دون غيرها صاحبة الحق فى البت فى مصيرها » .

الامضاء

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

تلغراف الوفد الى مجلس شيوخ أمريكا

[٣٧٥]

وفى ١٦ مايو سنة ١٩١٩ أرسل الوفد بباريس البرقية الآتية الى مجلس شيوخ أمريكا بواشنطن :

« ان الشعب المصرى ينظر الى عدالة ممثلى الديمقراطية الأمريكية العظمى المكرمين وانصافهم لنيل أمانيه الوطنية ، فقد أبى مؤتمر الحلفاء والدول المشتركة معهم أن يطبق المبادئ التى دخلت الولايات المتحدة الحرب بغية تحقيقها على مصر ، مع أنها ساعدت تلك الدول على النجاح بسخاء . »

« اعترف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر من تلقاء نفسها سنة ١٩١٤ برغم ارادة الشعب المصرى كله ، اعترف المؤتمر بهذه الحماية دون سماع صوت مصر اعترافا يخرق

كان ينقده الدكتور ولسون بشدة فى خطابه التى كان يتكلم فيها على حق القوة وعلى وجوب انتهاء عصره لأنه تصرف جائر لا يتفق مع روح العصر الحاضر . انه ليشق علينا أن نفكر فى أن المؤتمر قد عاملنا هذه المعاملة ، غير أننا لسوء الحظ مضطرين لتقرير الواقع ، ومهما يكن من بواعث الاحترام الواجب لهذه المحكمة العليا ، فانه لا يسعنا الا اثبات الواقع كما هو لأن من الأوقات والظروف ما يكون فيه خطر على الانسان اذا هو لم يضح بكل شئ فى سبيل تقرير الحقيقة .

[٣٧٣]

« ولقد كان للشعوب المهضومة الحق فى أن تجد ما يساعدها على التذرع بالصبر فيما مضى فى ذلك المثل الحكيم الذى وضعه الفيلسوف (روسو) وهو أن « القوى مهما بلغت قوته لا يضمن أن له الغلبة على الدوام » ، أما الآن وقد أثبت الرئيس ولسون بأجلى بيان أن من الأمور المحققة التى تنفر منها الطباع أن تسود أمة على أمة ، فقد بلغ كره السيادة من نفوس الأمم المظلومة أنها أضحت تفضل الفناء على البقاء فى قيود الدل . ولا شك أنه ما كان لتلك المبادئ الجديدة الا أن تصادف فى مصر وسطا مستعدا لقبولها لأن مصر بلد من سلالة كريمة المحدث نشيطة المزاج اذا تولد فيها الأمل ، أثار غضبها على الذين يناوئونها فى استقلالها .

« ان الأمة المصرية لا تقبل أبدا أن تكون تلك السلعة العديمة القيمة التى تتداولها أيدي الأقوياء ، ولا شك أنها اليوم بعد التصريحات التى قام بها ذلك الرسول الجديد فى عالم السياسة الذى تشف كلماته عن أسس معانى الأدب وأرقها ، انها اليوم أبعد منها فى أى زمان مضى عن الرضا بمثل هذا المصير . فان مجرد خوفها من عدم تطبيق مبادئ الدكتور ويلسون على قضيتها قد دفعها الى تعريض صدور أبنائها وهم عزل من السلاح لتيار الرصاص القتالة ، ومن غريب الاتفاق أن تكون تلك الساعة هى التى تجتمع فيها عشرون دولة لتقرير موافقتها على الحماية البريطانية : .

« ان مثل هذا الحل المحزن لا يكون من ورائه الا لقاء بذور اليأس ، وعوامل الغضب فى قلب الشعب المصرى ، وقد قال الرئيس ولسون :

[٣٧٤]

« ان الصلح لا يمكن أن يكون صلحا وطيدا الأركان الا اذا اندثر به كل أثر من آثار الحقد فى قلوب الشعوب سواء كانوا أقوياء أو ضعفاء ، وكان العدل موزعا عليهم جميعا بدرجة واحدة ، بغير أقل تمييز بين قويهم وضعيفهم .

« لا يمكن التسليم بأن مصر التي اشتركت في أوائل القرن الماضي في إقامة صروح المدنية وساعدت تركيا في انتصارها الذي أدى إلى استتباب النظام في الحجاز ، بل في بلاد اليونان ، والتي قهرت تركيا نفسها في ميدان الحرب (١) ، يكون حظها أن تعامل بأقل مما عولمت به شعوب أفريقيا الوسطى وقد أصبحوا اليوم «حلا لرعاية ما كانوا ليحلموا بها ليس في العالم قاض نزيه يستطيع الاهتداء إلى سبب معقول للموقف الذي اتخذته المؤتمر إزاء القضية المصرية . واتخذته بريطانيا العظمى نفسها . وهي التي أشهدت العالم أكثر من ستين مرة على أنها لا تفكر مطلقا في ضم مصر أو في إعلان الحماية عليها كرها وانما هي ترمى في سياستها إلى استقلال هذه البلاد .

« ونهاية القول ، أن العقل لا يمكن أن يرتاح لقرار المؤتمر كيفما قلبه ومهما كانت العلة التي تتخذ أساسا لتبريره حتى إذا سلم بأنه بنى على حق القوى على الضعيف لأن حق القوى معناه الحرب والفتح ، ولا شك في أن مصر لم تكن في حالة حرب مع انكلترا بل كانت تحارب في صفوفها وبجانبها ، ولم تفتح انكلترا (٢) مصر بل أن مصر على العكس من ذلك هي التي ساعدت انكلترا على فتح ما فتحته من بلاد العدو .

[٣٧٢]

« نعم ان بعض الصحف أيدت تلك النظرية القائلة بأن الشعوب الشرقية لا يمكن معاملتها بما تعامل به الشعوب الغربية وأن المبادئ التي أعلنت في هذا الشأن قد نشأت عنها وعود لم تحسب عواقبها . فهل يريدون التمسك بمثل هذه النظرية ليهدموا في زمن السلم تلك المبادئ السامية التي قامت الحرب على أساسها وليسحبوا بعد نيل النصر تلك الوعود التي وعدوا بها من اشترك معهم في تشييد صرحها ؟ إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يفسروا كيفية عدم تطبيق هذه النظرية في جميع الأحوال بلا استثناء فأننا نرى بعض الأمم الشرقية التي آمنت بما صدر لها من الوعود قد تحققت آمالها فعلا .

« لم يبق الا فرض واحد لا مفر من التسليم به وهو أن الشعب المصري اعتبر سلعة من السلع التي يتجر فيها وهذا التصرف هو الذي

(١) يشير صاحب المذكرات هنا إلى سيطرة مصر على الحجاز بعد حروبها مع الوهابيين (١٨١١ - ١٨١٨) واشتراكها في حرب المورة (١٨٢٦ - ١٨٢٧) ثم أخيرا حروبها ضد تركيا خلال الثلاثينيات وحتى تدخل الدول الأوروبية بزعامة بريطانيا عام ١٨٤٠ وفرضها تسوية لندن الشهيرة على مصر .

(٢) يلاحظ أن صاحب المذكرات يكتب مرة انكلترا ومرة إنجلترا .

وهذه صورة احتجاجه الذى أرسله فى ١٢ مايو ١٩١٩ الى رئيس مؤتمر الصلح :

« الى المسيو جورج كليمانصو

[٣٧٠]

« رئيس مؤتمر الصلح - بباريس

« لم يشأ مؤتمر الدول المتحافاة أن يطبق على مصر مبادئ الحق والعدل مع أنها جديرة بأن تعامل بمقتضى هذه المبادئ نظرا لما قامت به من المساعدة التى أدت الى النصر . لم يشأ أن يسمع صوت مصر ، مع أنها كانت فى مقدمة الدول التى أعلنت أنها فى حالة حرب مع أعداء دول الاتفاق (١) .

وعانت أعظم الضحايا فى سبيل قضية الحلفاء ، لم يشأ أن يسمعها مع أنها بلاد غيرت الحرب مركزها السياسى وقد اعترفت بالحماية البريطانية بدون أقل مراعاة لرأى الأمة المصرية وبغير أن يعير أدنى التفات لقيام هذه الأمة بأجمعها فى وجه هذه الحماية واطهارها معارضتها لها بأجلى المعانى وأوقاها .

« ان العقل ليأبى اسناد مثل هذا القرار الى المبادئ التى من أجلها خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب التى قررها الرئيس ولسنون بعد ذلك لتكون أساسا للهدنة ثم للصلح ، ولا الى المبادئ التى أعلنت بريطانيا العظمى نفسها أنها تحارب انتصارا لها ، ولذلك لم يجد العقل ما يرتاح اليه اذا صرف النظر عن هذه المبادئ واعتمد على تحكيم العوائد السياسية التى كان معمولا بها قبل الحرب .

[٣٧١]

وكيف يستطيع العقل البشرى أن يفسر نيل الحجاز استقلالها وهى ولاية صغيرة لا مدنية لها ، وعدد سكانها - وكلاهم من القوم الرحل - لا يذكر ومواردها ضيقة ولم تتحمل شيئا من أعباء الحرب . ومصر التى قامت بنصيب وافر منها وعانت ما عانتها فى سبيل الفوز النهائى ، يكون نصيبها الرفض البات اذا طلبت أن يسمع صوتها ، ثم يعقب هذا الرفض ضياع حقوقها المقدسة فى الحرية التى كسبتها بدماء أبنائها فى ميدان القتال .

(١) دول الاتفاق مقصود بها فرنسا وبريطانيا وروسيا التى بدأت الحرب بينها وبين دولتي الوسط ألمانيا والنمسا .

المخولة لصاحب الجلالة الامبراطورية (سلطان تركيا) بموجب الاتفاقية الموقعة في الاستانة في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ (١) عن حرية المرور بقناة السويس الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

وتتنازل عن كل اشتراك في مجلس الصحة البحرية والكرفينيات (٢) في مصر وتوافق فيما يختص بها على نقل السلطات التي لهذا المجلس الى السلطات المصرية .

المادة ١٥٣ - جميع الأعيان والأمالك التي للامبراطورية الألمانية في القطر المصري تنتقل بكل ما فيها من حقوق الى الحكومة المصرية دون أى تعويض .

« وستعد أعيان الامبراطورية وأمالكها في هذا الشأن شاملة لجميع أملاك التاج والدول الألمانية وكذلك الأعيان الخاصة التي لامبراطور ألمانيا السابق (٣) وغيره من أصحاب المراتب الملكية .

« ستعامل جميع الأملاك المنقولة والعقارات المملوكة لرعايا ألمانيا في القطر المصري طبقا للقسمين الثالث والرابع من الجزء العاشر (الشروط الاقتصادية من هذه المعاهدة) .

« المادة ١٥٤ - تتمتع البضائع المصرية في دخول ألمانيا بالنظام الذي يطبق على البضائع الانجليزية .

[٣٦٩]

احتجاج الوفد على قرار المؤتمر

وقف الوفد المصري على هذا الملخص من معاهدة الصلح بالرغم من عدم نشره في الجرائد ، فهاله الأمر وسارع الى الاحتجاج على قرار المؤتمر هذا .

احتج عليه لدى مؤتمر الصلح بوجه عام ولدى رئيسه المسيو جورج كليمنصو (٤) ولدى الرئيس ولسن ومجلس الأمة الأمريكي .

(١) هذه الاتفاقية مشهورة أكثر باسم اتفاقية القسطنطينية .

(٢) الكرفينيات : جمع كرفينة وكانت تطلق على منطقة الحجر الصحي .

(٣) الامبراطور وليم (ولهم أو غليوم) الثانى الذى هرب الى هولندا بعد هزيمة بلاده فى الحرب .

(٤) جورج كليمنصو (١٨٤١ - ١٩٢٩) رئيس وزراء فرنسا بين ١٩١٧ ، ١٩٢٠ وكان يطلق عليه نمر السياسة الاوربية ، وكان رئيس وفد بلاده خلال مؤتمر السلام المنعقد فى فرساي سنة ١٩١٩ .

[٣٦٧]

اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية الانجليزية

واجبار ألمانيا على الاعتراف بهذه الحماية

سلمت شروط الصلح للوفد الألماني في ٦ مايو سنة ١٩١٩ بقصر « التريانون » وفيها اعتراف ألمانيا بحماية انجلترا على مصر وهاك الجزء الخاص بمصر من تلك المعاهدة :

(القسم الرابع)

« مصر »

« المادة ١٤٧ - تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التي أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الامتيازات الأجنبية في القطر المصرى ويكون هذا التنازل اعتبارا من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ .

« المادة ١٤٨ - جميع المعاهدات والاتفاقات والترتيبات والعقود التي عقدتها ألمانيا مع مصر تعد ملغاة اعتبارا من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ .

« ولا يمكن لألمانيا بأية حال من الأحوال أن تتمسك بهذه العقود وتتعهد ألا تتدخل بأي شكل في المفاوضات التي يمكن أن تجرى بين بريطانيا العظمى والدول الأخرى بشأن مصر .

« المادة ١٤٩ - يكون اجراء القضاء فى الرايا الألمان وأهلاكم من اختصاص المحاكم القنصلية البريطانية بقرارات يصدرها عظمة السلطان وذلك حتى تنفيذ تشريع مصرى للنظام القضائى يتضمن تأليف محاكم ذات اختصاص تام .

« المادة ١٥٠ - للحكومة المصرية الحرية التامة فى العمل لتسوية مركز الرايا الألمان فى القطر المصرى وشروط اقامتهم فيه .

« المادة ١٥١ - توافق ألمانيا على الغاء الكريتو (١) الذى أصدره سمو الخديو فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ خاصا بقومسيون الدين المصرى العام ، أو ادخال التعديلات التى تعدها الحكومة المصرية مناسبة .

« المادة ١٥٢ - توافق ألمانيا فيما يختص بها على نقل السلطات

[٣٦٨]

(١) الكريتو : لفظ كان يطلق على الرسوم الخديوى واصله ايطالى .

وفى ١٤ مايو قامت المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية احتجاجا على
جلد السلطة الانجليزية تلميذين من تلاميذ المدرسة التوفيقية •

تحدى السلطة فى عرقلة التبرعات للوفد

ظلت السلطة العسكرية أن الناس سيمتنعون حتما عن التبرعات
للفد بعد صدور بلاغها الخاص بهذا الشأن فى ٢٠ ابريل الماضى ، ولكن
هالها ما وجدت من تهافت الأمة المصرية على هذه التبرعات وقد كانت
تريد بهذا العمل أن تمنع عن الوفد ذلك المال الذى لابد منه لأداء مهمته
والمذلك بادرت الى نشر أمرها الآتى فى ١٨ مايو •

١ - ممنوع جمع النقود أو الأشياء التى لها قيمة سواء كان بطريق
الاكتتاب العمومى أو خلافه بقصد التحريض على الاخلال بالنظام أو مساعدة
أى شخص أو أشخاص على اتيان عمل مخالف للأحكام العسكرية أو أى
شخص أو أشخاصا على عمل كهذا •

٢ - وكل شخص يقوم بجمع نقود على هذه الكيفية ويروج أو ينظم
جمعها أو يكتب عن علم لاعانة كهذه أو يقتنى عن علم نقودا أو أشياء ذات
قيمة موقوفة على غرض كهذا يرتكب مخالفة هذه الأحكام العسكرية •

٣ - جميع النقود والأشياء الثمينة التى تجمع بكيفية مخالفة لهذا
المنشور تكون عرضة للمصادرة •

٤ - وكل شخص يقوم بجمع نقود أو أشياء ثمينة أو يروج
لها أو ينظمها أو يشترك فى جمعها بأى طريقة كانت فى أحوال يتراءى
للسلطة العسكرية أنها تحمل على الاعتقاد بارتكاب مخالفة ضد هذا
المنشور يجوز أن يستدعى ليقدم ايضاحا تاما عن صفة وغرض هذا الجمع
وكل من دعى لتقديم الايضاحات المطلوبة فعجز عن ذلك أو رفض أو أعطى
معلومات كاذبة أو ناقصة أو مضللة يرتكب مخالفة ضد الأحكام
العسكرية •

[٣٦٦]

ولكن هل منع هذا المنشور ذوى الغيرة الوطنية من التبرع للوفد
سرا ؟ وهل منع ذلك التشديد فى التهديد اللجنة المركزية عن قبول
تلك التبرعات ؟ نترك المقارئ الاجابة على هذين السؤالين بنفسه !! (١)

(١) مرة أخرى يؤكد صاحب المذكرات أنه وضعها للاطلاع العام •

وفى يوم ٣ مايو كذلك نشرت رئاسة مجلس الوزراء الاعلان
الآتى :

« احتفالا بعيد جلوس جلالة ملك بريطانيا العظمى تعطل وزارات
الحكومة وسائر المصالح الأميرية فى جميع أنحاء القطر المصرى يوم الثلاثاء
٦ مايو سنة ١٩١٩ » .

فلم يكده يتنفس صبح يوم ٦ مايو المذكور حتى عمت المظاهرات
أنحاء القاهرة احتجاجا على جعل ذلك اليوم عطلة رسمية كما أقيم اجتماع
عظيم فى الأزهر الشريف احتج فيه المجتمعون على هذا الأمر .

وفى يوم ٧ مايو لم يعد الطلبة الى مدارسهم حسب أمر السلطة
لهم فأعلن فى اليوم التالى اغلاق جميع المدارس حتى موعد استئناف
الدراسة فى العام المقبل فانتهز الطلبة هذه الفرصة أيضا وأقاموا
مظاهرات كبرى تعرض لها الجنود البريطانيون فأصيب فيها كثير من
الطلبة وقبض على بعض منهم (١) .

وفى يوم ١١ مايو فتش الجنود الانجليز الجالسين فى محل جروبى
بقصد العثور على أسلحة أو منشورات معهم ولما لم يوفقوا فى ذلك
أصدرت السلطة فى اليوم التالى أمرا بمنع الاجتماعات والجلوس فى
القهوات والملاهي والمظاهرات واليك نصه :

« كل اجتماع يحضره أكثر من خمسة أشخاص أقيمت فيه خطب
أو حدث فيه سلوك غير عادى يكون من المحتمل عقلا أن يؤدى الى الاخلال
بالأمن العام » .

وليس لدينا نحن تعليق على البلاغ اذ أن مغزاه لا يخفى على ذهن
القارىء العادى (٢) . [٣٦٥]

(١) جاء فى البلاغ الرسمى الصادر عن هذه المظاهرات : « حاول فريق من طلبة
الأزهر وبعض طلبة المدارس العليا أن ينظموا مظاهرة فى الليلة الماضية فابتدأوا من قرب
الأزهر حوالى الساعة العاشرة ونصف وكان رجال البوليس والجنود قد اتخذوا التدابير اللازمة
ملافاة لكل اضطراب فأحبطت جميع المساعي لتأليف موكب وقد حاولت جماعة من الطلبة
أن تشق لنفسها طريقا فى جوار دار الحماية ففتت شملها باستعمال العصا دون الالتجاء
الى الأسلحة النارية وقد قتل من المتظاهرين واحد وأصيب تسعة برصاص ففعلوا الى
قصر العيني والى القبض على خمسين شخصا » .

(الأخبار : ١٠ مايو ١٩١٩) .

(٢) يتضح من ذلك أن عبد الرحمن فهمى كان يكتب هذه المذكرات بهدف نشرها فى
يوم ما .

استمرار اضراب الطلبة

[٣٦٣]

كان القائد العام قد دعا الطلبة الى الانتظام في سلك دراستهم ابتداء من ٣ مايو سنة ١٩١٩ ولكن جاء هذا اليوم والطلبة مازالوا على عهدهم ، وهذا ما دعاه الى اصدار البلاغ الآتي نصه :

١ - ان لم يعد عدد كاف من التلاميذ لمدارسهم في يوم الأربعاء ٧ مايو سنة ١٩١٩ يسوغ استمرار فتح المدارس العالية والثانوية والخصوصية والأميرية فستقبل هذه المدارس لغاية التاريخ المعتاد لابتداء الدراسة في السنة المكتبية (١) المقبلة .

٢ - ولا يقبل أى تلميذ مقيد الآن بسجلات المدارس المذكورة في أى امتحان يعقد هذا العام الا اذا قام بما يأتي :

(أ) أن يعود الى مدرسته في يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩ .

(ب) أن يواظب بانتظام لغاية انتهاء السنة الدراسية اذا استمرت هذه المدارس مفتوحة .

« ويستثنى من ذلك التلاميذ الذين يمكنهم أن يثبتوا عدم استطاعتهم تنفيذ هذا الاعلان .

٣ - وتطبق أحكام الفترة الثانية من هذا الاعلان على التلاميذ المقيدين الآن في سجلات المدارس الحرة (٢) الخاضعة لتفتيش الحكومة « .
أ.هـ.١٠هـ.١
(جنرال)

[٣٦٤] ولما اطلع الطلبة على هذا الاعلان أقاموا المظاهرات احتجاجا عليه ففرقتهم القوات الانجليزية فلم يجدوا وسيلة الا اقامة تلك المظاهرات ليلا .

(١) السنة المكتبية تعبير كان يستخدم وقتذاك للسنة الدراسية .
(٢) المدارس الحرة تقابل المدارس الخاصة الآن .

« وأخيرا قالوا ان الحركة قوامها الذهب الألماني ، وأنا لا أعلم مبلغ ما عند الألمان من الذهب ولكنني أظنهم أبعد الناس عن انفاق ما لهم فيما لا يجدى ، أما ما قيل من تأثير لجنة الاتحاد والترقي فيكفيني أن أؤكد لكم في الرد عليه بأنه لا توجد أدنى علاقة بين مصر وتركيا وألمانيا فان مثل هذه العلاقة لو وجدت لظهر أثرها قبل امضاء الهدنة لا بعده ولكم أن تعرفوا حقيقة الثورة المصرية ، ومصدرها من التقارير التي وردت على الحكومات الفرنسية والأمريكية والايطالية من وكلائها السياسيين في القاهرة .

[٣٦٢] « فالحركة أيها السيدات والسادة لم تكن ذات صفة دينية أو عداوية للأجانب ولم تدرها يد خفية من جانب ألمانيا أو تركيا بل قامت ضد نظام الحكم الذي يرمى الى غير مصلحة المصريين . قامت ضد السياسة التي تجعل المصريين كمية مهمة في ادارة شئون بلادهم . وأهم من كل ذلك أنها قامت ضد المركز السياسى الذى يراد انزال مصر فيه فى القرن العشرين وهو منزل أحط مما بلغته فى القرن التاسع عشر .

« وحبذا لو أدرك جمهور البريطانيين حقيقة حال مصر .

« لى كلمة واحدة أضيفها الى ما تقدم وذلك بمناسبة اعتراف حكومة الولايات المتحدة أخيرا بالحماية البريطانية على مصر فأننى على يقين أن شعب الولايات المتحدة ورئيسها لم تبلغ اليهم وقائع الحال عما يجرى فى وادى النيل ، على حقيقتها فأننا لا نستطيع أن نصدق أن جميع المبادئ التى قدم من أجلها الحلفاء ما قدموا من التضحيات العظيمة تنتهك حرمانا فيما يتعلق ببلادنا وان مصر وأبناء الفراعنة يعاملون كالسلع والأنعام التى تفتقل من يد لأخرى أو نضحى فى سبيل العلاقات السياسية .

« ان المصريين يعتمدون فى تحقيق أمانيهم القومية على عدالة مؤتمر السلام وعلى الوعود الصريحة التى فاه بها رجال السياسة البريطانيون المسئولون وعلى شرف الجمهور البريطانى الذى ارتبط ارتباطا متين العرى بهذه الوعود التى أعطيت باسمه وكانت عهدا على بريطانيا بالألا تضم مصر قط الى أملاكها ولا تعلن عليها الحماية مطلقا ، ويعتمدون على مبادئ الحرية والعدالة التى أعلن الرئيس ولسن أنها ستكون أساسا لسلام العالم .

« ويعتمدون على عدالة قضيتهم .

« ويعتمدون على عطفكم وتأييدكم .

« اننى أشرب نخب رجال الصحافة البريطانيين والأمريكيين » .

أو العودة الى بيوتهن ، فأرسلن من يلتجئ الى وكلاء أمريكا وإيطاليا السياسيين وندب هؤلاء من ينوب عنهم في تحرى الحالة في مكان المظاهرة ولم يصل الى علمى بعد كيف انتهت المسألة .

« هذه هي وقائع الحال التي حدثت مقدمة للهيّاج ولقيام الثورة ، ولم يكن الهيّاج في مصر سوى حركة قومية مبعثها رغبة شديدة تأصلت في نفوس الشعب المصرى كله في نيل الاستقلال وانشاء حكومة أهلية تقوم على دعائم ديموقراطية محضة . وكل ما يقال لذلك مناقض الحقيقة والواقع .

« ادعوا أن الحركة دينية ولكنهم رأوا رأى العيان أن مسيحيى مصر ومسلميها متحدون اتحادا متين العرى ، وأن المسيحيين كانوا في مقدمة القائمين بالمظاهرات وكان منهم من راح بين أوائل شهداء رصاص الجنود البريطانية . وانكم لتجدون اليوم بين أعضاء الوفد المصرى الذين يتشرفون باستقبالكم اليوم فى ضيافتهم خمسة من المسيحيين وقد كان قسوس الاقباط يقومون بالدعوة الوطنية فى جميع مساجد القاهرة وعواصم الأقاليم ، وشيوخ المسلمين يفعلون مثل ذلك فى الكنائس ، وكان الشعار الأهلئ الذى يرفرف على المظاهرات يمثل الهلال والصليب متعانقين ، فليس فى مصر شعور دينى وانا سكان وادئ النيل مصريون قبل كل شيء وبعد ذلك لكل امرئ دينه أمام ربه .

[٣٦١]

« فلما فشلوا فى هذا التأويل حولوا وجههم الى جهة أخرى ، فقالوا ان الحركة قائمة على كره الأجانب على أن الجاليات الأجنبية فى مصر تعطف على قضيتنا ، وقد أقام اليونان يوم سفر الوفد المصرى من القاهرة مظاهرة عظمى لتأييد القضية المصرية .

« أما دعوى اضطهاد الأرمن فلا تفتقر الى بيان كبير ، وذلك أن الأرمن أخرجوا المتظاهرين فى القاهرة باطلاق الرصاص عليهم من نوافذ المنازل ، وقتل الكثيرون منهم ، وليس لى من سبيل الى ايضاح الأسباب التى حملت الارمن على اقتراف مثل هذه الجرائم الشنيعة والى بيان مصدر الأسلحة التى تسلحوا بها سوى أنى أسألكم الرجوع الى التحقيق الرسمى الذى عمل فى هذه المسألة . ومما لا شك فيه أن ما ثار فى نفوس المصريين من جراء هجمات الأرمن كان لابد أن يحملهم على الدفاع المشروع عن أنفسهم .

المصريين سلاح يدافعون به عن حقوقهم ، ولكن لهم عزيمة لا تغل ، وليس من الهين قهر عزائم الشعوب .

« ان الشعب المصرى أيها السيدات والسادة أفخر بماضيه وبمدينته من أن يصبر على أذى يلحق بكرامته ، أو هوان يحق بشرفه القومى ، وها قد أعلنت الحماية من غير موافقته وعم الارهاب الشنيع والاهانة أنحاء البلاد على يد المفتشين البريطانيين ، وقدم القائم بوظيفة المستشار المالى مشروع دستور عد فيه الشعب المصرى كمية مهمة لا صوت لها فى ادارة شئون البلاد ومنح بمقتضاه حق سن القوانين التى تسرى على المصريين لبرلمان تؤلف الأغلبية فيه من الأجانب ومن الموظفين البريطانيين وبمقتضاه لا يصبح الوزراء المصريون مسئولين أمام مواطنيهم بل أمام أولئك الأجانب والموظفين البريطانيين . ومنع ممثلو المصريين من مبارحة حدود بلادهم عندما طلبوا السفر الى انجلترا ، فلما احتجوا على هذا التعدى على الحرية الشخصية كان الجواب اعتقالى مع ثلاثة من زملائى وابعادنا الى ماطة . فرأى المصريون من كل ذلك أن المقصود بمصر أن تستثنى وحدها من تطبيق المبدأ القاضى بأن كل بلد حل به شئ من التغيير من جراء الحرب يجب أن يمثل فى مؤتمر السلام وأدركوا أن بلادهم ستطرح فى زوايا النسيان كان لم تكن على ظهر هذه البسيطة .

« فهل لبلد أن يحتمل مثل هذه المعاملة بغير احتجاج شديد ؟ أنى أؤكد لكم أيها السيدات والسادة وعندى الدليل القاطع على ما أقول أن الشعب المصرى على شدة رغبته فى تحقيق أمانيه القومية بنيل الاستقلال ورغم فرط استيائه من المعاملة التى أصابت مندوبيه لم يحتج الا مجرد الاحتجاج الشفوى . فان المظاهرات التى قام بها الطلبة لم تخرج عن حدود القانون والنظام ومع ذلك فقد قوبلوا برصاص الجنود الانجليزية وسقط كثيرون منهم صرعى فى شوارع القاهرة ، وكانوا كلما عادوا لمظاهرة قوبلوا بتلك النيران ، فكانت هذه المأساة تمثل عيانا كل يوم فى شوارع القاهرة وعواصم الأقاليم .

[٣٦٠]

« وشرعت سيدات القاهرة وفيهن عقيلة رشدى باشا رئيس الوزراء السابق فى اقامة مظاهرة للاعراب عن شعورهن الوطنى والاحتجاج على ما أصاب ذوى قرباهن ومواطنيهم من القتل الشنيع ولا حاجة بى الى القول بأن هذه المظاهرة أيضا كانت سلمية ولكنهن لم يلبثن الا قليلا حتى أحاط بهن الجنود البريطانيون ببنادقهم وسيوفهم المسلولة والزموهن بالوقوف ساعتين تحت حر شمس الهاجرة من غير أن يمكنوهن من التقدم

الداخلي بعد أن زالت عنها السيادة التركية ؟ اننا نعتقد أن انجلترا الحرة لا تنكر على مصر أبدا حقها الطبيعي في الاستقلال لا سيما بعد أن بذلت دماء أبنائها وأموالها في سبيل قضية الحلفاء ، وهل يصح أن تحرم مصر وحدها من التمتع بالمبادئ التي فررها رئيس الولايات المتحدة العظيم .

« ان الهدنة انما أمضيت على قاعدة شروط الرئيس ولسن الأربعة عشر وقد تغير مركز مصر السياسي تغيرا عظيما بلا شك بسبب الحرب ، فان السيادة التركية زالت والحماية البريطانية التي لا حق لها في الوجود لم يبق لها محل لحظة واحدة بعد نهاية الحرب ، فمصر دولة مستقلة قانونا ولا تفتقر الا الى الاعتراف باستقلالها من جانب مؤتمر السلام . [٣٥٨]

« لهذه الأسباب ندبنا مواطنونا لعرض قضيتنا على المؤتمر والتماس اعترافه باستقلال مصر وكنا قد عولنا على السفر رأسا الى انجلترا لثقتنا بأن الشعب البريطاني يكون أول معضد لتحرير مصر الموالية لا سيما وقد أقر وعود الجلاء عن مصر التي فاه بها ، بالنيابة عن رجال السياسة البريطانيون المسئولون . والوقت الحاضر يعد - بلا شك - خير فرصة سانحة للبر بتلك الوعود - كان ذلك في شهر نوفمبر الماضي ، وفي ذلك الوقت رغب رئيس الوزراء في مصر أن يسافر الى انجلترا مع أحد زملائه ليناقدش الحكومة البريطانية في المسائل المرتبطة بمستقبل مصر ، فأجيبا جوابا أدى الى استقالة الوزارة المصرية في الثاني من شهر ديسمبر . وقد بذلت المساعي لحمل الوزيرين على استرداد استقالتهما ولكنهما أصرا على السفر الى انجلترا في الحال ، وعلى اباحة السفر لكل من يريده من المصريين فلما أنكر عليهما هذا الطلب قبلت الاستقالة في أوائل مارس ، ولم يوجد بعد ذلك مصرى يقبل تأليف وزارة جديدة رغم الجهد الذي أنفق في هذا السبيل ، فأراد ولاية الأمور أن يخبروا من يحملونه تبعة هذه الحال فلم يبحثوا طويلا ، بل سرعان ما وجهوا هذه التهمة اليها وعدونا مسئولين عن افلاس الادارة البريطانية في مصر ، فقبضوا على أربعة منا في الثامن من شهر مارس وأبعدوهم الى مالطة بلا اتهام ولا تحقيق ، وهناك حجزنا الى الرابع عشر من شهر ابريل فاليكم والى الرأي العام البريطاني أترك الحكم على مثل هذه المعاملة .

« كانت النتيجة أن الشعب المصرى قام قومة واحدة يطلب اطلاق سراحنا في الحال ، وأصر على مجيئنا للدفاع عن قضية البلاد أمام مؤتمر السلام ، وكانت الطلبات والاحتجاجات والمظاهرات سلمية محضة كما هو شأن الشعب المصرى اللين العريكة المطبوع على حب السلام . ليس [٣٥٩]

« وان لى فخرا خاصا بأن أدعوكم لتشربوا نخب الصحف الانجليزية والأمريكية واننى أنتهز هذه الفرصة لأشرح لكم جهد استطاعتى الظروف التى أدت الى الأزمة الخطيرة التى تحتازها بلادنا الآن وسأعتمد كل الاعتماد على عطفكم فاننى أبغى الصراحة فيما أقول لأنها خير وأبقى ، على أننى أؤمل ألا أجاوز الحد الذى يقضى به حسن الذوق واللياقة . »

واننى وان قدمت قضيتنا المصرية لممثلى الصحف البريطانية فاننى أشعر أننى أخاطب بواسطتهم الأمة البريطانية التى أقرت التصريحات المتكررة التى فاه بها رجال السياسة البريطانيون المسئولون فى البرلمان وخارجه عن مركز مصر السياسى كما أننى أرجو أن أناشد بواسطة رجال الصحف الأمريكين شعب الولايات المتحدة الذى لم يقتحم غمار الحرب لغاية شخصية ، بل لمجرد خدمة قضية الحرية والعدالة . »

« واذا كان هناك أيها السيدات والسادة شعب أكثر جدارة من سواء بتطبيق المبادئ التى حاربت وانتصرت من أجلها أمريكا وبريطانيا العظمى وان كان ثمة شعب أكثر استحقاقا للعطف والتأييد من جانب أولئك الذين جعلوا سعادة الانسانية ورخاءها همهم الأكبر فان ذلك الشعب هو الشعب المصرى . »

« منذ شهر أغسطس سنة ١٩١٤ أصبحت جميع موارد البلاد المادية رهن مشيئة بريطانيا العظمى وحلفائها ، وخدم فى ميدان القتال المصرى الشرقى وفى العراق عدد لا يقل عن مليون ومائتى ألف مصرى . على أن هناك ما هو أخطر من ذلك وهو ولاء المصريين مدى الحرب ولاء لم يفتر قط حتى ولا فى أشد أوقات الحرب محنة ، وعلى رغم اعلان الحماية بغير موافقة الشعب المصرى فلم تقم فى البلاد نائرة ولا مظنة قلق بل لم يقدم أقل احتجاج الى اعلان الحماية . ولماذا ؟ لأن المصريين قدروا أن مثل هذا العمل من جانبهم ربما عاق سبيل نصر الحلفاء وشركائهم ، كما قدروا أن انتصار الحق والعدالة لابد أن يقترن بزوال الحماية التى قامت على نقيض وعود بريطانيا العظمى الخطيرة وقد رأوا أخيرا أن دول الحلفاء لابد أن تعطف على استقلال مصر وتؤيده . »

[٣٥٧]

« فهل كان هذا التقدير خطأ ؟ وهل كانت كل آمالنا وأمانينا وعقائدنا فى غير محلها ؟ لا . اننى لا أظن ذلك حتى الآن ، فقد أعرب الحلفاء عن عطفهم على الولايات التركية التى كانت منذ عهد غير بعيد تحارب فى صف الأعداء فهل ينكر على مصر هذا العطف ، وهى تتمتع بالاستقلال

[٣٥٤] « اننا لا يسعنا أن نعتقد أن هذا هو المصير الذي جعل لشعب تدين له الانسانية بشطر عظيم من مدينتها ، ولا يسعنا أكثر من هذا لأننا نؤمن ايماننا تاما بالمهمة التي توليتموها . والتي كتبتم أنتم أنها يجب أن ترمي الى جعل الأفضلية للعدالة على المصلحة من الآن فصاعدا .
« وتفضلوا .. الخ » .

الامضاء

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

[٣٥٥] **مأدبة الوفد لرجال الصحافة الانكليز والأمريكان**
وخطاب محمد محمود باشا (١)

حاول الوفد المصرى أن يحصل على جواز لسفر بعض أعضائه الى بعض الدول الكبرى لنشر دعوته فيها ، ولما لم تجد محاولته نفعا لم يجد سبيلا الى نشر دعوته هذه الا فى فرنسا ولذلك عمد فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ الى اقامة مأدبة لرجال الصحف الأمريكية والبريطانية الموجودين فى فرنسا بسبب انعقاد مؤتمر السلام ليوقفهم على حقيقة القضية المصرية بعدما تبين له جهلهم التام بها ، وليطرد عن أفكارهم تلك المعتقدات الخاطئة التي تذيبها أبواق المستعمرين من أن مصر فرع من الأمم المتوحشة فى إفريقيا .

وفى نهاية المأدبة وقف سعد زغلول باشا ، وألقى كلمة موجزة بالفرنسية شكر فيها رجال الصحافة على تلبيتهم دعوة الوفد وعطف فيها على أماني مصر وآمالها بايجاز . ثم قام محمد محمود باشا فألقى باسم الوفد المصرى الخطاب الجامع الآتى ، باللغة الانجليزية :

[٣٥٦] **ترجمة خطاب (١) :**

« أيها السيدات .. أيها السادة :

« ان من أعظم بواعث سرور الوفد المصرى أن يحظى القوم بلقيا ممثلى الحرية غير المثقلة بالقيود الحكومية من الأمتين الديموقراطيتين العظميتين : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى .

(١) يشير الايرل ديريى ممثل بريطانيا فى باريس الى أن هذه المأدبة قد اقيمت فى فندق الكونتنتال ، وأنه قد حضرها ٦٥ من الصحفيين أغلبهم من الأمريكيين .
F.O. 407/184 No. 279.

(١) صحتها ترجمة الخطاب .

وان تداخلكم الأخير نفسه فى شأن الحماية البريطانية لم يززعز هذه الثقة ، ومهما تكن الأسباب التى استندت اليها حكومة الولايات المتحدة فى الاعتراف بهذه الحماية فأننا نقدر أنه ليس ثمة ما يحول دون استجلاء حقيقة رأى بلد بأسره وحقيقة الأسباب التى يبنى عليها أمانيه .

« ان الحق الذى نلتمسه لم يمنع عن أعداء قضية الحرية ، فهل سيؤبى على الذين ساعدوا مثلنا على فوزها ؟

« واننا بتوجيه خطابنا الى سعادتك خاصة ، انما نحقق أمنية مصر بأسرها . مصر التى وضعت فيكم أملها الأكبر .

« ان النداء الذى وجهتموه الى عدالة الانسانية من بوقكم المطرب لم يتردد فى بلد ترده فى بلدنا . فأننا شعب متعطش للحرية ، رأى فى مبادتكم ضمان الخلاص القريب .

[٣٥٣]

« وكنا أول من هناؤا أنفسهم بقدوم عهد ستمنح فيه جميع الشعوب والجنسيات حق الحياة على قاعدة المساواة والحرية والطمانية سواء أكانت قوية أم ضعيفة .

« واعتمدنا على وعدكم أنكم لن تراعوا سوى رضا الشعوب التى ستتناولها التسوية العامة . ولهذا السبب كانت صرخة «وليجيى ولسون» تتردد فى جميع أرجاء البلاد كأنها صدى الحرية المقبلة . وظل هذا الاسم دعوة الى التماسك حتى بين دوى الرصاص القتال الذى كان يحصد المئات من شببيتنا كما ظل شعار الاخلاص .

« فهل يمكن بعد هذا أن تحرم مصر وحدها من عدالتكم حرمانا قطعيا ، وهى التى اعتمدت عليها كثيرا ؟

« ان اهتمامكم الذى تجلى بأفصح بيان حتى الأمس فقط لمصلحة شعب صغير ، اهتمامكم الذى تناول شعوب الهمج من قارة افريقيا ، فأبى على المسيطرين عليها أن يحكموها بغير رقابة حزب الأمم ، اهتمامكم الذى امتد الى شعوب كانت حتى الأمس جزءا من الامبراطورية العثمانية القديمة ، فأبى أن تنتقل من سيادة الى غيرها كالسلاح ، وأصر على احترام أمانيتها ، ذلك الاهتمام هل يقف اذن على عتبة بلادنا المنكوبة الحظ ، ويبقى بابها مقفلا دون عملها الطيب ؟ .

« وفوق هذا فان مصر لم تعمل شيئا نستحق معه هذه المعاملة المحزنة ، وكل ما هنالك أنها تنبعت تطورات الشعوب فى طريق الرقى واشتركت أثناء الحرب فى أعباء القتال الثقيلة مع الدول التى كانت تمثل المدنية والتقدم .

٣ - لقد سمع مؤتمر الصلح المقاطعات التى فصلت عن تركيا بسبب الحرب وبسبب تطبيق مبادئ الجنسية عليها ، فهل لا يكون أخرى به أن يسمع الشعب المصرى ذا المدنية العتيقة القديمة التى لو لم ترغمه الدول الأوروبية على قبول السيادة العثمانية لكان الآن مستقلا منذ قرن ؟

« فلهذه الأسباب »

« يطلب الوفد المصرى باسم الشعب المصرى من مؤتمر الصلح أن يسمح له بتقديم مطالب البلاد طبقا لقواعد الحق والعدالة التى هى قاعدة مفاوضات المؤتمر .

الامضاء

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

كتاب الوفد المصرى الى الدكتور ولسون

[٣٥٢]

وفى اليوم التالى أرسل الوفد الكتاب الذى قدمه الى مؤتمر الصلح الى دكتور ولسون وشفعه بالكتاب الآتى :

الوفد المصرى

« باريس فى ٢٩ ابريل سنة ١٩١٩

الى صاحب السعادة الرئيس ولسون

« سيدى الرئيس :

« أرسلت المذكرة التى تجد سعادتك صورة منها مرفقة لهذا الخطاب الى مؤتمر الصلح لتبرير الطلب الذى قدمه الوفد المصرى طالبا من تلك الجمعية السياسية سماع أقواله .

« ونحن نستمد رجاءنا فى اجابة هذا الطلب من احترامكم للحق ، ومن ثقتنا فى العدالة التامة التى تريدون جعلها أساسا لصلح العالم ،

اذ أنها فى الواقع أعلنت فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ أنها فى حالة حرب مع ألمانيا • ولما دخلت تركيا الحرب بعد مضى بضعة أشهر صار مركز مصر دقيقا ، الى حد لا مثيل له ، اذ أنها كانت خاضعة لها ، وحينئذ اقترح بعض نواب الأمة الذين يحق لهم الكلام ، باسمها ، على السلطات البريطانية اعلان استقلال مصر حتى اذ ما سوى مركز البلاد السياسى على هذا النحو يتيسر لمصر أن تحارب الى جانب الحلفاء شاهرة السلاح فى أى ميدان من الميادين •

» ولكن هذا الاقتراح أهمل واستقرت انجلترا على حل آخر ، اذ أعلنت من تلقاء نفسها فى أول الحرب ، وبسبب الحرب ، حمايتها على مصر رغم أمانى مصر الوطنية ، على أن البلاد - مع هذا - قدمت أثقل التضحيات فى سبيل قضية الحلفاء • الى حد اعترف معه الجنرال (النبى) بأن العامل المصرى (١) كان من أعظم العوامل الحاسمة فى الفوز على الأتراك ، فهل من الممكن بعد هذا أن يقال ان المعضلة المصرية ليست من اختصاص المؤتمر ؟ •

٢ - ان الغاء السيادة التركية ، الأمر الناشئ عن الحرب ، يقتضى قسرا تغييرا فى حالة مصر السياسية ، تلك الحالة التى عينتها معاهدة سنة ١٨٤٠ (٢) ولكن هذا التغيير لا يمكن ادخاله الا بقرار من مؤتمر الصلح يحدد مصير مصر السياسى • [٣٥٠]

» أما فحص الموضوع من جديد دون سماع آراء المصريين فيكون ثلثة ظاهرة لحقوقهم التى لم تكن للمعاهدة غاية سوى اثباتها ، ولا مناص من أن يجر بحث هذه المعاهدات بحث الاتفاقات التى عقدتها مصر مع غيرها من الدول ، وهى اتفاقية أول يناير سنة ١٨٧٩ الخاصة بإنشاء المحاكم المختلطة ، واتفاقية سنة ١٨٨٠ الخاصة بقانون التصفية ، واتفاقية ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بحيدة قناة السويس ، حيث كان لمصر صوت استشارى ، أفلا يكون من المدهش بعد هذا أن الدول الأوروبية التى لم تهمل استطلاع آراء مصر فى القرن التاسع عشر فى مسائل ثانوية تأبى عليها هذا الحق فى القرن العشرين ، وفى مؤتمر جعلت قاعدته أن حقوق الأمم الصغيرة كحقوق الأمم القوية سواء بسواء ؟؟ •

(١) يقصد بذلك فيالق العمال Labour Corps التى أدت لقوات الحلفاء خدمات جليلة فى ميادين قريبة من مصر مثل فلسطين والعراق وفى ميادين بعيدة مثل فرنسا •
(٢) معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والتى جعلت من ولاية ذات وضع متميز داخل الامبراطورية العثمانية ووضعت قاعدة الاستقلال المصرى الذاتى •

وكان بؤادر مجهودات الوفد هذا الخطاب الى مؤؤمر الصلح ،
وهاك نصه :

خطاب الوفد الى مؤؤمر الصلح ببافيس
الوفء المصرى [٣٤٨]

« الجرائء اوتيل ببافيس :
« فى ٢٨ ابريل سنة ١٩١٩
« من المءقق أن المسألة المصرىة التى كانت ، منذ سنة ١٨٤٠ من
أصعب معضلات القانون الدولى لا يمكن أن ءءء فرصة ملائمة لحلها أكؤر
من مؤؤمر الصلح .
« ومن المءقق أيضا أنه لا يمكن أن يكون أى حل للمسألة المصرىة
نهائىا الا اذا جاء مطابقا لأمانى مصر ورغباءها .
« واستنادا على هذا الرأى واقتناعا بأن مبادئ الحق والعدالة التى
ءعلت قاعدة مفاوضات المؤؤمر ليست خاصة بجنس ءون الآخر ، بل هى
مشءركة بين الانسانية جمعاء جاء الوفد المصرى بءوكيل من الامة يعرض
على المؤؤمر الأمانى القومىة حتى يكون الحل الذى يقرر نهائىا ويكون بحيث
يساعد على ءءبىء دعائم السلام الءائم .
« وقد أئبئت التصريءات التى ءكررت من قبل افتتاح المؤؤمر أن
الغاية التى ءوخاها هى الوصول الى صلح ءائم بءصفىة جمىع المعضلات
السىاسىة على قاعدة حق الشعوب الصغىرة فى تقرير مصىرها .
« ومن السهل اءراك قلق المصرىين فقد رأوا جمىع الشعوب - بل
مءرء قبائل أيضا - التى غىرت الحرب مركزها السىاسى يءعون الى بسط
أقوالهم أمام المؤؤمر ، ولكنهم حرموا وءءهم هذا الحق . ومن المنعءر ءنءرع
بءبرىر مثل هذا الاءءاف فى المعاملة بأى سبب معقول يمكن أن
ىنطبء على المبادئ التى أىءتها الحرب والتى يجب على المؤؤمر ءءقىها .
« واننا - وان لم ءءع مصر للءضور أمام المؤؤمر - لا ىنبفى أن
ىءفعنا هذا الاءضاء الى الىأس من عدالة المؤؤمر الذى هو الهيئة الوحىءة
المءخصة بحل المسألة المصرىة بعءء سماع وفءنا .
١ - اذا كان الاشتراك فى الحرب من الشروط الجوهرىة التى ءبىء
للأم رفء صوءها فى المؤؤمر فان هذا الشرء ىنطبء على مصر انطباقا ءاما ،

[٣٤٩]

التي كانت تظهر اهتماما بالمسألة المصرية أوعز اليها أن تخفف من حملتها على الانجليز حرصا على عواطفهم ، بل انقلبت بعض تلك الصحف وأخذت تطعن على المصريين زاعمة أن حركتهم موجهة ضد الأوروبيين وأنها ذات صبغة دينية ، فأخذ الوفد يعمل على دحض هذه المزاعم ورد مفتريات الصحف فكتب اسماعيل صدقي باشا عضو الوفد مقالا الى جريدة «الطائر» زعيمة تلك الصحف المعادية ، نشرتها في ٨ مايو سنة ١٩١٩ .

ولا يظن القارئ أن أعضاء الوفد في باريس كانوا بعيدين عن عين الانكليز اليقظة فان هؤلاء كانوا يحاولون دائما جعل مجهودات الوفد عديمة الجدوى ، وقد بلغت بهم الشدة الى حد حمل فرنسا على عدم اعطاء أعضاء الوفد جوازات بالسفر الى أى بلد خارجها حتى أضحو كالسجناء ، فلم تصل أصواتهم الى جميع الأقطار كما كانوا يؤملون الا بعد جهد جهيد .

[٣٤٧]

ولقد رأى الوفد أن ينظم أعماله ، فألف من بين أعضائه ثلاث لجان ، وقد راعى في هذا التقسيم استعداد كل عضو للعمل الذي أنيط به .
واليك أسماء تلك اللجان وأعضائها :

لجنة المالية : وأعضاؤها : سعد زغلول باشا وعلى شعراوي باشا أمين الصندوق وعبد اللطيف المكباتي بك .

لجنة النشر : وأعضاؤها : اسماعيل صدقي باشا وعبد العزيز فهمي بك والدكتور حافظ عفيفي بك وويصا واصف بك .

لجنة الحفلات : وأعضاؤها : اسماعيل صدقي باشا ، وحسين واصف باشا وجورج خياط بك .

وكان أول ما عمله الوفد أن زار رئيسه سعد زغلول باشا رؤساء وفود الدول العظمى فلم يرد له هذه الزيارة أحد من هؤلاء غير رئيس الوفد الايطالى .

وفى ٢٢ ابريل كتب رئيس الوفد الى الدكتور ولسون خطابا يرجو فيه تحديد موعد بمقابله حتى يتمكن الوفد من مشافهته بسلامة مصر (وكان هذا اليوم كما يذكر القارئ هو اليوم الذى أعلن فيه اعتراف الرئيس ولسون بحماية انكلترا على مصر) (١) . فرد عليه السكرتير بأنه سيعرض خطابه على الرئيس .

(١) انظر المذكرات ص ٢٧٣ - ٢٧٤ تاريخ ٢٣ ابريل .

وهو الرجل الوحيد الذي تقلد مناصب خطيرة طوال زمن الحرب ،
وفي خلال الثماني السنوات الكدرة التي سبقتها ولم يكن كما كان ولسن
رجل مبادئ وعقائد بل كان رجلا عمليا واقعيا وقد بذل جهدا كبيرا في
حفظ التوازن بين كلمنصو وولسن .

أولئك هم الثلاثة الذين كانوا يسيطرون على أعمال المؤتمر
وعلى مصائر شعوب العالم ، وقد استطاع كلمنصو ولويد جورج أن يؤثر
في الرئيس ولسن وينقلها على مبادئه الانسانية ويطبعا كثيرا من أعمال
المؤتمر بطابع المصلحة والأناثية الدولية . هذه هي الروح التي أملت
على المؤتمر الشروط التأديبية التي فرضت على ألمانيا وحلفائها وهي التي
جعلت مؤتمر الصلح يوافق الحماية البريطانية على مصر ، وعلى اخضاع
كثير من الشعوب لدولتي انجلترا وفرنسا وقد تبين أن العالم لم يكن
قد استعد بعد لتغليب المصالح الانسانية العامة على مصالح الدول
الاستعمارية .

تلك كلمة موجزة عن مؤتمر الصلح ، قدمناها بين يدي أعمال الوفد
المصري في أوروبا . ننتقل بعدها الى أعمال الوفد نفسه (١) .

الوفد المصري في أوروبا أعماله في باريس

[٣٤٦]

عندما أبيع للوفد المصري السفر الى أوروبا كان طبعيا أن يولى وجهه
شطر فرنسا ، ليكون قريبا من مؤتمر الصلح الذي عقد في عاصمتها
« باريس » . ولا علم المصريون النازلون بباريس بقدوم الوفد اليها ألفوا
من بينهم جمعية أطلقوا عليها اسم « الجمعية المصرية » قامت بتغذية
الجرائد الفرنسية بتفصيلات القضية المصرية التي نشرت عقب وصول
الوفد الى باريس .

ولكن لم تمض بضعة أيام على وصول الوفد حتى فوجئوا باعتراف
معظم أعضاء المؤتمر بالحماية الانجليزية على مصر ، حتى الجرائد الفرنسية

(١) الصفحات التي تبدأ بعنوان مؤتمر الصلح بغط مختلف ، وتتضمن معلومات
عامة والواضح أنها أضيفت بعد ذلك في الثلاثينيات على الأرجح ، ممن كان يحفظ المذكرات
والتي تدخل فيها أحيانا بعض التعديلات والإضافات اليسيرة ، بهدف ربط أقسام
هذه المذكرات .

وجاء مع الوفود جيش جرار من الخبراء المختلفى الأنواع من اقتصاديين ومؤرخين وجغرافيين وعلماء فى الأجناس البشرية كما جاء اليه رجال السياسة والجندية والبحرية .

وقد وضعت السلطة أول الأمر فى يد مجلس مكون من عشرة مندوبين يمثل كل اثنين منهم دولة من الدول الخمس الكبرى : انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا واليابان ، ثم روى أن تصدر القرارات الرئيسية من الخمسة المندوبين الأول لهذه الدول ، وذلك لضمان سرعة صدورها وسرية بحثها . ولم تلبث اليابان أن انسحبت من المؤتمر لأن المسائل الأوربية لم تكن تهمها كثيرا ولم يضطلع المندوب الإيطالى (١) بدور هام فى أعمال المؤتمر ، وبذلك أصبحت الكلمة العليا فى تنظيم العالم لثلاثة رجال أصبح فى أيديهم من السلطة ما لم يجتمع فى أيدي ثلاثة غيرهم فى التاريخ كله .

وكان أول هؤلاء الشيخ المسن جورج كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية المعروف بالنمر ، وكانت له رئاسة المؤتمر وكان يمثل العهد القديم لأنه كان قد جاوز السبعين وكانت عقليته وليدة الظروف التى كانت تسود أوربا طوال حياته ، وكان كل همه أن يؤدب ألمانيا ويقص جناحيها حتى لا تعود الى تهديد فرنسا .

وكان ثانيهم رئيس الولايات المتحدة وودرو ولسن Woodrow Wilson وهو أستاذ سابق للتاريخ لم تفارقه طول حياته نزعة الأكاديمية ، فكان رجل أفكار ونظريات ، ألقى وهو على الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي عدة خطب ذات معان سامية ضمنها قواعد نظام عالمى جديد تأمن فيه الديمقراطية على نفسها بعيد عن ويلات الحروب والنزعات العسكرية ، اتخذت بها ألمانيا ورضيت أن تلقى سلاحها على أساسهما كما اتخذت بها الشعوب المغلوبة على أمرها . وكان أهم ما نادى بها فكرتين أساسيتين : أولاهما فكرة تقرير المصير ومعناها أن لكل أمة الحق فى أن تكون حرة ، وأن تحكم نفسها بنفسها . والثانية هى إيجاد تعاون منظم بين أمم حرة لتسوية المنازعات ومنع الحروب .

ونالت الثلاثة هو المستر دافيد لويد جورج .

(١) السنيور أوولاندو .

مؤتمر الصلح

عقد مؤتمر الصلح فى باريس فى شهر يناير من عام ١٩١٩ ، وقد مثل فيه من شعوب العالم أكثر مما مثل فى أى مؤتمر آخر ، اشتركت فيه الدول المتحالفة والمؤتلفة وهى بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا واليابان التى تمتلك نصف مساحة العالم تقريبا ، ومثلت فيه أيضا الدول التى أشهرت الحرب على ألمانيا عندما كانت الحرب فى مرحلتها الأخيرة كالصين وسيام ومعظم جمهوريات أمريكا الوسطى والجنوبية ومثلت فيه الشعوب التى كانت خاضعة لألمانيا والنمسا وتركيا ، ثم ثارت عليها لأن المؤتمر عدها شعوبا محاربة وان كانت لم تصبح فى ذلك الوقت دولا منظمة ، وهذه هى بولنده وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وشعوب البحر البلطى الصغرى (١) وبلاد العرب (٢) والعراق والصهيونيين ، مثلت هذه الشعوب كلها فى المؤتمر ولكن الذين وقعوا معاهدات الصلح هم مندوبو الدول الثلاث الكبرى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولم تمثل فيه الدول المغلوبة ، الا حينما دعيتم لتسمع الحكم عليها . ولم يسمح للدول المحايدة بحضوره ووقفت الروسية التى كانت تضطرم فيها نار الثورة البلشفية تنظر اليه من بعد ولا تشترك فيه .

وقد كان حرمان الدول المغلوبة من الاشتراك فى أعمال المؤتمر هى والروسيا والدول المحايدة سببا فى سلبه الى حد ما صفته العالمية وجعله أداة عقاب وانتقام ، وقد غلبت هذه الصفة على أعماله ومع أنها قد قضت بها ظروف ذلك ، فقد كانت مصدرا لجميع المشاكل التى نشأت من قراراته . والنسب يقاسى العالم من جرائمها الأمرين فى الوقت الحاضر .

(١) يقصد لتوانيا واستونيا ولاتفيا

(٢) الحجاز .

نبدأ هذا الجزء بصفيحة جديدة من صفحات الثورة المصرية ، وهى
الخاصة بأعمال الوفد المصرى فى أوروبا وهى أعمال يخفى كثير منها على
معظم المصريين ، اذ لا يعرفها الا المطلع على اسرار الوفد ، وأعماله الرسمية ،
وقبل أن نتكلم على هذه الأعمال يحسن بنا أن نذكر عن مؤتمر الصلح ،
الذى عقد فى باريس لاعادة تنظيم أوروبا والعالم أجمع بعد أن اضطربت
شئونهم واختل نظامهم بسبب تلك الحرب الضروس .

محمد أمين رأفت : لأنه في يوم ٣٠ مارس سنة ١٩١٩ أخذ كرها
أموالا لجمعية « اليد السوداء » (١) في السكة الجديدة فحكم عليه بالحبس
مدة سبع سنوات مع الأشغال الشاقة . وقد تأيد هذا الحكم في ٢١ أبريل
ولكنه عدل الى حبس بسيط سبع سنوات .

« رفائيل سليمان : لأنه في يوم ١٨ مارس اشترى أسلحة في
نفيسة فحكم عليه مدة سنة مع الأشغال الشاقة ، وقد تأيد هذا الحكم يوم
١٥ الجاري .

على معوض المعروف بعلي الاسود : لأنه قاد عصبة من السفلة وهدد
الأوربيين بالقتل في يومي ٥ و ٦ أبريل فحكم عليه بالحبس مدة ١٥ سنة
مع الأشغال الشاقة ، وقد تأيد هذا الحكم ولكنه عدل الى ثمان سنوات .

ومحمد حسن الجزاوي : لأنه في يوم ١٧ مارس دمر المواصلات
التليفونية وحرّض العمال على الثورة ، وسرق مديّة من الشيخ عباس
ببولاق فحكم عليه بالحبس مدة أربعة أشهر مع الأشغال الشاقة ، وقد
تأيد هذا الحكم في يوم ١٥ الجاري .

« محمد فؤاد عفت : لأنه في يوم ١٧ مارس دمر المواصلات
التليفونية ، وحرّض العمال على الاضراب عن العمل وارهأبهم فحكم عليه
بالحبس ثمانية أشهر . وقد تأيد هذا الحكم في ١٥ الجاري .

يوسف عبد القفار : لأنه في تواريخ مختلفة في شهر مارس حرّض
على الثورة وأغرى موظفي الحكومة على الاضراب في القاهرة فحكم عليه
بالحبس عشر سنوات مع الأشغال الشاقة وقد تأيد هذا الحكم في يوم
٢٥ الجاري ولكن عدل الى سبع سنوات مع الأشغال الشاقة .

[٣٤٥]

(١) تشير الوثائق البريطانية في كثير من واقعتها الى هذه الجمعية وأن أعضائها كانوا
يحصلون على التبرعات من الناس بالتهديد والابتزاز كما ذكرت .

- ٣ -

مدير مصلحة الصحة العام

« عين الكولونيل كاتكارت جارنر مديرا عاما لمصلحة عموم الصحة ابتداء من ٢٤ نوفمبر ١٩١٨ والدكتور جيمس ليز وكيلا عاما لمصلحة عموم الصحة ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ » .

- ٤ -

مدير مصلحة المساحة العام

[٣٤٣]

« عين المفتنتن الكولونيل بوترام فرنسيس ايردلي كبلنج مديرا عاما للمساحة في القطر المصري ابتداء من ١٨ مارس سنة ١٩١٩ بلقب مدير عموم المساحة » .

والبلاغات الأربعة موقعة بامضاء الجنرال السر ادمند اللنبي قائد قوات الجيوش البريطانية في القطر المصري .

ثم طال الزمن ، ولم تعد الأمور الى حالتها الطبيعية ، وان كانت حدة الثورة قد خفت بعض الشيء ، الا أن الحوادث لم تنقطع ، وظلت الهجمات تتوالى على الخطوط الحديدية والأسلاك البرقية ، وكان يحتمل من حين الى حين أن تتقد نيران الثورة من جديد .

واضطربت لذلك السلطة الانجليزية التي ركبت زاسها وتورطت في أعمال القمع والارهاب ، ولم تتورع عن اعتقال الناس .. الخ .

اعتقال الناس لمجرد الشبهة

كانت السلطة العسكرية لا تتورع عن اعتقال الناس لمجرد الشبهة أو الوشائات الكاذبة حتى ضاقت بهم المعتقلات والسجون ، وياليتها اكتفت بذلك بل قدمت البعض للمحاكم العسكرية الانجليزية لمحاكمتهم كما يتضح ذلك من البلاغات الرسمية التالية :

محاكمة مخالفى الأحكام العرفية

[٣٤٤]

القاهرة في ٢٩ ابريل سنة ١٩١٩

« حوكم الأشخاص التالية أسماؤهم أمام محاكم عسكرية في القاهرة لارتكابهم أعمالا تخالف الأحكام العرفية وهم :

فى تأليف وزارة فى القريب العاجل ، وبذلك تعطلت كثير من الأعمال الرسمية التى يرجع فيها الى الوزير نفسه •

لذلك أصدر اللورد اللنبى عدة بلاغات رسمية أهمها بلاغ يرخّص لوكلاء الوزارات ومن يتوبون عنهم بأن يؤدى كل منهم أعمال الوزير فى وزارته •

فتعين بعض الموظفين من الانجليز رؤساء لعدة مصالح وإدارات ، ملكية كثيرة ، وهذه أهم البلاغات المشار إليها :

[٣٤٢] منح السلطة وكلاء الوزارات سلطة الوزراء (١) :

ولما لم يمكن تأليف وزارة جديدة لانجاز الأعمال أصدر اللورد اللنبى البلاغات العسكرية الآتية :

الوزارات والمصالح الاميرية

اربع بلاغات عسكرية

٢٨ أبريل ١٩١٩

- ١ -

وكلاء الوزارات ونوابهم

« قد رخص بموجب هذا لكل وكيل وزارة أو للقائم مقامه بأن يؤدى فى الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير وأن يتولى سلطته فى المسائل الادارية بما فى ذلك حق تمثيل الوزارة أمام جميع المحاكم ، وذلك بصفة وقتية ولحين تأليف وزارة جديدة •

- ٢ -

وكيل المالية ومساعداه

« عين المستر ارنست ماك ليود دوسن وكيلا لوزارة المالية ابتداء من ١٧ مارس سنة ١٩١٩ والمستر ريجنالد ستورت باترسن مساعدا له وعضوا فى اللجنة المالية ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ والمستر وارن بومون تريلونى مراقبا عاما للإدارة والحسابات وعضوا فى اللجنة المالية ابتداء من أول أبريل سنة ١٩١٩ •

(١) مكتوبة هكذا وصحتها منح وكلاء الوزارات سلطة الوزراء •

« وقد عاد جميع الكتاب في مصالح الحكومة المختلفة الى أعمالهم في حين تتحسن الحالة بسرعة فيما يتعلق بعنابر السكة الحديد والعمال بوجه عام في المصالح المختلفة . »

« ووردت الأنباء بوقوع حوادث قليلة من حوادث الارهاب ففي الاسكندرية حاول بعضهم ارهاب مستخدمى شركة الملح والصودا ، فتولى البوليس الأمر وقبض على ثلاثة أشخاص (١) . »

« أما في الوجه القبلى فقد هجم خمسة من الذين يعملون بأعمال الارهاب على عامل الإشارة في بنى حدير فقبض البوليس عليهم جميعا ، وضبطت ١٤٩ قطعة من الأسلحة في مركز ديروط . »

« ولم يقع في القاهرة وما جاورها شيء يذكر . »
القاهرة في ٢٥ أبريل سنة ١٩١٩ .

بلاغ رسمى

[٣٤٠]

« أبلغ بوليس القاهرة أن رجلا جرح في ليلة ٢٥ الجارى بمناسبة حادثة تتعلق بالحرق عمدا في حوش المحطة بالشرابية . »
« ولم يقع عدا ذلك ما يستحق الذكر . »
القاهرة في ٢٧ أبريل سنة ١٩١٩

بلاغ رسمى

[٣٤١]

« لم يقع شيء يذكر . »
« وليس ثمة حاجة الى اصدار بيان يومى ، وستصدر البلاغات الرسمية عند الحاجة فقط . » (٢) . »
القاهرة في ٢٨ أبريل سنة ١٩١٩ .



ظلت البلاد مدة طويلة من غير وزارة بعد أن استقالت وزارة رشدى باشا بسبب امتناع الموظفين عن العودة الى أعمالهم ، ولم يكن هناك أمل

(١) تؤكد التقارير الانجليزية على طبيعة الاضرابات العمالية في الاسكندرية وكيف أن زعماء العمال يلقون الخطب الثورية في الجوامع .
(٢) كان وراء هذا البلاغ الهدوء النسبى الذى بدأ في اواخر أبريل . وان كان الأهم ، من ذلك في رأينا الرغبة الانجليزية في اشعار المصريين أن الثورة قد انتهت وأنه لم يعد ثمة حاجة لاصدار بيان يومى ، ذلك أنه على الجانب الآخر استمر المندوب السامى البريطانى في القاهرة ، الجنرال اللنبى ، يرسل تقاريره يوميا الى حكومته في لندن عن تطور الأحداث في مصر .

[٣٣٧]

بلاغ رسمى

« فتشت ست قرى أخرى فى منطقة ديروط فى الوجه القبلى ، وأخذت بعض الأسلحة » .
أما فى القاهرة فقد تعرض أمس رجل لأحد رجال الحرس فى شبرا
فقتل .
وفى عدا ذلك لم يقع شىء يستحق الذكر » .
القاهرة فى ٢٣ أبريل ١٩١٩ .

[٣٣٨]

بلاغ رسمى

القاهرة فى ٢٤ أبريل ١٩١٩

« يؤخذ من البلاغات الواردة من الأقاليم أن الأعمال تستأنف استئنفا عاما وأن الأحوال العادية تعود أكثر فأكثر » .
« ووردت الأنباء بوقوع بعض حوادث صغيرة فقد حدث فى القرضا (فى جوار كفر الشيخ) أن ناظر مصلحة الدومين أصيب بطلق نارى وجرح جرحا بليغا . وقد قبض على الجانى » .
« وفى منتصف ليلة ٢٢ - ٢٣ الجارى أطلقت النيران على دورية من دوريات السكة الحديدية فى جوار ايتاى البارود » .
« وفى الوجه القبلى فتشت قرية بانوب وصودرت ٢٥ قطعة من الأسلحة النارية وسلمت قرية أخرى فى جوار ديروط ٩٠ قطعة أخرى من تلقاء نفسها » .
« أما فى القاهرة فقد حاول بعضهم صباح اليوم تخويف مستخدمى الحكومة العائدين الى أعمالهم ، وقد قبض على عدد من الأشخاص متهمين بتخويف موظفى الحكومة والتحريض على الاخلال بالنظام بمثابرة وعناد ، وستقدم ابتداء من صباح الغد الحماية العسكرية فى جوار دور الحكومة وستبقى هذه الحماية مادام الأمر يتطلب حماية مستخدمى الحكومة من تحرش الغير بهم » .
« وأبلغ بوليس القاهرة أنه لم تحدث خسارة فى المدينة بين ظهر أمس وظهر اليوم » .

[٣٣٩]

بلاغ رسمى

« تؤيد الأنباء الأخرى الواردة من الأقاليم التصريح الذى أعلن أمس وهو أن الأعمال تستأنف استئنفا عاما وأن الحالة تعود الى ما كانت عليه أكثر فأكثر » .

بلاغ رسمي

[٣٣٥]

القاهرة في ٢٢ أبريل ١٩١٩

« كان من المرغوب عدم نشر أسماء الذين ذهبوا ضحية الاعتداء على قطار ديروط مادام هناك احتمال بأن بعض التائهين قفز في محطة متوسطة ، وتمكن من النجاة »

« على أنه قد توفرت الدلائل على أن الثمانية الأشخاص الآتية أسماءهم قتلوا في القطار بين أسيوط والمنيا ، وهم :

« القائمقام بوب بك مفتش السجون

« الماجور جارفين

« اللفتنانة وللبى (أركان حرب) »

« خمسة جنود (ذكرت أسماءهم ونمرهم) »

« وقد ثبت أن الاعتداء وقع يوم ١٨ مارس بين الساعة الثامنة صباحا والظهر لا يوم ١٤ مارس كما ذكر خطأ في بلاغ سابق »

« وسيبدأ عما قريب بمحاكمة عدد من الأشخاص المتهمين بأن لهم يدا في هذا الاعتداء ، وقد دلت الدلائل التي ظهرت عند البحث الابتدائي بصفة قاطعة تقريبا على أن عدد الضحايا ثمانية »

« وفي مساء ٢٠ الجاري حدثت مشاغبات جديدة في « أبو طور » في جوار طنطا فقد اجتمع سكان القرية وقد أخذوا يلقون الأحجار على معسكر فصيلة من الجنود الهندية فأحيط بالقرية وقبض على ستة من الزعماء وجلد ٢٣ من المشاغبين علنا »

« ولم تطع قرىتان في غرب الدلتا في « جوار المطرية » الأوامر الخاصة بتطهير السكة الحديدية ففرضت عليها غرامة ، من الحيوانات الداجنة عقابا لها »

[٣٣٦]

« وثبتت جريمة النهب والسلب على ٦٧ شخصا في منطقة الواسطي فبرى ٢٧ شخصا وأطلق سراح ٣٠ بدون محاكمة بعد تحقيقات ابتدائية » وهناك ٥٧ شخصا غيرهم رهن المحاكمة ، وأبلغ بوليس القاهرة أنه لم تقع خسارة في المدينة منذ ليلة ١٧ الجاري الى ظهر هذا التاريخ »

« يا صاحب الفخامة :

« أتشرف بأن أبلغكم أنى تلقيت ارشادات (١) من حكومتى لأعرفكم بالحقيقة الواقعة وهى أن الرئيس يعترف بالحماية البريطانية على مصر التى أعلنتها حكومة جلالة الملك فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ .

ومع موافقة الرئيس على هذا الاعتراف يجب بالضرورة أن يحفظ لنفسه حق المناقشة فى المستقبل فى تفاصيل ذلك مع مسألة تعديل أية حقوق تتعلق بالولايات المتحدة قد ينتج عن هذا القرار .

« وبهذه المناسبة رغبت الى أن أقول ان الرئيس والشعب الأمريكى يعطفان كل العطف على أمانى الشعب المصرى المشروعة لتوسيع نطاق الحكم الذاتى على أنهما ينظران بعين الأسف الى أى مجهود يبذل لتحقيق ذلك بالاتجاه الى القوة والشدة .

« وتقبل يا صاحب الفخامة ما يثبت من جديد احترامى الكبير لكم » (٢) .

الامضاء

هميسون جارى

[٣٣٤] هذا وقد أذيعت البلاغات الرسمية الآتية حسب تواريخها :

القاهرة فى ٢١ أبريل ١٩١٩

« أبلغ بوليس القاهرة أنه توفى شخص باطلاق الرصاص فى شببرا فى ليلة ١٧ الجارى .

« وفى ١٩ الجارى وضع كمين لفصيلة صغيرة من الجنود الهندية فى أبى طور فى جوار طنطا ، فقتل جندى وجرح ثلاثة وأجابت الفصيلة باطلاق النيران فقتلت تسعة من المهاجمين ، وقد قبض على عدد منهم (٣) .

« وفيما عدا ذلك لم يقع شىء يذكر » .

(١) تعليمات .

(٢) يقول اللبى أن نشر هذا التصريح يوم ٢٣ أبريل قد أحدث وجوما شديدا بين المصريين وأن الحزب الوطنى أبرق فى نفس اليوم للرئيس ولسون محتجا على اعترافه بالحماية .

F.O. 407/184 inc. No. 329.

(٣) تشير الوثائق البريطانية الى هذه الحوادث كما هي بالنص :
Supplementary information of the week April 13 to 19, 1919.

المصرية ويرضى كل من له شأن فيها • على أن أهم ما فى الأمر هو الروح الذى تنظر به المسألة •

« فما نرجوه هو أن الشعب الانجليزى الحر – الذى أعرفه والذى عشت بين أبنائه – يدقق فى بحث شكائتنا من غير أن يشرك حزب الاستعمار ذاك الذى لا يرى بطبعه الا ما يجب أن يرى •

« لقد ولدت مصر القديمة من جديد وبدأ لها عهد آخر فى الحياة وفى الحرية ، فمن بين الانجليز الأحرار يرضى لنفسه أن يكون آلة لقتلها أدبيا أو آلة فى ضياع رجاء أمة حديثة ولوعتها وما ذاك الا أشد قسوة من قتلها •

« لقد عثرت بلادى على روحها ، فحق لها أن تعيش حياة من له روح ••• لقد تطور العالم فأصبحت الرقاب لا تمنسوا (١) الا لحكم المحبة •

« وإذا كانت انجلترا تؤمن بآلة القوة فهى المنتصرة لا محالة ، ولكن أين لها الى القلوب سبيل ١١٩ « •

اعتراف الرئيس ولسون بالحماية

[٣٣٣]

لم يكن يدور فى خلد كائن من كان أن يصدر هذا التصريح الذى ننشره فيما يلى من الرئيس ولسون الذى دخل الحرب للقضاء على الاستعمار ، ومحو سلطة القوى على الضعيف والذى أعلن قبيل الهدنة مبادئ الحرية والعدل التى لا يجهلها أحد ولكن الواقع أن قد صدر التصريح فلم يعد للكلام فائدة أمام الحقيقة الواقعة ، واليك التصريح كما نشرته دار الحماية فى ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ :

• دار الحماية فى ٢٢ ابريل ١٩١٩ •

[٣٣٣]

« تلقى فخامة نائب الملك الخاص الكتاب التالى من معتمد أمريكا السياسى وقنصلها الجنرال بمصر • وهاك نصه :

« الوكالة الأمريكية السياسية والقنصلية الجنرالية (٢) بالقاهرة فى ٢٢ ابريل ١٩١٩ •

(١) تخضع وتذل •

(٢) كان مستوى التمثيل الدبلوماسى فى مصر وقتذاك « وكيل وفصل عام » لجميع الدول التى لها هذا التمثيل •

للأحكام الدستورية وإذا تركنا جانباً عهد الخلفاء والممالك الذين كانوا مصريين مثلما كان ملوك النورمان انجليزا يظهر لنا بجلاء أن مصر كان لها من أيام محمد على أسرة مالكة كما لها قومية قائمة ، فمائة عام نحن فيها مستقلون استقلالاً يكاد يكون تاماً . وخمسون شملتنا فيها مدنية الغرب لا ريب تؤهلنا لحكم دستوري بل لاستقلال تام . أجل فإن الحكم الدستوري ليس مما يرغب فيه فقط بل هو من ألزم ما يكون لسرعة تكوين الأمم وتدريبها اللهم الا اذا كانت من الأمم الهمجية . . . أما حد الانتخاب فهو أمر غير هين ، على أن ما جرت عليه المبادئ الحديثة هو التوسع في ذلك قدر المستطاع لا سيما اذا وجد قيد لذلك في شكل مجلس أعلى غير أنى أرى وجوب منح النواب كل القوة الدستورية مهما كانت طريقة انتخابهم . والبرلمان الاستشارى انما هو نظام لا يرضاه الا الملوك المستبدون أو القوم المستعمرون . وليس أمامنا ما قد يعترض به على وجود دستور كامل في مصر الا امتيازات الأجانب . على أن المصريين قد قبلوا أن تظل هذه الامتيازات سليمة لأننا نراها ضراً لازماً . أما انجلترا فترى الغاءها بحكم وجود الحماية . . . ولقد سمعت كثيرين من الانجليز يقولون بأن ذلك جدير بأن يبرر لدى المصريين الحماية . فما أعجب ذلك الحل لدى يروم به الانجليز رفع القيود التى تغل استقلالنا بمحو ذلك الاستقلال نفسه !!

« ان جليلة الأمر أن الحماية لا تتفق مع ما وصلنا اليه من المدنية ، ومع ما نرجو أن نصل اليه بفضل مبادئ الحرية المعروفة عن الانجليز والروح التى عندهم الآن وأمام مشروع عصبة الأمم التى ينشدها الناس جميعاً . »

لقد اعترف الرئيس ولسن بالحماية على مصر ، فيجب أن يسهل ذلك على انجلترا اتخاذها معنا سبيل سلام ، فلطالما أثبتت للقليل الضالين (كذا) الا وسيلة لغلبها فى ميادين السياسة ، فأهل مصر يعلمون اليوم أن خلاصهم لا يكون الا بجهدهم هم أنفسهم وأنه قد لا يند لهم فى ذلك يد المعونة الا الشعب الانجليزى الحر .

[٢٣١]

« من أجل هذا يا سيدى أنادى فى شخصك الشعب الانجليزى الحر ليأخذ بناصرنا فى سعيينا لتحقيق أمانينا القومية . . ليس فى ذلك من ضرر على أحد ، لا سيما الامبراطورية الانجليزية التى نحن على استعداد لمنحها كل ما يلزمها من الضمانات والامتيازات على شريطة ألا يمس ذلك استقلالنا وكرامتنا ، كماة لها منزلة مهما كانت صغيرة . »

« ان مشروع عصبة الأمم الذى سنت فيه قواعد لمنع اعتداء الدول بعضها على بعض وصونها من مؤثرات الرجعيين سيسهل كثيراً حل المسألة

أن يحرز لنفسه النصيب الأكبر . . ان هذا لهو عين الحق ، فالحماية على ما عهدنا ليست الا ضما . وهي لا تلحق الا بالفئات الدنيا من طبقات بنى الانسان ، فهل فى شرعة الانصاف أن مصر التى كان لها مركز أمة مستقلة تقريبا أمام الشرع وأمام الواقع يقضى عليها بهذا الخضوع المهين رغم تطلعها للحياة والسير فى مدارج التقدم ؟؟

« ان ما يقولون به من منحنا قسسطا جديدا من الحكم الذاتى لا يعتاض به عما كان لنا من عهد سيادة تركيا الاسمية من الاستقلال الداخلى التام وليس من أهمية شكل هذا الاستقلال وكونه دستوريا أو ليس كذلك ، لأنه كان فى استطاعتنا الحصول على الدستور من خديونا . فخلاصة الأمر أننا كنا متمتعين فى العهد القديم باستقلال داخلى تام وقسسط غير يسير من الاستقلال الخارجى ومع كليهما رقابة بريطانية ، أما فى العهد الجديد فكل ما سيكون لنا هو قسسط ضئيل من الاستقلال الداخلى ولا شئ من الإستقلال الخارجى ثم حكم انجليزى شامل أمام الشرع وأمام الواقع . فالباب الوحيد الذى كان أمامنا أوصد الى الأبد وكل ما لنا من الأمانى القومية قد خط لها طريق مرسوم فلا يجوز أن نتعدى حدا معقولا ولعلمهم يريدون حلا مشروعا !! فالأء أمامك أيها الظالمى ولكن حذار من أن تبلى أوامك (١) . عفوا يا سيدى ان بدا لكم أثر من لوعتى فان نار اليأس تاكل قلبى كلما أبصرت الظلمة المخيمة على مستقبلنا المخيف . . ثم اننى أريد أن أنقل لكم صورة صادقة لما يشعر به أغلب المصريين البرهة (٢) الحاضرة .

« على أن ما يحاوله فكرى أكثر مما تقدم هو ما يقال من أننا سنمنح تحت ظل الحماية حكما ذاتيا تدريجيا . ان بدعة الحكم الذاتى التدريجى هى على ما يلوح لى بدعة ابتكرت خصيصا للأمم الشرقية .

« لقد كنت أفهم دائما أن الحرية الدستورية التى نالتها انجلترا وفرنسا من قديم العصور ، كان عهدا تاريخيا ليست لدينك الأمتين فقط بل للمدنية بأسرها ، ومع هذا فان هاتين الأمتين لم يكن لهما فى المدنية الشأو الذى لهما الآن - فكانت نسبة الاميين فيهما تفوق نسبتهما عندنا ، ثم أنهما لم تكونا على علم بالنظومات الدستورية ولا بصنوف العلوم والمعارف التى يتميز بها العصر الحاضر . وكانتا فوق ذلك قريبتى العهد باستبداد الملوك بل بما هو أشد من ذلك أى باستبداد الاشراف تحت نظام الاقطاعات ، فمصر فى ذلك هى بلا ريب أحسن حالا وأكثر استحقاقا .

(١) أوامك يقصد عطشك .

(٢) يقصد اللحظة .

« لقد والمذنب ثبوتنا المباركة بطلا للبلاد. في شخص القس سرجيوس (١) ولست أجد ما أختتم به رأيي في هذا الموضوع خيرا من قول مأثور عنه ، قال ذلك القس الكريم : « اذا كانت الحال تدعو لتضحية المليون قبلى في سبيل حرية سائر المصريين فان التضحية واجبة وثمرتها غير ضائع » قد يكون في هذا تطرف ممن يؤمنون بالتطرف والكمال فهما خير ما تتشرف به روح الأمم وروح الأفراد »

« لقد قصرت قولي حتى الآن على العموميات ولكن لا أرى بدا من ايضاح نقطة واحدة بعض الايضاح وهي :

لماذا لا نقبل نحن بني مصر الحماية ؟

« ان اعتراضنا على الحماية يتلخص في كلمتين وهما : أنها ليست الا قيادا من الخضاع يضعنا على الدوام تحت حكم الانجليز أو رعايتهم أو وصايتهم كما يقولون . والأمة المحمية في أحسن صورها ليست الا أمة غير مستقلة تحميها أخرى أجنبية عنها فهي أمة فاقدة لشخصيتها ولا سبيل لها الى التحلي بشخصية الأمة التي تحميها »

[٣٢٨]

« واذا فرضنا جدلا أن مصر قاصر في حاجة للوصاية كما يعبر الفقهاء ، فان تلك الوصاية لابد من أن تنتهي متى بلغ القاصر رشده . أما الحماية فهي على ما يعلم الناس باقية أبدا ، ولا سبيل لرفعها الا بثورة أو عمل استثنائي يشبهها »

« لقد سمعت بعض الانجليز يقولون : ان الحماية قد تصبح في النهاية ميزة للبلاد المحمية لا حملا يثقل كاهلها ولكن هذه العلاقات الحالية من الأغراض لما هو غريب عن السياسة العملية ، ومبدأ العوض سيظل دائما أساس العلاقات الدولية ، لا أقصد بذلك الطعن على وجهة هذا المبدأ ، ولكنني أريد أن أشير الى أن تطبيقه بين أمتين أحدهما حاكمة والأخرى محكومة لابد وأن يؤدي الى رجحان العمل الثقيل على النفع اليسير . لا سيما اذا اختلف الجنس ، فكيف الحال اذا كان فقدان الاستقلال الذي لا يعده في العالم شيء هو أقل غبن في الصفة »

« لقد افترضت في الصورة التي رسمتها حماية غاية في الكمال ، ولكن لا يفهم عنكم أن الحماية ليست الا عهدا أو ارتباطا فعليا بين دولتين أحدهما أقوى من الأخرى وأن القوى مدفوع بحكم الطبيعة البشرية الى

(١) القس سرجيوس كان من أهم رجال الدين الأقباط الذين انضموا الى ثورة ١٩١٩ وكان معروفًا بخطبه التي كان يلقيها في الاجتماعات الوطنية التي تعقد في الأزهر .

« فكان قسوس بنى القبط القادة المنشودين لجموع المتظاهرين وما أحلى صيحات البشر التى كانت تصعد من قلوب القوم كلما مر بهم علم يتعاقب فيه الهلال والصليب . ثم ان المكان الأول الذى اتخذه الأزهر الشريف منبع العلوم الاسلامية فى حركة التسامح هذه ، فيه ما فيه من المعانى . واننى لا أرى فى ذلك من عجب ، فالطالب الأزهرى هو الطالب المصرى الوحيد الذى رضع العلوم الأدبية والفلسفية القومية الصحيحة ، وهو يفضل بكثير فى أدبه وحلاوة صيته الأفندى العادى الذى كونه لنا التعليم المصرى « المتجلنز » أى ذلك التعليم الذى رأت السلطات الانجليزية نفحنا به .

[٣٢٦]

« أما بنو القبط فقد ظهر للعيان اندماجهم فى الحركة قلبا وقالبا ، ولقد عزا ذلك بعض من لا يؤمن الا باله المصلحة الى خيبة رجائهم فى رفع الانجليز عنهم ما منه يشكون . وقال آخرون دون ذلك فى سطة الحلال ، وان كانوا مثلهم فى ضلال الرأى ، ان القبطى ذا الدهاء سلك مع المسلمين سبيل الحكمة صوتا لعنقه ، وقال القاضى « ماك بارنت » أمامى فى معرض الكلام عن حوادث أسيوط أنه أصبح لا يعطف على بنى القبط ، وأنهم يستأهلون ما سيجره عليهم الأمر الذى كانوا له ساعين . قال ذلك وأنه فيما قال لمن الحاطين وليت شعرى أيجهل القاضى « ماك بارنت » أن الأقباط هم من بنى الانسان وأن غريزة الوطنية فيهم لا بد من أن تجدها لها مخرجا يظهر منه وجودها وبه تستبين ، وإذا كان الأقباط ليسوا انجليزا مثله فلا مفر من أن تصبح وطنيتهم بالقومية المصرية كاسية .

[٣٢٧]

« قيل هذا كله وقيل سواء وجميع ما قيل فى الضلال والبعد عن الحقيقة سواء . لقد دخل الأقباط فى الحركة عند أول عهدها ، لما لم يكن من خطر على الأعناق وانى لأعلم علم اليقين أن نفرا منهم كانوا من بين أول المناهضين لها . ان أهل الرأى فيهم لا يقلون فى حماستهم عن اخوانهم المسلمين ، وان صبغة الروح لدى العنصرين واحدة فى الوطنية الصادقة انى أذكر ذلك وفى قلبى مرارة من التكلم عن الأقباط والمسلمين كأنهما فريقان قسمتهما السياسة . ان اختلاف الدين لا يجوز أبدا أن يغير شطر الوجهة السياسية فى أمة اتحدت لديها القومية والجنس واللغة وعهود التاريخ والعادات . وانى لأشعر بأن الوقت قد قرب أو حان عندما يعرف بيننا الا كلمة مصرى ، ولا يذكر المسلم والقبطى الا فى دور العبادة . على أنه فى أوروبا وأمريكا قد اقتربت الساعة التى لا يكون اختلاف الدين فيها حتى داخل دور العبادة الا اختلافا فى التعبير وتصبح عبادة مبدع الكائنات مناجاة روحانية وخلوصا للذات الصمدانية .

سياسيتها مساوت على نحو غير الذى صار ، وتمشحت مع الكمال الذى تعرفه ، ووفت لنا بعهدا أن تتركنا أحرارا اذا ما قويت أرجلنا على حملنا ، لو أنها فعلت ذلك لكسبت قلوبنا أبد الأبدى .

« واذا كانت أربعون حجة قضيناها تحت الحكم البريطانى لم تكف لتقوية أرجلنا على حملنا فهل من عجب اذا تطلب المصريون عهدا فى الحكم غير الذى كان ؟ هذا ما يقوله أهل الجدل ولكن الواقع أن مصر قد بلغت من المدنية منزلة لا تتفق الا مع الحرية والاستقلال . وهى فى ذلك لا تقل عن كثير من الأمم التى سلفت انجلترا غير مرة من أجل تحريرها دم أعز أبنائها . »

[٢٢٥]

« ومع هذا فان خير ميزان يعرف منه أننا جديرون بالاستقلال أننا نطالب به . ان هذا القول ليس من عندى بل هو اقتباسى لقول كبير من أعيان كتاب الانجليز ، اذ قال « ان مقياس استعداد الأمم للدستور هو مطالبتها به » فهاكم المصريين على بكرة أبيهم قد توافقوا من غير أدنى ريب على طلب الحرية والاستقلال باجماع لم يعهد التاريخ مثله . وانى لأكره أن تكون هذه النقطة محلا للأخذ والرد لا سيما وانى أشعر بموافقتكم اياى على أن الحركة لا ترجع الى تهيج أو ارهاب بل انها حركة فجائية لا قبل لأحد على رفعها ، قامت فى نفس أمة أفادت الى شخصيتها وأشرقت عليها شمس قوميتها . »

« واليكم دليلا آخر ان كان ثمة من حاجة الى دليل ، على سلامة الحركة وصدقها ، وهو أنه لا يوجد فيها على الإطلاق أى أثر للتعصب الجنسى أو التعصب الدينى الذى سبقته منى الإشارة اليه ، وليسست مذبة الأرمن الا حديث خرافة ، ففى كل الأحوال التى لم يستفز أحد فيها الغوغاء (ولقد أتيج لى أن أرى بعينى رأسى بعض ذلك الاستفزاز ، وكان أبعد ما يكون عن العقل وأقربه للجنون) ، كانت مظاهراتها بصفة عامة مثالا للهدوء وسلامة القلب . »

« ان الغوغاء فى مصر أسلم ما يكون قلبا وهى على عهد ما كانت أيام هيرودوتس من انبساط النفس ورهزة السرور ، ولقد عنيت بتعرف مقدار ما وصل اليه القوم من حد التسامح الغريب فرأيت ما أستطيع أن أقرر معه بجهد اليمين أن هذا الشعور الذى هو بشرى النهضة الوطنية ليس منحصر فى الفئة المتعلمة بل انه أكثر ظهورا فى الغوغاء التى رأيت لها بنفسى مواقف يطرب لها القلب الظهور . »

المتأني أظهر أنواع الوطنية أو مشاعر القومية الحالية من شوائب الدين أو المؤثرات الخارجية وإفنى لثابت اليقين في أن ما سيسجله التاريخ من مميزات هذا القرن كمنهجيتين ملموستين لهذه الحرب هيا : الثورة الروسية بصورتها التي في نفس الجماعة في روسيا ، والثورة المصرية بصورتها التي أعلنتها الجماعة في مصر . أما الفظائع البولشفية فيلوح لي رجحان رجوعي الى رد الفعل الناتج من ظهور مذاهب جديدة في المنظمات القائمة التي تار القوم عليها على رجوعها الى هدم المبادئ المعروفة .

« وليست ثورتنا - تلك الثورة التي حازت فخار هذا الاسم بتولى الجماعة عندنا الحركة الفكرية - بعيدة المرامي الى هذا الحد في ميدان الأفكار ولكنها مع هذا أشد ما يكون أثرا في العالم الشرقي وخلق بأن عصورنا القديمة مهد المدنية يكون لها المكان الأول بين أمم الشرق في تقبل ونشر الأفكار التي كانت أرضنا أول ما غرست فيه وماؤنا أول ما ارتوت منه .

[٣٢٤] « ان صيحة الحرية تلك الصيحة القديمة في عهدنا والحديثة قد عادت ترن في أجواء وادي النيل ، وتلك الشعلة التي لم يفلح استبداد القرون الطاحن في اطفائها لا يزال بصيصها في قلوب الرجال منا ، بل والنساء ، وان الحكم المنصف الذي أتيح له أن يرقب عن كنب مظاهراتنا لابد وأن يكون شعر بعظم قوة الكمال الذي سبج بجماعتنا في ملكوت لم يسبق لأحد أن يردده أو يعلم بوجوده .

« أربعون يوما في هذا الخيال الصافي قد تغير بها وجه الأمة الى حد كبير تنكرت به عن عارفيها . وكان من ذلك أن انمحي عنها وصمتا الشرق الكبيرتين : التعصب للدين والتعصب على النساء . وتم لنا ما عجزت أربعون حجة (*) من الخير المادي عن الاتيان به وليس هذا مما يفض من قيمة ذلك الخير ولكن البلاد وصلت في تقدمها الى منزلة لا يمكن معها رفعها الى مكان أسمى في المدنية والرقى الا بفعل محرك أدبي من الحرية والقومية .

« اننا الآن نجتاز سبيلا في حياتنا السياسية قد اجتازته من قبلنا أمم أوروبا السعيدة ، واننا نشعر ببلوغنا منزلة من الرشد لا تعودنا فيها يد من الخارج بل وإن تلك اليد قد تعرض تقدمنا الى الغاية الوطنية التي نحن اليها سائرون .

« لا تظنوا أننا نحقد على انجلترا تلك الأمة التي لها في التاريخ من مبادئ الحرية ما كان يستهدى به الشرق على ممر الأحقاب ولو أن

(*) حقة .

« سيدى العزيز »

[٢٢٢]

« انى أشعر أن لكم على حق استعصاح ما قد يكون خافيا عليكم من امرى فلقد وقتت على عدد غير قليل من التصريحات التى ترمى الى الاعتراف باستقلال مصر ، واشتركت مرتين فى الاضراب عن العمل ، فمستولية وظيفتى ككاتب أسراركم تضعنى فى مركز دقيق ان لم أقل فى مركز كريبه على أننى فيما صدر منى انيا كنت تحت تأثير عاملين :

أولهما : أن واجباتى كمصرى تختلف اختلافا بينا عن واجباتى كموظف وأنه لا يوجد بين هذه وتلك أى تعارض .

ثانيهما : ان دقة مركزى قد خفت عنها كثيرا هذه الصفة بسعة الفكر المعروفة فى ذلك الانجليزى الحر الذى تربطنى به أواصر العمل المصلحى . وفوق هذا فانه يجدر بى نظرا للحالة الاستثنائية التى نمر بها أن أحيطكم علما بأرائى السياسية ، لا سيما واننى أعتقد بدعوة الوطن لنا فى هذه البرهة (١) الخطيرة من حياتنا القومية ألا ندع فرصة تمر من غير ايضاح الوجهة الوطنية لكل من تدفعه عوامل الانسانية الى حب الخير لهذه البلاد .

« ان رأيى السياسى هو رأى الجماعة « مصر للمصريين » وحرية بلادى واستقلالها والسلام وحب الخير للناس أجمعين . وأن المناهج السياسية التى يعنى بوضعها لهذه البلاد لثمة تعتور جمالها الرائع فى شرفه وفى بساطته .

[٢٢٣]

« لا جرم أن المناهج والضمانات وما نصطلح عليه حلا للاشكالات التى تقع بين الأمم هى أمور لازمة فى هذا العالم الغالب فيه شأن ما هو واقع على كل شأن آخر ، ولكن ليس فى هذا ما يعدل الكمال ذلك العامل الكريم الذى يهتز لجلاله القلب الانسانى .

« وانه لمن الحق الصراح أن ليس من نهضات انسانية يستظهر بها عهد تاريخى كان المحرك لها حقائق مشطورة ، أو قنعت بالسير عوضا عن الكثير بل ان العامل الفعال فيها جميعا كان ذلك الكمال الذى تنشده الجماعة ، الجماعة التى تنبذ بطبعها كل ما كان معقدا ، والتى لا تتردد فى الاندفاع بهذه الطاقة سعيا وراء ما قد يأتى به جهد الطساقة من جلال الكمال .

« ان أظهر ما فى هذه الحرب الضروس أنها كشفت عن مذهب فى الكمال أخذ فى أوروبا شكل نهضة للاشتراكية المتطرفة ، وفى الشرق

(١) فى الترجمة « البرهة » وأن كان الفضل « اللحظة »

هو معطى لى من السلطة بصفتى الجنرال القائد العام لقوات جلالة الملك فى مصر أصدر أمرى هنا الآن الى جميع موظفى الحكومة ومستخدميها الذين غابوا عن مراكزهم بدون اذن ليعودوا الى مراكزهم فى المواعيد المعينة ويؤدوا الواجبات المطلوبة منهم بالدقة .

« والمدة التى غابوا فيها عن مراكزهم بدون اذن لا ية'ضون عنها راتباً وكل موظف أو مستخدم لا يعود الى مقر شغله فى اليوم التالى لتاريخ هذا المنشور ويؤدى بعد ذلك الواجبات المطلوبة منه بالدقة يعد من كل وجه مستعفياً ويحذف اسمه من كشف موظفى الحكومة .

« وكل شخص بطريق الاقناع أو التهديد أو استعمال القوة بمنع أو يحاول أن يمنع أى شخص من القيام بأمرى هذا يلقي القبض عليه ويحاكم بمجلس عسكرى » .

مذكرة الاستاذ مكرم عبيد الى المستشار القضائى

[٣٢١]

كان الاستاذ مكرم عبيد (١) سكرتير المستشار القضائى فى هذا الوقت ضمن الموظفين الذين ضربوا عن تأدية وظائفهم فلما عاد حضرته مع الموظفين بعد هذا الاضراب ، قدم المذكرة الآتية باللغة الانجليزية الى جناب المستشار القضائى وقد نقلها الى اللغة العربية حضرة محمد لبيب عطية بك سكرتير عام النيابة العمومية (وقتئذ) والمذكرة فى غير حاجة الى مقدمة اذ هى غنية بما حوته من آيات الوطنية الصادقة واليك ترجمتها .

(١) ولد عام ١٨٨٩ ، وكان تلميذا نابها فى مراحل التعليم الأولى ، نال اجازة القانون من جامعة أكسفورد ، حصل على الدكتوراه الفرنسية فى القانون ، بدأ حياته الوظيفية سنة ١٩١٣ حينما عمل سكرتيراً للجريدة الرسمية بوزارة المالية ، انضم الى الوفد وسافر الى لندن للدعاية لصر فى أثناء مفاوضات عدل ، وفى مع سعد فى جزيرة 'سيشل' ، ثم عاد الى مصر فى يونيو ١٩٢٣ ، واصططح سعد فى مفاوضاته عام ١٩٢٤ مع رمزى مكدونالد . اعتقل عام ١٩٢٤ عقب اغتيال السردار بتهمة التحريض ، وأطلق سراحه لعدم ثبوت الأدلة ضده ، انتخب سكرتيراً للوفد فى أكتوبر ١٩٢٧ ، وعرف بين الزغلوليين باسم « ابن سعد » ، تولى وزارة المواصلات فى وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ ، ثم وزيراً للمالية فى وزارة ١٩٣٠ ، وانتخب نقيباً للمحامين الأهلين سنة ١٩٣٣ وأعيد انتخابه فى العام التالى ، انشق على النحاس بعد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ وأصدر الكتاب الأسود الذى هاجمه فيه . د. يوان لبيب رزق : الوفد والكتاب الأسود ، مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٨ . ص ٣٤ - ٣٧ .

ثالثا : توجيه النظر الى ضرورة الافراج عن الموظفين الذين اعتقلوا
وعادة الذين منعوا عن أعمالهم الى وظائفهم .

• فليحى الوطن وليحى الاستقلال التام » .

التوقيعات

ويل ذلك امضاءات الغالبية العظمى لحضرات مندوبى لجنة الموظفين
وعدها أربعون توقيعاً .

عودة المحامين الى أعمالهم

[٣١٨]

وكذلك استأنف حضرات المحامين أعمالهم فى يوم ٢٣ أبريل
المذكور .

منشور اللورد اللبى

أما منشور اللبى الذى أُنذر فيه الموظفين بالعقاب الصارم ان هم
استمروا فى الاضراب ووردت الاشارة اليه فيها هو وقد نشر فى وقت
واحد مع قرار الأعضاء العشرة من لجنة مندوبى الموظفين :

« حيث أنه بموجب منشور ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ قد أعلن أن
البلاد المصرية قد وضعت تحت الأحكام العرفية لأجل تعضيد وليس
لأجل إلغاء الادارة الملكية . وقد فرض على جميع الموظفين الملكيين فى خدمة
الحكومة المصرية أن يستمروا فى تأدية واجباتهم المبوعة بكل دقة .

[٣١٩]

« وحيث أن عددا من الموظفين من المستخدمين قد هجروا حديثا
مراكزهم وظهر صريحا أنهم فعلوا ذلك بقصد املاء خطة سياسية لحكومة
عظيمة السلطان ورفض الحماية التى وضعتها حكومة جلالة الملك على
مصر .

« وحيث أن أكثر هؤلاء الموظفين والمستخدمين قد رفضوا العودة
الى أشغالهم لما نذبههم الى ذلك حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

« وحيث أن كل موظف أو مستخدم يوجب عمدا عن مقر وظيفته فى
الظروف المبينة أعلاه يرتكب جرما ضد المنشور السالف الذكر ، وكل
منحط ينشئ أو يقود هذه الحركة أو يمنع الموظفين أو المستخدمين بالتهديد
أو بالقوة من تأدية أشغالهم يقع تحت طائلة القصاص الشديد بموجب
الأحكام العرفية .

[٣٢٠]

« وحيث أنه قد آن الوقت الآن لتدخل السلطة العسكرية فى هذا
الأمر تأييدا للادارة الملكية فاننى أنا ادمند هنرى هيمن اللبى بما

وقد اجتمعت لجنة مندوبى الموظفين فى يوم ٢٥ أبريل وقررت الموافقة على قرار الأعضاء العشرة . وهذا نص قرارها :

« قرار »

من لجنة مندوبى موظفى وزارات الحكومة ومصالحها

[٣١٧]

اجتمعت لجنة مندوبى موظفى وزارات الحكومة ومصالحها فى وزارة الحقانية الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ ابريل ١٩١٩ .

وبعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذى عقده عشرة من أعضاء اللجنة بصفة مستعجلة فى الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ من مساء الاثنين ٢١ ابريل الحاضر عقب استقالة الوزارة الرشدية الذى رأوا فيه دعوة الموظفين الى العودة الى أعمالهم .

« وبما أن هذه الدعوة لم يتيسر لعدد من الموظفين العلم بها كما أنه لم يتيسر لهم التحقق من الاستقالة التى كانت دون سواها السبب فى الدعوة الى العودة لا سيما وأن قبول الاستقالة لم ينشر الا بعد ظهر الأربعاء (٢٣ ابريل الحاضر) وبما أنه ترتب على كل ذلك تخلف الكثيرين من هؤلاء الموظفين عن العودة الى أعمالهم ولا يزال بعضهم متخلفاً .

« وبما أن الطلبات التى طلبها الموظفون تأييدا للقضية الوطنية وأضربوا من أجلها اضراباً عاماً وأقرتهم عليهم الأمة ممثلة بجميع طبقاتها اقراراً تاماً انما طلبت من الوزارة الرشدية . فلما لم تستطع تلك الوزارة اجابتها بعد أن سلمت بصحتها استقالت .

« وبما أن الاستقالة فى هذه الحالة هى فى حكم الاجابة .

فلذلك قررت اللجنة بالاجماع ما يأتى :

« أولاً : اقرار الدعوى التى صدرت من الأعضاء العشرة المشار اليهم بالعودة الى عمل واعتبارها قراراً صادراً من اللجنة بأجمعها .

« ثانياً : الاحتجاج الشديد على ما بدا من عدد من الموظفين الانجليز فى بعض المصالح من الاضطهاد وسوء المعاملة لبعض الموظفين المصريين الذين عادوا الى أعمالهم ومذكير هؤلاء الموظفين الانجليز بأنهم رغم جنسيتهم موظفون فى الحكومة المصرية فلا يسوغ لهم استخدام مراكزهم الرئيسية للانتقام من الموظفين المصريين الذين أقرت الحكومة المشار اليها رسمياً بأن اضرابهم كان لتأييد المطالب القومية .

قبول الاستقالة

وفي ٢٢ أبريل تلقى رشدي من عظمة السلطان كتابا بقبول استقالته هذا نصه :

« عزيزي رشدي باشا : [٣١٥]

« ان اضطرار دولتكم للاستقالة بناء على عدم مساعدة حالتكم الصحية للقيام بأعباء مهمتكم كما ورد بكتابتكم المرفوع الينا بتاريخ ٢١ أبريل ١٩١٩ قد استلزم مزيد الأسف لدينا وقد أصدرت أمرى هذا لدولتكم شاكرا لكم ولحضرات زملائكم الهم الصادقة التي بذلتوها في سبيل مهمتكم .

« وأسأل الله أن يمن عليكم بالصحة والعافية من فضله وكرمه » .

الامضاء

فؤاد

قصر البستان ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩

عودة الموظفين الى أعمالهم

[٣١٦]

لما ذاع نبا استقالة وزارة رشدي باشا اجتمع عشرة من أعضاء لجنة مندوبى الموظفين بصفة مستعجلة فى منتصف ليل ٢١ أبريل وقرروا عودة جميع الموظفين الى أعمالهم لأنهم اعتبروا أن فى استقالة الوزارة ترضية للموظفين فى مطالبهم .

وقد نشر قرار الأعضاء العشرة ومنشور للنبي فى وقت واحد ، فعاد الموظفون الى أعمالهم فى يوم ٢٣ أبريل وامتنع عدد قليل منهم عن ذلك خشية أن يتسرب الى الأذهان أنهم قد عادوا خوفا من تهديد للنبي ووعيده . فقبض على البعض منهم كما منع البعض الآخر من استئناف أعمالهم فيما بعد (١) .

(١) تقول الوثائق البريطانية الكثير عن قضية انهاء اضراب الموظفين ، ذلك ان اللجنة المنظمة للاضراب كانت قد قررت يوم ٢١ ابريل انتظار رد من رشدي باشا على طلبها باعتبار زغلول ممثلا للأمة ، غير أنه فى اليوم التالى أصبح معلوما أن المندوب السامى مدد من يعود منهم الى عمله بالفصل فبدأت عودتهم محدودة (٤٪ من موظفى وزارة المالية ، ١٦٪ بوزارة الأشغال ، ١٨٪ بوزارة الداخلية) ، وفى ٢٣ عادت غالبية هؤلاء ولم تستمر ظاهرة الغياب الا فى وزارة الأشغال العمومية (٣٣٪) ووزارتى المعارف والأوقاف (٢٨٪) ، وفى يوم ٢٤ تم اعتقال سبعة من اللجنة المنظمة للاضراب كان ستة منهم من موظفى وزارة المعارف .

القاهرة فأخمدته رجال الحرس فى الحال ولم يتمكن أحد من المجرمين من الهرب .

وأبلغ بوليس القاهرة أنه تحقق وقوع أربع حوادث من الحوادث القديمة ولم تقع أية خسارة فى المدينة (القاهرة) منذ ثلاثة أيام .

تهنئة المسلمين للمسيحيين بعيد الفصح

[٣١٣]

كان يوم ٢٠ ابريل هو الموافق لعيد الفصح عند الطوائف المسيحية ولكنه انقلب فى هذا اليوم الى عيد قومي عام ظهر فيه التضامن بأجلى مظاهره فقد ذهبت وفود المسلمين الى دار بطريركية الأقباط الأرثوذكس والبطريركية المارونية مهئين اخوانهم الأقباط بعيدهم وهناك خطب الخطباء من العنصرين فأكدوا بذلك روابط المودة والاخاء بينهم .

وفى ٢٤ ابريل ذهب وفد من السيدات القبطيات الى مسجد السيدة زينب حيث كان فى انتظارهن فريق من السيدات المسلمات وقد ذهب أولئك لرد التهنئة لهؤلاء فكان ذلك حادثا فذا فى التاريخ .

استقالة وزارة رشدى باشا الأخيرة

[٣١٣]

لما أحسست وزارة رشدى باشا بحرج مركزها لأنها لم توفق فى اقناع الموظفين بالعدول عن مطالبهم ، ولم تستطع كذلك تهدئة تلك العاصفة التى هبت من جديد . لما أحسست بثقل مأمورياتها لم تر بدا من ترك منصبها . وهاك نص كتاب الاستقالة الذى رفعه رشدى باشا لعظمة السلطان فى ٢١ ابريل ١٩١٩ .

استقالة الوزارة الرشدية

[٣١٤]

« يا صاحب العظمة :

« ان حالتى الصحية الآن لا تمكننى من القيام بأعباء مهمتى ، لذلك أرائنى مضطرا الى تقديم استقالتى .

« وانى أرفع لعظمتكم خالص الشكر على التعطف والمعاونة اللذين لقيتهما على الدوام من جانب سدتكم العلية .

وانى لعظمتكم العبد الخاضع الأمين والخدام المخلص المطيع » .
الامضاء

حسين رشدى

القاهرة فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩

« ١ - اتصل بعلم ولاية الأمور أن بعض الأشخاص ألفوا جمعيات للسعي في أن يفرضوا على سكان القطر المصري دفع أموال غير قانونية وغير مصرح بها . »

« ٢ - ان فرض هذه الأموال ينقض السلطة القانونية للحكومة ويلقى عبثا ثقيل لا مسوغ له على عاتق الشعب ، الذي يجب على ولاية الأمور أن يحموه من ذلك . »

« ٣ - يحظر كل اشتراك في حركة كهذه وكذلك حيازة الأموال التي تجمع في سبيل هذه الغاية ، وكذلك التبرع الاختياري بمال كهذا ، أو لاي مال يجمع تأييدا لفرض غير قانوني . »

« ٤ - كل من يخالف هذه الأمور يكون عرضة للقبض عليه والمحاكمة بمقتضى الأحكام العرفية والأموال التي تجمع مخالفة هذا الأمر تكون عرضة لمصادرتها (١) . »

ادوارد بلفن
لفتنت جنرال القائه في القطر المصري

وفي ١٩ أبريل نشر البلاغ الرسمي الآتي :

بلاغ رسمي

القاهرة في ١٩ أبريل سنة ١٩١٩

[٣١١]

- « لا تزال الدوريات تزور جميع المراكز المتطرفة في الدلتا . »
- « ولم ترد أنباء عن وقوع قلاقل جديدة . »

« أما في الوجه القبلي فقد أنشأ الماجور جنرال السرجون شي مركز قيادته في أسوان . وقد جمع عدد من الأسلحة من فزاره ومساره وبني حرام والمندرة في جوار ديروط . »

« وقبض في الفيوم والواسطي على أشخاص كانت لهم يد في القلاقل الأخيرة وعلى غيرهم من المتهمين بارهاب مستخدمي الحكومة . »

« وفي ١٧ الجاري وقع اضطراب في سجن أبي زعبل في جوار

(١) ادعى البريطانيون في وثائقهم أنه كانت هناك جمعيات سرية مثل جمعية اليد السوداء تحصل على تبرعات من المصريين ، بل من الأوربيين أحيانا ، بوسائل الابتزاز والتهديد .

بلاغ رسمي

القاهرة في ١٧ أبريل ١٩١٩

[٣٠٨]

« محاكمة مرتكبي النهب »

« ثبتت الجريمة على أربعة من زعماء أعمال النهب التي وقعت في
أبنية مصلحة الدومين في سخا (١) يوم ٢٢ مارس سنة ١٩١٩ فحوكموا
أمام محكمة عسكرية عقدت في طنطا في يومي ٥ و ٦ أبريل وقد حكم
عليهم بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة . وقد أيدت هذه
الأحكام :

« أما أسماؤهم فهي :

« غازي مرجان

« عبد القادر حسن

« محمد السوداني

« صالح البربري » .

عرقلة المساعي في جمع التبرعات للوفد

[٣٠٩]

كانت اللجنة المركزية في هذا الوقت دائبة الحركة دائمة النشاط
في جمع التبرعات للوفد المصري ، وكان الناس يقبلون على هذه التبرعات
اقبالا منقطع النظير ، ولقد تألفت في البلاد لجان لجمعها ، فانهاالت على
اللجنة المركزية أموال طائلة .

ولكن السلطة التي لم تفتأ تعرقل أعمال الوفد ومساعيه أصدرت
الأمر الآتي موقعا عليه من القائد العام للجيش البريطاني بمصر ، واليك
نصه :

أمر بمقتضى الأحكام العرفية

القاهرة في ١٨ أبريل ١٩١٩

[٣١٠]

« آتت بمقتضى السلطة الممنوحة لي لتطبيق الأحكام العرفية أمر

بما يأتي :

(١) سخا الواقعة في محافظة كفر الشيخ الآن ، كانت وقتذاك تابعة لمحافظة الغربية ،
وقد أدت أعمال الثورة فيها الى محاصرتها هي ومدينة كفر الشيخ من قبل القوات البريطانية
 واعتقال عدد كبير من أبنائها ، F.O. 407/184, No. 115 .

بلاغ رسمي

القاهرة في ١٧ أبريل سنة ١٩١٩

[٣٠٦]

السفر من القاهرة

بطريق السكة الحديدية

« يلغى الاعلان الذي ظهر في الصحف يوم ٨ أبريل سنة ١٩١٩ »
 « ليكن في علم الجمهور أنه نظرا لاستمرار اعتصام مستخدمي
 السكة الحديدية قد حددت الأماكن الخاصة بالركاب أكثر من أي تحديد
 وضع حتى الآن وبناء عليه لا يسمح بالسفر الا لطالبيه من الطبقات
 التالية على شرط أن تكون هناك أماكن خالية لهم . وهي :
 « أولا : الأشخاص الذين يريدون السفر الى أية محطة مفتوحة
 للسفر وكانوا :

(أ) من الأشخاص الذين يسافرون لأعمال تتعلق بالسلطة
 العسكرية .

(ب) أو من مستخدمي الحكومة المسافرين لأعمال ضرورية وكانوا
 يحملون تفويضا مكتوبا من أكبر موظف بريطاني في
 مصلحتهم .

(ج) أو من الأشخاص الذين يعاملون معاملة استثنائية نظرا لضرورة
 مطالبهم الشديدة .

« ثانيا : الأشخاص المسافرين الى إحدى الموانئ للسفر وكانوا يحملون
 جوازا بمغادرة البلاد ، وسيبذل السعي بقدر الامكان لاجابة الطلب في
 هذه الأحوال .

[٣٠٧]

أما الأشخاص الذين يحملون جوازا بمغادرة البلاد أو الذين
 منحوا تذكرة مرور في منطقة القنال (وفي كلتا الحالتين يجب تقديم
 الطلبات الى قلم الرخص والجوازات المؤقت ببوليس القاهرة بشارع
 المغربى مقابل نادى ترف) . فليسوا في حاجة الى جواز بالسفر بالسكة
 الحديدية .

« وعلى جميع الأشخاص الآخرين الذين يريدون السفر بالسكة
 الحديدية أن يقدموا طلباتهم الى قلم جوازات السكة الحديدية بمحطة مصر ،
 لا الى قلم الرخص والجوازات ببوليس القاهرة » .

محاكمة المتهمين بالنهب

وفي يوم ١٧ أبريل أيضا صدر بلاغ رسمي بشأن محاكمة بعض
 الأهالى المتهمين بالنهب هذا نصه :

٢٥٨

فتأليف هذه الفرقة وما يماثلها من الفرق محظور وكل من يعثر عليه مرتديا شارة هذه الفرقة أو سواها من الفرق التي تماثلها بعد الساعة السادسة من صباح غد ١٨ أبريل يقبض عليه ويحاكم بمقتضى الأحكام العرفية .

ش.و. هورتن لفتنانت كولونيل
مساعد ادجوتانت وكوارترماستر جنرال مصر

بلاغ رسمي

وفى يوم ١٧ ابريل سنة ١٩١٩ صدر بلاغ رسمى هذا نصه :
القاهرة فى ١٧ أبريل ١٩١٩

[٣٠٥]

« التجأ أكثر من ستمائة من الأرمن فى الاسكندرية الى كنيسة الأرمن .

« وأثبت بوليس القاهرة وقوع أربع حوادث من حوادث القاء حامض الكبريتيك حتى ظهر أمس فصار مجموع هذه الحوادث ٢٣ . ولم يصل خبر وقوع حوادث القاء حامض الكبريتيك ولا أية خسارة من أى نوع من ذلك الوقت ظهر اليوم .

« ووجدت ثمان جثث من جثث المجرمين الذين هربوا أخيرا من سجن طرة غارقة فى النيل . وقد قبض فى طوخ على زعيم الفتنة وقتل مجرم آخر أثناء مقاومته القبض عليه . ووجد مجرمان آخران مريضين وهما الآن فى المستشفى .

« قبض على أربعة من زعماء الاضطرابات التى وقعت فى السويس ، وأبلغ خبرها أمس .

« ولا يزال اضراب مستخدمى السكك الحديدية فى القاهرة وبعض جهات الأقاليم مستمرا والسبب الأكبر فى ذلك أعمال الارهاب التى يقوم بها المعارضون السياسيون . وقد وقفت حركة النقل الخاصة بحاجات الملكيين .

« وفتحت المدارس واشتغلت مكاتب الحكومة كالعادة فى جهات أخرى وذلك بعد وصول الجنود .

بلاغ رسمي

وكذلك صدر البلاغ الرسمى الآتى بخصوص السفر من القاهرة بطريق السكة الحديد وهو :

مذكرات - ٢٥٧

وهكذا أصبحت المدينة وكان أهلها قد رحلوا عنها فووقت الحركة تماما وانقطعت المواصلات . حتى الكناسين فانهم تضامنوا كذلك في حركة الاضراب . فاستعاضت الحكومة عنهم بالمساجين كما استعاضت عن سائقي عربات الرش ببعض العساكر الهنود ، وكان الجميع تحت حراسة الجنود الانجليزية .

ولما طال الأمر والموظفون والعمال على موقفهم هذا لم يتزحزحوا عنه . تدخل بعض معتمدى الدول الأجنبية ، وأنذروا مصلحة البريد بإنشاء مكاتب بريد خاصة لحكوماتهم ورعاياهم اذا استمر اضراب موظفي مصلحة البريد .

تأليف بوليس من الطلبة

[٣٠٣]

أعلن الطلبة فى ١٦ أبريل أنهم ألفوا بوليساً منهم للمحافظة على النظام فى المظاهرات (١) حتى لا يكون للانجليز وجه للتدخل بينهم ولكن هذه الفكرة لم تحز قبولا لدى المندوب السامى بالرغم من أن هذا البوليس لم يكن يحمل سلاحا ، فأصدر فى ١٧ أبريل أمرا هذا نصه :

أمر بمقتضى الأحكام العرفية

[٣٠٤]

القاهرة فى ١٧ أبريل ١٩١٩

« يأمر القائد العام فى القطر المصرى بما له من السلطة الممنوحة لتطبيق الأحكام العرفية بما يأتى : -

« علم ولاية الأمور أنه أنشئت جمعية باسم جمعية البوليس الوطنى غرضها الظاهر صون القانون وحفظ النظام .

« وقد وزعت هذه الجمعية على أعضائها شارة يلبسونها ونظمتهم على هيئة قوة بوليس .

« وإذا كان من واجب كل وطنى معاونة البوليس فى تأييد النظام ، فإن جمعية كالجمعية التى تقدم ذكرها لا يمكن أن يسمح بها .

(١) يقول اللبى عن هذا الموضوع أن الأزهرين عرضوا تقديم الدون للبوليس فى الحفاظ على النظام ، وأنهم اقترحوا تشكيل فرق تسمى البوليس الوطنى لمدينة القاهرة وأن بعضا من هؤلاء قد ظهروا فى شوارع المدينة وقد ارتدوا شارات مميزة على أذرعتهم إلا أنه أصدر الأوامر بمنع ذلك واعتقال أى شخص من هؤلاء .

« وحيث أنه بعد ذلك لا يجوز لأى شخص أو أشخاص أن ينشقوا على مجموع الأمة بتأليف وفد آخر بجانب الوفد الأول لما فى ذلك من الاضرار بمصلحة الوطن والتشويش على أعمال الوفد المصرى والتأثير السىء على القضية المصرية أمام الرأى العام فى أوربا .

لذلك

« نقرر بالاجماع نحن المحامين :

أولا : بأن الوفد المؤلف تحت رئاسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا هو الذى يمثل الأمة تمثيلا صحيحا وهو وحده الوكيل عنها فيما عهدت به اليه .

ثانيا : ابلاغ هذا القرار الى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء والى اللجنة الممثلة للوفد المصرى بالقاهرة والى معتمدى الدول الأجنبية فيها « (١) .

التوقيعات

ويل ذلك توقيعات حضرات المحامين وعددها ٩٧ توقيعاً .

[٣٠١]

عقد مؤتمر عام

[٣٠٢]

لما رأى المحتلون من الموظفين جلال هذا التضامن البديع أرادوا أن يظهروا للملا أن هذه المطالب لا تعبر عن رغبات الأمة فنفتت أبواقهم هذه المزامع الحاطئة . وكان رد الموظفين على ذلك أن دعوا الى عقد اجتماع عام تمثل فيه جميع طبقات الأمة وقد اختاروا لعقد هذا الاجتماع الأزهر الشريف لأنه المكان الوحيد، الذى يتسع لمثل هذا الجمع الكبير .

وفى يوم ١٦ أبريل أضرب جميع أصحاب الحرف والمهن ، وكان لكل طائفة منهم من يمثلهم فى هذا الاجتماع العظيم .

وقد تم اجتماعهم فى هذا اليوم ورأس المؤتمر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت . وبعد اللقاء الخطب المناسبة قرر المجتمعون جميعاً تأييد الموظفين فى طلباتهم . كما قرروا جميعاً الاضراب عن تأدية أعمالهم حتى تجاب تلك المطالب وقد أبلغوا قراراتهم هذه الى الوزارة ومعتمدى الدول والقناصل .

(١) يرد المحامون بذلك على المحاولات التى كانت تبذلها وقتذاك بعض دوائر الحزب الوطنى بمساندة من بعض امراء الاسرة المالكة لتشكيل وفد من رجالات هذا الحزب .

بسبب ضربة والخمس الأخرى بواسطة المعتصمين من عمال الترامواي ،
وقد أحدثوها بواسطة حامض النيتريك أما الجرحى فجميعهم من المصريين •

« وتتخذ في الوجه القبلي التدابير اللازمة لمحاكمة زعماء القلاقل التي
وقعت في المنيا وزعماء حادثة الاعتداء على القطار في ديروط • وسيحاكم
المتهمون في الحادثة الأولى أمام محكمة عسكرية تعقد غدا •

بلاغ رسمي

[٢٩٩]

القاهرة في ١٥ أبريل ١٩١٩

أبلغ بوليس القاهرة أمس خبر وقوع ١١ حادثة بالقاء حامض
الكبريتيك • « وفيما عدا ذلك لم يقع شيء يذكر في القاهرة والأقاليم » •

قرار نقابة المحامين

في الحالة الحاضرة

ولقد انتهز حضرات المحامين فرصة سفر أعضاء الوفد فاجتمعوا بدار
النقابة يوم ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ وأصدروا ما يأتي :

نقابة المحامين

« انه في يوم ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ بمركز نقابة المحامين تحت
رئاسة حضرة محمد بك أبي شادي ، وقبيل انصرافه وبعده تحت
رئاسة حضرة أحمد بك رمزي اجتمعنا نحن الموقعين على هذا بناء على الدعوة
المنشورة بالصحف اليومية وقررنا ما يأتي :

[٣٠٠]

« حيث أن الوفد الذي تألف منذ أشهر تحت رئاسة حضرة صاحب
المعالي سعد زغلول باشا الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية للعمل على
اعتراف الدول باستقلال مصر (الوجه البحري والقبلي والسودان وشبه
جزيرة سيناء) استقلالا تاما قد أجمعت الأمة على توكيله وفي مقدمتها أعضاء
الهيئات النيابية المختلفة من جمعية تشريعية ومجالس ومديريات ومجالس
بلدية ومحلية وعلماء الدين ورؤساء الديانات ووجوه البلاد وأصحاب
المصالح فيها والأطباء والمحامون والموظفون والطلبة وجميع طبقات الأمة على
اختلاف أحزابها السياسية •

« وحيث أن هذا الوفد قد سافر فعلا الى أوروبا ليؤدي المهمة المبينة
في توكيله بعد أن نال ثقة الأمة التامة •

[٢٩٧]

بلاغ رسمي

القاهرة في ١٤ أبريل ١٩١٩

« أطلقت النيران في ليلة ١٢ الجاري على دورية من الجنود في صمط الملوك بمديرية البحيرة وقد قبض أخيرا على ١٥٣ شخصا .

« وحدث بعد ظهر يوم ١٢ الجاري اضطراب داخل سجن طرة فقد هجم المجرمون على رجال الحرس وخرجوا من السجن فأطلق رجال الحرس النيران فقتلوا عشرين وجرحوا ٤٤ شخصا (بالخرق الكبير) . وقد تمكن ١٠١ من المجرمين من الهرب . غرق منهم عدد كبير وهم يحاولون اجتياز النيل سباحة . وقد اتخذت التدابير اللازمة لارجاع الباقين الى السجن وقد قبض على بعض منهم .

« وفي ١١ الجاري قام أهالي قرية البهلول في جوار بني سويف بمظاهرة عداية ضد فصيلة صغيرة من الجنود ، وبناء عليه زارت الجنود المكان يوم ١٢ الجاري فأطلق القرويون النيران فأجابهم الجنود فقتل خمسة وجرح ثلاثة وقد أخذت الأسلحة التي كانت في القرية وقبض على أحد عشر شخصا .

« وفيما عدا ذلك سادت السكينة المديرية » .

« ولم يقع في القاهرة والاسكندرية قلاقل جديدة واكن حدثت بعض اعتداءات فردية على الأرمن وممتلكاتهم (١) .

« وحدث في الاسكندرية قلاقل بسيطة ضد اليهود بعد ظهر يوم ١٢ الجاري جرح في خلالها اثنان من اليهود .

« وقد نقل الجنود البريطانيون أكثر من ٤٥٠٠ من الأرمن في القاهرة الى أماكن أمينة .

[٢٩٨]

« وأبلغ بوليس القاهرة الخسارة الجديدة التالية بين الملكيين ، وقد عرفت في خلال الثمان والأربعين ساعة التي انتهت أمس الظهر ، وهي خمسة من الجرحى منهم اثنان اصابتهما قديمة لم تعرف من قبل .

« وأبلغ حتى ظهر اليوم خبر وقوع سست اصابات جديدة احداها

(١) يشير الجنرال اللبي في بوقية (١٣ أبريل) أن معظم أعمال العنف ضد الأرمن من أنصار تركيا الفتاة في مصر ، وأنه بالإضافة الى تدمير ممتلكات هؤلاء فقد قتل منهم ٢٩ في أحداث يوم ٩ أبريل وأن الأزهر والمحاميين الذين يتزعمون الثورة يبذلون جهودهم لطماننة هؤلاء وحمايتهم .

الاخلال بالأمن العام بتحريضهم على أعمال المشاغبة فى فليوب يوم ١٥ مارس وهم (١) :

- ١ - ابراهيم الأقطش .
- ٢ - عبد الفتاح أحمد عبد الرحمن .
- ٣ - عبد الحميد اسماعيل أبو زهرة .
- ٤ - عبد الرحمن ابراهيم عبد الدايم .
- ٥ - السيد أبو العز .
- ٦ - عبد الباقي على عبد الباقي .
- ٧ - امام على الشرشابى .
- ٨ - محمد حسين يونس .
- ٩ - حمزة أحمد هلال .
- ١٠ - حسين أحمد هلال .
- ١١ - يحيى مصطفى عبد المتواب .
- ١٢ - متبولى السيد أبو خود .

وقد تمت محاكمتهم يوم الجارى فبرأت المحكمة الثانى والثالث وحكمت على الأول بالحبس عشر سنوات مع الأشغال الشاقة وعلى كل من الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة . وعلى العاشر بالحبس خمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة . وعلى الثانى عشر بالحبس خمس سنوات مع الأشغال الشاقة .

« وأيد القائد العام فى منطقة القاهرة المحاكمة وعدل الحكم الصادر على الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فجعله ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة . »

« وثبتت التهمة فوق ذلك على محمد على قشقوش اذ وجدت لديه أشياء مسروقة فى فليوب يوم ١٥ مارس فحكم عليه بالجلد ٢٠ جلدة والحبس ١٢ شهرا مع الأشغال الشاقة . وقد أيد هذا الحكم أيضا ولكنه عدل الى ستة أشهر مع الشغل » .

[٢٩٦]

(١) يشير المستر شيتام القائم بأعمال المندوب السامى البريطانى فى برقية له الى وزارة الخارجية فى ١٥ مارس أن جمهورا كبيرا قد تجمع فى فليوب ووقفوا القطارات ودمروا الخط الحديدى وقطعوا خطوط التلغراف .

٥٤ عضوا وقد اجتمعت اللجنة في الحال وقررت استمرار الاضراب حتى
تجانب طلبات الموظفين جميعا (١) .

وهذا ما دعا مجلس الوزراء الى اصدار منشور ثان في ١٥ أبريل
هذا نصه :

[٢٩٤] « ان الحكومة تكرر الدعوة الى الموظفين بالرجوع الى عملهم غدا
الأربعاء وتلقى عليهم مسئولية عواقب الاستمرار على الاضراب عن
العمل .

رئيس مجلس الوزراء
« حسين رشدي »

القاهرة في ١٤ رجب سنة ١٣٣٧
١٥ أبريل سنة ١٩١٩

ولكن لم يكن هذا التهديد الذي حواه منشور مجلس الوزراء ليثنى
الموظفين عن عزيمتهم لذلك اجتمعت لجنة الموظفين في هذا اليوم وقررت
استمرار الاضراب والاحتجاج على تهديد الحكومة .

★ ★ ★

بلاغات رسمية

وقد نشرت في ١٤ ، ١٥ ابريل البلاغات الرسمية الآتية . والاول
خاص بمسألة محاكمة المشاغبين كما يقول البلاغ الرسمي :

بلاغ رسمي

[٢٩٥]

القاهرة في ١٤ ابريل سنة ١٩١٩

محاكمة المشاغبين

« حوكم الأشخاص التالية أسماؤهم أمام محكمة عسكرية عقدت في
القاهرة يوم ٣ ابريل والأيام التالية له وهم متهمون بأعمال الغرض منها

(١) يؤكد الجنرال اللنبي في تقريره عن أحداث يوم ١٣ فبراير أن الموظفين مروا
الاستمرار في اضرابهم وان كان قد لاحظ أن هناك بعض العناصر التي أسماها بالعناصر
المعتدلة كانت تفكر في العودة الى العمل .

ثالثا : إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود البريطانية من الشوارع .

ثم لم يقتصروا على ذلك بل راحوا يوقعون جميعا على صيغة التوكيل المعطى للوفد لأنهم لم يكونوا قد وقعوه بعد بسبب تهديد رؤسائهم .

وفى يوم ١١ ابريل استدعت الوزارة سبعة من أعضاء لجنة الموظفين، وناقشتهم طويلا فى طلباتهم وأخيرا قبلت بعض هذه الطلبات ثم كتبت منشورا رأت قبل اذاعته أن تعرضه على المندوب السامى فلم يوافق عليه ولذلك امتنعت الوزارة عن نشره .

ولما رأت الأمة أن طلبات الموظفين هذه تعبر عن رغباتها ذهبت الوفود الكثيرة الى دولة حسين رشدى باشا وأيدت الموظفين فى تلك الطلبات العادلة وهذا ما دعا الى استئناف المناقشة بين الوزارة وبين مندوبى لجنة الموظفين ولكن كل هذه المناقشات لم تجد نفعا لأن الموظفين تمسكوا بها ، فإذاع مجلس الوزراء المنشور الآتى فى ١٢ ابريل وهو :

[٢٩٣]

« الآن وقد رخص للمصريين بالسفر وتألفت وزارة شعاعها الاخلاص التام فى خدمة الوطن مشاطرة للأمة شعورها ومقدرة لأمانيتها حق قدرها ، فان الحكومة تدعو الأمة الى الهدوء والسكينة كما انها تدعو الموظفين وغيرهم ممن أضربوا عن العمل تأييدا للمطالب القومية الى العودة لأعمالهم .

« ان الاصرار على الاضراب عن العمل فى الحالة الحاضرة يؤدى الى ارتباك الأعمال وانتشار الفوضى ، فليتدبر المضربون عن العمل فى المسئولية الهائلة التى تقع عليهم بازاء بلادهم اذا ما أصرروا على موقف يعرض البلاد الى مثل تلك الأخطار .

« والحكومة على يقين بأن الكافة يدركون أن اهتمام عظمة السلطان بتأليف الوزارة كان أول باعث عليه وضع مقاليد الأمور فى يد السلطة المدنية مقدمة لاناطة المحافظة على النظام والأمن برجال السلطة المصرية والرجوع الى الحالة العادية » .

رئيس مجلس الوزراء

« حسين رشدى »

القاهرة فى ١١ رجب سنة ١٣٣٧ - ١٢ ابريل سنة ١٩١٩ .

[٢٩٤]

ولما تصفح الموظفون هذا المنشور ورأوا أنه لا يحقق أى مطلب من مطالبهم اجتمعوا وأعادوا تأليف لجننتهم مرة ثانية فصارت مكونة من

[٢٩٠]

تقرير

من أهالي ناحية العباسية مركز الزقازيق شرفية

٣٠ مايو ١٩١٩

كانت الجنود الانجليزية متوجهة لجهة بلبيس ، فانقض منها ثلاثة على عزبة شيخ العرب غومة الطحاوي (١) وبعد السلب والنهب أرادوا الفسق بالنتين من السيدات وبعد عتف شديد فرتا الى عزبة السيد على سكر لتحتميا بها من العساكر فاقتفوا أثرهما ، ودخلوا مسكن السيد على سكر بعد أن كسروا الأبواب وبعد السلب والنهب تمكنوا من الفسق بهما .

ثم اتجهوا الى عزب أخرى وأجروا السلب والنهب فيها وظلوا على هذا المتوال من الساعة ١٠ صباحا الى الساعة ٢ بعد الظهر تقريبا .
وقد أخذوا من الشيخ عبد الغنى الفولى مبلغ خمسين جنما .

وقد عمل تحقيق بعد ذلك ولكن بطريقة ظالمة وغير مستوفاة حتى كان المحقق يجبر الناس على التسوقيع على ورقة بيضاء ولكن بطريقة غير ظاهرة .

[٢٩١]

الموظفون والحركة الوطنية

بالرغم من سماح السلطة الانجليزية الموقد بالسفر الى أوروبا فان الموظفين لم يستأنفوا أعمالهم حتى يوم ١٠ أبريل (٢) وزادوا على ذلك أن تدخلوا فى الحالة السياسية تدخلا واضحا اذ شكلوا من بينهم لجنة عددها ٣٢ عضوا كانت باكورة أعمالها أن قررت اضراب جميع الموظفين حتى محاب المطالب الآتية :

أولا : أن تصرح الوزارة بصفة الموقد الرسمية .

ثانيا : أن تشكيل الوزارة لا يفقد الاعتراف بالحماية .

(١) المعلوم أن اغلب سكان تلك الجهات من مديريه الشرفية من اصحاب العرب .
يتضح من الاسماء (الشيخ الطحاوي - الشيخ الفولى) .
(٢) يقول الجنرال اللبى فى تقرير له عن يوم ٩ ابريل ما نصه : « يجب كل مستخدمى الوزارات ، كما اضراب كل رجال مصلحة المصلحة والغالبية العظمى من رجال مصلحة السكك الحديدية » .

وقد كلفوا السيد محمود صبرى بالخروج من المنزل حالا وفتح الدواليب كلها فخرج ومعه النساء والأولاد وسيق الجميع الى الشارع العباسى ثم أخذوا الرجال الى مزرعة مزروعة قطنا وظلوا كذلك الى الساعة ١ ١/٢ بعد الظهر والجميع حفايا عرايا ثم سيقوا الى مركز البوليس حيث نبه عليهم ضابط النقطة باحترام الانجليز ثم صرفوا الجميع .

ولما وصل السيد محمود صبرى الى منزله وجده خاويا خاليا اذ سرقت النقدية البالغ قدرها ١٥٠ جنيها مصريا بنك نوت وكذلك الحلى الخاصة بالسيدات التى تبلغ قيمتها ١٤٠ جنيها مصريا . هذا بخلاف التماثيل وكل الملابس فقد سرقت كلها ولم يبقوا حتى على الخبز فى الدار بل أتوا على آخره ، ووجد بدله غائط العساكر .

وقد كتب صاحب المنزل كشفا بما فقد منه وقدمه الى قسم البوليس .

« وما حدث للسيد محمود صبرى حدث كذلك فى منازل كثيرة .

تقرير

[٢٨٩]

عن حادثة اعتداء الانجليز على منزل حضرة

مصطفى أفندى ثابت (١)

فى منتصف ليلة ١٠ مايو سنة ١٩١٩ سمع مصطفى أفندى ثابت وزوجته صوت طلقات نارية ولما أظلا من البلكون رأيا الناس يهرولون والجنود الانجليز فى أثرهم ثم سقطت زوجته صارخة مستنجدة ولم يلبث حتى أصيب هو الآخر فى ساقيه الاثنين .

وبعد ذلك سمع طرقا عنيفا على الباب أعقبه تحطيم زجاج ثم اذا به يرى عشرات من الجنود يندفعون الى الغرف .

وبعد رجاء والحاح من مصطفى أفندى أذن له بأن يستحضر ابنه طببا وبينما كان الطبيب يؤدى مهمته كانت الجنود منتشرة فى الغرف للتفتيش . ولما لم يجدوا سلاحا أو ما يوجب الشبهة اغنصبوا كل ما وصلت اليه أيديهم من مال وهو مبلغ ٥٠ جنيها يضاف اليها ٢٠ قرشا كانت مع بواب المنزل ومصاغ يقدر بأربعين جنيها هذا فضلا عن الاثاث الذى قلبوه رأسا على عقب وأتلفوه ولولا أن الضابط استدعاهم لما بقى فى المنزل شيء من النقود والاثاث .

(١) ليست هناك أية اشارة عن شخصية مصطفى أفندى ثابت لا فى الوثائق ولا فى سحف هذه الفترة .

وقد صعد الجنود الى حيث ينام السيدات والأطفال فكسروا عليهم الباب فرجا يوسف أفندى أحد الضباط في استعمال الرأفة مع النساء والأطفال ، فما كان منه الا أن صوب مسدسه الى صدر يوسف أفندى وأمر بطرده خارج المنزل .

وخرج الجنود وهم يحملون ما وصلت اليه أيديهم من المصوغات والمجوهرات والأواني الفضية مما تبلغ قيمته خمسمائة جنيه .

وهجم جنديان على الخادمة الاوربية وهدداها بالقتل ان هي أبدت حركة ما فسلبا منها عشرة جنيهات .

وقد حاول الجنود فتح الخزانة الحديدية فلم يتمكنوا فحاولوا كسرها ولكنهم لم يفلحوا كذلك .

[٢٨٧]

ولما رأى يوسف أفندى كل هذا دعا حضرة محمد بك حسن قاضى المحكمة الأهلية وفضيلة الشيخ على عالم رئيس المحكمة الشرعية ووكيل النيابة لمشاهدة الحادث وقدم بلاغا لمأمور المركز لضبط الواقعة ولكنه لم يفعل . وقد احتج محمد بك حسن على ما شاهده من آثار التخريب فطلب منه سحب الاحتجاج فرفض فقال الضابط الانجليزى « أنت تحتج على هذه القوة المؤلفة من ١٥٠ جنديا تقريبا فسأمر بسفرها وأستبدل بها قوة مؤلفة من ٥٠٠ استرالى » وقد حصل ذلك بالفعل .

وفى اليوم التالى حضر ضابط انجليزى وقال انه آت للتحقيق ولكنه قبل أن يرى شيئا قال : « المصريون كاذبون » وكان كلما رأى آثار التخريب يبندى سروره وأعجابه .

وقد حدث بعد ذلك أن الضابط أهان معاون البوليس لأنه كان يؤدى الشهادة بصدق .

وقد كتب يوسف أفندى احتجاجا وقعه جميع الموظفين وأهالى البلد وأعيانها وأرسلوه الى عظمة السلطان .

وهاك شكوى أهالى المطرية من فظائع الجنود البريطانية :

شكوى أهالى المطرية

[٢٨٨]

٣٠ أبريل سنة ١٩١٩

فى يوم ٢٩ أبريل الساعة ٦ صباحا طرق الجنود الانجليز منزل السيد محمود صبرى ، ولما فتح لهم دخلوا عنوة وهم يبلغون ستين جنديا مسلحين وثلاثة ضباط والجسم من الهنود ومعهم مترجم أرمنى الجنس ،

- ١٦ - فى ١٤ منه حاول الجنود بيع مهماتهم الى أحد الحفراء فامتنع فكان جزاؤه الضرب وسرق نقوده بالاكراه .
- ١٧ - فى ١٥ منه كسر الجنود عربة وهاجموا عشش الفلاحين وخربوها وسرقوا ما بها من متاع .
- ١٨ - فى ١٦ منه سرق بعض الجنود ١٥٦ قرشا من ابراهيم أفندى عطية بالاكراه وهددوه بالسندس .
- ١٩ - فى ١٧ منه هاجم أربعة من الجند منزل السيد أفندى هداية ليلا وتسلق بعضهم المنزل بقصد السرقة وهددوا صاحبه بالقتل فأغاثه رجال البوليس المصرى وبعض الأهالى .
- هذا بعض ما حدث فى مدينة طنطا وهو قليل من كثير (١) .

تقرير

[٢٨٦]

بما حدث من اعتداء لجنود الانجليزية على منزل حضرة يوسف أفندى فهمى مصطفى من كبار أعيان بنى مزار (٢) يوم ١٩ أبريل ١٩١٩

فى الساعة السادسة صباح يوم ١٩ أبريل سمع يوسف أفندى فهمى مصطفى طرقا شديدا على الباب . وقد أسرع الخادم الى فتح الباب فإذا بالطارق ضابط انكليزى يصحبه خليل أفندى قمحة معاون البوليس . ولما نزل يوسف أفندى - وكان بملايس النوم - طلب منه الضابط اخراج الخدم من المنزل قائلا « اننا نريد تكسير المنزل ونهب ما به » وبعد ذلك أمر جنوده بالهجوم فدخل ما يزيد على خمسين جنديا أخذوا ينهبون ويسلبون كل ما تصل اليه أيديهم ومن ذلك ٥٢ جنيهها كانت بمحفظة يوسف أفندى وأخذوا زيادة على ذلك يحطمون ويمزقون الأثاث والمتاع .

(١) تشير الوثائق البريطانية فى هذه الفترة الى اشتراك الموظفين فى طنطا فى الاضراب العام للموظفين ، والى اضطرابات فيها (٤ أبريل) ثم الى مظاهرة كبيرة واجهها البوليس (٨ أبريل) واضراب كامل من العاملين فى السكك الحديدية (١٦ أبريل) .

(٢) تقع فى بنى مزار فى مديرية (محافظة) المنيا .
ويلاحظ أن من كان يتعرض أساسا لنهب القوات الانجليزية من الأعيان ويعود ذلك فى الغالب الى سعى الانجليز الى ارباب المصريين فى أعيانهم بالاضافة الى قياده هؤلاء الأخيرين للعمل السياسى فى البلاد .

- القائم بأعمال الدورية من رجال البوليس المصرى . ومنعه من القيام بعمله .
- ٢ - فى يوم ٢٤ منه طرق جنديان أبواب الوطنيين ليلا طلب للفحشاء بالفاظ قبيحة .
- ٣ - فى يوم ٢٤ منه نعدى جنديان على أحد رجال البوليس المصرى أثناء تأدية وظيفته وذلك بضربه .
- ٤ - اغتصب أحد الجنود الانكليز فواكه من محمود مطاوع بطريق الاكراه مع تهديده بالقتل .
- ٥ - فى تاريخه اغتصب أحد الجنود الانكليز حمصا من أحد التجار وهدد البوليس بأشهار السونكة فى وجهه وشرع بعض الجنود فى الفسق مع متسولة فى الشارع العمومى بطريق الاكراه .
- ٦ - فى تاريخه اغتصب بعض الجنود مصوغات من محل أحمد الصباغ تبلغ قيمتها ٦٤ جنيها .
- ٧ - فى ٢٥ منه طرق الجنود منزل أحد الوطنيين ليلا طلبا لاستعمال الفحشاء بالفاظ نكرة .
- ٨ - فى ٢٦ منه شرحه .
- ٩ - نعدى ٦ من الجنود على نقولا تاكيوس حماية دولة اليونان واغتصبوا منه ساعة وكتينة و ٦ زجاجات كونياك ومبلغ ١٠٠ جنيه .
- ١٠ - فى تاريخه ضربوا أحد رجال البوليس المصرى أثناء تأدية وظيفته .
- ١١ - فى تاريخه شرع الجنود فى الفسق مع سيدة فى الشارع العمومى ليلا .
- ١٢ - فى تاريخه شرع أحد الجنود فى قتل محمد شعبان الحفتر أثناء تأدية وظيفته . [٢٨٥]
- ١٣ - فى ٢ أبريل اختطفوا كيس نقود به ٥ جنيهات مصريه من بطرس أفندى فهمى بعد ضربه .
- ١٤ - تعدى الجند على أحمد حسن الشامى بعد تهديده بالمسدسات وضربه بأعقابها وسلبوا منه ٣٠ قرشا صاغا . واعتدوا على الحفتر عند الله سليم خضر الذى حضر لاغاثة .
- ١٥ - فى تاريخه شرع حمسه من الجنود فى فتح الابواب بعصه السرقة ومعهم الآلات المعدة لذلك فضبطوا أثناء شروعاتهم فى سرقة إحدى المحلات بالسكة الجديدة .

١٩ - كسرت شبابيك مكتب البوستة مع اطلاق الرصاص عليه .
وهذا قليل بالنسبة الى حقيقة ما حصل ، نذكره للدلالة عليه
فقط ، واستمرت حركة الانجليز هذه وضباطهم معهم لغاية الساعة
١١ مساء .

[٢٨٣]

وحيث أن الأهالي ليس أمامهم قوة نظامية حاکمة ، وترجع
اليها في الشكوى الا قوة صاحب العظمة مولانا السلطان الأعظم ، وقد
أصبحنا جميعا مهددين في كل وقت وحين من رجال العسكرية الانجليزية
التي كانت ضباطهم بالأمس تسير حركاتهم العدائية وعرف من بينهم من
إذا عرض على من ذكروا لعرف .

فلماذا

قد رفعنا شكوانا لعظمتكم طالبين اتخاذ الوسائل الفعالة عاجلا
في حفظ الأمن والأرواح من هذه الفوضى العسكرية واننا يا عظمة السلطان
نحتج ونشارك جميع الأمة المصرية في جميع الفظائع (٢) التي وقعت حتى
الآن في أنحاء الديار المصرية من رجال العسكرية الانجليزية التي لم
نسمع بها في التاريخ ورجاؤنا في عظمتكم تحقيق أمنيتنا وجميع الأمة
المصرية في استقلال مصر استقلالا تاما بغير شرط ولا قيد وندعو لعظمتكم
بدوام العز والبقاء .

ثم اليك كذلك تقريراً عن حوادث اعتداءات الجنود البريطانية على
على أهالي طنطا من تاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ الى ١٨ أبريل ١٩١٩ .

تقرير

[٢٨٤]

عن حوادث الاعتداء على أهالي طنطا من الجنود
البريطانية من ٢٤ مارس الى ١٨ أبريل ١٩١٩

وهذا تقرير آخر وصل اليها من بعض أهالي طنطا عما لحق بهم في
المدة المذكورة وهو :

١ - في يوم ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ تعدى جندي بريطاني على

-
- (١) لم تتضمن التقارير البريطانية أية اشارة للاحداث السابقة فقد انصب اهتمامها
أكثر على الاحداث ذات الطابع الجماعي لا الطابع الفردي .
(٢) لا تستقيم العبارة على هذا النحو وتصبح أفضل لو كانت « ونشارك جميع الأمة
المصرية في الاحتجاج على جميع الفظائع » .

٣ - حضرة الدكتور القلماوى بك : حصل له ما حصل للأول وزاد عليه خنقه بأيديهم .

٤ - حضرة عباس بك راجى : حصل له ما حصل لسابقه .

٥ - حضرة القائمقام أحمد بك وصفى : سلب ماله وقدره بمبلغ ٩٦ جنيه .

٦ - احدى أميرات العائلة السلطانية : هوجمت بالعيارات النارية . [٢٨٢]

٧ - كسر منزل المرحوم حسين ترك الكائن خلف بوستة العباسية وأطلقوا عيارات نارية وسلبوا ما به من النقود والحق ويقدر قيمتها بمبلغ ٧٤٠ جنيه .

٨ - هوجم منزل المرحوم محمد على رسلان وسلبوا الحق والنقود .

٩ - هوجمت دكان محمد ابراهيم سعيد الطباخ وسلبت نقوده .

١٠ - هوجم فى الطريق العام محمد سالم وسلبت نقوده وحلله .

١١ - هوجم فى الطريق العام أحمد على زهران وسلبت نقوده وحلله بعد أن ضربوه وأصيب فى عينه اليمنى .

١٢ - ضربت أربعة رصاصات بمنزل محمود أفندى نديم المستخدم بحكومة السودان .

١٣ - ضربت بعض عيارات نارية بمنزل على أفندى عبد الرحمن بحارة شحاته يوسف .

١٤ - ضرب منزل اللواء اسماعيل باشا مختار بالرصاص وكسر زجاج أبوابه بشارع عباس .

١٥ - ضربت عيارات نارية بحارة الركبية بمنزل المعلم محمد حسن الجزار .

١٦ - ضربت عيارات نارية بقهوة أحمد ابراهيم يوسف وكسرها وأتلف ما بها .

١٧ - ضربت عيارات نارية بمنزل الحاجة زينب بسوق العباسية واضطربت السيدات وحالة احدهن خطيرة .

١٨ - تجمع نحو الاثنى عشر انجليزيا امام منزل صاحب المعالي ابراهيم باشا فتحت وأطلقت عيارات نارية أمامه .

الموجود على الرصيف وهناك تتلقفه العساكر فيمزقون ملابسه ويسلبون نقوده ، ثم يخرجون رأسه من شباك صغير بالكشك فيمسك به أربعة عساكر من الخارج ويمسك بكل أطرافه ثلاث عساكر آخرون فيرفعون جسمه عن الأرض ويلهبه اتنان بالأسواط بدون حساب .

ولم يحترم الانجليز مركز بعض الناس ودرجتهم فى الهيئة الاجتماعية فضربوا الكثيرين من الأعيان ورجال العلم وغيرهم .
وقد فتش الجنود جميع المنازل فلم يعثروا على أسلحة ما .

واليك نص العريضة التى قدمها أهالى العباسية الى عظمة السلطان يشكون فيها ما لاقوه من تعسف الجنود الانجليزية واعتداءاتهم .

[٢٨١]

العباسية فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٩

« صورة عريضة قدمت لعظمة السلطان »

من أهالى العباسية

« مولانا صاحب العظمة سلطان مصر :

« الموقعون على هذا من أهالى قسم الوايل (العباسية) يتشرفون بعرض شكواهم مما ألم بهم ليلة أمس :

« ذلك أن عساكر الانجليز فى ليلة أمس أخذوا يطلقون العيارات النارية من ابتداء الساعة السابعة مساء على المارين فى شوارع العباسية وراكبى العربات والاتومبيلات من نساء ورجال وصبيان وعسكر مصرية ويسلبون منهم ما يجدونه معهم من مال ومصاغ وياليتهم اكتفوا بذلك ، بل أخذوا يهاجمون الأهالى فى منازلهم ويطلقون النار عليهم ويسلبونهم كأنهم يقضون عملا مشروعا ونحن مع الأسف لا ندرى لعملهم هذا أى سبب يمكن تعليله به الا السلب والنهب بصفة عصايات مسلحة مع قوم عزل من السلاح ، ولم تقف الحالة عند هذا الحد بل زادت رجال حكمادارية بوليس مصر الانجليز عند استغاثة قره قول الوايل بها بالامتناع عن أى مساعدة لا بالرجال ولا بغير ذلك حتى انتهت الواقعة بقتل من قتل وجرح من جرح وسلب من سلب ، وهو كالاتى :

١ - هوجم بالسلاح سعادة اللواء مبروك باشا فهمى وهو فى عربته وضرب ومزقت ملابسه وسلب ما معه من مال وحلى .

٢ - حضرة الدكتور خليل بك راجى حصل له كما حصل للأول .

تقرير عن حادثة محطة صفط الملوك « بحيرة »

ليلة وصباح الأحد ١٣ ابريل ١٩١٩

[٢٧٩]

في منتصف ليلة الأحد ١٣ ابريل هجمت الجنود الانجليزية على « كفر مساعد » وهي بلدة تبعد عن محطة صفط الملوك بنحو خمسة كيلو مترات وأحاطوا بساكنيها وطلبوا الى الأهالي الخروج من منازلهم لعرضهم على الدورية الانجليزية التي اعتادت أن تمر ليلا على السكة الحديدية في هذه المنطقة حتى تعرف من بينهم من أطلق الرصاص على العساكر . وبعد أن فتنشوا جميع المنازل والأجران ساقوا كل الذكور الى حيث لا يعلم الأهالي ولم يستثنوا واحدا بعد أن قتلوا أحدهم يوسف مبروك .

وفي نحو الساعة الثالثة صباحا توجهوا الى بلدة شبرا الشرقية « التابعة للأوقاف السلطانية وهي على بعد كيلومترين من كفر مساعد » وعملوا بها ما عملوا في البلدة السابقة .

وفي نحو الساعة السادسة صباحا هجموا على بلدة كفر الحاجة والعزب التابعة لها « وهي بلدة تبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن خط السكة الحديد » وبعد أن ساقوا الرجال الذين كانوا في الحقول بين طلقات البنادق الى محطة صفط الملوك (١) أوقفوا هذا الجمع على رصيف البضائع بين نطاق من العساكر الانجليزية شاهرين أسلحتهم .

عند ذلك حضر أحد أعيان كفر الحاجة « محمد أفندي توفيق عمران المحامي » ومعه جرجس أفندي بولس أحد أعيان بلدة كفر مساعد وأرادا أن يتكلما مع أحد الضباط فلم يستطيعا ذلك ، وفي تلك اللحظة حضرت سيارة عسكرية معدة لركوب الضباط فعرف محمد أفندي توفيق عمران كبير الضباط بعلامته العسكرية ورجاء في الوقوف فوقف وحصلت بينهما مناقشة مؤداها أن هؤلاء الناس مظلومون وأنهم من أهالي الجهة الشرقية والطلق المنسوب حدوثه حصل كما يقولون من الجهة الغربية فكان جواب القائد الا بد من الارشاد على الفاعل فورا والا نفذ أوامره .

[٢٨٠]

بعد ذلك كان يؤتى بالرجال فيسأل عن وجود أسلحة عنده وعن معرفة الضارب للرصاص ، ثم يعطى ورقة ليتوجه بها الى الكشك الصغير

(١) صفط الملوك : من أعمال مديرية البحيرة - انظر البلاغ الرسمي الصادر في

١٤ ابريل (ص ٢٩٧ من المذكرات) .

كانا مرمعين السفر بواسطة زوجتيهما اللتين اقتنعتا بما بسطه لهما ود السيدات . فاقتنع أحدهما ولم يقتنع الآخر ، فتوجهن الى بيته وتكلمن كثيرا مع زوجه ، وأعلمنها بأن عمل زوجها سيكون نقطة سوداء فى تاريخ عائلتهما ويكون هو عرضة لأن يدعى خائنا ويلصق به هذا الاسم وبعائلته الى ما شاء الله . وبعد مناقشة طويلة ضربن فيها كثيرا على هذه النعمة مما أبكاهما واقنعهما بسوء المصير اذا نفذ زوجها هذه الفكرة ، قالت لهن : اننى سأعمل كل ما أستطيعه لمنع من السفر ، فان لم أفلح فلا أكون فى عصمتي اذا سافر .

[٢٧٧]

ولما عاد الزوج من عمله سأل زوجته هل أعدت حقائب السفر . فقالت له : يجب عليك أن تفكر فى مصير أولادك قبل أن تفكر فى السفر . لأننى لا أريد البقاء فى عصمتك ، ولا أريد خدمة أولادك وملاحظتهم . فقال لها مندهشا : وكيف كان ذلك ؟ فقالت : اننى لا أريد أن ادعى بين قومي « زوجة الخائن » لأن العمل الذى تريد أن تنفرد به دون الخمسة عشر مليوناً من المصريين لا يمكن أن يؤول الا بالحياة .

ارتاع الرجل من هذه المفاجأة ، وحاول اقناع زوجه بجميع الطرق فلم يفلح ، وأخيرا عدل عن السفر ورد « شيك » العشرة الآلاف جنيه الى صاحبه .

تتابع فظاعات الجنود البريطانية

[٢٧٨]

انقلبت الثورة الى مظاهرة فرح وسرور بعد فك اعتقال رئيس الوفد وزملائه الثلاثة ، والسماح للوفد ولجناء بالسفر الى أوروبا ، كما قدمنا . وقد تخلل هذه المظاهرات حوادث يؤسف لها ، وقعت من جانب الجنود الانكليزية على المتظاهرين المسلمين كما مر بالقارى .

على أن اعتداءات الجنود البريطانية لم تقف عند هذا الحد والى ذلك التاريخ ، فقد ارتكبوا عدة فظائع أخرى فى جهات مختلفة من القاهرة والأقاليم .

ونحن نثبت هنا بعض هذه الاعتداءات كما جاءت فى شكاوى الأهلى وتقريرهم الينا (١) . وهامى بحسب تسلسل تواريخها :

(١) الواضح هنا أن أغلب المعلومات التى تضمنتها المذكرات قد تضمنتها شكاوى الأهلى الموجهة الى الوفد من الممارسات الانكليزية ، وسوف نحاول فيما يلى تبين الوجه الآخر من تلك الأحداث من الوثائق البريطانية .

أحمد لطفي بك المحامي • الدكتور اسماعيل صدقي بك • محمد حافظ رمضان بك المحامي • عبد اللطيف الصوفاني بك • عضو الجمعية التشريعية عن مديرية البحيرة • محمد كمال أبو جازية بك عضو الجمعية التشريعية عن مديرية الغربية • أحمد وجدى المحامي • مصطفى الشوربجي المحامي • محمد زكى على بك المحامي ، أحمد وفيق المحامي • محمد فؤاد حمدي المحامي •

وقد كان في نية حضراتهم أن يسافروا في ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩ •

ولا يخفى على القارئ أن حضراتهم جميعا من أعضاء الحزب الوطني الذين لا يضمرون الخير للوفد ، أو هم على الأقل يشكون في وطنية بعض أعضائه •

ولقد ترامى اليينا أن ذاتا من الذوات الكبيرة المشغلة بالمصلحة العامة (١) أوعزت الى الحزب الوطني بالسفر الى أوربا لمراقبة أعمال الوفد المصرى خيفة تورطه في قبول شيء يخالف مصلحة البلاد ، وأنه وضع تحت تصرفهم عشرة آلاف من الجنيهات •

ولما كان وجود وفدين من بلد واحد أمام مؤتمر السلام يشعر بوجود انقسام في صفوف الأمة ، بل ربما انتهز خصومنا وجود الوفدين معا للقول بأن بلادنا منقسمة الى شيع وأحزاب كثيرة ، وأن أهلها راضون بحالهم ، الا هذان الحزبان ، وهذا طبعا يضر بقضيتنا ضررا بليغا ، فقد أرسلت من يلزم لاقناع رجال الحزب الوطني بسوء المصير اذا نفذوا فكرتهم هذه ، فلم ينتصحو ، فأرسلت اليهم أناسا آخرين لاقناعهم ورجائهم بالعدول عن ذلك ، فرفضوا كل نصح ورجاء • ولكنى لم أياس فأرسلت قوما آخرين متشبعين بالفكرة التي كانت تجول بخاطري في هذا الشأن ، فأفلح سعى هؤلاء في هذه المرة ، لأنه كان مشربا بروح التهديد والوعيد •

[٢٧٧]

ولما رأت تلك الذات الكبيرة أن من العسير عليها ارسال وفد من هنا اتجهت الى فكرة أخرى وهي اختيار اثنين من أعضاء الحزب الوطني المقيمين باسكندرية للسفر الى أوربا ، وهناك يسعيان في ضم من يمكن ضمه من أعضاء الحزب الوطني المقيمين بالخارج لتشكيل وفد منهم •

فلما علمت بهذا أرسلت وفدا من السيدات المشتغلات بالحركة الوطنية الى الاسكندرية بعد أن زودتهن بما يجب عمله لابطال هذه الفكرة أيضا • وقد كان وسافر وفد السيدات وتمكن من اقناع العضوين اللذين

(١) يقصد عبد الرحمن فهمي الأمير عمر طوسون •

عبد الغفار وعلوى الجزار بك وراغب عطية بك وعلى المنزلاوى بك والسيد
حسين القصبي وأحمد بك الشيخ وفهمى بك ويصا ، وحسين بك الشريعى
ومحمد زكى بك عبد الرازق وعلى بك اسماعيل وصاروفيم بك مينا عبيد
وفؤاد بك سلطان وعبد الواحد بك الوكيل ومحمود بك عبد النبى وعثمان
بك سليط وسالم بك السيد وعبد الحليم بك العلايل وعبد الرحمن بك
محمود ومحمد بك كمال أبو جازية وبسيونى بك الخطيب وحسين بك
هلال وعبد الستار بك الباسل .

سفر الوفد المصرى

[٢٧٥]

الى باريس

أتيح السفر للوفد ، ولغيره من السياسيين والمصريين فى ٧ أبريل
١٩١٩ كما قدمنا . فسافر الأعضاء الموجودون بالقاهرة فى ١١ أبريل
من القاهرة الى بورسعيد فمالطة حيث انضموا الى سعد باشا وزملائه
الثلاثة وأبحروا جميعا الى باريس .

وقد أقيمت للأعضاء حين مغادرتهم القاهرة احتفالات ومظاهرات باهرة
اشترك فيها الشعب بأسره وليس فى مقدورنا أن نصف هذه المظاهر
وصفا كاملا . ولهذا نكتفى بمجرد الإشارة اليها .

وعلى ذلك يكون الوفد الذى ذهب الى أوروبا مكونا من حضرات :

سعد باشا زغلول ، على شعراوى باشا ، اسماعيل صدقى باشا ،
حمد الباسل باشا . محمد محمود باشا . عبد العزيز فهمى بك .
أحمد لطفى السيد بك . محمد على بك . عبد اللطيف المكباتى بك .
سينوت بك حنا ، جورج خياط بك . الدكتور حافظ عفيفى بك ،
مصطفى النحاس بك . حسين واصف باشا . محمود أبو النصر بك .

ورافق الوفد من موظفى سكرتاريته محمد بك بدر رئيسهم وجورج
دومانى أفندى وعزيز منسى بك . كما سافر معهم حضرتا ويصا واصف
بك وعلى بك حافظ رمضان .

محاولة ارسال وفد آخر الى أوروبا والقضاء عليها

[٢٧٦]

فى نفس الوقت التمس جماعة من المصريين المفكرين المعروفين
بوطنيتهم الترخيص لهم بالسفر الى أوروبا ، وأجيبوا الى ملتسمهم ، وهم
حضرات :

« انه لا يمكننا اشراك فتح الله باشا معنا لسوء تفاهم واقع بينه وبين سعد باشا ، وأن نعيينه لهذه اللجنة لا يصادف قبولا منه » . [٢٧٦]

وبعد تشكيل اللجنة على الوجه السابق وسفر رجال الوفد أتانى الأستاذ محمد بك محمود خليل المحامى وتكلم معى طويلا بخصوص ضم فتح الله باشا الى أعضاء لجنة الوفد المركزية بمصر ، فأفهمته ما دار من الحديث بينى وبين شعراوى باشا فى هذا الخصوص أثناء تكوين اللجنة قبيل سفر أعضاء الوفد فانصرف ، ثم أعاد الكرة فى هذا الموضوع أكثر من مرة .

وفى هذه الفترة كنت أسمع من كثيرين أن فتح الله باشا يطعن فى سعد باشا زغلول فى مجالسه الخاصة .

ونظرا لأن مثل هذه الأقوال وتكرار ذكرها مما يؤثر بلا ريب فى مصلحة القضية انتهزت فرصة الحاج الأستاذ محمد محمود خليل بك وضممت فتح الله باشا الى أعضاء اللجنة ، أى أننى كتبت اسمه ضمن الكشف الذى حرر بمنزل شعراوى باشا قبيل سفر الوفد كما ذكر .

والذى دعانى الى الانفراد بهذا العمل هو أنى العلاقات بين فتح الله باشا وابراهيم باشا سعيد كانت على غير ما يرام ولا يبعد أن يسلك ابراهيم باشا سعيد كل سبيل لمعارضة ترشيح فتح الله باشا للاندماج باللجنة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان ادخال فتح الله باشا ضمن أعضاء اللجنة يمنعه بلا شك مما كان يذيعه بمجالسه الخصوصية ضد سعد باشا . هذا الى أننى كنت أعتقد فيه النشاط والمقدرة على العمل .

وقد تحقق رجائى هذا اذ انقطع بتاتا عن ذكر اسم سعد باشا الا بالتجلة والاحترام وأصبح عضوا نافعا من أعضاء لجنة الوفد المركزية ، وقام مع آخرين بجمع التبرعات من جهات دسوق وما جاورها وهناك عرضت على الحاضرين صورة شمسية لسعد باشا زغلول طرحت فى المزداد العلنى وشجع فيها حركة المزايدة حتى بلغ ثمنها خمسمائة جنيه تقريبا ، فسبحان مغير الأحوال . [٢٧٤:]

ثم ضمت اللجنة الى أعضائها على توالى الأيام وتدرجيا حضرات الآتية أسماؤهم :

عبد الحاقى مذكور باشا (عضو الوفد) ومحمد كامل جلال باشا ومحمد محفوظ باشا وكامل بك بطرس والدكتور أحمد بك السعيد والدكتور محجوب ثابت والدكتور حبيب بك خياط وحسنيين بك

القيادة من أسيرت الى سوهاج وقد قبض على ٤٠٠ شخص في أسيرت
بمناسبة حوادث المشاغبات الأخيرة .

٢٧١ . وقد حدثت الحسرة التالية بين الجنود البريطانية في القاهرة في
٨ و ٩ و ١٠ و ١١ أبريل بسبب الاعتداءات - عدا المصادمة مع الرعاع -
وهي : ثمانية من صف الضباط والجنود قتلوا و ٤ ضباط و ١٥ صف
ضابط وجندي جرحوا في خلال هجمات شديدة على الأفراد .

• وأبلغ البوليس حدوث الحسرة التالية بين الملكيين في خلال
الأربع والعشرين ساعة التي انتهت أمس الظهر وهي :
• ثلاثة من القتلى وخمسة عشر من الجرحى • (١) .

تكوين لجنة الوفد المركزية

٢٧٢

كان متوقعا أن تهدأ الحالة تماما عقب البلاغ المنبئ بالافراج عن
أعضاء الوفد المصري المعتقلين بمالطة والتصريح لكل من يريد السفر من
المصريين الى أوروبا ، ولكن الاضطرابات استمرت بعد ذلك ببعض أنحاء
القاهرة وبعض جهات الأقاليم كما روينا ، وكان مفهوما كذلك أن أعضاء
الوفد المصري اعتزموا الرحيل الى باريس يوم ١١ أبريل سنة ١٩١٩
فاجتمعت معهم بمنزل على شعراوي باشا لتعيين أعضاء لجنة الوفد
المركزية طبقا للمادة (٢٦) من قانون الوفد . وبالفعل كونت اللجنة على
الوجه الآتي :

محمود سليمان باشا (رئيسا) وإبراهيم سعيد باشا (وكيل
وأمين للصندوق) ومحمود أبو حسين باشا (وكيل) وعبد الرحمن بك
فهمي (سكرتيرا عاما) وأمين بك الرافعي (مساعدا للسكرتير) ومحمد
السيد أبو علي باشا وإبراهيم بك الهلباوي ومرقس بك حنا وتوفيق بك
دوس ومحمد محمود خليل بك والشيخ محمد عز العرب بك وعبد الرحمن
بك الرافعي والدكتور حسن بك كامل والدكتور محمود بك عبد الرازق
والسيد بك خشبة وعلى بك محمود (أعضاء) .

وأثناء البحث عن يلقى للاشتراك معنا في هذا العمل العام رشحت
فتح الله بركات باشا لعضوية هذه اللجنة فقال لي على شعراوي

(١) يلاحظ أن هذه الأرقام تتفق مع ما جاء في التقرير البريطاني عن نفس اليوم .

وبعد الظهور وقعت اضطرابات شديدة ضد الأرمن . وهجم الرعاع بعناد على الجنود فاضطر هؤلاء الى اطلاق النيران فقتل ١٧ شخصا (بينهم عدد من الزعماء) وجرح عدد آخر ، وقد نبه على الجمهور بملازمة منازلهم فى الساعة الثامنة ، فبقيت المدينة هادئة مدة الليل .

« أما فى المديرىات فقد تم ارجاع ولاية الأمور الملكيين الى أعمالهم فى كل مكان تقريبا . وقد صار فى الامكان تخفيف القيود الخاصة بالحركة بعد سدول الظلام فى جهات معينة نظرا لعودة الأحوال العادية أكثر من ذى قبل .

« وجاء فى بلاغ من بوليس القاهرة أن الرجل الذى قتله الرعاع فى شارع محمد على يوم ٣ الجارى وأبلغ عنه أولا أنه يونانى تبين أنه مصرى الجنس واسمه على حسن » .

وفى ١٢ أبريل احتفل بتشيع ١٢ جنازة أخرى قتل شهداؤها برصاص الجنود البريطانيين ، وقد اشتركت النساء فى تشيع هذه الجنازة . [٢٦٩]

وفى هذا اليوم صدر البلاغ الرسمى التالى : -

بلاغ رسمى

[٢٧٠]

القاهرة فى ١٢ أبريل ١٩١٩

« سادت السكينة جميع أنحاء القطر المصرى منذ ظهر أمس . وفى يوم ١٠ الجارى حاول بعضهم العبث بنقط السكة الحديدية فى دنديط (على خط الزقازيق وميت غمر) فقبض على خمسة أشخاص . وفى اليوم نفسه وفى المنطقة نفسها عطلت أسلاك التليفون فى جوار كفر اللصوص وبنى سمبل . وقد ضرب نطاق حول هذه القرى واعطيت مهلة ثلاثة أيام لابرار المجرمين .

« وفى ١١ الجارى حاول بعضهم قطع أسلاك التليفون فى جوار قويسنا وقد قبض على المشايخين أثناء العمل وقتل اثنان وجرح واحد .

« وفى الاسكندرية زار وفد من الأعيان القائد العام للقوات البريطانىة هناك ليعربوا له عن أسفهم للحوادث التى وقعت يوم ١٠ الجارى وعن تقديرهم لجلد الجنود واحتمالهم .

« أما فى الوجه القبلى فقد نقل الماجور جنرال السرجون شى مركز

وقد صدر في هذا اليوم البلاغ الرسمي التالي :

[٢٦٦] « وردت الأنباء بأن الحالة مرضية في جميع أنحاء المديرية :

وأما في القاهرة فقد اجتمعت جماهير مخلة بالنظام مؤلفة من أردا العناصر الموجودة في المدينة في الأحياء التي سحبت منها الدوريات العسكرية بناء على طلب ولاية الأمور الملكيين ، فشرعت في ارتكاب أعمال القتل والنهب في الأحياء التي يقطنها أصحاب الحوانيت الصغيرة حتى صدهم وصول الجند .

« ووردت الأنباء بأن خمسة جنود بريطانيين قتلوا منهم واحد في ميدان عابدين واثنتان في شارع محمد علي واثنتان (وهما من الهنود غير المسلحين) في الخليج المصري وقد اضطرت الجنود نظرا لسلوك الرعاع الى اطلاق النيران بضع مرات فقتل وجرح عدد كبير . وأبلغ مستشفى قصر العيني أمس مساء أنه تلقى ٢٢ قتيلا و٤٧ جريحا (١) . وقد وقع جانب كبير من هذه الخسارة التي لحقت بالملكيين بسبب اعتداء الرعاع ، وطلب الى ولاية الأمور من رجال البوليس أن يعدوا بيانات تامة عن الخسارة في القتلى والجرحى التي وقعت في القاهرة منذ يوم ٧ الجاري .

[٢٦٧] وفي يوم ١١ أبريل احتفلت القاهرة بتشييع جنازة ثلاثة عشر قتيلا راحوا ضحية عبث الجنود البريطانيين . وقد كان لهذه الجنازة منظر يقطع بنياط القلوب .

وقد صدر في هذا اليوم البلاغ الرسمي الآتي :

[٢٦٨] « وقعت في القاهرة أمس مشاغبات أخرى . وكان الاعتداء الذي قام به الرعاع المسلحون بالسكاكين والبلط معظمه موجها ضد السكان الأرمن كما جرى يوم الأربعاء .

« وأبلغ البوليس أنه وقعت في الثماني والأربعين ساعة الأخيرة التي انتهت أمس الظهر الخسارة التالية وهي ٣٨ قتيلا ومائة جريح وبين القتلى ٧ من الأرمن واليونانيين وقد نفذت التدابير العسكرية فانقضى الميل بهدوء وسكينة .

« وحدثت أمس اضطرابات في الاسكندرية كذلك فقد وقعت مصادمة في الصباح بين الجنود والمشاغبين في حي كرموز فقتل ثلاثة وجرح ستة .

(١) تختلف هذه التقديرات عما جاء في التقرير البريطاني بشأن الأحداث والذي يقدرها بثلاثين قتيلا وثلاثين جريحا .

F.O. 407/184, No. 251.

المرسوم السلطاني

نحن سلطان مصر :

- « بعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ »
- « وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر في هذا اليوم »
- « وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء »
- « رسمنا بما هو آت »

« المادة الأولى »

- « عين حسين رشدي باشا - وزيرا للمعارف العمومية (مؤقتا)
- ويوسف وهبه باشا - وزيرا للمالية
- وعدي يكن باشا - وزيرا للداخلية
- وعبد الخالق ثروت باشا - وزيرا للحقانية
- وجعفر ولي باشا - وزيرا للأوقاف
- وأحمد مدحت يكن باشا - وزيرا للزراعة
- وحسن حسيب باشا - وزيرا للأشغال العمومية
- وللحربية والبحرية (١)

« المادة الثانية »

- « على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا »

« فؤاد »

- صدر بمرأى البستان في ٨ رجب ١٣٣٧ (٩ أبريل ١٩١٩)
- بأمر الحضرة السلطانية
- رئيس مجلس الوزراء
- حسين رشدي

توالى اعتداء الجنود البريطانية

[٢٦٥]

وفي ١٠ أبريل قام بعض الجنود الاستراليون بمظاهرة خرجت من حديقة الأزبكية وهم مزودون بأسلحتهم فراحوا يطلقون النار على الأمنيين ويمتدون على المحال التجارية الكائنة في شارع بولاقي .

(١) يرى المندوب السامي البريطاني أن هذه أقوى وزارة كان يمكن تشكيلها في هذه الظروف .

انظر : د. يوتان ثيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ .

فى أول مارس ١٩١٩ ، وظلت البلاد منذ ذلك اليوم تحكم بغير وزارة
مستولة .

حتى اذا أجابت السلطة الانجليزية رغبات الأمة التى هى رغبات
رشدى باشا وزميله عدلى باشا فى الوقت نفسه وهى السماح للمصريين
بالسفر الى أوربا لعرض قضية البلاد أذعن رشدى باشا للرغبة التى
أبدت له لتشكيل الوزارة الجديدة التى تم تأليفها فى ٩ أبريل ١٩١٩ .
واليك نص الوثائق الرسمية الخاصة بهذا الأمر :

أمر كريم نمرة ٢٦

[٢٦٦٣]

صادر لحضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا

« عزيزى رشدى باشا :

« انه بما لى فى دولتكم من الثقة الكاملة قد عهدت لدولتكم تأليف
الوزارة الجديدة وعرضها علينا لصدور أمرنا باعتمادها . وانى أرجو الله
سبيحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا الى ما فيه خير البلاد » .
« فؤاد »

صدر بسرائى البستان فى ٨ رجب ١٣٣٧ (٩ أبريل ١٩١٩) .

جواب رشدى باشا

« يا صاحب العظمة :

« أتقدم الى عظمتكم بالشكر الفائق على ما تفضلتم به نحوى من دلائل
استمرار الثقة بالأمر الكريم الذى أصدرتموه لى فى هذا اليوم تكلفونى
فيه بتشكيل الوزارة الجديدة » .

« فنظرا لما فى الظروف الحاضرة من المصاعب وأملا فى حل يرضى
الأمة أرى من واجبى قبول القيام بالمهمة التى اقتضت ارادتكم السنية
احالتها على عهدتى ، ولذلك أعرض على نظركم العالى مشروع المرسوم
السلطانى المرفق بجوابى هذا لصدور الأمر باعتماده » .

« واذا كنت لم أحفظ لنفسى سوى رئاسة مجلس الوزراء فذلك لأن
أعباء الحمل الملقى على عاتقى فى الحال وفى المستقبل القريب لا تسمح لى
أن أتولى أيضا ادارة وزارة أخرى » .

« وانى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين » .

[٢٦٦٤]

حسين رشدى

القاهرة فى ٨ رجب ١٣٣٧ - ٩ أبريل ١٩١٩

العديدة التي حدثت في القاهرة في يومى ٧ و ٨ الجارى ، وكل ما وصلنا
للآن من الحوادث المهمة هو :

« حدث فى يوم ٧ الجارى أن سيارة للنقل هوجمت بغتة بصورة
معادية فاضطرت الى اطلاق النار على الهاجمين ، ونتج عن ذلك بعض خسائر
لا يعلم عددها للآن .

« وحوالى الساعة العاشرة مساء من نفس اليوم حدث اضطراب على
مقربة من نزل شبرد كانت نتيجته نزاع فريق من المتظاهرين وجماعة من
العساكر البريطانية وتبودلت فيها بعض طلقات نارية أسفرت عن قتل
شخصين وجرح أربعة أشخاص .

« وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم ٨ أبريل حصل
هياج بالقرب من جنينة الأزبكية وعلى ما يظهر أنه نشأ عن معارضة بعض
العساكر البريطانية لحمل المتظاهرين العلم العثمانى (١) واتفق مرور ضابط
بريطانى بين جماهير المتظاهرين كى يحذر سائق أوتومبيل مسلح من اطلاق
النار على المتظاهرين فأوقعه المتظاهرون وضربوه وحضر ضابط آخرون
لخلاصه ، وأطلقت بعض طلقات نارية فقتل وجرح كثيرون .

[٢٦١]

« وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر هجم الغوغاء على جنديين
بريطانيين فى ميدان عابدين وقتلوهما ، وقد أحدث الرعاع من بعد ظهر
الأمس عدة مظاهرات عدايئة للأوربيين ومع ذلك فإن الفضل فى منع
اهراق الدماء بقدر الامكان يرجع لسلوك الجنود واطاعتهم لأوامر فخامة
المنسوب السامى الخاص وقد أمكن للآن تهدئة الحال بغير التجاء الى استعمال
وسائل الشدة .

« وليكن معلوما بأن مخالفة القوانين لا تغتفر ، وأن استمرار
الاضطرابات الحالية ينبئ عليها استعمال القوة واذا اضطرونا الى ذلك
فسيزهدب كثير من الأبرياء ضحية مع المجرمين .

« أما فى المديرىات فلم تتغير الحالة » .

تأليف وزارة رشدى باشا

[٢٦٢]

قدم رشدى باشا استقالة وزارته فى أواخر ديسمبر سنة ١٩١٨
كما عرضنا ، وظل بعد ذلك يباشر الأعمال العادية حتى قبلت استقالته

(١) يتحدث التقرير البريطانى أيضا عن حمل بعض المتظاهرين للعلم التركى وان
كان يتحدث فى فقرة أخرى أن أعلاما كثيرة قد رفعت احتفالا بقرار الافراج عن سعد ،
مصرية وفرنسية وإيطالية وأمريكية وتركية بالإضافة الى العلم الذى يحمل الهلال
والصليب .

« ثم تلى هذا المحضر فى ذات الجلسة ، وصودق عليه بالاجماع ،
وأعلن سعادة الرئيس انفضاض الجلسة وانتهاء دور الاجتماع وكانت
الساعة ١٢ ونصف أفرنكى ظهرا » .

سكرتير المجلس مدير الجيزة ورئيس مجلس المديرية
(امضاء) (ختم)

وقد طبع هذا المحضر فى كراسة وانتشر فى القاهرة والأقاليم
انتشارا سريعا وكان الناس يتخاطفونه ويتلونه فتتشعر جلودهم مما حواه
من الفظائع وقد سلمت صورته الى ممثلى الدول الأجنبية فى القاهرة .

تتابع اعتداءات الجنود الانكليزية

[٢٥٩]

على أن اعتداءات الجنود الانكليزية لم تقف عند هذا الحد ، فقد
أصابت فظائعهم الناس فى بيوتهم ولم يتورعوا عن الاساءة الى احدى أميرات
البيت السلطاني وإلى بعض الوزراء وكبار قواد الجيش المصرى والعظماء
والأعيان ، أما اعتداءاتهم على صغار الناس وعامتهم ، فهى أكثر من أن تذكر
مثال ذلك ما أصاب بلا سبب عربية بلال المشهورة بعزبة العبيد من إطلاق
الرصاص عليها يومين متتاليين .

وفى يوم ٩ ابريل سنة ١٩١٩ احتفل بتشييع جنازة الأربعة الذين
ذهبوا ضحية طيش الجنود الانكليزية باحتفال مهيب منظم ، وقد سار فى
مقدمة الموكب فرقة موسيقية تصدح بنغمات محزنة ويلبها النعوش الأربعة
يحملها الطلبة على أعناقهم فشرذمة من رجال البوليس اذ كان بين المقتولين
أحد رجالهم وآلاف المشيعين يعلوهم الحشمة والوقار ويخيم عليهم السكون
التام والناس على أفاريز الشوارع محتشدون وهم واجمون ولم يكن يقطع
حبل هذا الصمت الا صوت ينادى : « لتحىي ضحايا الحرية » فيردد هذا
الجمع الحاشد النداء فى خشوع . على أن الجنود البريطانيين لم ينقطعوا عن
إطلاق الرصاص بغير ما سبب سوى الرغبة فى الانتقام .

وفى هذا اليوم نشر البلاغ الرسمى الآتى :

« تلقينا من الغربية أن الحسارة فى الاضطرابات التى وقعت بطنطا
يوم ١٢ مارس كانت ١٦ قتيلًا و ٤٠ جريحًا خلافا لما جاء فى حينها بأن
عدد القتلى هو ٢٢ وأن المرحى ٥٠ جريحًا .

١٠ . لم يمكن للآن الحصول على تقارير تفصيلية عن الاضطرابات

اثنان (١) بالرغم عما جاء بمنشور جناب القائد العام ، ولذا فاني أحتج بشدة على هذه الجنايات التي لا ينقطع حدوثها حتى الآن .

حضرتا عبد الواحد بك القط ومحمد أفندي منصور عطا الله :

« لقد علمنا أنه تجرى الآن بمركز العياط عدة تحقيقات مع الأهالي بواسطة مجلس عسكري ، ومن المعروف أن هذا المجلس واسع السلطة يقضى بعقوبات صارمة منها القتل والجلد وغيره وانه لا يوجد بينه أعضاء مصريون ، وسيترتب على ذلك ايقاع العقوبات على الأبرياء اذ أن تحقيقات ذلك المجلس تبني على بلاغات كاذبة فيحل العقاب بأفراد لم يقع منهم أى تشويش للأمن العام ، لهذا نطلب سرعة اتخاذ اللازم لاييقاف أعمال ذلك المجلس الى أن يبت فى الحالة الحاضرة ، ويعرف مجرى الأمور وفقا لما صرح به جناب القائد العام » .

حضرة عبد الواحد بك القط أيضا :

« انى أحتج كذلك على القبض حتى الآن على عمدة نزلة الشوبك بواسطة جنود الجيش الانجليزى بعد ما ارتكبوه من الفظائع فى بلده وأرجو سعادة الرئيس ابلاغ أولى الأمر المختصين بطلب الافراج عنه رحمة بأهله وذويه الذين قتل الانجليز منهم نحو ستة أشخاص زميا بالرصاص ، كما أحتج على التصديق على ميزانية الحكومة للسنة المالية ١٩١٩ - ١٩٢٠ بغير الطريقة المتبعة وعلى ابقاء قوة من جنود الجيش البريطانى ببلاد مركز العياط لا ريب فى أنه لا يبعد اعتداء هذه القوة على تلك البلاد بمثل ما وقع فى بلاد نزلة الشوبك والعريزية والبدرشين وغيرهما ، وآمل خيرا أن تشكل الوزارة المصرية فى القريب العاجل حتى ترجع المياه الى مجاريها ويأخذ العدل مجراه » .

[٢٥٨]

بعد انتهاء المداولة صدر القرار التالى : -

« قرر المجلس باجماع الآراء الموافقة على جميع الاحتجاجات الواردة بهذا المحضر وابلاغ جميع ما دون فيه حضرة صاحب العظمة السلطانية ولأولياء الأمور وللهيئات الرسمية بالقطر المصرى بواسطة هيئة المجلس الحاضرة الآن .

(١) وضع عبد الرحمن فهمى خطا تحت عبارة « ورماء بالرصاص فقتل اثنان » والى جانبها علامة X ويبدو أن المعلومة التى قدمها « فضل بك الزمر » غير صحيحة .

حضرة أحمد بك المليجي :

« ولعله يحدث بعد ذلك التحقيق الذي تشيرون اليه سعادتكم مع جلاء الحقيقة المعروفة للملا أن يصدر بلاغ آخر يصحح ذلك البلاغ الأول . »

« سعادة الرئيس »

« أملى ذلك ان شاء الله . »

حضرة محمد أفندي منصور عطا الله :

[٢٥٦] « أنه حتى اليوم الثالث من حوادث نزلة الشوبك كانت الأهالي تجد جثث قتلاها خلال مزارع القمح وطافية على وجه الماء في الترع وان ما أعدم من المواشي من قذائف المدافع ورصاص البنادق التي أطلقها بعض رجال الجيش الانكليزي يفوق كل تقدير ، أما حاصلات البلد من الذرة التي كانت تجفف بحرارة الشمس فوق سطح المنازل فهذه قد رشتها الجنود البريطانيون بالنزيرين وأحرقوها فترتب على ذلك خسارة عظيمة هي جميع حاصلات الأهالي . »

حضرة أحمد بك المليجي :

« بمناسبة ما ذكره حضرة زميلي محمد أفندي منصور عطا الله أقول أن قوات الجيش الانكليزي يرسلون قوات من الجيش المذكور للبلاد الهادئة التي لم تحدث منها أية مخالفة للقانون وها أنتم يا سعادة الرئيس بصفتكم مدير المديرية تعلمون أن مركز الصف لم يحصل منه أى اعتداء ، ومع ذلك فقد أرسلت اليه قوات انكليزية حال أنه معلوم أن الأهالي لا يفهمون اللغة الانكليزية وأن الجنود البريطانيين لا يفهمون اللغة العربية وبذلك لا يبعد أن يحدث سوء فهم بين الفريقين . لهذا أحتج بصفتي نائبا عن أهالي ذلك المركز على ارسال تلك القوات وأطلب من هيئة المجلس الموافقة على هذا الاحتجاج معى حتى لا يقع ببلاد المركز المشار اليه مثل ما وقع بالبلاد التي أشرنا الى حوادث الاعتداء عليها في احتجاجنا الذي تلى في الجلسة الآن . »

حضرة فضل بك الزمر :

[٢٥٧] « انه حدث بالأمس ، بينما كان القطار سائرا بالأهالي في امبابية يحملون الأعلام ابتهاجا بالسماح للمصريين بالسفر الى أوروبا وعرض مطالبهم أن اعتدى بعض الانجليز على القطار ورماه بالرصاص فقتل »

الأمة الأسيفة المطالبة باستقلالها ترضى عنها الأمة البريطانية أو تبرر حدوثها ، واننا لنتنظر بصبر نافذ حكم الأمة البريطانية على هذه الجنايات التي ارتكبت بواسطة جنودها بعد أن أبدينا حقيقتها إجماليا من واقع التحقيقات التفصيلية في المحاضر الرسمية للحكومات المصرية .

« لهذا نرفع أولا احتجاجاتنا الشديدة كنواب عن هذه المديرية على ما حدث فيها من الاعتداءات ضد الحركة الوطنية ونطلب ثانيا أن يبلغ هذا الاحتجاج بواسطة جميعا أو بواسطة لجنة منا لعظمة مولانا السلطان وللجهات الرسمية المسئولة في القطر المصري مشفوعا ببناء الأمة المصرية ومطلبها الوحيد (وهو الحصول على الاستقلال التام) كما نطلب أن يرفع عن عاتق الأمة حالا كل ما يضاد النداء بهذا الاستقلال التام المنشود » .

قال سعادة الرئيس :

« مع اعترافى بأن ما حدث بنواحي إمبابة والعزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك هو عمل وحشى أذكر لحضراتكم أن الأفراد الذين قدموا الى شكاو عن ذلك قد عملت لهم التحقيقات اللازمة بواسطة حضرة مأمور ضبط المديرية (الذى أثق به وأعتبره كشخصى فى اجراء هذه التحقيقات) وترجمتها وعملت تقريرا يشمل احتجاجى على ما وقع من الاعتداء على تلك البلاد وأرسلت كل ذلك لوزارة الداخلية كما أرسلت صورا أخرى من هذه التحقيقات وذلك التقرير لمدار الحماية ، ولمركز قيادة الجيش البريطانى فى سفوى أو تيل بناء على طلبهما وجاءنى منهما ما يفيد أنهما اعتنيا بتقريرى وأنه تقرر تأليف لجنة لاعادة التحقيق بخلاف اللجنة الأولى ، وبما أنى اعتبرت أن هذه الحوادث كأنما وقعت على شخصى بالذات لوقوعها فى دائرة مديرتى وبغير علم منى ، فانى أصرح لكم بأنه ان لم يرضنى التحقيق الذى سيعمل فانى لا أرجع عن الاحتجاج عليه بكل قواى مهما ضحيت فى سبيل ذلك من الجهد والمركز ٠٠٠ »

[٢٥٥]

حضرة أحمد بك المليجى :

« مع شكرنا لسعادة الرئيس على جهاده فى سبيل أمته أقول أنه بالرغم عما احتج به سعادته قد صدر البلاغ الرسمى عن الحوادث التى وقعت مضادا للتحقيقات التى عملتها المديرية » .

سعادة الرئيس :

اننى علمت أن الضابط الذى صدر عنه ذلك البلاغ يجرى معه الآن تحقيق دقيق . وأنه قد أبدل بآخر منذ احتججت بتقريرى الذى نوهت لكم عنه » .

لتصريفها بالحكمة والعدل ولكننا مع الأسف وجدنا أن الصوت الصامت من صدر هذه الأمة لا يصح أن يكون مؤيدا تأييدا تاما مادامت العدالة لم تأخذ مجراها القانوني .

« تتلخص تلك الشكايات في أن بعض الجنود البريطانية أحدثت من الاعتداءات ضروبا شتى كاحراق القرى (١) . والبلاد في غسق الليل وفي جوف النهار ، وقتل الأبرياء رميا بالرصاص وسلب الأهالي أموالهم وحليهم وقتل مواشيهم ، وأخذ الطيور عنوة ، والاعتداء ، يا للأسف على الأعراض ، اعتداء يندى له وجه الفضيلة وتنتحر أمامه المروءة والشهامة كأمثال ما وقع في بلاد امبابة والعزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك من بلاد مديريتنا وكما ثبت كل ذلك في محاضر التحقيق الرسمية التي أرسلت الى جهة الاختصاص ، ولكن مما يسوءنا جميعا أن البلاغات الرسمية التي تصدر عن مثل هذه الوقائع تدل على أن مبلغها لم يتورعوا في قلب حقائقها .

« كان الذي وقع من الاعتداء تأديبا للأهالي (على ما قيل) بدعوى أنهم عطلوا طرق المواصلات بالسكك الحديدية وأن عملهم هذا مقصود به النهب والسلب . مع أن الواقع ينافي ذلك ويقرر أنه ما كان ثمة نهب ولا سلب وانما هي الرغبة (بعدما حيل بين الأمة وبين ابداء مطالبتها بواسطة رجالها الذين أنابتهم عنها) في أن تسمع هي بذاتها نداءها للأمم الحرة وتعبير عن رغباتها بكل طريقة ووسيلة لتحيا حياة الأمم التي لم تكن مثلها في الذكاء والنبوغ وخولت حق المطالبة باستقلالها التام في مؤتمر السلام .

[٢٥٣]

« وان هذه المطالبة ما كانت محرمة في أى قانون من القوانين ليحال دون وصولها الى حيث تريد الأمة عن بكرة أبيها ، خصوصا وأن مبدأ مظاهرتها بهذه المطالب كان سلميا محضا ، بل ان الاستقلال التام الذي هو أهم تلك المطالب وأولها والذي هو بغيتنا جميعا لا نستطيع أن نقول بأن أمة عظيمة كالأمة البريطانية تقف في وجهه وتحول دون ابداء أمنية الشعب المصرى بأكمله فيه ، وهي من كبار الأمم الحرة وحليفة الأمم الأخرى مثلها ، التي حاربت معها على تأييد حقوق الشعوب وحرية الأمم ، وأن الوقوف حجر عثرة أمام مطالبنا المشروعة يعتبر وقوفا أمام الرأى العام ، وما أبداه مؤتمر السلام من اتباع الشروط الأربعة عشر المشهورة ، التي وضعها جناب رئيس الولايات المتحدة وقبلتها كل الحكومات المتحاربة ، بل اننا لنجهر أيضا بأننا نشك في أن مثل هذه المصائب الشديدة والبلايا الفادحة التي وقعت من بعض جنود الجيش البريطانى على رأس هذه

[٢٥٤]

(١) عند كلمة احراق القرى علق عبد الرحمن فهمى في الهامش بقوله : « بيان الفظائن » .

السلب والنهب ولكن أرادوا بهذا أن يسمعو صوتهم بعد أن رأوا صوت مفكريهم وقادة الرأي العام في الأمة المصرية قد ذهب صرخة في واد ، وانهم مع ذلك لم يكرروا هذا العمل بعد أن نشر منشور القائد العام الذى توعده فيه بالعقاب الصارم كل من يعتدى على تخريب السكك الحديدية .

« ولكن الا يوجد بالشرائع الوضعية أو الالهية عقاب لجان غير سلب أمواله وحرق داره وهتك عرضه كما ثبت كل ذلك فى تحقيق الحوادث التى وقعت ببلاد مديريتكم ، وكما بلغ لنا وللمديرية كتابة ممن وقع عليهم هذا الاعتداء ؟ اننى أقول ولا أبالى بأن هذه الفظائع التى ترتكب فى البلاد من جنود الجيش الانكليزى لهى وصمة عار لا تمحى . وصمة عار لا ترضى عنها الأمة الانجليزية الحرة التى لا ريب فى أنها ستنتبرأ منها . والآن وقد اجتمعتم لتعملوا واجيبكم حيال الأهالى الذين انتخبوكم عنهم ، فلتقدموا احتجاجكم لرجال الحكومة ولرجال بريطانيا العظمى حتى يكون هناك حد لتلك الفظائع ولتسمعو صوت أمتكم ورغباتها حتى لا يقال أن طلبات الأمة المصرية التى يسمونها (طلبات مبالغ فيها) هى رغبات أفراد غير مسئولين .

[٢٥١]

اننا ها هنا نثوب عن خمسمائة وخمسين ألفا من النفوس ، وهذا عدد سكان المديرية وكلنا يعلم ما هى رغباتهم فلنبين هذه الرغبات لتتفاهم مع أصحاب الشأن المسئولين حتى نكون قد أدينا الواجب المفروض علينا حيال هذه النيابة التى خولتها لنا الأهالى .

« وهاكم احتجاجى واحتجاج زملائي الأعضاء معى سيتلى عليكم لتقديره ، اذ لا حيلة للأمة غير هذا العمل مادامت جمعيتها التشريعية معطلة ولا توجد هيئات نيابية يمكنها أن تعبر عن آراء الأمة فى الوقت الحاضر غير مجالس المديريات ، فبصفتنا احدى تلك الهيئات النيابية المنتخبة بواسطة الأهالى نقدم احتجاجنا هذا (وهنا قدم حضرة الاحتجاج لسعادة الرئيس موقعا عليه من جميع حضرات الأعضاء الحاضرين بالجلسة وأمر سعادة الرئيس بتلاوته فتلى وهذا نصه :)

« تقدمت الينا من بعض أهالى مديرتنا بصفتنا نواب الأمة المنتخبين عنها فى مجالس المديرية شكاو (١) عما يحدث ببعض بلاد المديرية من الاعتداءات الفظيعة والجنايات الفتاكة بهيكل الانسانية وحرمة الفضيلة تلزمتنا مراكزنا النيابية بالنظر فيها لتبليغها للجهات الرئيسية المسئولة بالقطر المصرى .

[٢٥٢]

« ولقد صدرت تلك الشكايات من نفوس مكلومة وأفئدة قريحة تعبر عن آلام قد أحسستنا بها جميعا ولم نقف حيالها هذه المرة الا انتظارا

(١) جمع شكوى

والتيك نص محضر هذه الجلسة :

محضر الجلسة الأولى الاستثنائية المنعقدة فوق العادة في يوم الأربعاء ٨ رجب سنة ١٣٣٧ الموافق ٩ إبريل سنة ١٩١٩ :

[٢٤٩]

« فتحت الجلسة والساعة ١١ ونصف أفرنكي صباحاً بديوان المديرية تحت رئاسة حضرة صاحب العزة أحمد حمدي بك سيف النصر مدير الجيزة ورئيس مجلس المديرية ، وبحضور حضرات الأعضاء : فضل بك الزمر ، عبد الواحد بك القط ، حسين بك غراب ، أحمد بك المليجي ، بيومي أفندي مدكور ، سيد أفندي دويدار ، محمد أفندي منصور عطا الله سكرتير المجلس ، أمين أفندي فهمي أحمد ، ولم يحضر حضرة سعد بك مكرم افتتاح الجلسة ولم يعتذر .

قال سعادة الرئيس : طلب الى كل من حضرات فضل بك الزمر ، وعبد الواحد بك القط وأحمد بك المليجي وبيومي أفندي مدكور أعضاء المجلس أن يعقد اجتماع فوق العادة بما لهم في ذلك من الحق المنصوص عنه في الفقرة الثانية من المادة ٤٩ من القانون النظامي فدعونا حضرتكم للجلسة اليوم للنظر فيما سيبيده حضراتهم ، فقال أحمد بك المليجي :

« يا سعادة الرئيس ويا حضرات الأعضاء المحترمين : « ان هيئتكم الموقرة قد اجتمعت اليوم لا للنظر في قرارات لجنة التعليم ولا الموافقة على انشاء عزبة ولا للمناقشة في طلبات رئيسة المستوصف ، ولكنكم قد اجتمعتم لتعربوا لرجال حكومتكم المسئولين وللهيئات الرسمية في القطر المصري عما حل ببلاد مديريتكم من المصائب والرزايا التي تقشعر من هولها الألبان ، وتذوب من فظاعتها القلوب ، ويبرأ منها كل ذي عاطفة شريفة وكل ذي شعور نجى .

[٢٥٠]

« لقد كانت الأحوال الحاضرة التي لا يجهلها الصغير والكبير ولا الأمير والحقير ، سببا في اظهار الأهالي شعورهم الطبيعي ، شعورهم المسبب ، لا عن جبههم للسلب والنهب كما يقال عنهم ، بل لتطلعهم حياة جديدة كالأمم الحية التي يعاملونها وتعاملهم ويخالطونها وتخالطهم في كل وقت وأن . ولقد أبدى البعض منهم هذا الشعور بتعطيل خطوط السكك الحديدية لا لغاية غير شريفة بل لكي يسمع صوته (١) . اننى لا أبرر عملهم هذا ولكنى أقول ان هؤلاء الناس الذين اتهموا بتعطيل السكك الحديدية لم يكن غرضهم

(١) في اصل المذكرات تم وضع خطوط تحت هذين السطرين وإلى جانبهما علامة X وكانما لم يقر عبد الرحمن فهمي ذكر مثل هذه العبارة في محضر مجلس مديرية الجيزة .

هؤلاء الجنود الى اضطرابات خطيرة والى خسارة فى الأنفس من الجانبين على أن المأمول الآن أن يلوذ الجنود بالهدوء ويلزموا السكينة ويتركوا القانون والنظام للقائد العام ومما يجب أن يفهم أن كل عمل مستقل يقوم به الجنود يضاعف صعوبة مركزنا عشر مرات » .

وقد نشر البلاغ الرسمى الآتى فى ٨ أبريل :

« وردت الأنباء بوقوع بضع حوادث يؤسف لها فى خلال مظاهرة تحمس الشعب فى ليلة أمس فى القاهرة والاسكندرية ، ومن المحتمل أن هذه الحوادث وقعت بسبب سوء التفاهم . والتحقيق جار فى هذه الحوادث » .

[٣٤٦]

« أما الحالة فى الأقاليم فلم يطرا عليها تغيير » .

وفى يوم ٩ أبريل نشر البلاغ الآتى من دار الحماية :

بلاغ رسمى

[٣٤٧]

دار الحماية فى ٩ أبريل ١٩١٩

« وصل الى مسامع فخامة نائب الملك الخاص مع الأسف الشديد ما وقع من بعض الحوادث الموجبة للأسف فى خلال مظاهرات أمس (١) فأمر بتأليف لجنة للتحقيق فى الحال عن هذه المسائل حتى يحال المجرمون فيها على العدالة ليعاقبوا » .

احتجاج مجلس مديرية الجيزة على الفظائع الانكليزية

[٣٤٨]

التي ارتكبت فى هذه المديرية

لما كانت الحوادث التي ارتكبتها الجنود البريطانيون ببعض جهات مديرية الجيزة التي تكلمنا عليها بتفصيل فيما سبق من الفظاعة بمكان عظيم جدا اجتمع مجلس مديرية الجيزة فى جلسة غير اعتيادية فى ٩ أبريل ١٩١٩ بصفته الهيئة النيابية التي تمثل المديرية (٢) ورفع صوته عاليا محتجا على تلك الفظائع الوحشية .

(١) يشير فى هذا الى صدامات جرت خارج حديقة الأزبكية وتم خلالها تبادل النيران بين المتظاهرين والجنود الانجليز ، كذا للهجمات التي تعرض لها عدد من هؤلاء الجنود وهم يسرون فرادى والى قطع خطوط التلغراف والتليفون بين القاهرة والمادى .
F.O. 407/184, No. 251.

(٢) فى ظل القانون الأساسى (الدستور) الصادر عام ١٨٨٣ كانت مجالس المديرية الدرجة الأولى من الهيئات النيابية التي تتدرج الى مجالس شورى القوانين والجمعية العمومية اللذين تم استبدالهما عام ١٩١٣ بالجمعية التشريعية التي عقدت دورتها الوحيدة عام ١٩١٤ .

وهناك انفصل منه القضاة والموظفون وتقدموا نحو القصر هاتفين ثلاثا :
« ليحيى السلطان العادل » فرد عليهم الهمتهاف من احدى شرفات القصر
رئيس الديوان العالى وناظر الخاصة ورئيس التشرىفات .

اطلاق الرصاص على المتظاهرين

قامت فى نفس هذا اليوم مظاهرات كثيرة متشعبة كان الغرض منها
كما لا يخفى على القارئ اظهار شعور الأمة وابتهاجها باجابة مطالبها ، ولكن
لم يكن للجنود الانجليزية أن تترك مثل هذه الاحتفالات تنتهى [٢٤٤]
بسلام اذا أطلقوا الرصاص على المتظاهرين المسلمين لغير ما ذنب جنوه
أو جرم اقترفوه فقتلوا أربعة منهم بينهم فتى صغير (١) ، وحينئذ جرى
الدم حارا فى عروق المتظاهرين وكادوا يحدثون ما لا تحمد عاقبته وقد
حمل بعضهم الصبى والدم لا يزال يتدفق غزيرا من جرحه وذهبوا به الى
قصر عابدين وطلبوا الى عظمة السلطان أن يطل من شرفة القصر ليرى
وحشية الجنود الانجليزية فأطل عليهم أحد كبار رجال القصر ووعدهم
بتبليغ ذلك الى عظمة السلطان وهذا ما هدا من روع الشعب قليلا ، وسكن
من ثورة غضبه وحدثه .

ولقد اعترف بفضاعة الحادث المندوب السامى نفسه ، وتآلم له ، فأصدر
بلاغاً قال فيه :

« قام الوطنيون منذ شهور عديدة بحركة سياسية ، وبعد أن
استمروا على التهيج العنيف ألقى على بعضهم القبض وأرسلوا الى ماطة .
وهذا الاعتقال هو سبب الاضطراب الحاضر ، وقد استندى الجنود لرد
الأمن والنظام .

« وقد تغيرت الحالة فجأة وأطلقت الحكومة البريطانية الزعماء المعتقلين
فى ماطة وأذنت للمصريين أن يرسلوا مندوبيهم الى انكلترا ليعرضوا
شكواهم ، وقد سر المصريون لذلك بالبداهة وسمح لهم أن يقيموا الاحتفالات
كما يسمح لأبناء انكلترا بالاحتفال بأى نصر سياسى .

« ومن سوء الحظ أن الجنود لم يفهموا هذا على ما يظهر ولذلك حدث
مرة أو مرتين أن نفرا من الجنود قاموا بمظاهرات ضد المصريين الذين كانوا
قد أقاموا احتفالا غير موجه ضد سلطتنا بالمرة . وقد أدى عمل [٢٤٥]

(١) يقول التقرير البريطانى أن صداما قد جرى بين المتظاهرين والجنود البريطانيين
هند شبرد أطلقت فيه النيران من الجانبين وترتب عليه مقتل اثنين من المصريين وجرح
أربعة .
F.O. 407/184, No. 25.

ومما يحلو ذكره اشتراك النزلاء الأجانب فى هذه المظاهرات فقد كانوا يلوحون بقبعاتهم ومناديلهم للمتظاهرين وينثرون عليهم الأزهار ويصفقون لهم أعجابا وطربا .

ويجدر بنا أن نذكر تلك الحادثة التى تدل على مقدار ما يكنه الشعب الكريم لزعمائه المخلصين من الوفاء وحسن التقدير ، ذلك أنه تصادف مرور دولة حسين رشدى باشا فى ميدان الأوبرا فى الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم ، فما كاد الناس يرونه وهو يهيم بركوب سيارته حتى انقض على الناس وحملوه على أكتافهم منادين بحياته ، ومازالوا كذلك حتى وصلوا به الى قنطرة الدكة مارين بشارع كامل .

وكانت هذه الجموع كلها تحجج الى بيت الأمة حيث كانت السيدة الجليلة أم المصريين واقفة فى شرفة البيت بين كرائم السيدات فكانت الجموع تهتف بحياتها وحياة الزعيم سعد باشا وصحبه .

هذا وصف موجز لبعض ما حدث من مظاهرات الفرح والابتهاج فى ذلك اليوم وأن البيان ليعجز عن أن يأتى على وصف كل ما حدث تفصيلا .

[٢٤٣]

وما أشرقت غزالة يوم ٨ ابريل ١٩١٩ حتى استأنف الناس المظاهرات السلمية وقد امتازت مظاهرات هذا اليوم بفخامتها وجلالها وحسن ترتيبها ونظامها اذ كنت ترى الموكب تتقدمه الموسيقى تصح بنغمات وطنية يتبعها الموظفون ومعهم أعلامهم فالمدارس يتقدم كل مدرسة علمها وفى مقدمة الجنح علم قد رسم عليه الهلال يعانق الصليب والجميع ينادون ويهتفون بحياة مصر والاستقلال والزعماء .

وفى هذا اليوم أيضا تألفت مظاهرة عظمى اشترك فيها العلماء (١) والقسوس وأعضاء الجمعية التشريعية (٢) وقضاة المحاكم والمحامون والأطباء وموظفو الحكومة المصرية وطلبة المدرسة الحربية ومدرسة البوليس والمدارس العالية والثانوية والمعاهد الدينية والعمال ومع كل فريق من هؤلاء علمهم الخاص ، وقد سارت وراء هذه المظاهرة الرائعة مركبات تحمل عجلات الأسر الراقية بمصر وهن يهتفن « نحن فداء الوطن » .

وسار هذا الموكب المهيّب بروعته وجلاله حتى وصل الى ساحة عابدين

(١) يقصد علماء الدين .

(٢) معلوم أن الجمعية التشريعية لم تحل وإنما أوقفت جلساتها بعد قيام الحرب العالمية

مظاهرات السرور بعد اطلاق سراح

[٢٤١]

سعد باشا وصحبه في ١٩١٩/٤/٧

لا نبالغ اذا قلنا ان مصر لم تشهد يوما سارا في تاريخها مثل هذا اليوم الذي شهدته بعد الافراج عن سعد باشا وصحبه ، فقد خرج الناس جميعا من بيوتهم يؤلفون المواكب والمظاهرات ، تبدو على أساريرهم علامات الغبطة والابتهاج وهم فرحون مستبشرون بالمستقبل يهنئ بعضهم بعضا بهذا النصر السياسي العظيم .

أجل ما كاد نبا هذه البشرى السارة يصل الى الأذان حتى تألفت المواكب تطوف الشوارع وتخترق الميادين مهللة هاتفة بحياة مصر والمصريين ، وبحياة الذين ضحوا بأنفسهم وراحتهم في سبيل الحرية والاستقلال ، ولم يترك الناس مظهرا من مظاهر السرور والانفعالات - فكنت ترى قطارات الترام مزينة بغصون الأشجار والأزهار والمركبات المزودة بالأعلام والرياحين والناس من فوقها يصيحون ويهتفون لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي بل الكل في الوطنية سواء . ومن الأدلة الصادقة على ذلك ما كنت تراه من أحد مشايخ المسلمين وقد رفع صورة بطريك الأقباط يعلوها لواء مصرى كبير نقش عليه الصليب والهلال وهو يصبح بملء رأسه : ليحيى الاتحاد المقدس ، فيردد الجمع الحاشد هتافه بحماس عظيم .

ومما زاد المظاهرات جمالا وجلالا خروج السيدات في سياراتهن وعرباتهن وبأيديهن الأعلام ويلوحن بها وهن ينثرن الورد والأزهار على الجماهير هاتفات بحياة الوطن والاستقلال ، فيبثن روح الحماسة والاقدام في نفوس الشعب .

[٢٤٢]

ولم تكن عامة النساء أقل خبرة من هؤلاء فقد ركن عربات النقل وهن يزغردن (١) ويرقصن على نعمات الطبول والمزامير .

وفي ميدان الأوبرا كنت ترى منظرا جميلا يبعث البهجة في النفوس ، ذلك هو منظر تمثال ابراهيم باشا وقد قبض بيده على علم مصرى كبير .

(١) صحتها : يزغردن .

[٢٣٩]

- اطلاق سراح سعد زغلول باشا ورفاقه الثلاثة والسماح للمصريين بالسفر الى أوروبا

وجدت السلطة الانجليزية أن الأمة المصرية حينما هبت لطلب استقلالها واستعادة حريتها كانت جادة في رغبتها غير هائلة ووجدت أن نار الثورة كانت تزداد اندلاعا كلما تبادت في بطشها وقوتها ورات كذلك أن سياسة الشدة والعنف التي انتهجتها خلال الثورة قد قضى عليها بالفشل ، فلهذا أيقنت تماما بحرج مركزها في مصر ، فلم تر بدا من النزول على إرادة الأمة .

ففي يوم ٧ أبريل ١٩١٩ أعلن المندوب السامي إباحة السفر للمصريين ، والافراج عن سعد زغلول باشا ورفاقه ، وكان المنشور السلطاني السالف الذكر تمهيدا في الحقيقة لهذا الحل .

واليك نص البلاغ الصادر في هذا الشأن والذي كانت تلقيه الطيارات الى جهات القطر المختلفة .

[٢٤٠]

الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان أعلن أنه لم يبق حجر على السفر وأن جميع المصريين الذين يريدون مبارحة البلاد تكون لهم هذه الحرية وقد قررت علاوة على ذلك أن كلا من :

سعد زغلول باشا

واسماعيل صدقي باشا

ومحمد محمود باشا

وحمدة الباسل باشا

يطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر .

جلالة نائب الملك الخاص

أ . ه . ه . ه . اللبني

(١) كان الهدف من وراء هذا العمل بالإضافة الى تهدئة الأمور اتاحة الفرصة لتشكيل وزارة جديدة وامكانية العثور على طرف مصرى للتفاوض خاصة وأن الجانب البريطانى كان يعمل فى ظروف مواتية تماما بعد أن نجح فى الحصول على موافقة الدول على الحماية وتصور أنه بذلك قد أضعف من موقف الجانب المصرى .

بلاغ رسمي

[٢٣٨]

وفي يوم ٧ أبريل ١٩١٩ نشر البلاغ الرسمي الآتي : -

« وردت الأنباء بوقوع نزاع حزبي شديد (١) في جوار قنا يوم ٤ الجاري وأنه وقعت معركة عامة بين الفريقين المتنافسين أفضت الى وقوع بعض الخسائر في الأرواح ووردت الأنباء باحراق بضع قرى . أما السبب في هذه القلاقل فلا يزال غامضا .

وفيما عدا ذلك لم يقع شيء يذكر » .

(١) تقول الوثيقة الانجليزية التي تعرضت لهذا الموضوع أن نزاعا نشب بين مجموعة من القرى ولكن ليست له أية دلالة سياسية ، وتعبير حزبي الذي استخدم في هذا البلاغ مقصود به تحزب مجموعة من القرى . وليست الحزبية بمعناها السياسي .

وكانت نتيجة هذه المساعي أن أصدر عظمة السلطان فى مساء اليوم السادس من أبريل ١٩١٩ المنشور الآتى نصه :

« انى أنشر بين قومي هذه الكلمات التى كانت تختلج بصدرى من الوقت الذى أخذت تتوارد الى فيه ملتزمات الأمانى القومية نحو مستقبل البلاد . » [٢٣٦]

« وانى بالطبع لا أعنى بالبلاد الا بلادنا المباركة ، لا أعنى بالبلاد الا وطننا العزيز هذا ، الوطن العزيز الذى اقتضت حكمة الله أن يكون جدى الأكبر محمد على الكبير أكرم الله مثواه صاحب عرشه . »

« جلس جدى رحمه الله على عرش مصر والوقت عصيب والفتن سائدة والقوم فى شقاء بين ظلم الحكام وظلمات الجهالة فتعب فى راحة الوطن العزيز وسهر على أمنه وسعادته ونشر فى أرجائه رايات العدل وأنوار العرفان فضرب لنا بذلك مثلاً شريفاً لا يجدر بنا أن نضل بعده أبداً . »

« فكلما شعرت بدم هذا النابغة العظيم يجرى فى عروقى أشعر بمحبة هذا الوطن العزيز الذى لا ترضى نفسى بأن يكون محبوباً لغيري أكثر منى فيزداد اهتمامى بما يعود عليه من الخير والسعادة بعون الله . »

« ولما كنت عاملاً على هذا المبدأ الشريف بكل ما فى وسعى فانى أطلب أبنائى المصريين بمالى من حق الأبوة عليهم أن يتناصحوا بعدم الاستمرار على المظاهرات التى كانت عواقبها غير محموددة فى بعض الجهات وأن يخلدوا الى الراحة والسكون وانصرف كل الى عمله وهذه هى يد المساعدة التى أطلبها منهم . »

« وأسأل الله التقدير أن يمدنا فى جميع أحوالنا بتوفيقاته الصمدانية وان يهيم لنا فى أعمالنا من أمرنا وشئنا . » [٢٣٧]

الوقائع المصرية

القاهرة فى ٥ رجب - ٦ أبريل ١٩١٩ .

وفى المنيا ارتكبوا حوادث سرقة ونهب كثيرة . والاستراليون يظهرون من آيات الاستبداد ما يدهش الجميع وقد حدث أن كان يجلس على إحدى القهوات المستتر بروت المحامى الانكليزى ومحمد توفيق باشا رفعت المستشار وعرفان بك المستشار وكان الاخيران قد دعيا لتأدية شهادة أمام المحكمة العسكرية فمرت بهم عساكر الدائرية الاسترالية واخترقت وسط المجالسين خارج القهوة بخيولهم ثم دخلوا القهوة فقلبت الطاولات واضطر الجميع الى الهرب بما فيهم المحامى والمستشارون وأحد القضاة ، والنائب واختفوا فى لوكاندة نوم وقد أبلغ المستر بروت هذه الحادثة الى القائد العام .

[٢٣٤]

وقد حدثت حادثة بين المنيا وسمالوط تتلخص فى أن الجنود طلبوا من أحد الأهالى مائة بيضة فبلغ العملة وأخذوا يهتمون بجمع ما عندهم من البيض فلم يجدوا سوى تسعين بيضة ولما أحضروها للعسكرى تميز غيظا ورمى الفلاح المسكين بالرصاص فمات قتيلا لساعته .

أما حوادث قبلى المنيا فقد بلغت أقصى حدود الشدة والصرامة - وقد قبض على أربعة من الأعيان وعلى اثنين من المحامين وهم توفيق بك اسماعيل ومحمود بك عبد الرازق ومحمد أفندى على رحى وحسن أفندى على طراف ورياض أفندى الجمل المحامى والشهيد أحمد حتاتة المحامى بتهمة اغتصاب سلطة الحكومة والقائد العام لينشر على الناس أن كل مصرى يجب عليه أن يأخذ التعظيم الواجب لكل ضابط انجليزى يمر عليه .

كذلك محظور على كل موظف أن يبارح محل وظيفته الا بتصريح من القائد العام حتى ولو كان مريضا .

هدوء الثورة

ابتدأت الثورة المصرية فى ٩ مارس ١٩١٩ وأخذت تشتد ويستمر اوارها حتى نهاية مارس تقريبا ثم أخذت الحالة تهدأ نوعا ما بعد ذلك . ويمكن أن يقال بالاجمال بأن لهيب الثورة قد هدأ فى أوائل أبريل ١٩١٩ من الناحية العسكرية فقط . وذلك لأن النفوس كانت لا تزال محنقة تتوئب للاندفاع ثانية .

[٢٣٥]

استمرار اضراب الموظفين

وكان يوم ٦ أبريل ١٩١٩ موعد رجوع الموظفين الى مصالحهم ووزاراتهم ولكنهم أبوا أن يعودوا .

الا انه فى هذا الوقت كانت المساعى تبذل للخروج من هذا المأذق الحرج بالوصول الى حل ترتضيه الجهات الرسمية .

وفي الأيام التالية عملت ضريبة على كل بلد بتقديم عدد يومي من الأهالي لضربهم فكان على كفر الشيخ ٧٥ وعلى سخا ٢٥ وميت علوان ٣٠ وهلم جرا كل ذلك بدون محاكمة .

ولما عجز عمدة سخا وشيخ بلدها عن تقديم الضريبة المطلوبة من الرجال للمجند جاء بهما وزجا في السجن ثم أمرا بحمل التراب من تحت أرجل الخيل ونقله بالغلق ثم جاء بهما الى المستشفى حيث يسكن الضباط الانجليز وأمرا بإدارة الطلبة حتى امتلأ الخزان ثم أمرا بإدارة طلبة المركز على مرأى من الأهالي واستمرا كذلك مدة أربعة أيام .

وكان الانجليز يهاجمون القرى لجمع المجلودين بالقوة وكانوا لا يتورعون عن إطلاق الرصاص على الأمنين وطرق منازلهم .

حوادث المنيا وسمالوط

[٢٣٣]

وحدثت في المنيا وسمالوط حوادث مؤلمة تكفي بإيراد ما أرسله اليها الأهالي (١) عنها وهو :

نزلت فرقة من الجنود الانجليزية بسمالوط وأخذوا يهلبوا ما تقع عليه أعينهم من دجاج وأغنام حتى ضج الفقراء الذين كانوا لا يملكون غير البكاء والعيول .

وفي المساء نزل الجنود الى الخمارات فصاروا يشربون بلا ثمن وأطلقوا الرصاص على المحال المغلقة لأخذ الوسكى منها .

وقد اضطرت الناس الى دخول منازلهم ونبه على الخفراء ألا يهتكوا بأى جندي وكان رجال البوليس يملكون بالليل لتهدئة روع الأهالي والسيدات فأمسك بعض الجنود بالملاحظ وطلبوا اليه أن يستحضر لهم وسكى أو نساء والا اضطروا الى دخول المنازل .

لم يلبث الجنود الا ليلة في سمالوط وفي طريقهم الى المنيا رأوا غنما يسير على الجسر فأخذوا منه عشرة أغنام ووضعوها على عربة بالاكراه وقد تشاحنوا مع صاحبها الى أن وقعت في التربة الابراهيمية وأخرجوها .

(١) الواضح أن مصدر هذه الأوراق المراسلات التي بعث بها الأهالي الى سكرتيرة الوفد مما يمكن القول انها أوراق لا توجد الا في مذكرات عبد الرحمن فهمي .

واليك ملخص بعض ما وصل الينا من أهالى مركز كفر الشيخ وهو يؤيد تماما ما حواه خطاب عبد القادر أفندى مختار الى مدير الغربية :

وصلت الحياالة (١) البريطانية الى كفر الشيخ حوالى الساعة السابعة صباحا ولما اقتربت من البلدة تفرقت ودخلتها من جميع الجهات وانخذلت مركز البوليس مقرا لها . ثم قصبت فرقة منهم البنايات المهمة مثل نفتيش الأوقاف السلطانية الذى دخلوه شاهرين السلاح وأنزلوا جميع الموظفين منه وطلبوا رئيسه فنزل وكان معه طبيب المركز يعود ابنه المريض فضموهما الى موظفى التفتيش وساقوهم الى المركز . وبعد قليل حضر وكيل النيابة ليستكشف الخبر فضموه اليها واقتادوا الجميع وزجوا بهم فى سجن المركز بعد أن أخذت صورهم الفوتوغرافية مرارا أثناء الطريق وبعد مدة طويلة أخرج من السجن وكيل النيابة ومفتش الأوقاف وحكيم المركز وبقي باقى الموظفين الى ما بعد العصر .

[٢٣١]

ودهبوا الى نادى الموظفين شاهرين السلاح وسألوا الخادم عن أسماء بعض الناس الطيبين فى النسادى فذكر - تحت تأثير الرعب - اسم عبد المجيد خليل حكيم ثانى مستشفى كفر الشيخ واسم قاطر المدرسة واسم ناظرة مدرسة البنات . وحوالى الساعة الرابعة زجوا الآخرين فى السجن .

أما الأول فقد دعاه المستر جنت فى مكتب منفرد وقال له أنت متهم بأنك من رؤساء المظاهرات فأذكر أنه يعرف شيئا عنها قبل حدوثها وبعد مناقشة زج فى السجن كذلك .

وقد بات الجميع ليلتين على الأسفلت . وفى أثناء الليل كان يسمع صوت جلد فى الظلام الحالك والمجلودون لا يجدون من يغيثهم .

« وفى صباح اليوم التالى بعد رجاء والحاح شديدين سمح لهم بالذهاب الى المراض وأمروا بحمل الجرادل وكلفوا بتنظيفها بعد افراغها مما فيها .

[٢٣٢]

وقد أفرج عنهم بعد جهد كبير وبعد أن ألقى عليهم مستر جنت محاضرة مؤداهما أن مصر لا يمكن أن تحصل على استقلالها الا بالقوة وأن انجلترا أقوى منها وأنه ما دام قنال السويس موجود فالانجليز لا يخرجون من مصر أبدا .

وكان الجنده يهاجمون الدكاكين يأخذون المأكولات بالقوة وهم شاهرون السلاح .

(١) الفرسان

فياسعادة المدير :

بناء على تلك التصريحات التي فاه بها جناب الجنرال اللنبى ذلكم
البطل العظيم أرجوكم الأسراع فى تقديم تلك التحقيقات والتقارير انى
تقدم لسعادتكم من مأمورى المراكز مشفوعة بنتيجة وافية • وأرجو السرعة
فى ذلك يمثل الطريقة التي كنتم سعادتكم تتبعونها فى تنفيذ طلبات
السلطة العسكرية التي كانت تنفذ بطرق غير مشروعة وكنا نرتكب هذا
العمل ضد ضماننا طمعا فى كسب مرضاة الرؤساء الانجليز الذين كانوا
فى شدة محنتهم • واذا كان هناك داع لوصف تلكم التصرفات فاني
أذكرها فى تقرير واف •

« ولأنه لما كان جناب الجنرال اللنبى يهتم بتموين الجيوش المحاربة
فهو يهمل الآن عمل كل ما يلزم لسعادة الشعب المصرى وراحته •
« وبكل احترام أرجو تبليغ تقريرى هذا لحضرة صاحب الدولة
رئيس الوزراء الذى قرر فى أمر تعيينه الجملة الآتية : (أملا فى حل
يرضى الأمة) •

« وقال دولته أيضا فى حديثه مع صاحب الأهرام : (ولولا حرصى
على القيام بواجبى نحو وطنى لما قدمت فى هذه الظروف الصعبة) • فلا
شئ يرضى الأمة المصرية الآن أكثر من فحص التعديلات التي حصلت على
قراهمن جيوش جلالة ملك الانجليز • واذا قام دولته بهذا الواجب
فيكون قد قام بأعظم واجب نحو وطنه •

« واني يا سعادة المدير أقسم لك بوطنى العزيز تشبها بعظمة مولانا
السلطان حفظه الله • حيث جاء بمنشوره الكريم : (وأسعد بمحبة هذا
الوطن العزيز الذى لا ترضى نفسى بأن يكون محبوبا لغيرى أكثر منى) •
وأقسم بمصر المحبوبة • بأن سعادتكم ان لم ترسلوا تقريرى هذا فورا
لمعالى وزير الداخلية للنظر فيما جاء به وان لم تنفضلوا بأن تعرضون
كتابة فى مدة ٢٤ ساعة من وقت وصوله لسعادتكم فاني أبادر بتبليغه
لمعالى وزير الداخلية وللدولة رئيس الوزراء ولعظمة الحضرة السلطانية
وجناب الجنرال اللنبى •

« ولا أكتفى بذلك بل أترجمه للغات الأفريقية وأوزعه على حضرات
قناصل الدول بمصر وسعادتكم تكونون مسئولين أمام من يهمهم عن هذه
التصرفات ونتائجها •

وأرجوا أن تتنازلوا بقبول فائق احترامى •

١٢ إبريل ١٩١٩

الامضاء

مأمور مركز كفر الشيخ

يرتقال جالسة بقرب لوكاندة الشرق فهجم عليها هذان العسكريان • ولما أراد ولدهما منعهما من التعدي على التجارة القليلة التي يتعيشون منها • ضربه أحدهما برجله ضربة ألقته على الأرض وتمكن العسكري الثاني من سلب كمية من البرتقال • وسارا في الشارع على حالتهم الفظيعة حتى اختفيا عن نظري ولا أعلم ما النى حصل منهما بعدئذ من التعديات •

« فيا سعادة المدير • بما أن جناب الجنرال اللنبى صرح لأعيان البلاد في حديثه لهم يوم ٢٧ مارس ١٩١٩ » « وبعدما يعود الأمن الى البلاد فلي ملء الثقة أنكم تعتمدون على بأن أنظر بلا محاباة في جميع أسباب الشكاوى • وأوصى بكل ما يلزم لسعادة الشعب المصرى وراحتة » • ثم قال جنابه في منشوره الصادر في ٧ ابريل ١٩١٩ « الآن وقد عاد النظام بنجاح تام عظيم » •

« فأرجو سعادتكم :

اولا : سحب القوات الانجليزية الموجودة بكفر الشيخ •

ثانيا : تكليف أحد الموظفين المصريين بعمل تحقيق دقيق في جميع التعديات والتصرفات التي حصلت بالمركز مدة وجود القوات الانجليزية •

ثالثا : كل التحقيقات التي عملت مدة وجود القوات الانجليزية بالمركز يضرب بها عرض الحائط • ولا يلتفت اليها لأنها كانت مبنية على أغراض وذلك مما يخالف تصريحات الجنرال اللنبى السابقة •

رابعا : أكون أنا مأمور مركز كفر الشيخ مشرفا على جميع هذه الاجراءات •

[٢٢٨]

« واني أيضا أقترح على سعادتكم عقد جمعية من مأموري المراكز بأسرع ما يمكن لتكليفهم بعمل تقرير مطول عن جميع التعديات التي حصلت من عساكر جيوش جلالة الملك وتقديم تلك التقارير لوزارة الداخلية مشفوعة برأيكم عن كل حادثة •

« وهذا العمل الجليل والخدمة الصادقة تكون مطابقة لرغائب جناب الجنرال اللنبى حيث جاء بهديته مع مكاتب جريدة وادى النيل (ولقد أخذت على عاتقى القيام بفحص جميع المطالب بدون تحيز أو محاباة • كما انى على استعداد للنظر في الشكاوى في المستقبل متى عادت السكينة •

« انى لا أمنع أى شخص من الاعراب عن رأيه بالوسائل المشروعة واني على استعداد لسماع ما يعرض على من المطالب والشكاوى » •

انجليزية بكفر الشيخ كما بلغنى . وبهذه الوسيلة تمكن من احضار قوة انجليزية مسلحة بجميع الأسلحة وحضرته على رأسها وعددها نحو الأربعمئة عسكرى .

« وأول ما عملته بإرشاد المستر كرى هو إبعاد المأمور عن المركز فى الحال . وفعلنا قمت الى طنطا فى حينه . وأذاع بين عموم الأهالى بأن المأمور رقت وليس له عودة (وله فى ذلك مأرب ذكرته جملة فى بعض التقارير وسأذكره تفصيلا اذا كان لذلك ضرورة) ثم أملى على الضباط والعساكر كيف ينتقمون من الأهالى لأن بعضهم كان فى عزمه التعدى على شركته وليكبر مركزه فى عيون معشوقته .

[٢٢٦]

« ويا للأسف فان القوات الانجليزية بتأثير هذا الانسان طنت أنها تؤدى الواجب . فارتكبوا ما ارتكبوا من السلب والنهب والضرب بدون شفقة ولا رحمة والتعدى على النفس والمال . ولولا أغراض هذا الرجل لما حصل شيء من ذلك .

« ويظهر ان هذا المسكين خائنه فكرته فى فهم ما فاه به جناب الجنرال اللنبى للأعيان المصريين يوم ٢٧ مارس ١٩١٩ حيث قال فى حديثه :
(وأنا مستعد أن ألقى اتكالى عليكم لنبدأ بالعمل حالا لتهدة الحواطر الهائجة الآن) .

« وحسب المستر كرى أن الحواطر الهائجة لا تسكن بمركز كفر الشيخ الا بعد أن ينفذ أغراضه الشخصية ويعود مطمئنا على معشوقته .

« فبينما كان الفلاح المصرى بكفر الشيخ يسيل دمه من طلقات البنادق ويتمزق جسبه من الجلبة بالكرباج لأنه يطلب استقلال بلاده . الأمر الذى أجمع عليه المصريون كبارهم وصغيرهم شريفهم وحقيهم وجميع الموظفين على اختلاف طبقاتهم حتى العسكرى والحقير . فان المستر كرى الانجليزى يمرح تيهها ودلالا بلباسه العسكرى على منظر من معشوقته المحصنة بين الاوتومبيلات المسلحة والخيول المطهمة والبنادق المفوّهة ، والسونيكيات المسننة . فرحماك اللهم رحماك .

« وانى أذكر لسعادتك حادثة شاهدها بعينى أول من أمس بطنطا وذلك بينما كنت أتناول طعام العشاء بلوكاندة الأهرام فى نحو الساعة الثامنة والنصف مساء اذ خرج اثنان من العساكر الانجليز كانا بداخل اللوكاندة ويبد أحدهما سكين من متعلقات اللوكاندة شهرها فى وجه المارة ويتلفظ بأقذر الشتائم ضده مصر والمصريين . وكانت امرأة بائعة

[٢٢٧]

« هذه الأفعال التي اذا بلغت مسامح المستر لويد جورج لاهتز في رئاسته . أو اللورد كرزون لحزن في وزارته أو اللورد أفبري لبكى بين كتبه أو المستر سبنسر لذابت رفاتة الطاهرة في قبره .

« تلك الأعمال المخجلة والأفعال الدامية ترتكبها جيوش جلالة ملك الانجليز بارشاد المستر كرى مدير شركة « الراحال » (١) الذي عاش بين أهالي مركز كفر الشيخ نحو ستة عشر سنة في أرغد عيش ومتع بالذ النعم .

« هذا الرجل الذى طعن الاسلام في قلبه بخنجر مسقى بالسقم الزعاف هذا الانجليزى الذى داس العفاف بنعاله . وهزم الفضيلة بأفعاله . ذلكم الرجل الذى تغلب على عرض امرأة مسلمة محصنة فاستهواها وضغط على بعلاها بماله من قوة المنفعة لأنه خادمه فعاش هذا الانجليزى مع ذلك المخلوق الضعيف خلف ستار الشريعة المحمدية الغراء يقصد بذلك أن يعلن أن تلك المرأة التى ليس لها حول ولا قوة هي زوجة خادمه .

« عاش هذا الرجل على تلك الحالة المردية في وسط بلاد اسلامية لا يخشى الله ولا يهاب الناس والكل يعرفون الحقيقة حتى رجال الانجليز أنفسهم .

« ولما حصل الانقلاب الأخير عرضت على هذا الانجليزى ثلاث مرات أن يقوم الى مركز الشركة بالاسكندرية أو طنطا . خشية التعدى على حياته . خصوصاً لتلك الأسباب البادية المذكور . حتى لا يقال ان المصريين ينتقمون من الانجليز ، فرفض .

[٢٢٥]

« ولذلك بلغت سعادتك . وذكرت في تقريرى أن المستر كرى لا يمكنه ترك مركزه حتى لا يغيب لحظة عن معشوقته « عزيزة » كما قيل لى من المستر دلوور مدير شركة سابا وكان هذا الجواب سبباً لانتشاله بالقوة من بين أحضان معشوقته . وذلك بواسطة سبعة أو ثومبيلات مسلحة حضروا لهذا الغرض .

« فكبر على الرجل أن يعامل هذه المعاملة وأراد الانتقام لنفسه . وليس لخدمة دولته فانتهز الظروف وأراد الصيد في الماء العكر فأوهم الانجليز بتقرير مطول أن مركز كفر الشيخ أصبح شعلة نار وعلى رأسه المأمور وغرر ببعض الأهالي بكتابة طلب للسلطة العسكرية يطلبون قوة

(١) إحدى شركات الاراضى فى ناحية الراحال بكفر الشيخ .

« وعلمت أنهم وهم في استعمالهم هذا الارهاب الشديد يمشون بعض العمدة والتجار على رضائهم لوجود الاحتلال الانجليزى بمصر .

« فبصفتى مأمور مركز أبلغك ما علمت وسعادتكم تكونون مسئولين شخصيا أن لم تبلغوا هذا لوزارة الداخلية بحيث يصل البلاغ لموظف مصرى مسئول . وذلك للنظر في هذه الحالة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

مأمور مركز كفر الشيخ

عبد القادر مختار

« حفرة صاحب السعادة مدير الغربية »

[٢٢٣]

« الحاقا لبلاغنا المرسل لسعادتكم بتاريخ ٥ أبريل ١٩١٩ المتضمن المعلومات التى وصلتنا عن معاملة القوات الانجليزية الموجودة بمركز كفر الشيخ من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ للأهالى . وذلك بأنهم (جارين جلدتهم) بدون شفقة ولا رحمة وبدون تحقيق .

« قد علمنا أن ضباط هذه القوة شرعت في منح ترصية مالية لكل شخص جلد نظير أن يقرر كتابة بأنه لم يجلد بقيمة المبلغ ٥ جنيه لكل شخص . وعلمت أن الأهالى الذين عرض عليهم ذلك رفضوا أخذ ترصية متمسكين بحقوقهم أمام العدل الانجليزى .

« والواسطة في ذلك كان أحد التجار المدعو عقل محمد وهو واسطتهم في جميع التصرفات تقريبا . وعلمت أيضا بمزيد الأسف والحزن أن العساكر الانجليزية بكفر الشيخ استعملت سراى المدرسة الابتدائية ودور العلم مربوطا لخيولهم واستعملوا أخشاب سياج السراى فى المطبخ وعمل الشاى . ولم يكفهم ذلك بل عرجوا على تحت التلاميذ وأحرقوها فى المطبخ أيضا .

« والذى يجمد القلب أمامه ويجف المداد له هو أن هؤلاء العساكر استعملوا أوراق كتب الدراسة التى بينها أجزاء المصاحف الشريفة والكتب المقدسة لتنظيف فضلات الغائط وهم بالمراحيض .

[٢٢٤]

« تلك التصرفات التى يقوم لها رجال الدين . وتهتز لها أركان المساجد والكنائس وتسجد لها حياء دور الجامعات والكليات .

بلاغ رسمي

وفي اليوم التالي نشرت السلطة البلاغ الرسمي الآتي :

[٢٢٠] « وردت الأنباء منذ صدور البلاغ الرسمي بأن جمهورا معاديا هجم صباح أمس على دورية في حي السيدة زينب ، فاضطرت الى اطلاق النيران . وقد قتل لسوء الحظ ولد في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره كان بين الجمهائر ولم ترد أنباء عن وقوع خسائر أخرى .
« وأصلح الخط الحديدي في الوجه القبلي من القاهرة الى المنيا ، وبذا عادت المواصلات مع أسوان .
« وعدا ذلك لم يقع شيء يذكر » .

فطائع الجنود الانجليزية بمركز كفر الشيخ

[٢٢١]

بلغت تعسفات الجنود الانجليزية منتهى القسوة والفظاعة ، فكانوا لا يقنعون بنهب مالهى الأهالى من مال وحلى ومتاع ، بل كانوا يندفعون فيما هو أدهى من ذلك وأمر من حرق القرى لأوهى الأسباب أو لغير ماسبب من الاعتداء على الأرواح البريئة وعلى عقاف النساء . وقد زادوا على ذلك بأنهم ابتدعوا بدعة جديدة نلك هى متعة جلد الأهالى بقسوة وفظاعة لغير سبب الا الرغبة فى الانتقام وقد كانوا يفرضون على كل عمدة أن يحضر لهم أنفارا أيا كانوا لجلدهم . ومن يتأخر منهم عن استحضار العدد المطلوب كان عرضة لأشد أنواع العذاب .

وليس لدينا برهان أقطع على صدق ذلك أكثر من خطاب عبد القادر افندى مختار مأمور مركز كفر الشيخ الذى أرسله الى مدير الغربية فى هذا الشأن ثم خطابه الثانى الى مدير الغربية أيضا والذى فصل فيه ما أجمله فى خطابه الأول واليك نص الخطابين :-

« طنطا فى ٥ ابريل ١٩١٩ :

[٢٢٢]

« حضرة صاحب السعادة مدير الغربية :

« علمت من جملة مصادر أن القوات الانجليزية الموجودة الآن بمركز كفر الشيخ من يوم ٢٥/٣/١٩١٩ جارين جلد الأهالى بدون شفقة ولا رحمة وبدون تحقيق ، وفقط يحتمون على كل عمدة أن يحضر لهم أنفارا أيما كانوا لجلدهم .

[٢١٨]

الاجتماع العظيم بجامع طولون

كانت معظم الاجتماعات تعقد بالازهر الشريف • وكان في نية الموظفين وغيرهم من سائر الهيئات أن يعقدوا اجتماعا في يوم ٥ ابريل فلما علمت السلطة بهذا وضعت على منافذ الازهر القوات الانجليزيه • المسلحة • فلما رأى الزعماء ألا سبيل الى عقد الاجتماع بالازهر قرروا الاجتماع بجامع أحمد بن طولون لاتساعه •

وقد احتاط المجتتمعون للأمر فأقاموا المتاريس وحفروا الخنادق عند منافذ الطرق المؤدية لمكان الاجتماع •

وعند سبيل أم عباس بالصليبية أقيمت طابية وحصن مرتفعة من الأحجار ووضعت على سطحها مدخنة تشبه المدفع وجلس خلف هذه المدخنة غلام صغير لا يتجاوز عمره العشر سنوات - وقد عرف في الثورة باسم ابن القباقيبى • جلس هذا الفتى يوقد الأوراق والحرق ويضعها في المدخنة •

فلما علم الانجليز بخبر الاجتماع ومكانه جاءت قواتهم لتفرق شمله فاعترضتهم الخنادق والمتاريس التى أخذ الناس من خلفها يرمون الجنود بالحجارة فأطلق الجنود الانجليز الرصاص على المتظاهرين بل والأمين فسقط كثير من القتلى والجرحى من بينهم الغلام المتقدم ذكره • فاحتفل بتشيع جنازته في اليوم التالى بمشهد لم يسبق له نظير ودفن بالامام •

[٢١٩]

وهكذا نجح اجتماع هذا اليوم ، ولم يستطع الجنود مهاجمة المجتتمعين على أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يقوموا بمظاهرة لتعذر المرور فوق الخنادق والمتاريس • وكانت الطيارات الانجليزية تحلق فوق الجامع •

وفى اليوم التالى احتلت الجنود الانجليزية الشوارع المؤدية الى جامع ابن طولون وأخذت ترغم الناس بالقوة على ردم الخنادق وازالة المتاريس من غير تفريق بين كبيرهم وصغيرهم أو عظيمهم وحقيهم •

[٢١٧]

وفى يوم ٥ ابريل نشر البلاغ الرسمى الآتى :

- لم ترد أنباء عن وقوع اضطرابات جديدة فى المديرىات .
- وضبطت كمية من الأسلحة فى مركز أبو حمص (١) وقبض ١٢٠ من كبار المشاغبين فى خلال الأسبوع الماضى .
- وقبض على ٥٥ شخصا فى مركز العياط .

• وسادت السكينة مدينة القاهرة اليوم وقبض على الأشخاص الذ اتهموا باطلاق الرصاص على الرعاع فى ميدان عابدين فى خلال الاضطراب التى وقعت يوم الخميس وقبض على ٥٥ شخصا آخرين لما قاموا به من أعم السلب والنهب .

• ولكى لا يكون هناك اعتقاد حسن سابق لأوانه فيما يتعلق بح السكك الحديدية التى يمكن ادراكها من الحقيقة الواقعة وهى أن بع القطارات تسير بنظام بين القاهرة والاسكندرية ومدن القنال فى - كادت المواصلات تتم الى أسوان ويمكن القول أنه نظرا لتدمير المحط وآلات الاشارات فى الوجهين البحرى والقبلى لا بد أن يضى وقت طو قبل أن تقوم السكك الحديدية بنقل الركاب والبضائع كالعادة . ثم تدمير المصابيح النى لا يمكن سد ما ينقص منها فى هذه الآونة يجب ينقص احتمال العمل ليلا . وفوق ذلك يجب أن يبقى اصلاح سكك حد الدلتا الخفيفة وبعض خطوط فرعية معلومة الى أن تتم تسوية الأحو تماما .

(١) أحد مراكز مديرية البحيرة .

المحلية يعيشون بما يفرضونه من الأتاوة على الطبقات المطيعة للتانون وقد أخذ القرويون يأنون بالمهمات والقضبان النى سلبت من الخطوط الحديدية ونقلت الى مسافات وسط الحقول أو القيت فى الترع .

« أما فى جنوب القاهرة فقد أعيدت المواصلات التلغرافية أمس الى الواسطى ويجرى اصلاحها فيما يلى ذلك جنوبا . وقد أصلح الخط الحديدى الى نقطة فى جنوب ببا(١) ويمنتظر أن نعاد غدا المواصلات الحديدية مع المنيا وتجرى القطارات الآن بين المنيا وأسوان .

« واضطرت الدوريات فى خلال الاضطرابات التى وقعت أمس (٣ ابريل) فى القاهرة أن تطلق النيران بضع مرات بسبب الخطة العدائية التى سلكها الرعاع ويرجع الفضل فى تحديد الخسارة الى نظام الجنود وضبط أنفسهم . فقد أثبت ولاة الامور من رجال البوليس الآن أن ٩ قتلوا و ٥٦ جرحوا بعضهم بجراح بليغة والآخرين بجراح خفيفة ويعزى عدد معين من هذه الخسارة الى العمل الذى قام به أحد السكان فى عابدين فانه أطلق الرصاص جزافا .

[٢١٦]

« واستتبت السكينة اليوم فى القاهرة وتولت السلطة العسكرية أعمال التلغرافات نظرا لاعتصاب مستخدمى التلغرافات فأمكن المحافظة بذلك على القيام بخدمة الجمهور الى درجة محدودة » .

ويلاحظ فى هذا البلاغ والنبلاغ السابق أمر جدير بالاعتبار وهو أن البلاغين يقولان صراحة أن سبب هياج الحواطر واعتداء المتظاهرين على بعض المنازل فى حى عابدين هو ما قام به أحد السكان « فى حى عابدين فانه أطلق الرصاص جزافا » ولا يقلل من شأن هذه التهمة أن البلاغين لا يذكران شيئا عن شخصية المعتدى وذلك لأنه يتبين من خلال سطورهِ اتفاقه مع التقرير المقدم من محمود أفندى عزمى المهندس وبمقارنة البلاغين بهذا التقرير يتضح وضوحا لا يتطرق اليه الشك أن الأرمن هم الذين بدءوا بالاعتداء .

غير أن الحركة كما قلنا من قبل قد قضى عليها فى مهدها بفضل حكمة عقلاء الأمة ورجال لجنة الوفد المركزية (٢) .

(١) من أعمال مديره بنى سويف .

(٢) يؤكد هذا التعليق من جانب عبد الرحمن فهمى حرر الوفد على عدم اثاره قضية الاعتداء على الأجانب لمنع البريطانيين من التدرع بها .

وفي يوم ٣ ابريل كذلك صدر البلاغ الرسمي الآتى :

[٢١٤]

زادت الفصائل المتقلة فى خلال الأيام القليلة الماضية المراكز التالية ضمن مازارنه فى جهات الأرياف فى الدلتا وهى : « كفر الدوار • حوش عيسى • دمنهور • الدلتجات • كوم حماده • سبرا خيت • تميده • كفر الشيخ • قللين (١) • شبين الكوم • منوف • أشمون • الكوم الطويل المنصورة • المحلة الكبرى • زفتى • ميت غمر • شبين القناطر • دمياط • فارسكور • السنبلوين • منيا القمح • كفر صقر • ههيا • فاقوس • الصالحية •

« وقام قطار الاصلاح بترميم السكك الحديدية فى الوجه القبلى فأعاد الخط الى الواسطى • وقام قطار آخر ابتداء من الواسطى فأصلح جزءا كبيرا من الخط بين الواسطى وبنى سويف •

« واجتمع اليوم ٣ ابريل جماهير الرعاع المخلين بالراحة والنظام فى جوار ميدان عابدين وفى شارع محمد على بالقاهرة • وقد قتل المستر ديكس الموظف بالسكة الحديدية المصرية برصاصة بندقية فى ميدان عابدين فى الساعة الحادية عشرة وقتل الرعاع يونانيا فى شارع محمد على فى الساعة الثانية • وأطلق الرصاص من منزل فى ميدان عابدين فأفضى الى وقع (٢) اضطراب جديد أحرقت الرعاع فى خلاله المنزل المذكور • وقد أعيد النظام فى الساعة الثالثة بعد الظهر • ووردت الأنباء بوقوع بعض الخسارة من القنلى والجرحى والمعروف الى الآن أن ستة قتلوا وأن عددا معينا من الناس جرحوا ولكن لم تصل التفاصيل بعد •

كما صدر فى ٤ ابريل البلاغ الرسمي الآتى :

[٢١٥]

« اتسع نطاق أعمال الفصائل المتنقلة فى الدلتا توسيعا آخر وأنشئت خطوط منظمة من الدوريات التى تجتاز البلاد بين السكك الحديدية الكبرى (٣) والطرق ، وتقوم قطارات مسلحة بخفارة السكك الحديدية علاوة على الفصائل المتنقلة ، وأنشئت الدوريات المائية فى الأنهر والترع • ووردت الأنباء بوقوع حادثتين أطلقت العصابات المسلحة فيهما النار على دورياتنا •

« وتعود الأحوال العادية فى الدلتا بسرعة بمساعدة ولاية الأمور الملكيين (٤) الفعلية وتطهر البلاد من الأشقياء الذين كانوا قبل الاضطرابات

(١) صحتها قلبن وهى احد مراكز كفر الشيخ •

(٢) صحتها وقوع •

(٣) يقصد بالسكك الحديدية الكبرى الخطوط الرئيسية تميزا لها عن السكك الحديدية

الضيقة أو ما كان يعرف بسكك حديد الدلتا •

(٤) ولاية الأمور المدينين •

مظاهرة عابدين

ملخص التقرير الذي رفعه محمود أفندي عوض المهندس الى ولاية
الأمر عما حدث في مظاهرة عابدين .

« حدث في يوم الخميس ٣ ابريل ١٩١٩ بعد الظهر أن قامت مظاهرة
بميدان عابدين بالقرب من منزلى وبينما المتظاهرون يسيرون فى هدوء
وسلامة اذا بالرصاص يطلق عليهم من منزلى ، فهجموا على المنزل وكسروا
بابه ثم تفرقوا ثلاث فرق الأولى الى دورى والثانية دور الحواجة هكتور
والثالثة دور الحواجة ارمندو اكيلس .

« وقد أحرق المتظاهرون الدور الثانى وحطموا الزجاج وكسروا
الأبواب وقد هرب صاحبه فى منور .

« وفى الدور الثالث هرب صاحبه وأصيب بثلاثة سكاكين وأحرق
الدور التالت كذلك وحطم زجاجه وأبوابه وكسر رصاص المياه .

« وهنا حضرت القوة الاسترالية فانصرف المتظاهرون دون أن يصاب
أحدهم بأذى ففتحت باب منزلى لرجال الاسعاف وأشرت اليهم بأن المضروب
بالبدرون ودخل الجند عندى وهم مسلحون بالمسدسات .

« وقد كسر أحدهم قفل الدواب وأخذ علبة داخلها زوجان من الأساور
قيمتها ستون جنيها وطاوس من الماس وحزام من الذهب قيمته ١٥ جنية
وورق بنك نوت بمائة وعشرين جنية ونظارة ذهب وساعة أخذوها من
صدرى بخمسة جنيها .

« وقد اتضح بعد ذلك أن الضارب كان من السطح ونظر الناس دخان
الطلقات من سطح منزلى ولم يكن بالسطح الا الحواجة ارتين ايكريان الأرمنى
وقد حضر الى المنزل ثلاث كراكولات انجليزية لرؤية المنزل ليلا .

« وقد اتضح كذلك وجود أسلحة داخل غرفة نوم الأرمنى المذكور
مكونة من بندقية وعشرة أطرف وسكينة مسنونة وكيس طبنجة . وأن
الثلاثة الذين قتلوا فى المظاهرة كانوا بيد الأرمنى نفسه (١) .

وقد قبضت المادئة باختصار فى دفتر أحوال قسم عابدين نمرة ٧٠
بتاريخ ١١ ابريل ١٩١٩ .

(١) كانت هذه بداية الصدامات بين الثوار المصريين والجالية الارمنية وهى صدامات
تكررت كثيرا بعد ذلك .

احتجاجهم الى مجلس نقابتهم الذى اجتمع فى ٤ ابريل ووافق على هذا الاحتجاج وقرر تأجيل الجمعية الى أجل غير مسمى .
وفى يوم ٢ ابريل استدعت دار الحماية شيخ الجامع الأزهر وطلبت منه اغلاق أبواب الجامع فرفض قائلا انه مسجد وماكان له أن يوصد أبوابه فى وجوه المصلين وطلبت منه الدار أن يفتحه فى مواعيد الصلاة فقط .
فرفض .

وفى نفس هذا اليوم صدر البلاغ الرسمى الآتى :

بلاغ رسمى

القاهرة فى ٢ ابريل ١٩١٩

[٢١٠]

« تعمل الآن ستة عشرة فصيلة فى الوجه القبلى .
« ويستمر ترميم السكك الحديدية فى جنوب القاهرة باضطراب .
« وفشتت قرية الشوبك الغربى وقبض على العمدة لأن النار أطلقت على الجنود أولا من منزله .
« وأعاد البريجيدير جنرال هدلستون النظام فى منطقة أسىوط وأخذ فى معاقبة المجرمين فى المدينة (أسىوط) .
« ولم يقع فى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة شئ آخر يستحق الذكر .

اعتداء الارمن على المتظاهرين

[٢١١]

لم يعرف حتى الآن السبب الذى حمل بعض النزلاء من الارمن على التعدى على المتظاهرين الوادعين ، فلم يكن لهذا من دافع الا ذلك الشر الكامن فى بعض النفوس الحبيثة . فقد حدث أن مظاهرة كبرى كانت تطوف ببعض الشوارع ، وما كادت تصل الى شارع محمد على حتى أوحش الى أرمنى شرير من غرفته باطلاق الرصاص عليها فقتل أحد المتظاهرين ، ولما رأى الشعب ذلك غلى مرجل غضبه وأخذته الحمية فهاجم الدار التى أطلق منها الرصاص وأحرقه ، ولكن الجنود الانجليزية أطلقت رصاصها على المتظاهرين فقتل منهم تسعة وجرح كثيرون . فراحوا جميعا ضحية هذا العمل الطائش الذى أناره ذلك الأرمنى الدنى .

وقد اشترك سكان هذه القرية والقرى المجاورة بهمة في تدمير الخط في هذه الجهة ولكن أحبطت كل مجهوداتهم التي بذلوها لتدمير محطة المزعونة المجاورة بفضل اخلاص نقطة بوليس محلية صغيرة وموقفها الباسل فقد صانت المحطة من كل ضرر حتى أنقذت بوصول القطار المشتغل بأعمال الإصلاح .

وفي ٣١ مارس حاول جماعة الهجوم على محطة شبرا النملة في غربي طنطا فشلتوا .

« ولم ترد - عدا ماذكر عن أنباء عن وقوع اضطرابات جديدة .

« ويحاول محرضون معينون في القاهرة عرقلة إعادة الاطمئنان والرضا بارهاب الطبقات المطيعة للقانون فيجب أن يتحمل هؤلاء المحرضون تبعه أى ضرر قد تتكبده البلاد بسبب اطالة القلاقل الحالية وتبعه أى قلق ينتج عن التدابير التي قد يكون من اللازم تنفيذها لحفظ النظام .

« وأذيعت أخبار كاذبة فيما يتعلق بحوادث يقال أنها وقعت في العريزية وقد طلب ارسال بلاغ عن الحقيقة فأبلغ الضابط المتولى القيادة هناك بأنه وردت أنباء تتضمن أن القرويين في العريزية والبدرشين اشتبهوا بايواء البدو المسلحين . وقد أجرى البحث في القريتين بناء على ذلك يوم ٢٦ مارس فوجد في العريزية كمية من الأسلحة . وقد حاول المشاغبون أثناء البحث الهرب بالقفز من سطح الى آخر فأفضى ذلك الى سقوط الأسطح تحت ثقلهم وقد سبب سقوط الأسطح فوق النيران أو مصابيح الزيت في المنازل نشوب بعض حرائق في القرية .

[٢٠٨]

وفي أول ابريل ١٩١٩ أذاع الندوب البسامى بلاغا باعتماد ميزانية ١٩١٩ - ١٩٢٠ لأن السنة المالية قد انتهت وليس في البلاد وزارة .

وفي يوم ٢ ابريل بدأ بعض موظفى الوزارات والمصالح الاضراب احتجاجا على ما وصلت اليه الحالة الحاضرة ، وتبعهم في ذلك طلبة مدرستى الحربية والبوليس فكانوا في بعض الميادين والشوارع مارين بدور السفارات والقنصليات ولم يكونوا حتى هذا التاريخ قد اشتركوا في المظاهرات (١) .

[٢٠٩]

وكان هذا اليوم موعد اجتماع المحامين بمحكمة الاستئناف ، ولما لم يتكامل عددهم القانونى غادروا المحكمة فاعتدى عليهم الجنود الانجليز وقدموا

(١) يقرر اللنبى ان طلاب المدرسة الحربية خرجوا صبيحة ٢ ابريل في مظاهرة بعد ان تركوا وراءهم بنادقهم ومعداتهم وأن طلاب مدرسة البوليس قد انضموا اليهم ، وقد سارت المظاهرة أمام قصر السلطان عصر نفس اليوم كما أنها سارت صباح اليوم التالى أمام الوكالة الامريكية وهى تهتف بحياة أمريكا .

F.O. 407/184 Nos. 140, 141.

« أن السبب في هذه الفظائع المريعة التي يحمر لها وجه الانسانية خجلا هو محاولة أحد الأهالي منع الانجليز من الاعتداء على الأعراس !!!

كما قرر حضرة الملاحظ أنه قد علم منهم كيفية قتل الخمسة الأشخاص بالطريقة التي أوضحناها آنفا ولم ير جثثهم لأنها كانت قد دفنت وشاهد أيضا أعمال النهب في كل مكان وكيف كانت الجنود تحمل جميع أنواع الطيور والفرش والنحاس ورأى بعينه الخراف مذبوحة ومعلقة مع غيرها في القطار المسلح وقال عن الضباط أنهم لم يعترضوا أمامه مطلقا على أى عمل وقرر أنه رأى أحدهم يحمل بيضتى اوز .

« وأما عن والدى عمدة البلدة فقد شهد الملاحظ بتفانيه وعنايته الشديدة بالأمن ومحافظة عليه جهده ، وانه كان يقوم بأداء وظيفته خير قيام ولقد اعترض على سوق الانجليز اياه بالقوة وأخذهم معهم بالقطار المسلح ، ولكنهم لم يكثرثوا به فلم يسعه الا أن يقف باهتا باكيا مع الباكين .

« ومتى كانت هذه هي شهادة الملاحظ نفسه عن العمدة وهو رئيسه المباشر فلسنا ندرى لماذا قبضوا عليه واعتقلوه أكثر من شهر ولم يخل سبيله أخيرا الا بالضمانة . ولما كنا قد لجأنا الى سعادة مدير الجيزة وشكونا له ولأعضاء مجلس المديرية ما نزل بنا وببلدتنا التعسة وسمعنا أن المجلس قد احتج على هذه الفظائع ولم نر لهذا الاحتجاج من نتيجة لجأنا الى عظمتكم لنسمعكم صوتنا وعويل نساءنا وصراخ أطفالنا وكلنا ثقة في أن عظمتكم بما جبلتم عليه من حب العدل تتدركون البلد وأهله المنكوبين بإقامة مناره ارضاء لله والحق وخدمة للانسانية » .

عبد اللطيف أبو المجدد .

بلاغ رسمى

[٣٠٧]

وفى أول أبريل صدر البلاغ الرسمى الآتى (١) :-

وجد قطار كان يشتغل بأعمال الإصلاح أثناء سيره جنوبا بعد ظهر يوم ٣٠ مارس - جماعة من القرويين يعيثون بالخط الحديدي في جوار الشوبك الغربى وقد قتل خمسة من الذين كانوا يشتغلون بتدمير الخط . وأطلقت النيران بعدئذ على القطار من القرية التى طهرها جنودها بعدئذ .

(١) نص بلاغ السلطة العسكرية : الأخبار : فى ١٩١٩/٤/٣

حقيقتها المجردة الحمراء يكفي وحده لبيان مآلقنا من صنوف العذاب والشقاء وقاسينا من ضروب الذل والعناء حتى لنظن أن جهنم نفسها أهون وأخف من نزلة الشوبك ليلة العاصفة .

« ومما يؤيد أقوالنا هذه شهادة حضرة ملاحظ بوليس نقطة المزغونة الصاوي أفندي الطاهر فاني سمعت شهادته بنفسه أمام حضرة مأمور ضبط المديرية وقد كان يلقيها عليه وهو باكيا مر البكاء . وهي تثبت اهتمام العمدة والشيخين القتيلين والخبراء بأمر القوة الانجليزية وعنايتهم باجابة كل مطالبهم . ويبلغ عدد رجال هذه القوة ثمانمائة جندي وقد شاهد أيضا حضرة الملاحظ المدافع الرشاشة تطلق نيرانها طول الليل وبلا انقطاع والحرائق تلتهم البلدة وكلما حاول الملاحظ التدخل لوضع حد لهذه الكارثة قابله القومندان بالرفض بحجة أن وصول الأوامر للعساكر المنبثة في البلدة صعب . ولما اعترض الملاحظ على الحرائق قال له أحد الضباط أن هذه أوامر عسكرية . وأخيرا أمروا الملاحظ بالعودة الى النقطة . وهي قريبة من القرية . ففضى ليلته تاركا البلدة رغما منه طعمة للنار والعار والرصاص .

[٢٠٥]

« ولما سمح له بدخول البلدة في اليوم التالي مع أومباشي مصري وقوة انجليزية شاهد بنفسه الجنود من كل مكان يملأون البلد : طرقاتها وأطلالها والبقية الباقية من بيوتها الحربة والانجليز ينهبون ويقتلون مع استمرار الرصاص . ونظر شيخ البلد ومن قتل معه قبل أن يقتلوا بالطريقة السابق بيانها ورأى أيضا عددا عظيما من النسوة والأطفال وبعض الرجال يحيط بهم حرس من الجنود وعندما أبصروه بكوا واستغاثوا به فاسترحم هو الضابط الانجليزي باكيا مستعطفا حتى أطلق سراحهم .

« وقال حضرة الملاحظ أنه بناء على طلب الضابط الانجليزي فتش معه البيوت الباقية والتي سلمت من الحريق للبحث عن أسلحة فأسفصر التفتيش عن خلو جميع المنازل من أى سلاح .

« وشهد الملاحظ بأنه سمع صوت امرأة تستغيث ولما دخل عندها وجد ثلاثة من الجنود وقد انصرفوا عند رؤيته . وقالت له المرأة أنهم كانوا يريدون ارتكاب الاثم معها وهذه المرأة هي أم السيد التي سبق بيان حادثتها وقد منعها الخجل من أن تذكر للملاحظ أن اثنين من الجنود قبل هؤلاء دخلا بيتها واغتصبها أحدهما كرها .

« وقد شاهد حضرة الملاحظ بنفسه أيضا إحدى جثث النسوة المحروقات وقرر على لسان الأهالي :

[٢٠٦]

« سادسا : ذكرت لنا فاطمة زوجة عبد اللطيف الدكروري بأن باب بيتها انكسر فجأة الى نصفين عند طلوع الشمس واندفع أربعة من الجنود في الدار فصاحت لزوجها أن يصعد الى السطوح وأن تقابلهم هي وأطفالها وتعطيهم كل ما يطلبون ، فاخفى الزوج ونهب الجندي ما وصلت اليه أيديهم ثم جذب أحدهم المرأة من شعرها وطرحها على ظهرها وهي تتوسل وتستغيث ولا مغيث فلم يطق زوجها صبرا ولما هم بالنزول لاغاثتها بإدره أحدهم وهو على السلم بطلقة نارية خر منها صريعا يهوى الى حوش المنزل ثم خرجوا بعد أن أحرقوا الدار وسلبوا ما فيها .

[٢٠٣] « سابعا : قصت لنا زيب بنت خليل هول نكبتها فقالت : كنت أنا وزوجي وابنتي العزباء وأولادي الصغار الأربعة بمنزلنا فانساب فيه عشرة من الجنود الانجليز فاختبأ زوجي في الحجرة وأخذوا هم ينهبون مالنا ومصوغاتنا ثم طرخوا ابنتي على الأرض واغتصبها أحدهم بالقوة وأنا وأولادي نرى ونبكي ونصيح فهزت الاستغاثة زوجي فخرج باكيا متوسلا يقول : « هذا عرضي .. حرام عليكم » فأمسكوا به وأشعلوا النار في المنزل فغادرته بعد أن ساقوا زوجي الى حيث لا أعلم .

« وفي الصباح علمت أن خمسة رجال وجدوا مقتولين في مكان واحد فذهبت اليهم واذا بزوجي بينهم مدفونا الى التدين وبجنبه رصاصة وفي عنقه جرح فاخذناه ودفنناه .

« ثامنا : قال لنا محمد الكردي أنه أقفل باب منزله عليه وكانت معه أخته نظيرة البكر فدخل العساكر المنزل وسلبوا ما فيه وأحاط به بعضهم بالسلاح وامسكوا أخته ورفعوا ثوبها واقتض أحدهم بكايتها قسرا وهي تنتحب وأخوها يشهد الجريمة وهو عاجز عن الفوت ثم أمكنها أن تهرب من بين يدي جندي ثان يريد اغتصابها فلما أقفلت تغيط فأطلق على رأسها النار ف وقعت قتيلة وأحرقوا الدار فاحترقت جثتها معها .

[٢٠٤] « تاسعا : واضطر الرجل للوثب على المنزل المجاور فرارا من النار .

« عاشر : أطلق الجنود الرصاص على جمع من النسوة وكانت بينهن واطلة بنت عقبي تحمل ابنتها الصغيرة أم السعد وعمرها ثلاثة أعوام فأصابته رصاصة وجه الصغيرة واستخرجها الدكتور حسنين بك حسنى مفتش مديرية الجيزة السابق بعملية جراحية . وقدمت الرصاصة والمحضر الطبي للمحقق .

« هذا قليل من كثير رأينا الاكتفاء بذكره بلا مبالغة اذ وجدنا أن هذه الكارثة الدموية الهائلة القليعة في غنى عن أن تساق في ثوب من البلاغة والمبالغة بقصد التأثير في النفوس وتحريك الرحمة فان سرد

« وقد حضرت هذه السيدة أمام المحقق بالمديرية ولكنها انصرفت قبل تدوين أقوالها اذ فاجأتها آلام الحمل . [٢٠١]

« ثالثا : بلغتنا أم السيد بنت محمد أن الخوف جعلها تجمع حولها أولادها الصغار وتعلق الباب عليها وعليهم ، وقد ظلت تسمع ضرب النار لا ينقطع طول الليل . وعند الصباح دخل عليها اثنان من الجند وهما مسلحان بعد أن كسرا الباب . وقضى أحدهما غايته منها بالاكراه أمام عيني أصغر أولادها لأن الآخرين كانا قد هربا مرتاعين الى سطح المنزل . وبعد أن نهبا ما وجداه خرجا ودخل ثلاثة جنود غيرهما وهموا بارتكاب الاثم معها فصاحت مستغيثة وصادف ذلك مرور الملاحظ الذي أنقذها . وعند عودتها بعد هذا لبيتها وجدته محروقا .

« رابعا : علمنا من حسين السيد المهر من وجهاء البلدة وهو شقيق شيخ الخفراء محمد السيد المهر أن عددا كبيرا من رجال الجيش الانجليزي انقض على المنزل وكان هو وأخوه ونساء العائلة وأطفالها مجتمعين فيه ، ففر النساء الى الدور الثاني وصعد الرجلان خلفهن فنهب الجند ما عثرا عليه من نقود وحلي وأثاث ثم هاجموا الدور الثاني وكان الرجلان قد أدخلوا النساء في احدى الغرف وهن مفزوعات يرتعدن وجلا فقصد الجنود غرفتهن ولما هم حسين السيد المهر بمنعهم صوبوا نحوه البنادق وخلع أحدهم لباسه وعرى عائشة زوجة حسين المتقدم الذكر فنال بغيته منها كرها على مرأى من زوجها وأخيه والعساكر وفي هذه الأثناء صاح شيخ الخفراء أخو زوجها قائلا : يالله « تحملنا كل شيء ولكن هذا لا يطاق » . ونهض لانتقاذ المرأة فقابله أحد الانجليز بالرصاص فأصابه وحمله أخوه لمكان مجاور تاركاً النساء مع الجنود وتوفى الجريح في اليوم الثاني ثم زارت المنزل شراذم أخرى من العساكر . وسمعنا من هذا الزوج التمس أنه قرر في التحقيق بأنه يستبعد جدا أن تكون امرأة أو بكر سلمت من الاغتصاب في هذه الليلة المشتومة . وهذا ما شجعه على تقرير الحقيقة في التحقيق الرسمي عن زوجته خلافا لأكثر أهل البلدة الذين أصابتهم تلك النكبة ولم يبرحوا بها خشية العار الدائم والفضيحة الخالدة .

[٢٠٢]

« خامسا : أخبرني سليمان محمود الفولى بأنه أغلق باب منزله على نفسه وامراته فكسر الجند الباب ونهبوا كل ما وجدوه وأحاط به جنديان مسلحان ورفع أحد العساكر ثوب امرأته الى صدرها وهي تستغيث ولا مغيث وتقاوم الاغتصاب بكل قواها ولما راوها مستميتة في الدفاع عن عرضها قتلوها رميا بالرصاص فماتت في الحال شهيدة العفاف وزوجها يرى وينظر ، ثم أشعلوا النار في المنزل .

« وقد حل بمعظم منازل البلدة ما حل بمنزل العمدة فكانت النتيجة احتراق مائة وأربعة وأربعين منزلاً • وعدد منازل البلدة مائتان وعشرة • وبلغ عدد القتلى من الأهالي واحداً وعشرين وعدد الجرحى اثني عشر مات منهم اثنان والكثير منهم لا ترجى حياته • وأصبح من المتعذر حصر العدد الصحيح للقتلى والجرحى لأن البلدة خربت وتركها أهلها فلا يمكن الاهتداء إلى كل من نقص من سكانها ولا يستبعد أن تكون النيران أبادت بعض الجثث •

« وليس المقصد من شكوانا هذه تفصيل وقائع السلب والنهب لأنها وقعت على كل شخص في البلدة بوجه الاجمال ، ولكننا نقصر على ذكر بعض وقائع القتل وهتك الأعراض التي منها :

« أولاً : حادثة قتل شيخ البلدة عبد الغنى ابراهيم طلبه وأخيه عبد الرحيم وابنه سعيد عبد الغنى طلبه واثني آخرين منهما خفاجة مرزوق الذي كانت جريمته دفاعه عن عرض امرأته زينب بنت خليل التي حاول الانجليز اغتصابها بالقوة • وتفصيل الحادثة أن الانجليز اتبعوا على الخمسة الأشخاص السابق ذكرهم ودفنوهم أحياء إلى أنصافهم ثم قتلوهم ممثلين بهم شر تمثيل • فوجوههم مشوهة من ضرب السنج • وأثر الرصاص ظاهر في النصف الأعلى من أجسامهم • وقد رأهم كثير من الأهالي على تلك الحال ومنهم محمود محمد رؤوف ومحمد خضير وعبد المنعم ابراهيم وغيرهم ممن أخرجوا الجثث المدفونة إلى أنصافها •

[٢٠٠]

« ثانياً : تعذر على الانجليز كسر باب منزل جارنا عبد المولى حسن فدخلوه من منزل مجاور له واستولوا على ما وجدوه من ثقود وحلى • وبلغتنا امرأة جاد المولى المدعوة وافدة بنت الجابري وهي حامل في الشهر التاسع أن الجنود حاولوا اغتصاب عفتها فتقدم زوجها للدفاع عنها فضربه أحدهم بالرصاص ، وتوفي في اليوم الثاني • ولما فرت الزوجة إلى غرفة أخرى تبعها الانجليز إليها وأمسكوا بها لينالوا غرضهم منها فلم يجد وسيلة إلا أن تحاول بينها وبينهم بطفلها البالغ من العمر سنة واحدة فقدمته لهم مستشفة ومدت نحوهم يديها وهي تحمله عليها تدخل على نفوسهم شيئاً من الحنان والشفقة أو أن يكون هذا الطفل باعثاً على تلطيف شيء من غلظتهم • فما كان منهم إلا أن أطلقوا الرصاص على الطفل الرضيع فاخترقت واحدة منها كتفه ، ومازال حياً جريحاً وأثر الرصاصة ظاهر وقد رآه كثير من الأهالي ورآه حضرة مأمور ضبط مديرية الجيزة عند التحقيق • وقبل أن يخرجوا من المنزل أتموا الفاجعة المحزنة بإشعال النار فيه •

« وعند الساعة الرابعة بعد الظهر حضر القطار ووقف بالقرب من البلدة ورأينا الجنود ينزلون نحوها . وكان العمدة وشيخ البلد وشيخ الخفراء والخفراء في انتظارهم للقيام بما يمكن أن يكلفوا به وللحفاظة على راحتهم التامة .

« فلما رأى العمدة العساكر يقصدون دخول البلدة ونشئ ما ساء ، أن يترتب على هذا من النتائج الوخيمة أخذ يفهمهم بأنه لاجابة لدخولهم البلدة ، وأنه مستعد لتقديم كل ما يأمر به أو يرغبون فيه ، فلم يصفوا لقوله ولم يكثرثوا به بل دخلوا البلدة وانسابوا في أنحائها وكلهم مدججون بالسلاح وأخذوا يستولون على كل ما تقع عليه عيونهم من أغنام وحمام وأوز ودجاج . ومع استمرارهم في ذلك لم يجدوا معارضة ولا مقاومة من أحد . وحين وقع نظرهم على امرأة تدعى عزيزة بنت خضير زوجة عبد التواب عبد المقصود بادر اليها جماعة منهم وأخذوا يمسونها من كل موضع في جسمها ثم حاولوا اغتصابها فاستغاثت بزوجها فخرج من المنزل للدفاع عن عرضه ومعه عصا ضرب بها رأس أحد الجنود فكان جزاء دفاعه عن عرضه أن قتل رهيا بالرصاص .

[١٩٨]

« ولم يقتصر اعتداؤهم على النهب والسلب بل تعدوه الى تفتيش الأهالي ورميهم بالرصاص وهتك أعراض النساء ودخول المنازل واحراقها بعد تجريد أصحابها مما يمتلكون . ولما رأى والدى عمدة البلدة ذلك منهم عاد مسرعا الى منزله فرافقته اليه ولحسن الحظ كانت النساء وقتئذ غائبات فدخلناه وأغلقنا بابا المتين علينا وقد عالج الانجليز فتحه أو كسره مرارا وكان دوى الرصاص من البنادق يسمع باستمرار حتى الصباح اذ حضر حضرة ملاحظ البوليس ومعه قوة من الانجليز ونادى على العمدة أن افتح الباب ولا تخف . ففتحه ودخله الانجليز ولم يتركوا في البيت موضعا الا فتشوه بحجة البحث عن السلاح ولما لم يجدوا به سلاحا انصرفوا مع حضرة الملاحظ وأخذوا العمدة معهم معتقلا مخفورا الى حيث لانعلم .

« فأغلقنا الباب خلفهم وبعد قليل لم نشعر الا وقد عاد عشرة من الانجليز ودخلوا منزلنا من منزل جارنا عبد الرازق على السمان فاخترت أنا وأخى الصغير في غرفة كسر الانجليز بابها وأخرجونا منها وأحاط بنا بعضهم مسددين بنادقهم لصدرى ، وانصرف الباقون الى فتح الدواليب والصناديق وأخذ ما بها من حل وملابس ، وقد شق أحدهم بسنجه ثوبى وأخذ ما كان معى من النقود والحلى الذى كنت أحفظه وآخر ما سلبوه من المنزل السجاجيد التى عشروا عليها عند خروجهم وبعد هذا كله أشعلوا النار في المنزل .

[١٩٩]

فطائع الجنود الانجليزية بنزلة الشوبك (١)

[١٩٦]

وفي ٣٠ مارس وقعت الكارثة الاليمة والمصيبة المفجعة التي قام بتمثيلها الجنود الانجليزية بنزلة الشوبك من أعمال مديرية الجيزة . ولقد تجلت وحشية هؤلاء الجنود في هذه الحادثة بأجل مظاهرها وحسبنا وصفا لتلك الفظائع أن ننشر للقارىء صورة الشكوى التي رفعها عبد اللطيف أفندي أبو المجد ابن عمدة نزلة الشوبك (٢) للدوائر الرسمية ، وهاهي بنصها :

شكوى

[١٩٧]

« مرفوعة لأعتاب الحضرة السلطانية ورجال الحكومة ونواب الأمة المصرية من عبد اللطيف أبو المجد ابن عمدة نزلة الشوبك عما حل بهذه القرية يوم ٣٠ مارس ١٩١٩ من قتل شيخها وشيخ خفرائها واعتقال عمدتها الذي لم يطلق سراحه بالضمان الا من أيام قليلة حتى أقفرت ممن يمثلها - الأمر الذي حدا بي الى رفع هذه الشكوى بالنيابة عنهم للسدة السلطانية الكريمة طالبا الغوث والرحمة والعدالة وهذا بيان الحادثة :

« في يوم الأحد الموافق ٣٠ مارس ١٩١٩ أرسل حضرة ملاحظ بوليس نقطة المزرغونة عسكريا أخبر عمدة نزلة الشوبك بقرب وصول قطار مسلح يحمل جنودا انجليزية لاصلاح السكة الحديدية وكلفه بأن يتقدم له ثلاثين شخصا للمساعدة في أعمال الترميم ، وطلب منه المحافظة على راحة هذه القوة واجابة طلباتهم . فاهتم العمدة بذلك واستجمع في الحال العدد المطلوب من الأشخاص وأخذ هو وشيخ البلدة وشيخ الخفراء ينهبون على الأهالي بحسن مقابلة الجنود الانجليزية والتسامح معهم بكل ما في وسعهم حتى لا يقع أى حادث مكدر وكان حضرة الملاحظ قبل ذلك قد جمع عمد البلاد التابعة له منبها عليهم بوجوب الاحتفاظ بالمسألة التامة وتقديم المساعدات المطلوبة للقوات الانجليزية حتى لا يوجد سببيل للاستياء من أى وجه كان .

(١) جاء في المذكرات اليومية عن ثورة ١٩١٩ (البلاغ ١٦/٤/١٩٢٣) عن هذا الموضوع ما نصه : « جاءت الأخبار من ناحية الشوبك تنبئ بأن الانجليز وجدوا السكة الحديدية الموصلة للشوبك بمركز العياط مقطوعة فعمدوا الى جماعة من أهلها فضربوهم بالرصاص وكان أهل الشوبك قد رأوا العبرة في أهل العيزية والبدوشين فاستعدوا وحصلت مناوشة بينهم وبين الانجليز قتل بعض الانجليز وجرح آخرون .
(٢) إحدى قرى مديرية الجيزة .

الحاضر (وكان هذا رأى أعضاء البلاد من علماء وبطريرك الأقباط الارثوذكس ووزراء ونواب وأعيان صرحوا به فى كتابهم المؤرخ فى ٢٤ مارس الذى أرسلوه الى القائد العام) وفى اليوم التالى وهو يوم ١٧ مارس قابلنا الوزراء الثلاثة رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا واقتنعناهم بأن يظهرنا استعدادهم للمفاوضة فى تأليف وزارة تستطيع أن تقضى على هذه الحركة المخيفة التى نخشى عواقبها المجهولة ، فأظهروا هذا الاستعداد لرجال دار الحماية ، ولكن الأمر لم يتم ، والاضطراب يأخذ نسبا وأشكالا ليس الحكم على نتائجها فى نفوس الناس بالشئ الميسور .

٣

« والواقع الذى نؤكد لفخامتكم بالصراحة التامة هو أن استياء المصريين نتج من عدم مساواتهم بالأمر الصغيرة التى لا تفضلهم فى المدنية بمنعهم من بسط آمالهم أمام مؤتمر السلام . وكل المصريين من أكبر الى أصغر رجل فيهم فى هذا الاستياء سواء . دفعهم الياس الى اظهار ما فى نفوسهم . كل يترجمه على شاكلته فالرجال المستولون من رسميين وغير رسميين قد ترجموه بالاحتجاجات المختلفة وبالامتناع عن العمل كالمحامين والشبان بالمظاهرات السلمية . وأما سكان الأقاليم فأعرب عنه بعضهم بالمظاهرات السلمية ، والبعض بالاعتداءات المخالفة التى بعضها موجب للأسف .

تلك هى حقيقة الوضع الذى فيه بلادنا الآن بسطانها الى فخامتكم بالاختصار وبالحق ، نرجو أن تأمروا بتحقيقها والرجاء معقود بعدلكم أن تزيلوا هذا الاستياء بالقضاء على أسبابه ، فان الأخذ بناصر أمة بأسرها أقدس واجب على عظماء الرجال .

« وتفضلوا بقبول احترامنا الفائق » (١) .

مصر فى ٣٠ مارس ١٩١٩

توقيعات أعضاء الوفد المصرى (٢)

(١) جاء فى المذكرات اليومية عن الثورة المصرية (البلاغ ١٢/٤/١٩٣٣) أن المنبى - المندوب السامى البريطانى - قد استقبل أعضاء الوفد فى ٣١/٣/١٩١٩ استقبالا حسنا ، واخبرهم أنه اطلع على تقريرهم وأنه استفاد منه استفادة كبيرة . واهم كتبوا التقرير بتعقل ورزانة .

(٢) وقع على هذه المذكرة فى الأصل الفرنسى المقدم للمندوب السامى البريطانى كل من : على باشا شعراوى ، حسين باشا واصف ، عبد الحالى باشا مذكور ، عبد العزيز فهمى بك ، أحمد لطفى السيد بك ، محمد على بك ، سينوت حنا بك ، محمود أبو النصر بك ، جورج خياط بك ، دكتور حافظ عفيفى بك ، عبد اللطيف المكباتى بك ، مصطفى النحاس بك ، وهى مؤرخة فى هذا النص ٢٩ مارس وليس ٣٠ منه .

F.O. 407/184 Inc. in No. 185.

مذكرات عبد الرحمن فهمى - ١٩٢٠

السلمية فأطلق عليهم رصاص البنادق والمدافع الرشاشة ، فقتل منهم أيضا ، ويومئذ قامت بطنطا مظاهرة سسلمية قوبلت برصاص المدافع الرشاشة . فكثر القتل والجرح في المتظاهرين . وفي يومى ١٣ ، ١٤ منه حصلت في القاهرة مظاهرة من هذا القبيل فقوبلت بالرصاص أيضا . ولاشك في أن اطلاق الجنود البريطانيين الرصاص على الطلبة العزل في هذه المظاهرات السلمية على هذا النحو وفي مثل هذا الظرف من شأنه أن تحدث (١) في البلاد أثرا سيئا لابد أن يكون هو النقطة الأخيرة التي فاض بها كأس الصبر في نفوس أهل البلاد لأنه في يوم ١٥ ابتدأت تأتي أخبار الاعتداء على طرق المواصلات ووقوع البلاد طرا في هذا الاضطراب الشديد . ذلك ولم يقف الاستياء من هذه المعاملة القاسية لأمة غير محاربة عند حد الرجال ، فان السيدات المخدرات لم يطقن أيضا احتمال هذه الصدمة ولم يقف حجابهن الكثيف في طريق اظهار عواطفهن بل قمن نحو الثلاثائه من عقائل أعلى البيوتات في القاهرة بمظاهرة نشرت الجرائد صبح يومها - أى يوم ٢٠ مارس - أنها مصرح بها . فما نزلن من عرباتهن وقطعن مسافة من طريقهن حتى وصلن الى بيت سعد زغلول باشا أحقق بهن الجنود البريطانيون مصوبين أفواه البنادق وسانن السنج نحوهم فوقفن في الشمس محصورات بقوة السلاح نحو الساعتين لايسمح لهن بالسير ولا بركوب عرباتهن والانصراف الى منازلهن . ثم سمح لهن أخيرا بعد أن شاهدن (٢) على تلك الحال رجال الوكالتين السياسيتين الأمريكية والطلبانية .

[١٩٣]

« وكان هذا أيضا مظهرا من مظاهر سياسة الاحراج تلك السياسة التي يجب عدلا وانصافا أن تكون هي المستولة عن النتائج التي نجحت عنها .

[١٩٤]

« غير أن السلطة العسكرية مع ذلك قد استدعتنا مرة أخرى في يوم ١٦ الجارى وأعلنت إلينا أننا مسئولون عن هذا الاضطراب وأننا مسئولون عن إزالته . ولكنها سمحت لنا هذه الدفعة (٣) أن نتناقش في أمر المسئولية . فأجبناها بأن هذا الاضطراب ليس نتيجة متوقعة ولا غير متوقعة لعملنا ولا يسوغه برنامجنا بحال من الأحوال ، بل نحن نأسف له وانما تسكين هذا الاضطراب فليس في يدنا وسيلة فاعلة ونصحنا بأن أنجح الوسائل في تهدئة الجواهر بالطرق السلمية إنما هو تأليف وزارة تعطي من الترضييات ما يرضى الشعب حتى نستطيع أن نقوم بأعباء الظرف

(١) في الأصل (تحدث) والصحيح (يحدث) .

(٢) في الأصل (شامدن) والصحيح (شاهدين) .

(٣) يقصدون هذه المرة .

لعرض قضيتهم على المؤتمر . ولا على الرأي العام البريطاني نفسه . لا يشك أحد في ان هذه المعاملة من شأنها أن تزرع الاستياء في النفوس ، فلما صرح هنا بعدم التصريح لأحد بالسفر وقبلت استقالة الوزارة ، تلك الاستقالة التي قالت عنها جريدة المورننج بوست في عددها الصادر في ٢٩ يناير ١٩١٩ أنها بعبارتها تجعل من الصعب جدا أن مصر يا آخر يأخذ محل الرئيس بدون أن يستهدف لتصفية الشعب . اضطربت الخواطر وشملت الأنفس عوامل اليأس من تحسين الحال . فرفعنا عريضة الى عظمة السلطان أن يتوسط في الأمر لكي يفرج خناق اليأس عن النفوس . وبدأت الوفود من أنحاء البلاد تفد على السراى (١) لهذه الغاية . ولم تستطع السلطات العليا أن تحمل أحدا من الذين يستطيعون القيام بأعباء المركز الصعب الذى وجدت فيه البلاد ، بفضل سياسة الشدة على أن يقبل تأليف وزارة . فاستدعنا السلطة العسكرية وأنذرتنا أننا نعيق سير الحكومة بما نحاول من منع تأليف الوزارة . ولم يمض يومان من هذا الانذار حتى قبض على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا اسماعيل صدقي باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا ونفروا الى مالطة .

[١٩٢]

٣

« وقع ذلك والبلاد مقتنعة بأننا لم نأت شيئا غير مشروع لا أمام القانون العام ولا مارسسته السلطة العسكرية من الحدود . فلم يكده خبر القبض على زملائنا يعلم حتى رأينا لفيقا عظيما من الشبان الطلبة في المدارس العالية قد حضر يقول لنا أنهم لابد لهم أن يقوموا بمظاهرات فنصحبناهم نصحا طويلا أن يكفوا عن ذلك وأن يكفوا على دروسهم ملازمين الهدوء والسكينة . ولكن يظهر أن شبابهم الغض لم يحتمل صدمة اليأس الذى استحوذ عليهم من جراء سياسة الاحراج فلم يتدبروا النصيحة أو لم يستطيعوا اقناع اخوانهم بها . وقامت في اليوم التالى للقبض على زملائنا مظاهرات الطلبة السلمية (٢) ، فقبض على نحو ثلثمائة منهم . وفى اليوم الذى تلاه أى يوم ١٠ مارس اشترك معهم طلبة الأزهر . فانتهز القوغاء فرصة هذه المظاهرات واعتدوا على قطار الترام وكسروا زجاجات بعض البواريات . وفى يوم ١١ منه تظاهر الطلبة مظاهرة سلمية فأطلق عليهم الرصاص فقتل منهم (٣) . وفى يوم ١٢ منه استأنفوا مظاهراتهم

(١) القصر السلطانى .

(٢) بدأت مظاهرات الطلبة يوم ٩ مارس .

(٣) توقف عند هذا الحد ولم يذكر قتل منهم ماذا .

« ومازالوا يعلقون آمالهم بالرأى البريطاني العام . ومؤتمر السلام الذى وضعت قواعده بفضل الأمم الحرة الأربع : البريطانية والأمريكية والفرنسية والإيطالية على أسس الحرية والحق والعدل . »

« ولما نشرت هذه القواعد تألف الوفد المصرى وليس أعضاؤه غير المسئولين ولا غير المعبرين عن الرأى العام كما يقال ، بل انه فضلا عما لرئيسه وبعض رجاله من صفة النيابة عن الأمة ، قد وكله أكثر من ثلاثة أرباع نواب الجمعية التشريعية غير الوزراء كما وكله أعضاء الهيئات النيابية الأخرى (مجالس المديرية والمجالس البلدية والمحلية) وكثير من الأفراد أولى الرأى والنقوذ فى البلاد . »

[١٩٠]

« طلب الوفد الترخيص له بالسفر الى انكلترا وفرنسا فلم يرخص له بذلك فلما طال به الانتظار رفع شكواه الى المندوب السامى وقتئذ تم الى رئيس الوزارة البريطانية وصار يطرق كل باب ليتمكن من السفر . وفى هذه الأثناء استقالت وزارة رشدى باشا لمنع عضوين منها من السفر فى الوقت الذى أراداه . ولم يكن لمنع المصريين من السفر : الوزراء وغيرهم ، إلا النتيجة الطبيعية لذلك وهى الظن العام بأن السياسة البريطانية لا تريد أن تحقق رجاء المصريين فى مساعدتها إياهم . وكاد هذا الظن يصل الى درجة الاعتقاد لولا أن السير ريجنلد ونجت ، لما رأى أن الوزارة علقت سحب استقالتها على إباحة السفر للمصريين ، وعد التوزيعين بأنه سيعتراض فى ذلك أمام الحكومة البريطانية بنفسه . وانه شديد الأمل فى الحصول على رفع الحجر الى حد أن حصلت المناقشة بينهم فى تسهيل أسباب السفر ، وعلم الناس أن الوفد يستعد للسفر فعلا . ولو تم ذلك لكان قد ذهب بخزع المصريين من عدم تمكنهم من عرض مطالبهم . وتنفس عنهم بعض ما يجدون من مضايق الانتظار . على أنهم كانوا يقرأون ، مع الدهش ، أخبار الوفود : وفد الحجاز ووفد الشام ووفد آرمينية ووفد ليبان . . . الخ . »

[١٩١]

« تلك المحجوب ، فضلا عن أنها كانت بالأمس ولايات لا استقلال لها ، فلما أكثرها كان فى حالة حرب ، حلتها فى سجن أن مصر ، وهى أرقى منها المدنية ، وكان لها استقلال ذاتى مضمون بمعاهدة دولية (١) ، وكانت مساعدة فى فتح تلك البلاد ، لا يكون لها وفد ولا يسمح لأهلها بالسفر

= المصريين . ولو لهذا هذا المشروع لصارت سلطة التشريع فى يد شذمة من الأجانب ولصار الضريون فى بلادهم غزاة . »

عبد الرحمن الرافى : ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٣ .

(١) يقصد بمعاهدة لندن ١٨٤٠ .

مع الاثرالك ؟ ولكنهم لم يصدقوا هذا الفهم وظنوا أن الحماية ضرورية استدعتها الظروف الحربية فقط . ولاشك في أن تأثر الطبقة المتنورة بهذا الشأن كان أكثر جدا من تأثر غيرها . إلا أن طبقة العامة لم تلبث أن لاقت من تصرف الحكام الاداريين في أمر التطوع والتكاليف الأخرى من الاهانات ما انحرفت به نفوسهم ، وتعداهم هذا الانحراف الى الطبقات المرتقية عنهم نوعا . وظهرت آثاره في حوادث رسمية . وزاد هذا الانحراف بما كان يهدد به الشبان الانكليز المفتشون بعض الأهالي المسئولين من سوء المعاملة متى تم لهم الأمر على مصر . غير أن انتظار تسوية المسألة المصرية على وجه يتفق مع مطامع المصريين في الحرية كان ملطفا لتلك الحال . وكان رجاء الناس يزداد يوما فيوما بمقدار ما يقرأونه في الصحف من خطب رجال السياسة في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة وبما يطالعونه بشغف عظيم من الخطب التي كان يلقيها الدكتور « ولسون » في حرية الشعوب وأنه لا يكون بعد الآن شعب سيد وشعب مسود . بل كلهم في الآخاء الانساني سواء .

[١٨٩]

« غير أن هذا الرجاء كان يكدر صفوه ، الوقت بعد الوقت ، في الأوساط المتعلمة ، ماكان ينشر وماكان يقال عن حركة التشريع الجديد أي حركة أعمال لجنة الامتيازات فان هذه الحركة لم ترض البلاد سواء في ذلك المصريون والأجانب . ولكن الحكومة لم تأبه لهذا الامتناع ولاشك في أن من يرقب ماجريات الحال في مصر عن قرب لا يستطيع أن ينكر أن هذه الحركة قد أزعجت المصريين على مستقبلهم لما رأوا فيها أن كل مصلحة في مصر ترعى الا مصلحة أهل البلاد . ولم يكن بعيدا عليهم أن يعتقدوا أن رجاءهم الذي علقوه بعطف بريطانيا العظمى أوشك أن يخيب . »

« تم قفى هذا التشريع بمشروع قانونى نظامى روحه متسقة مع روح التشريع الذى وضع لتوحيد السلطات القضائية . وليس لاعتبار المصريين شيئا آخر الا كمية عاطلة ليس لهم في ادارة بلادهم نصيب بعد تخييم الحزن على نفوس المصريين ولكنهم اعتقدوا أن كل ذلك من عمل حزب الاستعمار ، وأن الشعب البريطانى الحر لا يرضى بهذا التصرف (١) . »

(١) ويتلخص هذا المشروع في انشاء مجلس نواب مصرى يؤلف من المصريين ولكنه استشارى محض ليس له سلطة قطعية في أى أمر من الأمور وبجانبه مجلس شيوخ يملك وحده السلطة التشريعية ولكنه خليط من المصريين والأجانب وهم الوزراء المصريين والمستشارين الانجليز وأعضاء منتخبين بطريقة متعقدة القيود والشروط ، منهم ٣٠ مصرى و ١٥ أجنبيا بحيث تكون الأغلبية للأعضاء الرسميين والأعضاء الأجانب والأقلية للأعضاء =

نتخذ من سلوك المصريين نحو بريطانيا العظمى منذ احتلالها مصر الى هذا اليوم لا تدل الا على أن الذي في نفوس المصريين ليس هو العداوة بأى نوع كان ، بل هو الاحساس الطبيعي لكل أمة أن تستقل بشئونها مختلطا بالرجاء فى عطف الشعب البريطانى الكريم أن يساعدنا على الاستقلال باعتبار أن الفرصة التى كان ينشدها اللورد (سالسبورى) بتصريحه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٨٦ (١) قد حان وقتها . فانه من المستحيل أن يرد على خواطر الأمة المصرية التى هى أهذا الأمم فى سلوكها أن تفكر فى اغضاب بريطانيا العظمى فى حين أنها تتكل عليها فى مساعدتها على نيل استقلالها . فان السياسة البريطانيين فى مصر لا ينكرون حسن استعداد المصريين فى بدء هذه الحرب ، لأن تعاون مصر بقدر طاقتها بريطانيا العظمى فى الدفاع عن قضية العدل وحرية الشعوب الصغيرة متى اعترفت لها الامبراطورية باستقلالها . كما لا ينكرون أن بعض رجال مصر المسئولين قد أظهروا هذا الاستعداد عند دخول تركيا الحرب .

[١٨٧]

« ولقد أظهرت الأمة فى سلوكها طول مدة الحرب أنها تنظر من بريطانيا العظمى معاملتها على هذا السلوك المستقيم وعلى التضحيات الكبرى التى غرمتها بما تستحق من الرعاية فتعترف لها بالاستقلال بعد زوال السيادة التركية عنها .

« ثم ان الوفد المصرى ، الذى وكل لهذه الغاية ، قد جعل فاتحة برنامجه أن يتجه الى الشعب البريطانى قبل كل شيء لنيل عطفه على مصر والمصريين ، وليبين للرأى العام هناك أن النقطة التى تلتقى فيها منافع بريطانيا العظمى واستقلال مصر ليست نقطة معدومة بل ايجادها فى حيز الامكان معتمدا فى ذلك على شهادة فخامتكم للمصريين التى أعلنتهوها بعد أن أحرزتم الظفر وتوج جهادكم بالنجاح .

[١٨٨]

« كل ذلك ينفى بتاتا أن هذه الحركة نتيجة عداوة فى النفوس . وان كانت فى الجملة بعض نتائج اليأس وخيبة الرجاء .

« لما أعلنت الحماية على مصر (٢) تساءل المصريون ، مع الدهش ، كيف يمكن أن نكون مع البريطانيين الأحرار أقل حظا بكثير من جهة حريتنا

(١) جاء فى هذا التصريح : « ان جميع الوزراء الانجليز الذين تعاقبوا منذ أربع سنوات أجمعوا على الاعتراف بأن احتلال انجلترا لمصر زائل لا محالة وقد سجلت أوربا هذه الاعترافات . فطول الاحتلال اذن لا يؤثر مطلقا فى مركز مصر » .

خطبة اللورد سالسبورى رئيس الوزراء فى ٩ نوفمبر ١٨٨٦ ، التيمس .

(٢) أعلنت الحماية على مصر فى ١٤ ديسمبر ١٩١٤ .

[١٨٦]

تقرير الوفد المصرى الى المندوب السامى

كان المندوب السامى قد دعا اليه أعضاء الوفد المصرى فى يوم ٢٦ مارس ١٩١٩ وسألهم عن أسباب ذلك الاضطراب الواقع فى البلاد وطلب منهم أن يقدموا اليه تقريراً عن تلك الأسباب . ففى ٣٠ مارس قدم اليه الوفد التقرير المفصل الآتى :

« فخامة المندوب السامى » :

« اجابة لدعوتكم يوم ٢٦ مارس الحاضر يتشرف الموقعون على هذا ، أعضاء الوفد المصرى أن يقدموا الى فخامتكم هذا التقرير ببيان الأسباب التى أوجبت استياء المصريين ولو أننا تلقاء تصريحات اللورد كرزون (١) فى مركز خاص بالنسبة لأسباب هذا الاضطراب الواقع فى البلاد حالا ، الا أن هذا الموقف لا يثينا عن أقدم واجباتنا الوطنية والانسانية أن نساعد فخامتكم فى الوقوف على أسباب هذا الاضطراب التى نرجو أن تزيلوها بحكمتمكم لتزول مسبباتها .

« ان هذا الاضطراب العام الذى لم يكن فى حساب أحد من الذين يشتغلون بسياسة مصر ليست مصدره فى نفوس المصريين أساس عداوة للبريطانيين بوجه عام ، كما يفهم من العبارات التى عبر بها اللورد كرزون من أننا نريد طرد أكبر مملكة فى الدنيا من بلادنا . بل جميع الأدلة التى

(١) جاء فى هذا التصريح الذى ألقاه اللورد فى مجلس الصوم عن الحالة فى مصر أكد فيها أن الأنباء الواردة أقل خطورة :

— تجنى على الثورة وزعم أنها أقرب الى النهب والسلب وأتى على موظفى الحكومة ورجال البوليس المصرى وأن الأعيان بذلوا أقصى ما فى وسعهم لتهدئة الاضطرابات .
— وأتى على رشدى باشا وعدلى باشا على الخدمات التى قدمها مصر وللإمبراطورية خلال الحرب وأن زيارتهما لبريطانيا تقابل بالرضا والارتياح .
— وعرج على سعد باشا وأعضاء الوفد قائلا : « ان الحال مع سعد زعول باشا يختلف كل الاختلاف لأنه هو وأعوانه هم الذين دبروا هذه الاضطرابات وأنهم قوم غير مسئولين » .

عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

... مياه النيل انخفاضاً غير عادى فقد عقدت النية على شحن كميات كبيرة من البترول الى المديرية الجنوبية ليتمكن المزارعون من رفع المياه لرى مزروعاتهم . وقد وصلت الى مصر كميات كبيرة من البترول وكانت جميع القيود الخاصة ببيع هذه الحاجة ستلغى فى خلال الأسبوع الحالى ، على أنه لا يمكن نقل البترول الوارد الى القطر الى القاهرة أو الجهات الجنوبية الا بعد اصلاح المواصلات الحديدية ، ولا مشساحة فى أنه كلما طالت الأحوال الحاضرة كان التأثير على حاصلات البلاد الغذائية أشد » .

وفي ٣١ مارس نشر البلاغ الرسمي الآتي :

« لم نرد أنباء عن وقوع قلاقل جديدة .

« وقد أفضى نشاط الفصائل المتنقلة في الدلتا الى استرداد جزء كبير من الممتلكات التي سرقت من الحكومة والأفراد . وقد شرع في جمع الأسلحة ، وقبض على كثيرين . وأظهر القرويون - الا في بعض جهات معينة - صداقة (١) ازاء الجنود ، وهم يساعدون في أعمال الترميم في الطرق والسكك الحديدية .

« ولا تزال تقع حوادث عدائية متفرقة . ففي ٢٩ الجاري جرح فروى مسلح ببندقية حارسا كان يخفر كبريا في جوار القلج (٢) .

وفي ٢٨ الجاري أطلق جماعة من القرويين النار على دورية من الجنود في جوار كفر الدوار فتشتتوا وتتخذ الآن وسائل رادعة في القرى ذات الشأن .

« ووردت الأنباء بأن جهة الحوامدية وجهة المنيا مراكز للمشاعبات وستعيد قوة بقيادة الماجور جنرال لونغلي النظام في جهة الحوامدية في حين تلقى الماجور جنرال السرجون شي الأوامر باعادة السكنية في المنيا أثناء سيره جنوبا .

« ويجري الآن اصلاح السكك الحديدية في الوجه القبلي . وقد جاء في تقرير من المهندس المكلف بالعمل أن التلف الذي أصاب الخط كبيرا جدا . وقد دمرت محطة السكة الحديدية في الحوامدية والبدرشين تدميرا تامة تناول الأبنية نفسها كذلك .

« ونظرا لتعطيل المواصلات بالسكة الحديد أصبح من اللازم انشاء مواصلات بواسطة البواخر مع المديرية الجنوبية . وقد تطلب انخفاض مياه النيل في هذه الآونة فتح أبواب خزانات أسيوط وأسوان . ولا ريب في أنه كلما طالت الأحوال الحاضرة تعاظم ضياع المياه المخزونة في النهر التي كانت في الأحوال العادية تستخدم في ري الأراضي في فصل الصيف ، وخصوصا في ري الذرة (٣) . ويجب فوق ذلك ملاحظة انه نظرا لانخفاض

(١) الدافع كان الارهاب الانجليزى وليس الصداقة للانجليز .

(٢) مركز بمديرية القليوبية قرب الخانكة .

(٣) يلاحظ هنا اللجوء الى سياسة التخويف للفلاحين والعاملين في الميدان

الزراعى .

بين أسوان والأقصر كل مساعدة وهم يستخدمون الآن في حماية السكة الحديدية في جنوب الأقصر « (١) »

وفي ٢٩ مارس صدر البلاغ الرسمي الآتي :

[١٨٢] « لم ترد أنباء عن حدوث اضطرابات جديدة .
« وقد بقيت فصيلة البريجيدير جنرال هولستون الرادعة في أسيوط
لإعادة النظام في الجهات المجاورة .
« ويزحف الماجور جنرال السرجون شي من الواسطى جنوبا مع
فصيلة قوية من جميع الأسلحة ويعيد النظام أثناء سيره .
« وتزحف الفصائل المتنقلة في الدلتا بسرعة من مكان إلى آخر وتقبض
على عدد كبير من المجرمين وهؤلاء ينظر في قضاياهم في الحال .
« ويؤخذ من جميع المعلومات التي وصلت إلينا حتى الآن أن آلات
الري والترع لم تصب بضرر كبير فقد نزعنا - كما ذكرنا من قبل -
أبواب الترع في بعض الأحيان وأفضى سقوط أحد الكبارى إلى غمر جزء
كبير من الأراضي في شمال الدقهلية .
« على أن موظفي مصلحة الري لزموا مراكزهم بإخلاص . وقسام
الموظفون الصغار ببرنامج مناوبات الري في كل مكان أمكن القيام بذلك .
وعليه يمكن الحكم حتى الآن بأن محصول البلاد لم يصب بالأجمال إلى أي
حد يمكن تقديره وقد أحرقت مكاتب الري في أسيوط ومدينة سمند .
« ووردت الأنباء فيما يتعلق بالاضطرابات الخارجة عن حد انقانون
التي وقعت في أسيوط أن موظفي الحكومة المصرية سلكوا أحسن
سلوك »

[١٨٣] « ان جميع حوادث القلاقل والاضطرابات تعلن رسميا على أثر
التثبت من صحتها فيجدر بالجمهور اذن الا يثق بالاشاعات الكثيرة التي
لا أساس لها والتي تزداع في مثل هذه الآونة » (٢) .

(١) مما يلفت في التقرير السابق أن عناصر من بعض القبائل الفاطنة بين أسوان
والأقصر قد عاونت السلطة الانجليزية في حماية السكك الحديدية ، ويرجح أن تكون
هذه العناصر من قبيلة البشارية التي كان يستمد منها أغلب قوات الهجانة وكانوا دائما
عنصرا مواليا للسلطة .

(٢) نص البلاغ المذكور في المقطع في ١٩١٩/٣/٣١ ويلاحظ فعلا ان البلاغات الرسمية
كانت تتطابق الى حد بعيد مع ما كان يرسله الممثلون البريطانيون في القاهرة الى لندن ،
غير انها في النهاية كانت تقدم رؤية هؤلاء كما حدث في البلاغ المذكور الذي أطلق على
الثوار توصيف المجرمين !

[١٨٠]

« وفي خلال يومي ٢٣ و ٢٤ الجاري اشتغل جنودنا بتفريق جماعات المشايخين ومكافحة الرماة .

« وفي ٢٤ الجاري وصلت طيارتان مائيتان فاشتركتا في أعمال الدفاع .

« وكانت حوادث السلب تقع في خلال جميع هذه المدة في مدينة أسيوط وأضرمت النار في مصنع التبغ وأحرقت المخازن . وأما البنك فقد وردت الأنباء بأنه في أمان .

« ولقيت قوة مسافرة في إحدى البواخر لانقاذ أسيوط بعض المقاومة بين ديروط وأسيوط ووجدت جماعات من الرماة على ضفتي النيل ففرقوا بنيران المدافع السريعة والبنادق ، وشوهد جماعة من المشايخين في أحد الأماكن فأنزلت قوة من الجند تحت النيران ، وقد قتل عشرة من العصاة في هذه النقطة وقبض على ستة سالمين .

« وفي خلال سفر النجدة في النهر أصيب اللفتنانت كولونيل هازل بيد أحد الرماة من الشاطيء وتوفي متأثرا بجراحه . وقد جرح ضابط آخر من ضباط هذه القوة وأصيب جنديان بجراح خفيفة .

ووصلت هذه القوة الى أسيوط نحو ظهر ٢٥ الجاري فأعيد النظام في الحال .

« وقد أثنى قائد الجنود في أسيوط ثناء مستطابا على المساعدة التي قام بها المدير وأمور السجن فقد أبدى المأمور أعظم عزم وحزم في اخماد فتنة حدثت في السجن - وهو خارج المنطقة الدفاعية مباشرة - حيث أطلق الرعاع سراح المسجونين من غرفهم .

[١٨١]

« ووردت الأنباء بأن العصابات المسلحة التي هجمت على أسيوط والتي كانت موزعة على طول النيل شمالا الى ديروط كانت مؤلفة من البدو وغيرهم من سكان المراكز البعيدة تعززهم العناصر التي لا تطيع قانونا القاطنة في هذا الجزء من وادي النيل » .

ووصل التلغراف التالي من مصلحة الحدود :

« وصلت فصيلة « تريجاي » الباحثة الى قنا ووصلت الجنود البريطانية أمس الى الأقصر وكل شيء حسن . وقد قدم العرب القاطنون

[١٧٨] « وأما الأنباء التي وصلت من الجهات الواقعة بين قنا وأسوان فلا تزال ناقصة . ولكن يبدو مما ورد منها أن التلف الذي وقع في هذه المنطقة اقتصر على السكة الحديدية وخطوط التلغراف وإن جميع النزلاء، الجانب والبنوك ومصانع السكر في سلام . »

« ولا ينتظر وقوع قلق من جانب البدو في غرب البحيرة وفي الفيوم . وقد عرض الذين يقطنون على الضفة الشرقية للنيل بين قنا وأسوان مساعدتهم لولاة الأمور . »

« وتسود السكينة جهة الشاطئ من الاسكندرية الى السلوم وفي الواحات البحرية والخارجة والداخلية (١) . »

وفي ٢٨ مارس نشر البلاغ الرسمي الآتي :

[١٧٩] « ان النبا الوحيد الذي وصل في خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة عن حدوث مشاغبات جديدة هو ما ورد من منطقة دسوق حيث وردت الأنباء بأن الرعاع من سكان القرى المجاورة نهبوا قرية كفر يوسف حنس والكنيسة وطردهوا السكان (٢) . »

« وكان الحرس المحلي في أسيوط قد توقع الهجوم عليه فاتخذ مكانا دفاعيا أدخل فيه البريطانيون والاميركيون وغيرهم من النزلاء الأجانب في أسيوط وكان عددهم مع المسافرين من الملكيين (٣) القادمين من جهة الجنوب ١٤٦ شخصا ، ووضعت النساء والأطفال - وعددهم نحو سبعين في المدرسة الثانوية الأميرية - وهؤلاء جميعا في سلام وهم ينقلون الآن الى القاهرة . »

« وفي صباح ٢٣ الجارى هوجم المكان وقبل أن تستطيع الإمدادات الوصول الى المراكز الذي يحرس الطريق من قرية الوليدية الى المدرسة تمكن الرعاع من اختراق النطاق وأخذوا يطلقون النيران على جنودنا ، وقد صد هذا الهجوم بعد أن تكبد الثائرون بعض الخسائر من القتل والجرحى . »

« وفي خلال ٢٣ الجارى حاول الرعاع مرات أخرى مختلفه الدخول الى الاستحكامات عنوة . »

(١) نص البلاغ المذكور في المقطع في ٢٨/٣/١٩١٩ .

(٢) تذكر الوثائق البريطانية أن تلك الأحداث قد جرت يوم ٢٦ مارس F.O. 407/184 Nos. 140, 141.

(٣) المدنيين .

« ووصل البريجيدير جنرال بيكت والفتنانت كولونيل ومسز شاياتور ومس تومون ومس كالدكلوف فى مساء يوم ٢٢ الجارى الى أسيوط قادمين من الأقصر بطريق النيل . وقد وردت الأنباء بأن مدينة أسيوط أصيبت بخسارة كبيرة بسبب أعمال النهب ووقع الاختيار بصفة خاصة على حوانيت الأقباط والأرمن للسلب والنهب .. »

« وثبت أن القائمقام بوب بك مفتش السجون فى الوجه القبلى كان بين الذين قتلوا فى الاعتداء على قطار القاهرة والأقصر يوم ١٥ الجارى ولا يزال من المتعذر التثبت من أسماء الذين ذهبوا ضحية هذا الاعتداء (١) .

وفى ٢٧ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

« استتب النظام فى القاهرة وجميع أنحاء الدلتا اذا استثنينا الجهات التى حول زفتى (فى جنوب شرقى الغربية) ودسوق (فى شمال غربى الغربية) فقد هدد جماعة من المشاغبين فى زفتى بالدخول الى المركز عنوة ، ولكنهم تفرقوا بعد أن أُنذِرهم المأمور بأن رجال البوليس سيطلقون عليهم النيران . وقد قطع فرع السكة الحديدية فى اليوم نفسه فى غرب المدينة (٢) . »

[٩٧٧]

« وفى يوم ٢٦ الجارى وصلت فصيلة متنقلة الى كفر الشيخ وأعادت النظام ووصلت فصائل متنقلة أخرى الى مدن مختلفة فى غرب البحيرة . وقد وردت الأنباء بأن الترع والقناطر فى هذه المديرية (البحيرة) لم نصب بأذى . »

« وتحتل الفصائل المتنقلة فى المراكز البعيدة الأخرى مراكز المشاغبات المختلفة . وقد قبض على كثير من الزعماء وكبار المشاغبين . ويساعد الأعيان فى جهات معينة ولاية الأمور بتأليف لجان للأمن العام . »

« وقد وصل ما يثبت قتل المستر آرثر توماس سمث المفتش الأول للمقاطرات فى مصلحة سكك حديد الحكومة فى الواسطى وقتل الخواجه يوسف نخله دهان وكيل الانجلو اجبشن بنك بالقازيق وذلك فى خلال المدة الأولى من الاضطراب . »

« ولم ترد تفاصيل جديدة من أسيوط بعد . »

(١) نص المنشور المذكور فى المقطع فى ١٩١٩/٣/٢٧ .

(٢) تقول الوثائق البريطانية ان أكثر من ألفى متظاهر فى زفتى هاجموا المركز وأنهم لم يتوقفوا الا تحت تهديد السلاح .

« واستمرت النار مشتعلة يومين وفي بعض الأماكن بقيت بضعة أيام وأصبح أهل القرية لا يملكون إلا ما على أجسامهم » .

ومن الغريب حقا أن بلاغا رسميا واحدا لم يشر الى هذا الحادث ، وهذا يدل على أن الضابط الذي أمر بارتكاب هذه الفظائع شعر بعظم هذه المسؤولية فلم يبلغ رؤسائه .

وفي يوم ٢٦ مارس صدر البلاغ الرسمي الآتي :

« لم ترد أنباء عن وقوع حوادث جديدة في المديرية الشمالية في لال الأربع والعشرين ساعة الماضية » [١٧٥]

« وفي مساء ٢٤ الجارى أطلقت النيران على قطار في غرب أبو حماد .
« وفي خلال ليلة ٢٤ - ٢٥ الجارى حدث تلف بسيط في خط طنطا ومحلة روح .

« ويؤخذ من البلاغات التي وردت من المراكز أن الطرق الزراعية والترع أصيبت في خلال الهجمات الأخيرة على المواصلات بتلف جسيم كذلك . وكان معظم التلف الذي أصاب الطرق في جنوب الدقهلية والبحيرة وذلك لمنع وصول القوات الانجليزية الى هذه البلاد .

« وهجم المشاغبون في بعض الحوادث على ترع الري والأقنية ونزعوا الأبواب التي تستخدم لتنظيم توزيع المياه .

« ودمر كوبرى مقام على احدى الترع بين المنصورة والسنبلاوين فسد الترعة وأفضى الى غمر جزء كبير من الأرض بالمياه .

« ووصلت فصيلة من الجنود الراكبة الى حوش عيسى في غرب البحيرة حيث قبض على عدد كبير من المجرمين . وقد وردت الأنباء بأن القرويين في هذه الجهة أخذوا يعودون الى أعمالهم العادية .

« وتسود السكينة جميع الجهات الواقعة بين القاهرة وأسيوط وجهة الفيوم .

« وكانت القوة الصغيرة من الحرس المحلى في أسيوط والنزلاء معرضين مدة بضعة أيام مضت لهجوم دائم فوصلت مساء أمس قوة لتجديدهم بطريق النيل (١) من القاهرة وأعادت الحالة الى ما كانت عليه . » [١٧٦]

(١) السبب في ذلك تعطيل السكك الحديدية .

توجد قطعة أرض مزروعة تابعة للقرية واقعة خلف شريط السكة الحديدية وحيث انه كانت قد صدرت أوامر عسكرية وقتئذ بمنع مرور الأهالي بعد الساعة السابعة مساء على شريط السكة الحديد فقد طلب ضابط هؤلاء الجنود استئصال العمدة لتلقي الأوامر من قائدهم وهو ضابط برتبة كولونيل بخصوص مزارعي قطعة الأرض المذكورة ولما وصلت أحاط به الجنود وجعلوني تحت الحفظ ، فأخبرني الكولونيل بأنه في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ قتل أحد الجنود الهندية الذي كان حارسا للسكة الحديدية بجهة البلدة ولم يعثروا على جثته فأنذرنى باحراق القرية ان لم يسلم اليهم الفاعل . وعلى ذلك ضربت الجنود ناطقا حول البلدة وصدر أمر باخراج جميع الأهالي من كبير وصغير . فكانوا يساقون بالحرايب في غير ما شفقة ولا رحمة حتى النساء والأطفال . ومن المناظر المحزنة أن امرأة كانت حاملا وأوشكت على الوضع فكانت تتالم ولا تقوى على السير فوخزها الجنود بحرايبهم حتى توفيت المسكنة في الحال .

وبعد أن تم اخراج جميع الأهالي فصلوا الرجال عن النساء ثم نصبوا مدفعا رشاشا خلف الرجال بعد أن أجلسوهم على الأرض وطلب ضابطهم من العمدة احضار أصحاب الحقل الذي وقعت فيه الجريمة فاتضح عدم وجود أحد منهم في ذلك اليوم بالحقل لأنه مزروع قمحا وفولا فلا داعي لوجودهم به . فأخبر الضابط العمدة حينئذ بالجريمة التي وقعت في حقل هؤلاء الناس وأمره باحضار الجاني في الحال والا أضربوا النار في البلد . فبين العمدة أنه لا علم له بهذه الجريمة وأن الجاني لو كان من أهل القرية . لاتصل به خبره ، لذا طلب منه أن يمهلّه، يوما لبحث عنه في القرى المجاورة فأبى وأخيرا طلب منه أن يمهلّه عشرة دقائق فأصر على الرفض . وقد كانوا مزعمين على قتل خمسين من كبار القرية ففصلوا الأطفال الى مكان السيدات .

وفي الساعة ٢ ١/٢ أصدر ذلك الضابط أمره باحراق البلدة وأنذر بأن من يقف منا يرمى بالرصاص .

وآنذاك رأينا الجنود يحطمون أبواب المنازل ويدخلونها ويأخذون منها كل ما يعثرون عليه مما خف حمله وغلا ثمنه ثم يشعلون النار فيها .

وبعد أن أحرقوا البلدة تركوها وانسلوا خفية بين الغلال وقصد منعوا أهالي القرى المجاورة من حضورهم لنجدتنا وبات نيف وأربعة آلاف نفس تلك الليلة في العراء يفتشون الغبراء ويلتجفون بالسماء .

من البلد مع أنه كان بملابسه الرسمية ودخلوا بيته في البدرشين وسرقوا منه بعض جنبيات وقرر الباشجاويش المذكور ما رآه من نهب البيوت واشعال النار برمي القنابل المحرقة واطلاق القنابل في الحال على من يحاول الممانعة في سلب ماله ، وقد روى في التحقيق ما سمعه عن محاولة اغتصاب عفة غالية زوجة الشيخ حسنين الجزار وقتلها • وقد شكوا له جنوده المصريون الثلاثة من رجال البوليس من أن منازلهم نُهبت ونقودهم سلبت ونساءهم فتشت وأهينت •

« وكادت البلد تقفر من السكان ووجدت نفسى عاجزا عن القيام بأعباء عملى فقدمت استقالتى للمديرية » [١٧٢]

عمدة البدرشين
محمد منظور الدالى

وقد عقد مدير الجيزة فى ذلك الوقت (حمدى بك سيف النصر) مجلس المديرية وأثبت نص هذين البلاغين فى دفتر محاضر الجلسات • غير أن رجال السلطة الانجليزية طلبوا هذا الدفتر ونزعوا منه المحضر • وطبع نص البلاغين فى كراسة صغيرة انتشرت بسرعة البرق بين الناس فى القاهرة وغيرها من بلاد القطر • فكان لها أسوأ الأثر فى نفوس الشعب (*) • [١٧٢]

فطائع الجنود الانجليزية فى الشبانان [١٧٢]

وقد أحرق العساكر فى نفس اليوم قرية الشبانان بمديرية الشرقية بعد نهبها • واليك ما يقوله راعب أفندى بشاى من أهالى تلك القرية فى تقريره الذى أرسله إلينا (١) •

فى منتصف الساعة الحادية عشرة من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ حضرت ثلة من الجنود البريطانية وأحاطت بمنزل عمدة القرية فاستدعانى العمدة لآكون واسطة التفاهم بين الفريقين لأنى الشخص الوحيد الذى يعرف الانجليزية فى البلدة • [١٧٣]

(*) مضاف هذا القسم على صفحة مستقلة وحدد صاحب المذكرات مكانها على النحو الذى وضعت به هنا •

(١) انظر أيضا : البلاغ فى ١١/٤/١٩٢٣ تحت عنوان مذكرات يومية عن التنورة المصرية ١٩١٩ •

البلد ومعى أولادى فقابلنى أهلها بالبكاء والعيول كل يقص علينا نكبته ويشرح نصيبه من الفاجعة . وعزم أكثرهم على المهاجرة وهاجروا من البلد فعلا وأجهض عدد كبيرا جدا من السيدات الحوامل .

ودخلت منزلى فوجدت زوجتى المسكينة وقد فقدت صوابها وأصببت باضطراب عقلى كان يجعلها تنطق بكلمات محزنة وتبكي بلا انقطاع . ووجدت ابنتى طريحة الفراش مريضة .

وان حوادث البلد العديدة تبلغ من البشاعة والشناعة والفظاعة مالا قدرة لى على وصفه ، ولكنى أذكر على سبيل المثال ما نال الشيخ محمود عبد المطلب أحد مشايخ البلد فان العساكر دخلوا منزله بلا ضابط وجرده من كل ما كان به من نقود وحلى وتبلغ قيمته سبعمائة جنيه تقريبا وأهانوا زوجته وسلبوا أساورها وحلقها ولبتها (١) واقتسموا ما حصلوا عليه أمامه ، وأخرجوه مخفورا الى قنطرة البلد ثم نسوه على ما يظهر لاشتغالهم بسواه فعاد الى بيته .

ودخل عساكر الانكليز منزل سليمان غطاس فلم يتركوا به نقودا أو حليا ولم يقتصر أذاهم على الناس ، بل تعداهم الى الماشية فانهم ضربوا جاموسة هذا الرجل بالرصاص فقتلوا .

وقد شكونا أمرنا للمديرية ، وفتح حضرة مأمور الضبط ابراهيم أفندى دسوقى أبطاة تحقيقا سمع فيه أقوالنا وسمعت أنا شهادة الملاحظ أمامه تدل على صدقنا وتنطبق على الحقيقة الهائلة فقد روى ما شاهده بنفسه من مناظر القتل واشعال النار لاحداث الحرائق والنهب والسرقة والتدمير والاعتداء على النساء واهانتهم وسلبهم حلاهم بعنف وقسوة تركت فى أيديهم وأذانهن الآثار الدامية من خلع الأساور والأقراط . وقرر فوق ذلك أمامى فى التحقيق المذكور أن رجال الجيش كانوا يهينونه اذا احتج وضباطهم كانوا لا يعاون بما يشاهدونه من الفظائع بل يشتركون أحيانا فى ارتكاب بعضها ، وذكر أنهم هددوه شخصيا باعتباره شريكا لنا فى جرائمنا اذا لم يشهد علينا مكرها ، وأكرهوه فعلا على توقيع العهد الذى وقعنا عليه . كما ذكر أنه رأى الأوز المسروق مطبوخا ومهينًا للأكل على مائدة حضرات الضباط وكان رئيسهم يأكل معهم .

[١٧١]

ومما يجب ذكره أن العساكر اعتدوا أيضا على باشجاويش نقطة البدرشين الذى كلفه الملاحظ (على ما عرفت أثناء سماع شهادة الباشجاويش فى التحقيق) أن يصحب قوة انكليزية للتفتيش فى ناحية

(١) كردان وحلى يلبسان فى الرقبة .

جريحة وبعد ذلك جردوها من حليها وفاضت روحها بعد ساعات قليلة . وقال لى زوجها أنها عانت آلاما شديدة .

٥ - محمد أبو العلا ضيا هشم الرصاص ذراعه وعلمت أن الطبيب قطعه فى اليوم التالى وحالته خطيرة .

٦ - على السيد الدالى الحفير الرسمى اخترقت الرصاصة جسمه ولم يمت .

[١٦٩] ٧ - أحمد أحمد حماد ضرب بعقب البندقية فى رأسه فأصابه بجرح بليغ واستمر أحد العساكر يضرب حتى أغمى عليه وسرقوا ما كان فى جيبه .

٨ - السيد محمد كاغه ضرب فى صدره بسنجة فجرح .

وأخذت الشراذم البريطانية ترد مترادفة تحمل الأسلاب والغنائم وغاب جنديان فى البلد طويلا فكلّف الضابط الكبير ملاحظ البوليس بالبحث عنهما فى البلد وجلس الضابطان والعساكر بقهوة فى شرق البدرشين يقتسمون النقود والحلى أمام أعيننا ، ثم عاد الملاحظ بالجنديين .

وانصرف الجيش الانكليزى من الحوامدية تاركا ايانا بنقطة البدرشين بعد أن تعهد الملاحظ بأن يصحبنا الى الحوامدية . وسرنا مع الملاحظ اليها الساعة عشرة ونصف وبعد مدة صعدنا مع عمدة العريزية ومشايخها الى بناية حيث وجدنا مجلسا من ثلاثين ضابطا ذكر لنا رئيسهم تمها غريبة لا صحة لها اذ الحقيقة أن بلدى لم ترتكب جرما ولم تقترب انما ولا أعرف أحدا منها اشترك فى تخريب أو تدمير أو احراق ولم يعتد أحد على أى ضابط أو جندي من الانجليز فهم الذين يعتدون علينا وقد بلغ بى التسامح أن ضابطا انكليزيا يشتغل بجمع الذرة للسلطة هجم قبيل الاضطراب العام على منزلى بمحل الحرم وكنت نائما وحاول أن يضربنى بمسدس كان معه بدعوى أننى تأخرت فى تلبية أوامره فاكثفت بأن أمسكت يده ومنعته من قتلى وكان هذا بحضور الباشجاويش رئيس نقطة البدرشين وخرج الضابط الانكليزى من بيتى بعد ذلك آمنا تحت حمايتى وذهب الى الموردة (١) يعد فيها زكائب الذرة كأن لم يحدث شيء . وشكوت للمديرية والداخلية والقائد العام بالتلغراف وعلمت أن حضرة المأمور أرسل تقريراً للمديرية أنصفتى فيه بذكر الحادثة على حقيقتها وعدت من الحوامدية الى

[١٧٠]

(١) مرسى القرية حيث تجمع الحاصلات للنفل النهري .

« في الساعة الرابعة والنصف بعد منتصف ليلة الثلاثاء من يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ هجم على منزلي أربعون عسكريا مسلحون ومعهم ضابط انكليزي وملاحظ الحوامدية عبد المجيد أفندي ثروت وسأل الضابط عن سلاحى ثم أوقفونى مخفورا بالسلاح فى الصابة ودخل العسكر غرفة نومى وبها زوجتى وزوجات أولادى وبناتى الصغيرات ، وكنت اسمع من مكانى صياحهن وصوت تكسير الصناديق وقد جذب أحدهم حلقا من أذن بنت لى صغيرة فجرحها . وآلمنى صوت استغاثتها فهممت بالدخول رغم الحراسة فضربنى جندى بعقب بالبندقية . وكان الضابط ومعه الملاحظ يفتش حجرتين فى الجهة الشرقية من المنزل فعاد ببندقيتين لى واثنين للخبراء الرسميين واستأذنت الضابط فى لبس ثيابى فأذن لى . ودخلت محل نومى فوجدت السيدات يرتعدن مفزوعات ويحكين لى ما صنعه العساكر من تفتيشهن تفتيشا معيبا وسلب كل ما وجدوه من نقود أو حلى . وخرجت فطلبوا منى أن أدلهم على بيوت مشايخ البلد الخمسة وانطلقوا بى مخفورا أنا وولدى لمنزل أحدهم وفى أثناء وجودهم به أخذ حراسى من العساكر يفتشوننا فأخذوا منى ومن أولادى نقودنا وساعاتنا . وعند خروج الضابط الكبير رجوت من الملاحظ أن يشكو له . فأجابه بالعربية قائلا : « مافيش فلوس » واستمرت قوات أخرى تطوف منكبة على سلب بيوت المشايخ وبعض الأهالى . وأخذونى وولدى وأحد المشايخ الى نقطة البدرشين القريبة من البلد . وكنت أرى الحرائق مرتفعة يعلو لهيبها فى الجو تلتهم المنازل وأسمع أصوات الاستغاثة يتخللها ضرب الرصاص . ولا أعلم أى البيوت تحترق . وأى الناس يقتلون ولكن علمت عند عودتى من الحوامدية أنهم أصابوا كثيرين منهم :

[١٦٨]

١ - إبراهيم عطوه الدالى ابن عمى قتلوه فى عقر بيته بعد أن سلبوا منه نقوده .

٢ - عبد الجواد سيد معروف ، قتلوه فى منزله بالرصاص ، وبعد موته احتزوا رأسه وفصلوها عن جثته يعبثون بها .

٣ - إبراهيم سيد رفاعى قتل رميا بالرصاص .

٤ - غالية زوجة الشيخ حسنين الجرار (الكفيف البصر) وقد حاول جندى منهم أن ينال بغيته منها بالاعتداء على عفتها فداقت عن عرضها دفاعا شديدا وقاومت الجندى مدة طويلة ولما لم يتمكن العسكرى منها أخذ يضربها بعقب البندقية فى رأسها حتى سقطت

شبهه. كما تقيت من صنوف التعذيب ولم يبق في منزلي غير بعض
حصر محترقة . ونقلت عائلتي ففرقتها على البلاد البعيدة » .

[١٦٦] « وليس في استطاعتي أن أسرد كل ما ارتكب من الفظائع ولا أن
أصف سلسلة الأحوال التي نزلت بكفور العزيزية المسكينة ولكني أذكر
بعض الحوادث على سبيل التمثيل :

« أبلغني الخفير عبد الله محمد أن الجنود انقضوا على بيته وأخذوا
ما فيه من نقود قليلة وجردوا امرأته من حليها بعد أن فتشوها وعروها
من ثيابها ووضعوا أيديهم في كل مكان من جسمها العاري وضربوها
بالسج وهي تصيح مستنجدة مستغيثة ، ثم ختموا ذلك بوضع النار في
بيته » .

« أما الخفير محمود عبد العال فان عشرة عساكر أخذوا بندقيته
واستولوا على ما في منزله من نقود وحلي وتمكنت امرأته من الهرب والاختفاء
في القمح وأحرقوا بيته احراقا تاما . ثم ردوا له بندقيته وأخذوا
ما وجدوه من الأوز وحملوه اياه وساقوه مخفورا معنا الى النقطة .
وشهدت بنفسي ما فعلوه ببيوت المشايخ وبعض الأهالي . فمن المشايخ
محمود عقيب دخلوا منزله وأنا معهم وسلبوا منه كل ما وقعت عليه عيونهم
من نقود وحلي يقدرها الشيخ المذكور بخمسمائة جنيه تقريبا وقد أحرقوا
كل أثوابه وملابس زوجته وأولادهما حتى أنه الآن يلبس ما استعاره من
الناس . ثم قبضوا عليه وأخذوه معي الى الحوامدية .

« وقد أصبت بمرض عصبى شديد جعلني في غاية الضعف وأقيمت
مؤقتا بالقاهرة بعد أن قدمت استعفاي للمديرية » (١) .

عمدة العزيزية

إبراهيم دسوقي وشدان

شكوى عمدة البدرشين

[١٦٧]

« حضرات أعضاء الجمعية التشريعية ومجلس مديرية الجيزة

« أنا محمد منظور الدالي عمدة البدرشين الموقع على هذا أتشرف بأن
أرفع لحضراتكم ما يأتي :

(١) يوجد أيضا تفاصيل عن الحادث في البلاغ ١٩٣٣/٤/١١ ، تحت عنوان مذكرات
يومية عن الثورة المصرية ١٩١٩ .

اشتركوا فى احراق محطتى الحوامدية والبدرشين - فقلت له اننى كنت أنا وعائلى وأهل بلدى نحافظ على الفابريقة نفسها أثناء الهياج بدعوة من مديرها وملاحظ النقطة مصطفى أفندى عمار . وقد استهدفت للموت فى هذا السبيل وأصابت رصاصة ملاحظ البوليس فجرحته وأنا بجانبه وكان محتملا أن أقتل أثناء الدفاع ويمكنك أن تسمع شهادة الضابط المذكور ومدير الفابريقة ومستخدميها ومأمور المركز يعرف جيدا كل هذا . فلم يقبل رئيس الضباط كلامى : 'والحق أن بلدنا لم يشتركا فى تخريب السكة الحديدية وإنما أتلّفها على ما أعلم قوم غرباء واحراق المحطات كلها فى الجيزة كان قبل منشور القائد العام بعدة أيام ولا أعرف أبدا أن أحدا من بلدنا اعتدى على أى ضابط) ثم أئذنا كبير الضباط بأن نجمع كل ما فى البلد من سلاح والا أحرّقها وأحرّقنا فيها وقال بأن كل مخالفة سيجازى عليها فى المستقبل بالاعدام . ثم كتب بالانجليزية فى ورقة كلف الملاحظ ترجمتها بالعربية فى ورقة أخرى ففعل ، وتلاها علينا وهى على ما أذكر بالنص الآتى :

[١٦٥] (نحن عمد ومشايخ العزيزية والبدرشين نأسف على ما أصاب السكة الحديدية من التخريب وما حدث من الاعتداء على عساكر الدولة البريطانية . ونقر بأن كل ما حدث لبلادنا حق وفى محله ونحن على استعداد لتقديم الأنفار التى تطلب منا مهما بلغ عددهم مجانا وبلا أجر ، وإذا تأخرنا نكون قابلين الأحكام العرفية) .

« وأكد لنا الملاحظ أن الامتناع عن التوقيع ستكون نتيجته رمينا بالرصاص ولعلمنا أن ذلك ممكن جدا قياسا على ما ارتكبوه من الفظائع وتحت تهديد المدافع والبنادق وضعنا امضاءاتنا وقال لنا الملاحظ بأنه سيشهد على الورقة مكرها مثلنا لأنهم هددوه . وشهد عليها ثم ذهبنا لمديرية الجيزة فشكونا شفاهيا لسعادة المدير ثم توجهنا للقاهرة فشكونا لجناب المستشار . وفى اليوم التالى أثبتت حضرة مأمور ضبط مديرية الجيزة أقوالنا فى محضر تحقيق واستدعى الألباشى المصرى الذى كان مرافقا للقوة التى هاجمت العزيزية وسمع شهادته بحضورى وهى تطابق أقوالنا وقرر أنه رأى العساكر بنفسه بعد هذا يلبسون الحلى الكثيرة ويعبثون بها ويعرضونها للبيع على المارة .

« ولما عدت الى البلد وجدت أن عدد البيوت المحروقة بلغ مائة وثمانين بيتا تقريبا وأن أكثر الأهالى هاجروا وأن أختى أصيبت بمرض

بعض النساء غير أن الفلاحين يستحيل عليهم صونا لسمعة بيوتهم وفرارا من العار الدائم أن يعترفوا علانية بشيء من ذلك مهما كانت النتائج .

« وقد تركت القوة الانكليزية في بيتي بعض العساكر عند مبارحتها اياه . ورأيت النار تندلع منه وأنا في أقرب بيت له من بيوت المشايخ . وعلمت من أهلي أن الجنود وضعوا فيه النار بعد أن أخذوا أو دمروا كل شيء ففروا مسرعين خوف أن يحرقوا أحياء وبعد أن استولى رجال الجيش الانكليزي على ما يملكه أهل البلد انبتوا فيه وأشعلوا النار في البيوت بأن كانوا يجمعون القش والمواد السريعة الالتهاب ويوقدون بها النار فإذا أبطأ الاشتعال صبوا عليها جازا مما في البيوت وكان بعضهم يحمل صفيحة ملأى بالبترول يسكبون منها لمساعدة الحريق . وكانوا يطلقون النار على كل من رأوه يحاول أن يعود فيطقيء بيته . ولما كان البلد مكونا من أربعة كفور انتقلوا اليها وكانت كلها محصورة بالعساكر والجنود المسلحين يفعلون بها مثل ما فعلوا بالكفر الذي أقطنه . وقبضوا على المشايخ فمضوهم لي بعد نهب منازلهم وكذلك وكيل شيخ الحفراء الذي سلبوا ماله أيضا وأهانوا زوجته كل الاهانة ثم أخذوا يجمعون الأوز والدجاج ويخنقونها وكانوا قد عثروا في داره على راية يمشى بها امام الموتى حين دفنهم مكتوبا عليها الشهادتان وآيات من القرآن الشريف فربطوها بها وحملوها لوكيل شيخ الخفر وخفي آخر وكانوا يريدون تحميل اياها ، وما بقى حمله بعضهم وساروا جميعا في هذا الموكب نحو الحوامدية وكلما استبطأوا سيرنا - وأكثرنا كبار السن وضعاف - وخزونا بأطراف السنج ولم يسمحوا لنا بالركوب مبالغة في التعذيب وكانت الشمس قد ارتفعت فجاء جندي منهم بآلة تصوير وأخذوا رسمنا على هذا الحال .

[١٦٣]

« ووصلنا نقطة الحوامدية ونحن في حالة يرثى لها قرب الظاهر فوجدنا بها أيضا عمدة البدرشين وأحد مشايخها فأخبرنا بأن بلدهم نأمت قسطنطا من العذاب وبقينا مدة طويلة في الشمس والتراب تحت أفواه مدافع لهم في الحوامدية والجند حولنا بالبنادق ، ثم طلعنا جميعا لبناء تابع لقابريقة السكر فصعدوا بنا اليه ووجدنا به ثلاثين ضابطا واقفين ورئيسهم جالس فجاء بنا عبد المجيد أفندي ثروت ملاحظ بواميس نقطة الحوامدية المؤقت أمامهم وقال الضابط الأكبر (سأخبركم الآن عن تهمةكم فجريمة العزيرية أن بعض أهلها ضربوا أحد الضباط البريطانيين في الطريق المؤدى لأهرام صقارة . وكان الضابط يقصدها مع بعض الرفاق من الضباط - وجريمة البلدين معا هي أنني سمعت وأنا بالقاهرة أن أهلها

[١٦٤]

وبناتى الثلاث الصغيرات ، وقد اشتد خوفهن وامتلأن رعبا فاخترقن نحت سرير النوم جازعات وأسرعن فى التوارى قبل أن يلصحن الجند الذين انهالوا وضباطهم على الصندوق والدولاب فكسروهما كسرا وأخذوا ما كان بهما من الحلى ، ثم عكفوا على الفراش يفتشون فأخذوا محفظتى وبهما خمسون جنيها وساعتى وسلسلتها الذهبيتين ثم عثروا على زوجتى ملقاة تحت السرير فجذبوها من شعرها جذبا عنيفا ، وكانت تبكى وتستغيث وحولها بناتها الصغيرات يصرخن مولولات أخذ منهن الفرع والرعب مأخذا عظيما وأكبرهن سنا تبلغ الثامنة من عمرها . وفتشوا زوجتى شر تفتيش . ثم انطلقوا للغرف الأخرى يسلبون ما بها مما يروق لهم ، ويحطمون كل ما تقع عليه عيونهم من خزائن وصناديق وموائد وأثاث وآنية حتى وصلوا وأنا معهم مخفورا للشقة الأخرى من المنزل وكانت بها زوجتى الثانية وولدها فحاولت أن تختبئ فأدركها أحد العساكر بضربة ألقتها صريعة منتحبة تكاد تموت وجلا ، ورفعتم عيني للضابطين أتوسل اليهما أن يرفأا بالمخدرات من النساء وأن يرحما أطفالى الضعفاء . فلم يتحركا وفهمت من جمودهما أنهما راضيان عن كل ما يصنع بنا فسكت . ثم صعدوا للطابق الأعلى فوجدوا خزانة سميكة من الحديد حاولوا فتحها فعجزوا فأمروني أن أفتحها ولما ترددت هددنى الضابط بالقتل فأعطيته المفتاح ففتحها بيده وأخذوا ما كان بها وهو تسعمائة وخمسون جنيها وباقي مصوغات زوجتى الثانية ونساء أولادى اللواتى كن يومئذ غائبات ثم أمروني أن أرشدهم عن بيوت المشايخ وساقونى نحوها لهذا الغرض مخفورا بالسلاح مجردا مما يقينى ويسترنى من الثياب . فصنعوا بهذه البيوت وبمنازل بعض الأهالى التى تظهر عليها الوجاهة ما صنعوه بمنزلى بفضاعة تختلف عنفا وجسامة .

[١٦٢]

« ثم أمروا المترجم فصاح فى الناس بأن الانجليز سيجعلون البلدة كلها طعمة للنار وأن كل شخص له أن يأخذ نقوده وما لديه من حلى ومتاع ثمين ليغادر البلد سريعا فبادر السكان الى تنفيذ ذلك وخرجوا رجالا ونساء وأطفالا يسرعون السير هائمين خوف أن تلتهمهم النار بما يحملون . وكان البلد محاطا بصنوف من العساكر المسلحة بالبنادق فانقضوا على الناس عند خروجهم وسلبوهم كل ما وجدوه معهم ، وكانوا يفتشون النساء ويرفعون منهن ملابسهن أو يمزقونها عليهن عاريات لا يستر أجسامهن شئ ويضعون أيديهم حيث شاءوا بحجة التفتيش . ولم أنظر بنفسى اغتصابا ، وانما سمعت بالبلد عند عودتى أن الجنود الانكليزية اغتصبوا

فى مدينة الفيوم ، وقد عاد رجال البوليس الى احتلال المراكز المتطرفة التى
أخليت مؤقتا .

« وتتخذ الوسائل اللازمة لاعادة النظام فى اسيوط وما يليها جنوبا.

« وقد سادت السكينة أنحاء القاهرة وما جاورها ، »

[١٦٠]

فئات الجنود الانجليزية فى العزيزة والبدرشين (*)

سبق أن أشرنا الى أن السلطة العسكرية أرسلت قواتها الى بعض
الجهات لقمع الاضطرابات كما أرسلت غيرها لاصلاح المواصلات . وقد أتى
هؤلاء الجنود فى قريتي العزيزة والبدرشين فى يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ من
الحوادث المؤلمة ما تنبؤ عن سماعها الأذان وتشتمز منها النفوس . ونحن
نكتفى هنا بآثبات الشكوى التى رفعها كل من عمدة العزيزة والبدرشين
الى مجلس مديرية الجيزة والجمعية التشريعية ، اذ فيها صورة مما اقترفه
الجنود الانجليز ، وهما :

شكوى عمدة العزيزة

« حضرات أعضاء الجمعية التشريعية ومجلس المديرية بالجيزة .

« أنا ابراهيم دسوقي رشدان عمدة العزيزة الموقع على هذا
أتشرف بأن أرفع لحضراتكم ما يأتى :

« سمعت طرقا شديدا على باب منزلى ليلة الثلاثاء ٢٥ مارس الساعة
الرابعة بعد منتصف الليل ، وكنت نائما . فاستيقظت مذعورا ووجدت
على سلم بيتى نحو عشر جنود من الانكليز مسلحين بالبنادق يقودهم اثنان
من ضباطهم يحملان المسدسات فى أيديهما ويرافقهم أمباشى وعسكرى
مصريان ومترجم . فقال لى المترجم :

(يا مارك الضابط بأن تقدم سلاحك حالا ، ثم تجمع أسلحة البلد فى
خمس عشرة دقيقة) وكان مسدسى فى حجرة نومي فأحضرتة للضابط
وما فعلت هذا حتى اندفع الجنود فدخلوا حجرة النوم وكانت بها زوجتى

[١٦١]

(*) العزيزة والبدرشين من مراكز الجيزة .

« ويؤخذ من الأنباء الجديدة التي وصلت عن القلق الذي وقع في بور سعيد يوم ٢١ الجاري أن المحرضين نظموا الرعاع فهاجموا على حي النزلاء (الأجانب) تحت تأثير الحشيش (١) ، وقد بلغت الخسارة التي لحقتها الجنود بالمشاغبيين ٦ من القتلى و ١٧ من الجرحى بجراح بليغة . وقد انتهى الاعتصاب وعادت جميع الأحوال الى مظهرها العادي .

« وحدث في جوار ميت غمر (في جنوب مديرية الدقهلية) - وهي التي ذكرت أمس أنها لا تزال مع زفتي وميت القرشي مركزا للتمرد والفتن - ان قطارا كان يشتغل باصلاح الخط يوم ٢٢ الجاري فجعله الرعاع في معزل بقطع الخط من أمامه ومن خلفه ووصل الى مكان الحادثة قطار مسلح لاسعافه يوم ٢٣ الجاري فهاجمه المشاغبيون بدورهم ولكنهم تكبدوا خسارة تزيد على مائة من القتلى والجرحى .

« ولم تقع مشاغبات جديدة عدا هذا الحادث في المديريات الشمالية .

[١٥٩] « وتصل الآن أنباء تدل على أن كثيرا من المزارع (العزب) التابعة لمصلحة الدومين وشركات تحسين الأراضي وأصحاب الأملاك قد اجتاحت فدمرت الآلات وأحرقت مساكن الفلاحين وسرقت جميع المواشي ومخازن الغلال . ومع أن الأنباء لا تزال ناقصة فإنه يظهر أن أصحاب الأراضي المستخدمين هربوا في معظم الأحوال بأرواحهم بالالتجاء الى أصدقائهم من الوطنيين .

« وقبض في دمنهور على أكثر من مائة شخص من المشاغبيين وبينهم زعيم المشاغبيين في الاعتداء على المدير . وقد تعافى المدير واستطاع أن يستأنف أعماله .

« ولم ترد أنباء جديدة من أطراف الدلتا الغربية .

« وعادت المواصلات بالسكة الحديدية بين الواسطي والفيوم . وأبلغ المدير أن البدو ارتدعوا بسبب العقاب الصارم الذي لحقهم يوم ١٩ الجاري

(١) يصور البلاغ ثوار بورسعيد بأنهم مجموعة حشاشين وهو أمر يدعو للسخرية خاصة أنه لم تات أية اشارة الى مثل هذا الكلام حتى في التقارير التي كان يرسلها السير شيتام الى لندن .

اصلاح السكك الحديدية

[١٥٧]

لم تقع حوادث تخريب بعد انذار القائد العام بحرق القرى - ولكن الثورة كانت لا تزال كامنة فى النفوس . وقد أخذت السلطة بعدئذ فى اصلاح الخطوط الحديدية ووضعت فى المحطات المهمة جنودا بريطانية خشية محاولة الاعتداء عليها ثانية . حتى اذا أصلح الخط الرئيسى بين مصر والاسكندرية وقنال السويس حرمت السلطة السفر على هذا الخط من غير اذن خاص . وهذا هو نص الاعلان الذى ألصقته على جدران المحطة :

« مرخص السفر بالسكة الحديد الى الاسكندرية والاسماعيلية وبور سعيد والسويس فقط . »

أولا : الى الأوربيين بشرط أن يكون معهم جوازات سفر (باسپورت) مؤشر عليها بما يفيد الاذن بالسفر الى خارج القطر .

ثانيا : أن يكونوا فعلا من السكان المقيمين فى أحد البلاد الأربعة المذكورة أعلاه .

ثالثا : الى المصريين بشرط أن يسكنوا من موظفى الحكومة ومعهم كتابة رسمية تجيز لهم السفر موقعا عليها من أحد رؤساء مصلحتهم الانكليز . وأن يثبتوا أن الغاية من سفرهم القيام بخدمة تخص السلطة العسكرية . »

كما حرمت السلطة منع السفر فى النيل أو السيارات .
وفى يوم ٢٥ مارس صدر البلاغ الرسمى الآتى : -

بلاغ رسمى

القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩

« ظهرت جميع خطوط السكك الحديدية الرئيسية التى تصل القاهرة بالاسكندرية ومدن القنال . »

[١٥٨]

أما الطريق الفرعى الذى يصل قليوب بطنطا مجتازا أشمون وشبين الكوم فقد أصلح الطريق الدائم بين طنطا وأشمون ، ولا تزال الاصلاحات جارية فى الجزء الواقع بين أشمون وقليوب .

أمله في أن الأعيان الذين يشعرون أكثر من سواهم بما قدمه الانجليز لهم من الخدمات يبذلون مافى وسعهم لتهدئة الحالة .

ثم قال : « بودى أن أبين حقيقة نقطة ربما كانت سببا لسوء التفاهم الآن وهى أن حكومة جلالة الملك لم تبد قط أدنى معارضة أو سوء نية نحو مجيء اثنين من الوزراء المصريين وهما رشدى باشا وعدلى باشا الى انجلترا ، بل على النقيض من ذلك فان وجودهما هنا يقابل بمنتهى الرضا والارتياح واني شخصيا أحترم هذين الرجلين السياسيين اللذين قدما لمصر وللإمبراطورية مدة الحرب خدمات ذات قيمة . وان الطلب الذى عرض عليهما في نهاية السنة الماضية بالرغبة في تأجيل زيارتهما لهذه البلاد مدة لم يكن مبنيا الا على اعتبار أنه فى مدة اجتماع مؤتمر الصلح لا يمكن العناية الكافية ببحث المسائل المهمة الخاصة بعلاقتنا المستقبلية بمصر ، وبالأصلاحات الدستورية المرغوب فيها فى البلاد . كما أنه لا يمكن اعطاء هذه المناقشات الوقت اللازم لها .

[١٥٥]

« ولا يسعنى الا تكرار القول بأن زيارة هذين الوزيرين أو سواهما من رجال السياسة المصريين الذين يكونون مزودين بتحمل المسئولية العمومية كانت تقابل وسوف تقابل كذلك بملء الرضا والارتياح . واننا نرى دائما أنه من أهم الأمور أن نتفق وياهم على تحديد الشكل الذى ستكون عليه الحماية البريطانية فى مستقبل الأيام » .

ثم عطف على القول بأن « الحال مع سعد زغلول باشا تختلف كلى الاختلاف عنها مع هؤلاء لأنه هو وأعوانه هم الذين دبروا هذه الاضطرابات وهم قوم غير مسئولين . وغرضهم طرد الانجليز من مصر . وقد اختاروا وقت انعقاد مؤتمر الصلح ببافيس موعدا للقيام بهذه الحركة الثورية فلا سبيل للمناقشة معهم » .

احتجاج الموظفين على تصريح كيرزون

[١٥٦]

كان الموظفون الى هذا التاريخ يؤدون أعمالهم المصلحية . بيد أنهم فى الواقع كانوا متفقين مع الأئمة فى أمانيتها ومطالبها . فلما رأوا أن السياسة الانجليزية يؤولون سلوكهم على غير ما قصدوا كما جاء فى تصريح كيرزون فاعتبروا ذلك عارا ومسبة لهم فأجمعوا أمرهم على أن يحتجوا على تصريح كيرزون وعلى الحالة الحاضرة ، وفعلا كتبوا الاحتجاج وقدموه الى عظمة السلطان ، كما قدموا صورة منه الى معتمدى الدول العظمى بمصر ، وأعلنوا عزمهم على الاضراب ثلاثة أيام .

« وثبت لسوء الحظ أن عدد الضباط الذين قتلوا يوم ١٥ الجارى وهم عزل من السلاح أثناء سفرهم فى قطار اكسبريس القاهرة والأقصر كان تسعة لا سبعة كما أبلغ أولا . وقد وصل بيان يتضمن اشتراك سكان ثلاث قرى مختلفة فى الجريمة والتحقيق مستمر ولا يزال من المتعذر التثبت من أسماء الذين قتلوا .

« وسادت السكينة جميع أنحاء القاهرة وما جاورها .

« ووضعت قوة رادعة فى القرى التى لها يد فى الاعتداءات الأخيرة التى وقعت بين امبابة وبولاق الدكرور .

[١٥٣] « وتحتفظ الآن قوات كبيرة بخطوط المواصلات الرئيسية ونقل موظفو الحكومة والنزلاء (الأجانب) المستهدفون للاعتداء عليهم . وتقوم فصائل عسكرية بتهدة الحانة فى البلاد . وقد بدأت فصيلتان العمل حين صدرت الأوامر الى فصائل أخرى بالسير ، والنية معقودة على ارسال قوات عسكرية الى الجهات البعيدة من البلاد وهذه القوات سترد ولاية الأمور الملكيين الى وظائفهم وتقبض على المجرمين وتتخذ أية وسيلة لازمة لاعادة النظام . فالمرجو من جميع الذين يحافظون على القانون أن يمدوا يد المساعدة فى هذه المهمة .

وقد لوحظ أن القرويين فى جهات معينة أخذوا على عانقهم حماية الخطوط الحديدية .

« وقد خص عمل مستخدمى مصلحة البوستة المصرية بالشكر والثناء فقد وردت أنباء عديدة تدل كلها على أن عمال مصلحة البوستة بذلوا أقصى جهدهم لحماية البريد والنقود التى كانت فى عهدهم » .

تصريح اللورد كيرزون

[١٥٤]

وفى ٢٤ مارس ١٩١٩ صرح اللورد كيرزون وزيرالخارجية البريطانية فى مجلس العموم البريطانى بأقوال عن الحالة الحاضرة فى مصر أكد فيها أن الأخبار الواردة منها أقل خطورة من ذى قبل ثم أثنى على موظفى الحكومة المصرية ورجال البوليس والجيش ، وأشاد بحسن سلوكهم فى أثناء الاضطرابات قائلا ان هؤلاء هم صفوة الأمة . واستشهد بسلوكهم على أن عقلاء الأمة لم يشتركوا فى هذه الاضرابات والاضطرابات . ثم أبدى

الرعاع النزول الى حى النزلاء (١) وأعاد الجنود النظام بعد وقوع بعض الخسارة من القتلى والجرحى .

« وحاول بعضهم فى قرب المطرية العبث بالبواخر التى تسير بين بور سعيد ودمياط فأحبطت طيارة مائة مسلحة عملهم .

« وعاد النظام الآن فى دمياط ورشيد فى حين لا تزال زفتى وميت غمر وميت القرشى مركزا للتمرد والفتن .

« وخاطب البدو المتمردون فى غرب البحيرة البدو الذين يقطنون على الساحل بين الاسكندرية والسلوم على أن هؤلاء حافظوا على ولائهم للحكومة وأخذوا هم أنفسهم يحمون السكة الحديدية الممتدة على الشاطئ غرب الاسكندرية .

« واقتص أمس من البدو والقرويين فى غرب البحيرة اذ أقيمت القنابل فى حوش عيسى وأبى المطامير على المتمردين الذين كانوا يهجمون على الخط الحديدى ، وعاقبت دوريات السيارات الخفيفة جماعات أخرى صباح اليوم فى جوار كفر الدوار .

« وأطاع البدو على حدود مديرتى المنوفية والجيزة الأمر الذى صدر اليهم بالتحرك .

« وحدث أمس فى جنوب القاهرة قلاقل أخرى فى الحوامدية فحصد هجم الرعاع على مصنع السكر ولكن الجنود والخبراء طردوهم وقد قتل ثلاثة من المشاغبين وجرح أحد الخبراء وهو يقوم بواجبه فى المصنع وهجم الرعاع بعد ذلك على مزرعة فى جوار مصنع السكر فطردوهم رجال البوليس .

[١٥٣]

وسادت السكينة جهات الفيوم وبنى سويف ، وقد نظم مأمور مركز سنورس قوة مؤلفة من ألف شخص من القرويين لحماية الخط الحديدى .

« والمواصلات التلغرافية باقية بين أسيوط وأسوان غير أن الحالة بين أسيوط وقنا لا تزال غير مرضية ، فقد وقع كثير من أعمال النهب والحرق عمدا فى مدينة أسيوط .

« ووصل الى القاهرة بعد ظهر اليوم ١٩ مسافرا من الذين عزلوا فى الوجه القبلى بسبب القلاقل بطريق النيل قادمين من بنى سويف وكان ينتظر وصول جماعة أخرى من الأقصر الى أسيوط بطريق النيل أمس .

(١) حى الأجانب أو الافرنج كما كان يسمى . وقد كانت مدن القنال عموما مقسمة الى حى للافرنج وحى للمصريين (العرب) يفصل بينهما شارع عريض .

« وقد ألقى الأعيان في كثير من مدن المديريات خطبا نصحوا فيها السكان بالتزام السكنية .

« ولا تزال الحالة غير مرضية في المراكز المتطرفة في شمال الشرقية والدقهلية والغربية وفي غرب البحيرة اذ لا يزال الرعاع من الفلاحين أو البدو يرتكبون في جميع هذه المراكز أعمالا شديدة من أعمال التدمير والنهب .

« وتوجد جماعات كبيرة من البدو في مراكز كوم حمادة والدلتجات وحوش عيسى وأبى المطاير في غرب البحيرة .

« وأصيبت الفروع الحديدية في المراكز البعيدة بتلف عظيم بحيث لا يمكن صلاحها لنقل المحصولات الزراعية قبل مضي مدة طويلة .

« وقد وردت الأنباء بأن الحالة هادئة في كل جهات الواسطى وبنى سويف والفيوم فيما يلى القاهرة جنوبا . وأبلغ قائد الجنود في الواسطى أن رجال البوليس سلكوا مسلكا بأهرا .

« أما فيما يلى ذلك جنوبا فقد عادت الأحوال فازدادت قلقا في المنيا وأسسيوط ووردت الأنباء بهجوم قوة من البدو المسلحين في جوار أسسيوط . [١٥٠]

« وفي ليلة أمس حاول بعضهم من جديد قطع السكة الحديدية بين امبابة وبوراق الدكرور .

« وفيما عدا ذلك سادت السكنية جميع أنحاء القاهرة وما جاورها .

وفي ٢٤ مارس نشر البلاغ الرسمي الآتى :

بلاغ رسمى

[١٥١]

القاهرة في ٢٤ مارس ١٩١٩

« طهرت جميع الخطوط الحديدية الرئيسية بين القاهرة والاسكندرية والقنال .

« وأخذت القلاقل في المديريات الشمالية تزداد تفرقا .

« وفي ٢١ الجارى وقع هياج صغير في بور سعيد - نظرا لتحريض المحرضين السياسيين للفعلة المشتغلين بالفحم على الاعتصاب . وقد حاول

الأرياف - كما ذكر في بلاغ سابق - بواجباتهم في أحوال ننطوى على
التحرش والمخاطرة الشديدين بشبات وحزم عظيمين .

« وأشد القلاقل التي نذكرها اليوم ما وقع في مركزى دسوق وكفر
الشيخ في شمال الغربية حيث وردت الأنباء بوقوع حوادث جديدة من
أعمال النهب في الحقول وسرقة المواشى واضرام النار عمدا .

« وأخذ الفلاحون في الجهات الواقعة جنوبى القاهرة في كبير من
الأحوال يعودون الى أعمالهم الأصلية ولكن القرى التى اشتهرت بصفة
خاصة في حوادث الاعتداء الأخيرة معروفة جيدا .

ووصلت الآن أنباء رسمية من الجهات الواقعة في جنوب المنيا (١)
ومنها يؤخذ أنه وقعت قلاقل في جهات مختلفة في جنوب القطر ، ولكنها
كانت بالاجمال أقل شدة من الحوادث التي وقعت بين المنيا والقاهرة .

[١٤٨]

« ووصلت الى وادى حلفا باخرة قادة من السلال نقل ٧١ مسافرا
بينهم ثلاث عشرة ممرضة و ٢٤ ضابطا كانوا يقضون اجازاتهم في أسوار
والباقي من المسافرين الذين قدموا من الأقصر ولم يستطيعوا العودة الى
القاهرة مباشرة .

« ولم ترد أنباء من الجهات الجنوبية عن وقوع تلف كبير في خطوط
السكة الحديدية ولا عن وقوع ضرر لمصانع السكر وغيرها . وآآن وقد
أعيدت خطوط السكك الحديدية الرئيسية فان الخطوط التلغرافية تصلح
الآن كذلك بسرعة .

« ولم يقع شيء في جهة القاهرة ، اذا استثنينا هجوماين صغيرين قام
بهما اللصوص على محطة الفرز وأحبطهما رجال الحرس » .

وفي ٢٣ مارس نشر البلاغ الرسمى الآتى :

[١٤٩]

« حدث تقدم جديد في سبيل إعادة النظام .

وتسير القطارات على الخط الرئيسى الآن في مواعيد منتظمة وتقطع
قطارات الركاب الطريق بين الاسكندرية والقاهرة في أربع ساعات ونصف
الساعة .

« وقبض على عدد كبير من الزعماء والمشاغبين في الاعتداءات الأخيرة
وسيحاكمون بموجب الأحكام العرفية .

(١) يحدد السير شيتام المنطقة الواقعة بين ملوى وأسيوط باعتبارها أخطر مناطق
الثورة وأن أهالى ديروط بالذات يتحملون مسئولية مقتل القائمقام بوب بك وعدد من الضباط
الانجليز وأن سكان أسيوط واللجنة الوطنية فيها التى تتكون أساسا من الأقباط لا تفتا
تصدر المنشورات الثورية بتشجيع من المدير . F.O. 407/184 No. 184.

وزير أشغال

اسماعيل سرى باشا - يوسف وهبه باشا - عبدلى يكن باشا
عبد الخالق ثروت باشا - أحمد حلمى باشا - يوسف سبابا باشا
اسماعيل أباطة باشا - محمود صدقى باشا - على شعراوى باشا • محمد
على بك - أحمد زيور باشا - عبد العزيز فهمى بك - محمود أبو النصر
بك - أحمد لطفى السيد بك - جورج خياط بك - سينوت حنا بك -
عبد اللطيف المكباتى بك - مصطفى النحاس بك - دكتور حافظ عفيفى
بك - الياس عوض بك - حسين واصف باشا - حافظ المنشاوى بك -
قلينى فهمى باشا - عبد الستار الباسل بك - محمد السيد أبو على باشا -
محمد السباعى المصرى بك - محمود نافع باشا - محمد عز العرب بك -
محمود سليمان باشا - سيد محمد خشبة بك - عبد الرحمن محمود بك -
عمر عبد الآخر بك - ابراهيم مراد باشا - أحمد خيرى باشا - ابراهيم
نبيه باشا - محمد عبد الخالق مذكور باشا - على المنزلاوى بك - أحمد
عفيفى باشا - محمود خليل باشا - كامل جلال باشا - ملوم السعدى
المصرى بك - عبد الله عبد السمیع بك - على المصرى بك - أحمد رشوان بك
أحمد حشمت باشا - على رفاعى بك (١) •

بلاغ رسمى

وفى يوم ٢٢ مارس أذيع البلاغ الرسمى الآتى :

« أخذ النظام والسكينة يعودان بسرعة بسبب توسيع نطاق الاحتلال
العسكرى فالسكينة التامة تسود الآن مديرية القليوبية فى حين أخذت
السكينة تستتب كذلك فى المديریات الأكثر بعدا •

[١٤٧]

« وقبض فى طوخ على سبعين شخصا ممن كانت لهم يد فى
الاضطرابات وعلى ١٢٠ شخصا فى بنها وعلى ثلاثين شخصا تقريبا فى
قليوب فى حين يقبض على كثيرين غيرهم • واسترد رجال البوليس
والخفراء كمية كبيرة من الأمتعة المسروقة • وقد قام رجال البوليس فى

(١) يلاحظ أن الموقعين على هذا النداء يتكونون من رجال الحكومة جئنا الى جنب مع
رجال الوفد أو رجال الحزب الوطنى ، والواضح أن الاضرار بمصالحهم الاجتماعية باعتبار
أغلبهم من ملاك الاراضى الزراعية ، وأن قطع المواصلات ، أساء اليهم اقتصاديا ، الأمر
الذى دفعهم الى اصدار هذا البيان •

نداء الأمة المصرية

« أصدرت السلطة العسكرية انذارا بأنها ستستخدم أقصى ما يكون من الوسائل الحربية عقابا على ما يقع من الاعتداء على طرق المواصلات »

« ولا يخفى على أحد أن الاعتداء على الأنفس أو على الأملاك محرم بالشرائع الإلهية والقوانين الوضعية وإن قطع طرق المواصلات يضر أهل البلد ضررا واضحا . إذ هو يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق ويعطل المعاملات والأخذ والعطاء ويسبب العسر وسوء الحال . على أن العقاب عليه يعرض بعض القرى للتخريب ويعرض الأنفس البريئة إلى أن تؤخذ بما لم ترتكب من الذنوب ، وينبغي أن يلاحظ أن مثل هذا الاعتداء يضيع على المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم بما يسبب من رواج اشاعات السوء عنهم »

« من أجل ذلك رأى الموقعون على هذا ، من أقدس الواجبات الوطنية، أن يناشدوا الشعب المصرى باسم مصلحة الوطن أن يجتنب كل اعتداء والا يخرج أحد فى أعماله عن حدود القوانين حتى لا يسد الطريق فى وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة »

كما أننا ندعو أعيان البلاد وأرباب النفوذ فيها أن يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيسارعوا إلى اتخاذ ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع ما ينجم عنه ضرر البلاد »

« وأنا شديدو الرجاء فى أن الأمة المصرية بما عرفت به من العقل والروية تصفى إلى هذا النداء وتلتزم طريق الحكمة فى سلوكها . والله الهادى إلى سواء السبيل »

شيخ الجامع الأزهر مفتى الديار المصرية بطريرك الأقباط
(محمد أبو الفضل) (محمد بخيت) (كيرلس)

شيخ مشايخ الطرق الصوفية رئيس المحكمة الشرعية العليا
(عبد الحميد البكرى) (محمد ناجى)

نقيب الأشراف رئيس الوزراء رئيس الجمعية التشريعية
(عمر مكرم) حسين رشدى باشا أحمد مظلوم باشا

« انه بالنسبة لحالة البلاد ولغياب القومسيير العالى البريطانى من مصر قد عين المارشال اللنبى مندوبا ساميا فوق العادة . وقد منح السلطة العليا فى جميع الأمور المدنية والعسكرية وفى اتخاذ ما يراه من الاجراءات صالحا لاعادة النظام واحترام انقوانين فى هذه البلاد . وادارة شئون الحكومة فى كل الأمور ، مع تثبيت حماية جلالة الملك فى مصر على أسناس أمين متين ، »

ولما وصل المارشال اللنبى الى مصر وزاره بعض الكبراء والأعيان ،
افضى اليهم بالتصريح التالى :

[١٤٤]

« اننى أتيت الى مصر لأغراض ثلاثة وهى :

اولا : أن أضع حدا ونهاية للاضطرابات الحالية .

ثانيا : أن أعمل تحريات دقيقة عن جميع الأسباب التى حملت أهل البلاد على الشكاوى .

ثالثا : أن أزيل كل الشكاوى التى تستوجب العدالة ازالتها .»

ثم عقب على ذلك بقوله : « الواجب عليكم أن تعملوا ما فى وسعكم لحسن قيادة الأمة وأن تعملوا بالاتحاد معى فى صالح بلادكم .

« ولا يتبادر الى ذهنى قط أن أحدكم يرفض مساعدتى بكل ما فى وسعه وانى أعتد عليكم للبدء فى العمل فورا فى سبيل تهدئة الخواطر الثائرة حتى اذا استتب الأمر وعادت السكينة فانى على يقين من انكم ستضعون ثقتكم فى شخصى لأقوم بدون تحيز بمنع كل شكوى وأمر بكل ما فيه ارضاء الأمة المصرية وبما فيه خيرها » .

استمرار الاضطرابات

لم يسكن تصريح المارشال اللنبى من سورة غضب الشعب اذ لم يخف عليه وهو الذكى بفطرته ، القطن بسجيته ما يقصد منه . ولم يرجعهم عن عزيمتهم ذلك النداء الذى أصدره بعض الوزراء والعلماء والأعيان فى ٢٤ مارس ١٩١٩ واليك نصه :

البدو في الفيوم نفسها • وأطلقت النيران في بعض الأحوال على الطائرات التي تقوم بأعمال الدورية فأجابت هذه بقذف القنابل وإطلاق نيران المدافع السريعة فأحدثت خسائر شديدة من القتلى والجرحى •

» وقد لوحظ في هذه المنطقة أيضا أن المحرضين استخدموا جهل البدو بنتيجة الحرب الحقيقية فحرضوهم على حمل العلم العثماني •

» ونهب المشاغبون في الصف البنك الزراعي وأحرقوه •

» وصد الحفراء في العياط هجمة وقتلوا بعض الناهبين •

[١٤٢]

• والحادث الوحيد الذي وقع في جوار القاهرة هو الذي وقع من أعمال النهب في الجيزة وقد أحمدها رجال البوليس في الحال وقبضوا على ٨٥ شخصا ، واستردوا بعض ما سرق من الأمتعة •

» ووقعت بضخ حوادث هوجم رجال الحرس فيها أثناء الليل • خذ مثلا - أن وطنيا مسلحا بسكين هجم على حارس في قلعة القاهرة وجرحه وقد قبض على المعتدى ، وسيحاكم أمام محكمة عسكرية •

تعيين اللورد اللنبي مندوبا ساميا في مصر

[١٤٣]

لما غادر السير ونجت البلاد في ٢١ يناير ١٩١٩ كان مفهوما وقتئذ أن إنجلترا استدعته للبحث معه في حالة مصر والسياسة التي تتبعها فيها • ولكن لما قبضت السلطة العسكرية على سعد زغلول باشا ورفاقه ونفتهم الى ماطة ، وقام الشعب المصري قومته المعروفة التي آلت الى ما لم يكن يتوقعه المحتلون ، رأت الحكومة الانجليزية أن تستبدل بالسير ونجت غيره ممن تعهد فيهم البأس والحزم اذ كان من رأى السير ونجت أن تجيب إنجلترا الوزيرين رشدي باشا وعدلى باشا الى مطالبهما •

وفعلا نفذت إنجلترا ما أرادت ، فعينت المارشال اللنبي (١) - الذي كان قائدا عاما للجيش البريطاني في الشرق ابان الحرب - مندوبا ساميا فوق العادة في مصر والسودان •

وفي يوم ٢١ مارس وهو اليوم الذي وصل فيه اللورد اللنبي الى بورسعيد قادما من إنجلترا نشر البلاغ الآتي في الجريدة الرسمية :

(١) الفيلد مارشال ادوارد اللنبي (١٨٦١ - ١٩٣٦) قائد انجليزى اشتهر بدوره خلال الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية (١٩١٥ - ١٩١٦) ثم قاد الحملة على فلسطين واستولى على بيت المقدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وتولى منصب المندوب السامي في القاهرة (١٩١٩ - ١٩٢٥) •

• ولا يزال القلق عظيماً في الجهات البعيدة عن خطوط المواصلات .
 ففي المنوفية دمرت جميع محطات السكة الحديدية في حين وردت الأنباء
 بأن البدو يبدون حركة على حدود البحيرة .
 • وفي آخر نبأ من كوم حمادة وتاريخه ١٨ الجارى أن ألفين من
 البدو كانوا يزحفون يومئذ على المدينة .
 • وقد أمر القائد العام بإصدار الانذار التالى الى البدو الغربيين :
 • عليكم أن تلتزموا خيامكم وإذا حاولتم الاقتراب نحو الشرق عوقبتهم
 عقاباً صارماً . وهذا آخر انذار » .
 • ولا يزال الرعاع فى أراضى الدلتا الوسطى والأراضى الواقعة فى
 شرقها يواصلون أعمال التدمير والنهب . يحرضهم محرضون لا مبدأ
 لهم .
 • واستولى الفلاحون على محصول الدومين وأشعلوا النيران بمنازل
 المستخدمين وأبنية شركة أراضى البحيرة فى كوم أبو هال .
 • وقتل ضابط البوليس فى سمنود فى صباح اليوم ١٨ الجارى . [١٤١]
 • وفى ١٧ الجارى أحرق ديوان المركز فى رشيد فى حين استولى
 الرعاع فى التاريخ نفسه على مركز زفتى وتغلبوا على رجال البوليس
 ورفعوا عليه العلم العثمانى (١) .
 • **« وأصدر القائد العام بعد ذلك انذاراً آخر وقد أخذت الطيارات
 تؤذنه على الفلاحين فى أنحاء القطر وهالك نصه :**

انذار عام حرق القرى (٢)

• كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية أو
 المهمات الحديدية يعاقب عليه باحراق القرية التى هى أقرب من غيرها الى
 مكان التدمير وهذا آخر انذار » .
 • وقام جماعات من القرويين والبدو بهجمات جديدة على خط السكة
 الحديدية بين القاهرة والقيوم . وقد وردت الأنباء بوجود جماعات كبيرة من
 (١) لم تشر الوثائق البريطانية الى حادثة رفع أمل زفتى للعلم العثمانى على حد
 ما جاء فى البلاغ الصادر يوم ٢١ مارس وأن كانت قد أشارت الى انهم قد خلّقوا صورة
 الحديوى السابق (عباس حلمى) والأمر جد مختلف .
 انظر F.O. 407, 184 No. 183.
 (٢) نص الانذار فى المقطم ١٩١٩/٣/٢٣ .

« وفي ليلة أمس هوجمت محطة المواصلات في جوار القاهرة وسرق كثير من البضائع . وأطلق رجال البوليس والخبراء النيران وشتتوا الرعاع . وفيما عدا ذلك بقيت القاهرة والأماكن المجاورة هادئة . »

« ووصل القطار الذي غادر بورسعيد الساعة الثامنة من صباح اليوم الى القاهرة في الساعة (١) والدقيقة ٢٠ بعد الظهر بدون حادث . »

[١٣٩]

أخذت القوات الانجليزية بعد ذلك تسافر الى الجهات لتقبض على ناصية الحال . ولكن نيران الثورة في الوجه القبلي كانت لا تزال متأججة فحدثت بين الأهالي وبين القوات المسافرة الى الصعيد على البواخر النيلية بين ديروط وأسيوط مناوشات قتل فيها كثيرون من الأهالي . كما قتل بعض الضباط الانجليز وبعض العساكر .

وفي أسيوط استولى الأهالي على مركز البوليس وأخذوا منه السلاح وهاجموا القوات الموجودة هناك ، ولولا وصول الامدادات اليها لفتكوا بها .

أما في القاهرة ، فقد عمت السكينة كل أرجائها ، ونقل النزلاء المستهدفون للاعتداء عليهم بالوجه القبلي الى الوجه البحري ، ووضعت القوات في مديرتي الجيزة وبني سويف . وابتدت القوات ترد الى الأقاليم كبار الموظفين الذين كان الثوار قد طردوهم .

ولما أرادت القوات الانجليزية القبض على الذين وجهت اليهم تهمة الاعتداء على موظفي الحكومة ، حدثت مذبحة بميت القرشي (مركز ميت غمر) قتل فيها ما يقرب من مائة شخص .

وفي ٢١ مارس صدر البلاغ الآتي :

القاهرة في ٢١ مارس ١٩١٩

[١٤٠]

« عادت الحركة على خطوط المواصلات الرئيسية في شمال القاهرة ، وقد احتلت المحطات الكبرى ووضع نظام محكم من الدوريات . »

« ووصل قطار الركاب الذي غادر القاهرة يوم ١٩ الجاري الى الاسكندرية في الساعة التاسعة والربع من يوم ٢٠ منه . وتسير القطارات كالعادة في اتجاه بورسعيد ولكن نقل الركاب لا يزال محدودا نظرا للضرورات العسكرية . »

(١) لم يذكر الساعة في الاصل .

وفى صباح اليوم التالى وصل قطار من الجنوب يقل بعض السيدات والضباط عائدين من أجازاتهم .

• وفى يومى ١٧ ، ١٨ الجارى وصلت جماعات أخرى من البدو وغيرهم فاستمر النهب فى المدينة ، وفى مساء يوم ١٨ الجارى استبدل الحرس وجىء بالنزلاء الى القاهرة عدا الذين اختاروا منهم البقاء هناك .

• وفى ليلة ١٨ الجارى دمرت محطة قلين تدميرا تاما . وهاجمت فصيلة من الجنود فى بركة السبع جماعة من المشاغبين كانوا يشتغلون بتدمير كبرى السكة الحديدية فقتل وجرح كثيرون من المشاغبين وقبض على بضعة أشخاص .

• ووقعت قلاقل شديدة أخرى فى المنصورة فى يوم ١٨ الجارى . واضطر ولاة الأمور الملكيون (١) أن يدعوا الجنود لمساعدتهم على إعادة النظام .

• وهجم الرعاع على رجال البوليس فى محطة كوم حمادة يوم ١٩ الجارى فشتتهم رجال البوليس المصرى .

[١٣٨]

• وقام قطار من القاهرة فى الساعة ٤ والدقيقة ١٥ بعد ظهر يوم ١٩ الجارى فوصل الى بنها فى الساعة ١٠ مساء وقد أبلغ أن الحالة هادئة على الخط ، وعاد هذا الفطار صباح اليوم من بنها فوصل الى القاهرة عند الظهر .

• ووصل القطار الذى غادر بورسعيد الساعة الثامنة من صباح اليوم الى القاهرة فى الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر بدون حادث .

• وفى ١٩ الجارى هجمت قوة كبيرة من البدو فى مدينة الفيوم على رجال الحرس ولكنها صلت بعد أن تكبدت خسارة ٤٠٠ من القتل والجرحى .

وقد وجه القائد العام الانذار التالى الى سكان مديرية الفيوم والوجه القبلى :

وقد أطلق البدو فى الأيام القليلة الماضية النيران على الجنود البريطانية وقتلوا بعضهم . فاذا أطلق البدو النيران على الجنود البريطانية مرة أخرى اتخذت فى الحال وسائل شديدة قاهرة لابد أن تفضى الى ضياع أرواح كثيرة من الأمرياء . وهذا آخر انذار .

(١) الملكيون يقصد بها : المدنيين .

الانذار باحراق القرى

وفى ٢٠ مارس صدر الانذار الآتى من القائد العام :

[١٣٦]

انذار عام

« كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية والمهمات الحديدية يعاقب عليه باحراق القرية التى هى أقرب من سواها الى مكان التدمير . وهذا آخر انذار » .

التهديد بتخريب البلاد

وفى نفس اليوم دعا القائد العام الى مركزه بفندق سافواى بعض الوزراء والأعيان والكبراء وأفضى اليهم بما خلاصته : « ان السلطة اقتضت حتى الآن على اتخاذ اجراءات دفاعية ضد الحوادث الجارية فى البلاد . فاذا استمرت هذه الحوادث فسوف أرائى مضطرا الى الالتجاء الى خطة هجومية ، واني أحذركم من حملى على انتهاج هذه الخطة التى تكون عاقبتها وبالا على البلاد . فان مدارها تدمير العمارات وتخريب القصور ، فضلا عن هدم القرى واحراق الدماء البريئة الى غير ذلك مما يقتضيه الموقف . واني جمعتكم هنا لأنذركم هذا الانذار واعلموا أن بعض الانذارات فاعملوا كل ما فى وسعكم لتسكين الأهالى ومنعهم من أحداث القلاقل .

وصدر فى ٢٠ مارس البلاغ الرسمى الآتى من القائد العام .

« أبلغت الحوادث التالية منذ صدور البلاغ الرسمى الأخير :

[١٣٧]

« فى ١٥ الجارى أغار جمهور على المحاكم فى بنى سويف وكانت منعقدة وطردها الموظفون وحاولوا القبض على القاضى البريطانى . ولما عجزوا عن ذلك حطموا مكاتب مختلفة من مكاتب الحكومة . ثم هجموا على المديرية وقد طردتهم ثلة صغيرة من الجنود الهندية جىء بها من الفيوم . وبعد ذلك احتشد النبلاء البريطانيون فى ثلاثة منازل حولوها الى حالة دفاع . ووصلت جماعة أخرى من البدو فنهبوا المدينة .

« وقد وصلت أنباء جديدة عن القلاقل التى وقعت فى المديرية الجنوبية . وفى يوم ١٥ الجارى هوجم القطار القادم من الأقصر الى المنيا وسلم بعض مافيه ووجدت جثث سبعة ضباط بريطانيين فى عربة حارس القطار (الكمسارى) .

فصيله صغيرة من الجنود فأطلق هؤلاء النار أولا فى الهواء ولكنهم اضطروا بعد ذلك الى اطلاق النيران على الرعاع فقتلوا منهم ستة .

« وقتل فى طوخ وقها خمسة من المشاغبين بنيران البنادق .

وقبض فى بنها على ٥٧ شخصا واسترد كمية من الامتعة المسروقة ، وساعد الأهالى فى قها على حل أجزاء طيارة - كانت قد أكرهت على النزول الى الأرض وتحطمت - وشحنها فى قطار من قطارات البضاعة .

« وحدثت فلاقل شديدة فى دمنهور يوم ١٧ الجارى ، فقد هجم المشاغبون على المدير ابراهيم حليم باشا أثناء ذهابه فى سيارة الى مكتبه وأصيب بجراح شديدة وحالته خطيرة : وقد حاول المدير الاحتجاج بشدة على عمل المشاغبين وكان معظمهم من البدو فهوجم قبل الذكن من ارسال المساعدة . وقد شنت الجنود الرعاع وقتلوا ١٢ شخصا .

« وفى ١٧ الجارى سار العمال والطلبة فى الاسكندرية فى موكب فاقفهم الجنود وأنذروهم بالرجوع ، ولكن المتظاهرين حاولوا شق نطاق الجنود ، فأطلق هؤلاء النيران وشتتوا المتجمهرين . وكانت الخسارة ٤ قتلى و ٢٠ جريحا . (١)

[١٣٥]

« ودمرت محطات السكة الحديدية فى بولاق الدكرور والبدرشين والحوامدية وفى المديرىات التى تلى القاهرة جنوبا .

« وحدثت بعض مظاهرات منظمة فى يومى ١٥ و ١٦ الجارى فى جنوب بنى سويف ولكن المعتقد أن الحالة هادئة فى جميعها .

« ودمرت جميع محطات السكة الحديدية فيما بين بركة السبع والقاهرة ، على أن الخط طهر وسافرت القطارات اليوم من القاهرة الى الاسكندرية وبور سعيد ، تقل الركاب .

« ويقال بالاجمال أن الحالة أخذت تتحسن فى جنوب القاهرة ، ولكنها لا تبعث على الارتياح بلا ريب فى البحيرة والغربية والدقهلية والمنوفية .

« وقد وردت الأنباء فيما يتعلق بالقلقل التى حدثت فى مديرية البحيرة ، والواسطى أن البدو ينتهزون فرصة الحالة الحاضرة ليدخلوا المنطقة المزروعة للسرقة والنهب » (٢) .

(١) تقدر الوثائق البريطانية عدد قتلى الاسكندرية بأربعة عشر فتيلة .

(٢) انظر نفس النص فى الأخبار ١٩١٩/٣/٢١ .

أهم الشوارع الرئيسية في الأحياء المضربة والأجنبية وتنادى بسقوط الاستعمار ، وتشهد الناس على أعمال السلطة العسكرية . ولم يكن الاشتراك في هذه المظاهرات الشعبية مقصورا على طائفة دون أخرى ، بل كانت جميع الطبقات تشترك فيها .

كان يسير فيها الطلبة والتجار وعامة الشعب والموظفون ورجال الشرطة والجيش وأصحاب المهن الحرة من المحامين والأطباء . وقد استفزت أعمال السلطة الانجليزية شعور الأهلى فاعتدوا في بعض أحياء القاهرة على بعض الضباط والجنود الانجليز ، وقتلوا عددا منهم .

وكان مما يؤسف له أن بعض الأرمن قد أطلق الرصاص على المتظاهرين في بعض أحياء في القاهرة فأدى ذلك الى اعتداء بعض من عامة الشعب على الأرمن في جهة عابدين وشارع الخليج ، غير أن الشعب نفسه قد أوقف هذه الاعتداءات التي من شأنها أن تسيء الى الحركة القومية .

وفي ١٩ مارس اعتدى الجنود الانجليز على المظاهرات التي قامت بالفيوم فهاجمهم البدو فرد عليهم الجنود بإطلاق الرصاص فقتل من البدو ما يقرب من أربعمائة .

[١٣٣]

وأعقب هذا الحادث صدور البلاغ التالى من القائد العام :

« فى الأيام الأخيرة أطلق بعض البدو النار على العساكر البريطانية فقتلوا بعضهم . وإذا عادوا الى مثل ذلك تتخذ فى الحال ضدهم اجراءات شديدة ربما أفضت الى خسائر لا بد منها حتى بين الأبرياء » (١) .

وفى نفس اليوم ذهب على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك الى قائد القوات البريطانية وبينما له ما وصلت اليه الحال من الخطورة ، واحتجا على اطلاق الرصاص على المظاهرات السلمية .

وقد زادت حركة الاعتداء على السكك الحديدية وتخریب مهماتها بدرجة عظيمة ، وزحف المتظاهرون على بعض مراكز البوليس وطردها الموظفين منها ، واستولوا هم عليها .

وفي ١٩ مارس كذلك صدر البلاغ الآتى من القائد العام :

« حدث تلف عظيم فى خطوط السكة الحديدية والتلغرافات فى أماكن مختلفة من مديرية القليوبية وهجم الرعاع فى أحد الأماكن على

[١٣٤]

(١) نص البلاغ فى الأخبار فى ١٨١٩/٣/٢٢

كبير فى تقليل حوادث النزاع فى المدينة وكانت مهمتهم فى حفظ النظام أثناء مظاهرة أمس دفيقة بصفة خاصة ، وقد قاموا بها بنجاح عظيم ومثل هذا القول ينطبق على رجال البوليس فى الأرياف ، فقد سلكت مراكز صغيرة منفردة فى كثير من الحوادث ببسالة عظيمة فى الدفاع عن الممتلكات التى عهدت اليهم حراستها . ففى تلا حدث أن رجال البوليس فرقوا جماعة من الرعاع كانوا قد قطعوا الخط الحديدى وقبضوا على ستة من المشاغبين . وفى الحوامدية حدث فى خلال الهجوم على محطة السكة الحديد أن خمسة من رجال البوليس المسلحين أبدوا مقاومة باهرة وأحاط الرعاع بمصنع من مصانع السكر فى المكان نفسه يوم ١٦ الجارى ولكن الخفراء تمكنوا من تفريق المشاغبين بنيرانهم من الداخل .

« والقائد العام للقوات البريطانية لا يود منع الوفود المؤلفة تأليفا منظما من الوصول الى ولاية الأمور على شرط أن يأتوا اليهم من الطرق المناسبة الصحيحة ، وأن يؤلفوا من عدد قليل فقط من الأشخاص وأن يحصلوا على إذن منه (القائد العام) قبل ذلك .

« وعقد القائد العام النية على إعادة النظام وعلى اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لوضع حد للأحوال الحاضرة . واتباعا لهذه الخطة أصدر أوامر مشددة بالألا يسمح فى ابان القلق الحالى باجتماعات عمومية أو مظاهرات أو مواكب ، لأن مثل هذه المظاهرات مهما كانت نية القائمين بها سلمية ينتهزها الأتقياء كفرصة للاعتداء على الأرواح والممتلكات .

[١٣٢]

« فللقائد العام - والحالة هذه - الثقة بأن جميع الذين يطيعون القانون يساعدونه فى إعادة النظام بتنحيهم عن الاشتراك فى المظاهرات العامة أو مشاهدتها (١) .

ومن المظاهر الجديدة فى هذه الحركة أن الشعب قد ألف من أفراد جماعات لحفظ النظام فى أثناء المظاهرات وفى أمكنة الاجتماع أطلق عليها فى ذلك الوقت اسم « الشرطة الوطنية » وقد جعل لأفرادها شارات خاصة تميزهم عن غيرهم . وكان الجمهور يستجيب الى نداءاتهم ويخضع لمطالبهم طائعا مختارا ، وقد كثرت فى ذلك الوقت الأغاني الشعبية الحماسية التى تصف أمانى الشعب وتندد بأعمال السلطة الانجليزية وكان العامة يتغنون بها فى الطرقات ، والأطفال يرددونها فى المنازل .

وقد كان الشعب يكرم ضحايا المظاهرات تكريما رائعا . وكانت جنازات هؤلاء الشهداء تضم الآلاف المؤلفة من جميع طبقات الأمة ، وتخرق

(١) انظر نص البلاغ المذكور فى : الأخبار فى ١٩١٩/٣/٢٠ وان كان يلاحظ أن الصحف لم تنشر البلاغ بالشكل الذى جاء به فى المذكرات ، فقد سقطت فقرات عديدة من البلاغ فى الصحيفة .

محطات السكك الحديدية والقطارات واحرقها ونهب المخازن وتدمير كثير من ممتلكات الأفراد .

« وتتخذ الاحتياطات العسكرية فى جميع انحاء البلاد لحماية المحطات والمواصلات .
« ومرفت الطيارات بنيرانها الرعاع فى نقط عديدة وكانوا يشنغلون بتكسير خطوط السكة الحديدية .

« وفى ١٤ الجارى هجم الرعاع فى قليوب - وكان عددهم يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف من القرويين - على قطارين من قطارات الركاب كانا مسافرين الى القاهرة ، وكان أحد الجنود البريطانيين فى المحطة وذبح . وكان بين ركاب القطارين قليل من الضباط البريطانيين تمكنوا بمسدساتهم من ابعاد الرعاع منهم وتسيير القطارين الى القاهرة وبعد ذلك نهب الرعاع المحطة وحطموها .

« على أن الرعاع أطلقوا فى ١٤ الجارى النيران على شردمة الجنود فى حى السيدة زينب فأجابهم الجنود باطلاق النيران فقتل ثلاثة عشر شخصا وجرح سبعة وعشرون .

[١٣٠]

« وهجم الرعاع فى ١٥ الجارى على محطتى الرقة والوسطى (١) وعلى ما كان فيهما من القطارات وهجموا فى الرقة على اكسپريس الصباح القائم من القاهرة ونهبوا ما فيه وسرقوا جميع أمتعة الركاب ، وقد عاد هذا القطار فيما بعد الى القاهرة . ونهب فى الواسطى بضعة قطارات بعضها قطارات بضائع وأخذ كل ما فيها وذبح أحد مستخدمى السكة الحديدية هناك . وقد نهبت كلتا المحطتين وأحرقتا ، وكان المغيرون ممن جاءوا من القرى المجاورة .

« وفى ١٦ الجارى أغار الرعاع فى منيا القمح - وقد جاءوا من القرى المجاورة - على المركز وأطلقوا سراح المعتقلين وأخذوا بعدد يهجمون على المحطة ، وكانت تخفها شردمة من الجنود ، فاضطر هؤلاء (الجنود) الى اطلاق النيران فقتلوا ثلاثين وجرحوا ١٩ وهرب عدد ممن أصيبوا باصابات بسيطة .

« وفى ١٧ الجارى حدثت مظاهرة منظمة فى القاهرة باذن من السلطة العسكرية ، فسار موكب مؤلف من بضعة آلاف من الناس فى شوارع المدينة ولم يقع حادث سيئ بفضل الاحتياطات التى اتخذها كل من ولاية الأمور ومن منظمى المظاهرة .

[١٣١]

« وقد سلك رجال بوليس القاهرة مسلكا باهرا وكان لهم تأثير

(١) على خط الوجه القبلى .

هذا الى نتيجته الطبيعية وهى رد الاعتداء بمثل ، فهجم بعض المتظاهرين على بعض متاجر الأجانب انتقاما لما وقع منهم ، ولكن هذه الحرية قد فُضِي عليها بحكمة الزعماء ، ولم تمتد لأكثر من هذا (١) .

وفى ١٧ مارس حدث فى دمنهور أن قام الاهالى بمظاهرة كبرى فتعرض لهم مدير البحيرة (٢) وأهانهم بكلمات أثارَت عواطفهم ، فانقضوا عليه ضربا بنعالهم حتى كادوا يجهزون على حياته ، ثم لم يكفهم ذلك بل زادوا عليه احراق داره ، لولا أن أظهر لهم رجال البوليس العطف ولين الجانب .

كما قامت فى نفس اليوم مظاهرة فى الاسكندرية ذهب ضحيتها ٤ قتلى و ٢٠ جريحا من المتظاهرين (٣) .

وفى ١٨ مارس قامت مظاهرة فى المنصورة أطلق عليها الرصاص . كما أطلق الرصاص كذلك على المتظاهرين فى الفيوم ، وقام البدو أيضا بهجوم على مركز كوم حمادة فأرسلت قوة بريطانية لتأديبهم .

وقد صدر بلاغ فى هذا اليوم من القائد العام ذكر فيه حوادث الاسبوع الماضى واليك نصه :

« حدث فى حلال الاسبوع الماضى عدة حوادث اعتداء على الممتلكات العمومية والخصوصية فى أجزاء مختلفة من مصر وأهم تلك الحوادث ما يلى :

« نظم الطلبة فى القاهرة مظاهرة يوم ١١ الجارى ، فانتهز الرعاع فى الحال هذه الفرصة للتنمير والنهب ، فتدخل الجنود ومنعوا هذا العمل . وحدثت مشاعبات صغيرة مختلفة فى هذا اليوم والأيام التالية قمعت بأقل مايمكن من استخدام القوة فلم تحدث غير ست وفيات واحدى وثلاثين إصابة منها ٢٢ ببنار، البنادق .

« وهجم بضعة آلاف من الرعاع على محطة طنطا يوم ١٢ الجارى ، وكانت تحميها قوة عسكرية فاضطر الجنود ورجال البوليس الى اطلاق النار فقتلوا ٢٢ شخصا وجرحوا نحو خمسين .

« ووقع مثل هذا الاعتداء فى أجزاء أخرى من البلاد أفضلت الى سلب

(١) تقول التقارير البريطانية من هذه المظاهرة انه قد انتظم فيها عشرة آلاف شخص وانها سارت امام الوكالات الفرنسية والايطالية والامريكية وجبتها . والله قد قاد المظاهرة طلاب الأزهر الذين تبعهم الطلاب الآخرون وأن يونانيا أطلق النيران عليها فقتل طالبا مما أدى الى اعتقال اليونانى .

F.O. 407/184 No. 151

(٢) ابراهيم حليم باشا .

(٣) تقدر الوثائق البريطانية عدد القتلى بأربعة عشر قتيلا وليس أربعة .

الوفد بأن سبب هذه الاضطرابات انما هو اعتقال زعماء الأمة وتدخل الجنود الانجليزية في قض مظاهرات الشعب بالحراب والرصاص .

ولما وجدت السلطة أن الشدة التي اتبعتها مع الشعب لم تؤت ثمرتها المرجوة ، أصدر القائد العام بلاغا يعلن الجمهور « بأن الدوريات المدلغة بالمحافظة على النظام ، سواء أكانت واقفة في مكان معين أم مارة في سيارات لا تتعرض للجمهور مادام سائرا الى تأدية أعماله في هدوء وسكينة ، ولكنه في حالة التعدي عليها بالقاء الحجارة ، وما سوى ذلك أو في حالة مفاجأة الغوغاء وهم المباشرون تخريب المحال التجارية أو نهبها أو أى مكان آخر فإن الجنود مأمورون بإطلاق النيران » .

أخذت الحوادث في هذا الوقت تتتابع وتزايد وتشتد ، فلم يكن من السهل أن يقف الانسان على كل ما يحدث في جميع أنحاء القطر بالدقة الكافية ، فقد اتلفت مواصلات السكك الحديدية ، وقطعت أسلاك البرق كما أسلفنا وحسب القارئ لكي يلم بما يقرب من حقيقة الواقع أن نذكر له ما اتصل بنا نبأه من الحوادث وأن نأني له بنصوص البلاغات الرسمية التي صدرت من قائده الجيوش البريطانية لمصر ، وأن نطلعه على بعض التقارير التي أرسلت لنا من الأهالي ، ونترك له معرفة الحقيقة من خلال أسطر الأنباء والبلاغات والتقارير . ويلاحظ القارئ أن البلاغات الرسمية تسمى المتظاهرين رعاعا ، ولكن الحقيقة أن المتظاهرين لم يكونوا من الرعاع ، بل من جميع طبقات الشعب .

[١٢٨]

غير أننا يجدر بنا أن نصف للقارئ المظاهرة الكبرى التي قامت في القاهرة في يوم ١٧ . فقد استصدر منظمو المظاهرة اذنا من السلطة العسكرية باقامتها ، وقد انتظمت هذه المظاهرة آلافا مؤلفة من جميع طبقات الأمة ، صغيرها وكبيرها ، سنا فيها علماء الأزهر والقضاة والمعلمون والمحامون والتجار وأرباب الأعمال وطلبة الأزهر والمدارس وطبقات الصناع وعلى الجملة فقد مثلت فيها طبقات الأمة كلها ، وكانت مظاهرة رائعة برهنت على قوة الروح الوطنية وتغلغلها في جميع النفوس .

[١٢٨]

ولم يحدث في هذه المظاهرة ما ينخل بالنظام ، ولم يعتد المتظاهرون على أحد ، بل ساروا في هدوء وروعة . وكانت جموع الشعب وأفراد الجاليات الأجنبية يهتفون لهم ويحيونهم في كل مكان . وقد كان لهذه المظاهرة أثر كبير في نفوس الأجانب ، فقد أيقنوا أن ليس من أغراض الحركة الوطنية الاعتداء على أرواح الأجانب وأموالهم وأن وقع الاعتداء على بعض متاجرهم . غير أنه قد حدثت في أثناء هذه المظاهرة الرائعة المنظمة أن أطلق الرصاص على المتظاهرين من بواقي بعض البيوت ، فسبق بعضهم قتل دون سبب يدعق الى ذلك الاعتداء ، فادى

خرج الفوانى يحتججن ورحت أرقب جميعهنه
ومنها :
واذا بجيش مقبل والخيـل مطلقة الأعنة
ومنها :
فتطاحن الجيشان ساعـات تشيب لها الأجنة
ومنها :
فليهنـا الجيش الفخـو ر بنصره وبكسرهنه
فكانما الألمان قد لبسوا البراقع بينهنه
وأثـو (بهندبرج) (*) مختـ فيا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه (١)

[١٢٦] - وقد كان بعض معتمدي الدول الأجنبية في ذلك الوقت يظهرون شيئا من العطف على الأمانى القومية ويقابلون المتظاهرين بروح طيبة ويتلقون منهم احتجاجاتهم وندائاتهم المختلفة ويعلمونهم بأبلاغها الى حكومات بلادهم ، ونخص بالذكر من هؤلاء معتمد دولة الولايات المتحدة الأمريكية ومعتمد إيطاليا ، وكان المتظاهرون أحيانا يلجأون الى هؤلاء المعتمدين اذا ما ضيق الخناق عليهم الجنود الانجليز .
وقد اعتصب أيضا عمال شركة النور فباتت القاهرة فى ظلام دامس ، وكانت المظاهرات تقام ليلا تتقسمها المشاعل .

[١٢٧] وازدادت الحركة جرأة وزاد الناس اقداما ، فأخذوا يهاجمون مراكز البوليس . ففي ١٦ مارس هجم الأهالى على مركز منيا القمح وخلصوا المسجونين ، ثم هاجموا محطة السكة الحديد فأنقض الجنود الانجليز عليهم وقتلوا ثلاثين منهم (٢) .

ولما وصلت الثورة الى تلك الحال ، استدعى القائم العام رجال الوفد المصرى وحادثهم فى الأمر ملقيا تبعة هذه الجوادث كلها عليهم . فرد عليه

(١) قالها حافظ ابراهيم فى مفاخرة قامت بها السيدات فى الثورة المصرية لسنة ١٩١٩ ونشرت اذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف الى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ، ج ٢ ، ط ٢ ، القاهرة . دار الكتب المصرية عام ١٩٣٩ .
* هندبرج : هو القائد الالماني المعروف فى الحرب العظمى .

(٣) يقول التقرير البريطانى عن حوادث منيا القمح الواقعة بين بنها والزقازيق ان طائفة قد عارلت الجنود الانجليز فى ضرب المتظاهرين وانه بالانتفاضة الى الثلاثين قتيلـا أصيب ٦٩ آخرون إصابات مـالفة . O. 407/184.No. 151 .

امضى هذا الاعلان منى فى ١٧ مارس سنة ١٩١٩ عن جناب القائد العام لجيوش جلالة الملك فى القطر المصرى بمقتضى اذن رسمى صادر الى بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٨ .

هـ . د . وطسن ماجور جنرال
قائد الجيش فى مصر

تأليف المحاكم العسكرية

[١٣٦]

وقد تألفت منذ هذا اليوم المحاكم العسكرية ، وبدأت بمحاكمة المقبوض عليهم فى قضايا المظاهرات .

مظاهرة السيدات

لم تشأ المرأة المصرية أن تحجم عن المساهمة فى تلك الثورة التى اشتد لهيبها فأرادت أن تحظى بشرف هذا العمل المجيد ، حتى تبرهن على أنها ليست أقل قوة وعزيمة عن أختها الغربية . وحتى تذكى نار الحماسة الوطنية فى قلوب الرجال . وفى ١٦ مارس انطلق كثير من عقائل العائلات الراقية بين أنحاء القاهرة هاتفات بحياة الحرية والاستقلال مناديات بسقوط الحماية ، وقد مررن بموكبهن بدور القنصليات ومعتمدى الدول الأجنبية والناس من حولهم يصفقون لهن ويهتفون والنساء من نوافذ بيوتهن يزغردن ويهتفن فكان ذلك منظر جميل رهيب يأخذ بمجامع القلوب .

ولكن لم يكن للسلطة أن تترك مثل هذا الموكب الرائع دون أن تشوه من جلالة ، فضرب الجنود الانجليز نطاقا حولهن وسددوا اليهن فوهات بنادقهم وحرابهم ، على أن السيدات لم يرهبن هذا التهديد ولم يفت فى عضدهن مشهد أولئك الجنود المسلحين ، بل تقدمت واحدة منهن الى جندي كان قد وجه اليها بندقيته وقالت له بالانجليزية أطلق ببندقيتك فى صدري لتجعلوا فى مصر مس كافل (١) ثانية فحجل الجندي وتحنى للسيدات عن الطريق بعد أن لبثن فى وهج الشمس أكثر من ستعتين .

وقد حيا شاعر مصر العظيمة حافظ بك ابراهيم هذه المظاهرة بقصيدة لاذعة استهلها بقوله :

(١) مس كافل أى المرضة الانجليزية المشهورة التى أسرها الألمان فى الحرب العالمية الأولى واتهموها بالجناسوسية واعدموها رميا بالرصاص وكان لقتلها ضجة كبرى فى العالم .

١٢٤ : « قد أمرت أنا الموقع على هذا ادورد سستانسلالوس بولفين بمقتضى السلطة المخولة لي بصفتي القائد العام لجيوش جلالة الملك في القطر المصري بما هو آت : -

تسرى أحكام هذا الاعلان الى أن يصدر أمر آخر مخالفا له .

أولا : يوقف سريان كل نص من نصوص القانون يقضى بحضور محام أمام المحاكم الأهلية عن الخصوم في أى دعوى كانت جنائية أو غير جنائية . وللمحكمة الحق في أن تنظر وتفصل في كل الدعاوى الداخلة ضمن اختصاصها والتي ينطبق عليها نص من النصوص المذكورة ولو أدى ذلك الى عدم حضور محام عن أى خصم من الخصوم . وعلى المحكمة في هذه الأحوال أن تعمل ما في وسعها لمساعدة الخصوم المساعدة التي تقتضيها ظروف الدعوى حتى لا يلحق سير الدعوى أى ضرر ما من جراء غياب المحامي . وعليها أن تنظر من تلقاء نفسها في كل الدفوع الفرعية التي يخولها القانون للخصوم . وللمحكمة اذا رأت ضرورة أن تعين من قبلها عضوا من أعضاء النيابة أو أى شخص تتوفر فيه المعلومات القانونية للقيام بواجب الدفاع عن الخصوم .

- ٨ -

ثانيا : تسرى أحكام الفقرة الأولى بما تضمنته من الحقوق المخولة للمحاكم الأهلية ، أو الواجبات على كل دعوى جنائية أو غير جنائية ، تنازل فيها المحامي عن توكيله بعد أن قبله ، وترى المحكمة أنه لا يتسنى للخصم تعيين محام آخر عنه فيها . ولا عبء اذا نص القانون بوجود حضور محام أو لم ينص .

ثالثا : يجوز لكل خصم في الدعاوى الجنائية أو غير الجنائية المرفوعة أمام المحاكم الأهلية أن يوكل عنه من يشاء للقيام بأعباء اجراءات الدعوى .

رابعا : كل لجنة ملحقه بالمحاكم الأهلية نص القانون على عضوية محام أو أكثر من المحامين الأهليين فيها . تعتبر مشكلة تشكيلا قانونيا اذا حل القضاة محل المحامين في عضويتها .

١٠ س . بولفين

امضاء (ليوتنانت جنرال) القائد العام

لجيوش جلالة الملك في مصر

وفي ١٤ مارس كذلك احتج الوفد المصرى على استعمال الرصاص ضد المتظاهرين وقدم الاحتجاج الى معتمدى الدول بمصر ، كما احتج كذلك بعض الأطباء .

وخشيت السلطة العسكرية أن تمتد حركة الاضراب الى موظفى الحكومة فتزداد بذلك الثورة حدة وتتعلل الأعمال الرسمية ، فأصدرت فى نفس اليوم البلاغ الآتى الى الموظفين : (١)

« جناب القائد العام للقوات فى القطر المصرى ينبه جميع مستخدمى الحكومة بأجتناب الحركات السياسية وبالاستمرار فى أعمالهم حيث يكونون تحت حماية السلطة العسكرية ويعلن الجميع أن كل من يحاول أن يتعرض لهم أو يؤخرهم فى أداء الأعمال المفروضة عليهم يعرض نفسه للعقاب الشديده بمقتضى الأحكام العرفية » .

وفي ١٥ مارس اعتصب عمال عنابر السكة الحديدية ، وكان مما أدى الى هذا الاعتصاب أن الحكومة ألحقت بعض الجنود الانجليز بهذه العنابر للتمرن على مختلف الصناعات ، فظن العمال أن الحكومة ترمى من وراء عملها هذا الى احلال هؤلاء الجنود محلهم . وقد حاولت الحكومة بعدئذ تهدئة خواطريهم وابعاد هذه المظان عن أفكارهم ولكن العمال ظلوا معتصبين .

ولما كان المحامون مازالوا مضربين عن مباشرة أعمالهم فشلوا بذلك حركة التقاضى - دعا عملهم هذا الى اجتماع رئيس محكمة الاستئناف (وكان وقتئذ يحيى باشا ابراهيم) والمستر شيلتون ايموس نائب مستشار الحقانية فى ١٥ مارس للنظر فى اضراب المحامين فكتبوا الى نقابة المحامين يرجونها العدول عن الاضراب ، ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبعثوا الى كل محام على حدة يسألانه هل هو لا يزال ضمن المحامين المشتغلين أو لا فيوقع معظم المحامين على طلب يقولون فيه أنهم يطلبون نقل أسمائهم من جدول المحامين المشتغلين الى جدول المحامين غير المشتغلين ، فلما لم يمكن تحويل المحامين عن عزيمتهم أعلن القائد العام المنشور الآتى فى ١٧ مارس سنة ١٩١٩ وهو :

[١٢٣]

(١) لم يكن سبب البلاغ الموجه الى الموظفين مجرد الخشية من امتداد حركة الاضراب اليهم بل كان السبب ان بحركة الاضراب كانت قد امتدت فعلا الى عدد من موظفى وزارتى الأشغال والمعارف . كما تكشف ذلك الوثائق البريطانية منذ يوم ١٢ مارس .
F.O. 407/184 No. 75.

مذكرات عبد الرحمن فهمى - ١٤٥٠

امتداد لهيب الثورة الى المدن والأرياف

[١٢١]

كان مما اذكى نيران الثورة - تلك الدماء الذكية التي أراقها الجنود الانجليزية . وقد اتصلت أنباء الثورة بسرعة عجيبة الى كل بلاد القطر، فقامت مظاهرة فى الاسكندرية لم يتعرض لها الجند فانتهت بسلام . وقامت مظاهرة أخرى فى طنطا فصدرت الأوامر بقمعها بالقوة المسلحة، فراح ضحيتها شهداء كثيرون (١) .

ثم قطعت خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والمسرات فى كل أنحاء القطر فى ١٣ مارس وما بعده .

وحتى يوم ١٤ مارس بينما الناس خارجون من صلاة الجمعة بمسجد سيدنا الحسين وإذا سيارتين مدرعتين انجليزيتين تطلتان رشاشاتهما عليهم من غير سابق انذار أو تحذير .

وفى نفس هذا اليوم أطلق الجنود البريطانيون الرصاص على الناس فى حى السيدة زينب فقتل منهم ثلاثة عشر ١٣ قتيلا وجرح سبعة وعشرون .

وقد صدر فى هذا اليوم أيضا بلاغ من القائد العام بعد أن علم بقطع المواصلات بين طنطا وتلا هذا نصه :

« جناب القائد العام للقوات فى القطر المصرى ينذر الجمهور أن كل من يتلف مواصلات سكك الحديد أو التلغراف أو التليفون أو يلحق أى عطل بها أو يعبت بها بأى وجه من الوجوه أو يحاول عمل أى شئ من هذه الأعمال يعرض نفسه للاعدام رميا بالرصاص بمقتضى الأحكام العرفية » .

ولكن الناس لم تعد تؤثر فيهم مثل هذه التهديدات بعد أن رأوا من اعتداءات الجنود الانجليزية ما يفتت الأكباد ويدهمى القلوب فراحوا يواصلون التدمير والتخريب فدمروا محطة سكة حديد قليوب ، واضطر القطر الذى سافر من القاهرة يوم ١٤ مارس الى الصعيد الى الرجوع الى القاهرة ثانية لقطع الخط فى طريقه وقد كسرت عرباته ونوافذه .

[١٢٢]

(١) تقول التقارير البريطانية ان طنطا كانت اول مدينة اقليمية تبدأ فيها الاضطرابات (١٢ مارس) وان القوات البريطانية قد وصلت صباح ذلك اليوم اليها حيث اضطرت الى اطلاق النيران على المتظاهرين مما سبب خسائر فى الأرواح .

المدارس كافة ورجال ونساء من كافة الطبقات . كانوا يهرعون اليه في جميع الأوقات وفيه كانت تدبر كثير من المظاهرات وتوضع الخطط ، وفي الأزهر كان يجتمع رجال الدين المسلمون منهم والمسيحيون ياقون الخطب ويعملون للتوحيد الصنفون ونوثيق الروابط بين المسيحيين والمسلمين ، فكنت ترى فيه العلم وقد تعانق عليه الهلال والصليب . كما كنت ترى عمامة القسيس السوداء الى جانب عمامة الشيخ البيضاء رمزا للاتحاد في سبيل الوطن .

[٤-١٢٠]

وكان علماء الأزهر وطلاب المدارس وممثلون لطبقات الشعب المختلفة يؤمون الكنائس في كثير من الأيام لتوكيد الاتحاد بين العنصرين المدين تتألف منهما أغلبية الأمة المصرية .

[٥-١٢٠]

وقد فطنت السلطة الانجليزية الى هذه القوة الخطيرة الكامنة في الأزهر التي بينها في عموم طبقات الشعب فحاولت بكل ما لديها من الوسائل أن تمنع الشعب من الاجتماع فيه . موقف الجنود بأسلحتهم في مسالك الطرق يسدون في وجه الداهيين اليه ، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك بل اتخذ الناس مسالك غيرها لا يعرفها الجنود ومنها سطوح المنازل ينتقلون عليها من سطح الى سطح وقد هدم جدار في أحد المنازل لكي يصل الناس منه الى الجامع الأزهر . ولم تستطع سيارات السلطة العسكرية أن تتوغل في كثير من هذه الطرق لضيقها والتوائها .

[٦-١٢٠]

وكانت الحركة قوية في الأحياء الوطنية كحي الأزهر وسيدنا الحسين والسيدة زينب والحسينية ونحوها ففيها أقيمت الحواجز من الحجارة لتعطيل حركة السيارات المسلحة وحفرت حفرة عميقة في عرض الطريق أشبه بالخنادق في ميادين القتال . وانخذت أنقاضها ستارا يحمي به أفراد الشعب من رصاص الانجليز . ويدافعون من ورائه عن أنفسهم بالطوب والحجارة . وأقفلت بعض أبواب القاهرة القديمة كباب زويلة .

[٧-١٢٠]

وكانت روح التضحية والتضامن قوية جدا وليس أدل على هذا من أن رجال الشرطة قبضوا في إحدى المظاهرات بحي السيدة زينب على عدد من الطلبة وسبقاقوهم الى السجن في هذا القسم وبدلا من أن يفر باقي الطلبة خشية أن يقبض عليهم رجال الشرطة تقدمت جموعهم طالبة أن يقبض عليهم كلهم لأنهم قد اشتركوا مع زملائهم في الجريمة أن كانت هناك جريمة لأنهم لا يحبون أن يختص بعضهم بشرف التضحية والألم في سبيل الوطن دون البعض الآخر .

[٨-١٢٠]

- يلاحظ أن ترقيم الصفحات من (١٢٠ - ١) الى (١٢٠ - ٨) هو نفس الترقيم الوارد في المذكرات .

الطلبة كانوا يقابلون رصاص البنادق بصدورهم ؟ اذا سقط رافع العلم
في مقدمة موكب من الموكب مضرجا بدمائه تقدم غيره ورفع العلم بدله
مناديا بحياة الوطن فيردد اخوانه النداء في حماسة وقوة .

وفي يوم ١١ مارس أيضا اضرب المحامون عن مزاوله اعمالهم
وارسلت النقابة واحدا في كل محكمة ليطلب تأجيل القضايا .

وقد اذاع القائد العام في هذا اليوم البلاغ الآتي :

« جناب قائد عموم القوات في القطر المصري بلغت الجمهور الى
انه لما كانت البلاد لا تزال تحت الأحكام العرفية فلا يجوز القيام بأى
احتجاج عمومى أو أية مظاهرة . وكل شخص يخالف هذا الأمر يحاكم
بصفة مستعجلة » (١) .

[١-١٢٠] وهنا يجدر بنا أن ننوه بالدور الذى اضطلع به الأزهر في
الثورة . لقد كان طلبة الأزهر على الدوام في مقدمة الصفوف في
المظاهرات وكانوا من أكثر الطلبة جراءة وحماسة ، وكانوا من أكبر
العاملين على بث الروح الوطنية وحركة الاضراب في طبقات الشعب
المختلفة . وقد كانوا كذلك من أكثر الطبقات تضحية في سبيل
القضية المصرية .

[٢-١٢٠] ومن أروع المظاهرات التى شاهدناها (٢) الجنود الانجليزية
عسكرت أمام أبواب الأزهر لتمنع خروج الطلبة وتوقع الرعب في
قلوبهم والفشل في صفوفهم ، وكان الجنود مسلحين بالسلاح ومعهم
المدافع الرشاشة ، ولكن هذا لم يضعف من عزيمه الطلبة وقد دفعت
الحماسة أحدهم فهجم على أحد المدافع فاخطفه من أيدي الجنود وسار به نحو
زملاته عند أبواب المسجد . ولكن الجنود ادركوه واستردوه منه . تلك
جرأة منقطعة النظير .

[٣-١٢٠] ولم يكن عمل الأزهر مقصورا على الدور الذى اضطلع به طلابه ،
بل أنه احتفظ بتقاليد القديمة ، ومثل الدور الذى طالما مثله في جميع
الثورات المصرية التى حدثت منذ انشائه (٣) ، فكانت الخطب النارية
والقصائد الحماسية تلقى من فوق منبره يستمع اليها طلابه وطلاب

(١) نص البلاغ : الإخبار والمقطم في ١٣/٣/١٩١٩ .

(٢) يسافر عبد الرحمن فهمي - لأول مرة - عن نفسه في هذه العبارة .

(٣) دور الأزهر معروف في مقاومة الظلم في العهد العثماني ، كذا في مقاومة الحملة
الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) ثم مظالم الحكماء في الفترة التى أعقبتها .

(انظر : عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار . ج ٢ ، ٣) .

لم تكبد تشرق شمس يوم ٩ مارس ١٩١٩ حتى كان نبأ القبض على أعضاء الوفد المصرى قد انتشر فى جميع أنحاء البلاد ، ابتدأت الثورة بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة ، فساروا بنظام وسكينة تتقدمهم أعلامهم ويهتفون بحياة مصر والوفد المصرى وبسقوط الحماية الانجليزية . فهاجمهم رجال البوليس وألقوا القبض على أكثر من ثلثمائة طالب منهم .

[١١٩]

حتى اذا تنفس صبح اليوم التالى وهو يوم ١٠ مارس ١٩١٩ كان جميع طلبة المدارس والمعاهد قد أضربوا عن عملهم وألقوا من أنفسهم مظاهرة كبيرة ، وانضم لهم الأهالى ، فساروا فى روعة ومهابة مخترقين شوارع القاهرة وميادينها مارين بحور المعتمدين السياسيين (١) .

بيد أنه كان من المتعذر ألا يحصل فى هذا اليوم ما يوجب الأسف فقد تعدى البعض على واجهات عدد من المحال التجارية وجلبها ملك للأوربيين . فلما رأى الطلبة أن هذا العمل يشوه من جلال مظاهراتهم بادروا فى اليوم التالى بأذاعة منشور فى الجرائد العربية والأجنبية يأسفون فيه لما وقع ، ويعيدون بمنع وقوع مثل هذا التخريب .

وفى نفس اليوم أيضا أضرب عمال الترام وقدم موظفو وزارة الحقائق احتجاجا على اعتقال الزعماء الى عظمة السلطان حتى اذا كان يوم ١١ مارس تعطلت المواصلات فى كل أنحاء القاهرة باضراب سائقي السيارات وعربات النقل والركوب . وأقفل معظم التجار متاجرهم .

[١٢٠]

ولما رأت السلطة الانجليزية كثرة المظاهرات وتشعبها ووجلت أن الشعور الوطنى يتزايد يوما بعد يوم أصدرت أوامرها بقمع تلك المظاهرات بقوة جنودها فاندفع الجنود البريطانيون ومعهم معداتهم من بنادق وحرا ب وسيارات مدرعة وأخرى مجهزة بالرشاشات ، فكانت المصادمة الأولى بينهم وبين الطلبة على الكوبرى الممتد فوق السكة الحديدية الموصل الى شارع شبرا .

ولكن الطلبة لم ترهبهم جنود الانجليز ولم يزعجهم ما تزودوا به من سلاح فازدادوا ثباتا فى مظاهراتهم . وما كان أروع من رؤية أن

(١) خرج طلبة مدرسة الحقوق من مدرستهم فى الجيزة ومروا بزملائهم طلبة مدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة فتبعهم واجتازوا جزيرة الروضة حتى وصلوا الى القصر العينى ثم خرجوا الى ميدان لاطوغل . (الاخبار فى ١٢/٣/١٩١٩) .

ابتداء الثورة

يبقى فى قوسى صبر الأمة منزع فهبت كلها بجميع طبقاتها وفى جميع أرجاء البلاد تعلن عن مشيئتها •

وأكبر طعننا أن الحكومة الانجليزية لو كانت قد عرفت نفسه
الأمة المصرية لما سلكت هذا المسلك ، ولما أقدمت على اغضابها بالوقوف
فى وجه أمانيتها الأولى ثم بالقبض على زعمائها ، بل لعملت من أول الأمر
على اجابة مطالبها ، لكنها أساءت فهم نفسيته فأساءت التصرف ، وكان
ذلك لخير أراد الله بالأمة المصرية •

من الوفد المصرى الى معتمدى الدول بمصر

كما أرسل فى نفس اليوم أيضا الخطاب الآتى الى معتمدى الدول

بمصر :

« جناب المعتمد :

[١١٨]

« نتشرف بأن نرفع الى جنابكم أن السلطات الانجليزية قد قبضت اليوم على حضرة صاحب المعالي سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصرى وأصحاب السعادة محمد محمود باشا ، واسماعيل صدقى باشا ، وحمد الباسل باشا من أعضائه . وانا نشهدكم يا جناب المعتمد على هذا العمل غير المفهوم الذى هو مظهر من مظاهر طريقة الارهاب الفعلى التى اتخذت لالقاء الرعب فى قلوبنا . غير أننا نشعر تمام الشعور بواجبنا الوطنى الذى نقوم بأزائه نحو بلادنا وسنستمر غدا كما كنا أمس على أن ندافع عن قضيتنا بكافة الطرق المشروعة دون سواها وسيحكم العالم المتمددين يوما أى الفريقين كان فى أخرج المراكز ملازما حدود القانون وسيعلم أنحن أم مضطهدونا قد أخل بأبسط قواعد العدل .

وتفضلوا يا جناب المعتمد بقبول فائق احترامنا ،،، (١) »

عضو الجمعية التشريعية

ووكيل الوفد المصرى

الامضاء (على شعراوى)

وكان هذا العمل الأخرق الذى أتته السلطة الانجليزية كالشرارة التى

[١١٩]

ألقيت فى مستودع البارود .

لقد كانت المشاعر مضطربة والنفوس مهيأة للثورة لأن أعمال السلطة الانجليزية فى أثناء الحرب وبعدها والمعاملة القاسية التى عومل بها أعضاء الوفد وهم من صفوة رجال مصر وأعظمهم نفوذا والقبض على سعد باشا الذى طالما برهنت الأمة - فى كثير من المواقف - على حبها إياه أنه موضع آمالها وهو وإخوانه موضع آماله وتقديرها له (٢) كل ذلك لم

(١) يلاحظ السير شيتام ممثل المعتمد البريطانى فى القاهرة ان هذه الخطابات التى وجهت الى جهات مختلفة كانت معتدلة نوعا وان كانت فى صياغتها واستخدمها لنفس الحجج تؤكد ان كاتبها جهة واحدة هى رئاسة الحركة الوطنية فى القاهرة على حد تسميته .
F.O. 407/184, No. 119.

(٢) مكتوبة هكذا والصحيح « وهو وإخوانه موضع آمالها وتقديرها له ... » .

له أن يكرر الضراعة لسدتكم العلية أن تقفوا في صفه مدافعين عن قضيه
العادلة .

« واننا - مع كمال الاحترام نتشرف برفع آيات اخلاصنا الى مقام
عظمتكم الكريم » .

توقيعات أعضاء
الوفد

٨ مارس ١٩١٩ .

من الوفد المصرى الى
المستر لويد جورج (*)

ثم أرسل الوفد المصرى فى اليوم نفسه التلغراف الآتى الى المستر
لويد جورج :

« المستر لويد جورج : [١١٧]

« الحاقا لتلغرافنا المرسل لجنايبكم فى ٦ مارس الحاضر الذى
أبلغناكم فيه : أن السلطة العسكرية تلقى على الوفد المصرى مسؤولية
المصاعب التى تعانيها الحكومة فى تشكيل وزارة جديدة وتتوعدنا بالعقاب
العسكرى الشديد نحيطكم علما بأن هذه السلطة قد قبضت اليوم على سعد
باشا زغلول رئيس الوفد وعلى ثلاثة من أعضائه . فطريقة الارهاب برزت
الى حيز الفعل ولكننا اجابة لدعوة ضمائركمنا . واعتمادا منا على أننا لم
يقع من جانبنا أى عمل مخالف للقوانين سنستمر على الدفاع بكل
الطرق المشروعة عن قضيتنا العادلة .

وكيل الوفد المصرى
وعضو الجمعية التشريعية
الامضاء (على شعراوى)

(*) رئيس الوزراء البريطانى .

حبها . فتكونوا في صفها مدافعين عنها لتنال غرضها ، تطرعا بذلك الى مولانا ولبننا متطعين ، بكمال الثقة ، الى أن ابن اسماعيل الجالس على عرش محمد على الكبير سيرينا من نفحاته ما يحقق الأمل .

« غير أنه لم يمض يومان حتى استدعنا السلطة العسكرية في ٦ مارس وأبلغتنا أنها علمت أننا نضع مسألة وجود الحماية موضع البحث وأننا نلقى العراقيل في سبيل الحكومة المصرية تحت الحماية بمحاولة منع تشكيل الوزارة . وأنذرتنا بالعقاب العسكري الشديد ان أتينا عملا يرمى الى تعطيل سير الوزارة ، ثم منعنا من مناقشتها في هذا البلاغ .

[١١٥] « لم تصب السلطة في رأيها فان هذه الحماية باطلة ولكل انسان الحق المطلق في أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية . وأما عدم نجاح الحكومة في تشكيل الوزارة فانما هو النتيجة الطبيعية للخطة التي اتخذت في مسألة سفر الوفد فان كل مصرى ذى كرامة لا يمكنه ، حقيقة ، ان يقبل الوزارة في هذا الظرف من غير أن يستهين بمشيئة بلاده .

« ولم يقف الأمر عند هذا الانذار . بل قيصت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا . وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقي باشا وزجتهم في قصر النيل ثم سيقوا اليوم الى بورسعيد فالى حيث لا نعلم . وذنبنا في ذلك أننا نطلب حريتنا السياسية طبقا للمبادئ الشريفة التي اتخذت قاعدة للسياسة العالمية الجديدة . والتي قبلتها انجلترا نفسها . ولم تعد حدود القانون فلم نهج في البلاد طائرا ولم نحرك ساكنا ، بل قبلنا توكيل الشعب إيانا أن نصدر بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته عند الذين يقولون انه لم يبق في العالم شعب سيد ومسود بل العالم في الاخاء الانساني سواء .

« على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولاي أن نفهم مبررا لهذه الخطة القاسية التي جرت عليها السياسة الانجليزية تحت ستار الأحكام العسكرية ، تلك الأحكام التي لا ندرى ما يسوغ وجودها الى الآن بعد الهدنة بأربعة أشهر وبعد أن امتحنت مصر في أشد ظروف الحرب حرجا فلم يكن منها الا الاطاعة للأوامر العسكرية من غير بحث وإحسان الى السكينة لم يوجد مثلها في بريطانيا العظمى نفسها .

« اليكم يا صاحب العظمة وأنتم تتنبأون أكبر مقام في مصر عليكم أكبر مسئولية فيها ، نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسي فإن شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله . كما يحق

المشروعة مهما كلفنا ذلك وحسبنا أن نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذي
يجر سخط العالم المتمدين حتى تفكروا في حل هذه الأزمة بسفر الوفد
فيرتاح بال الشعب »

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصري
الامضاء (سعد زغلول)

القبض على رئيس الوفد وثلاثة من أعضائه

ولقد حدث بعد ذلك ما كان متوقعا وما كانت المقدمات تدل على
وقوعه ، ولقد نفذت السلطة العسكرية ما كانت عاقدة العزم على انفاذه
من قبل بعد أن تأكدت أن الوفد جاد في عمله .

فما كاد الوفد يرسل برقيته السالفة الذكر الى المستر لويد جورج
رئيس الوزارة البريطانية والتي ناقش فيها الحماية وقانونيتها حتى
بادرت السلطة العسكرية في يوم ٨ مارس ١٩١٩ باعتقال سعد زغلول
باشا رئيس الوفد المصري وحضرات محمد محمود باشا وحمد الباسل
باشا واسماعيل صدقي باشا وساقطهم الى ثكنة قصر النيل ومنها الى
بورسعيد حيث أبحروا الى مالطة .

كتاب على شعراوي باشا الى عظمة السلطان

[١١٤]

وعقب هذا القبض ترأس شعراوي باشا الوفد الذي بادر في نفس
اليوم بإرسال الكتاب الآتي الى عظمة السلطان وهو :

« يا صاحب العظمة :

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصري برفع ما يلي لمقام
عظمتكم السامي :

« قبلتم استقالة الوزيرين رشدي باشا وعدلي باشا فلما فهمنا أن
هذا ربما كان الحل الوحيد لمسألة سفر الوفد المكلف بالدفاع عن قضية
بلدكم الأسيف وأنه حل لا يسمح لرجل مصري ذي كرامة ووطنية أن
يقبل تأليف الوزارة ما دام الوزيران المستقيلان قد علقا سحب استقالتهما
على أمر سفر الوفد ، وقد عرضنا لصدتكم العلية متضرعين أن تتعرفوا
رأى الأمة قبل البت نهائيا في هذا الأمر . وان تعيدوا النظر في الخطة
التي اختطها مستشاروكم وأن تبدو الأمة آية من آيات ما جبيلتم عليه من

استدعاء القائد العام للقوات البريطانية في مصر

[١١٢]

لأعضاء الوفد واندازه لهم

ولقد وجدت السلطة الانكليزية في كتاب الوفد الى عظمة السلطان وفي احتجاجاته المتواليه ما اعتبرته تعديا وتهديدا ولهذا بيتت للوفد شرا ، مهدت له بالتهديد والانداز .

ففى يوم ٦ مارس ١٩١٩ استدعى القائد العام للقوات البريطانية فى مصر رئيس وأعضاء الوفد المصرى لقره بفندق سافوى الساعة ٣ بعد الظهر وألقى عليهم البلاغ الآتى :

« علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة ، وأنكم نقيمون العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة . وحيث أن البلاد لا تزال تحت الأحكام العسكرية . لذلك يلزمنى أن أنذركم أن أى عمل منكم يرمى الى عرقلة سير الادارة يجعلكم عرضة الى المعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » .

وبعد أن أتم جنابه القاء هذا البلاغ باللغة الانجليزية وترجم باللغة الفرنسية ، أراد بعض أعضاء الوفد الكلام فرفض قائلا : « لا مناقشة » . وتركهم وانصرف . ولما طلب أعضاء الوفد هذا الانذار - سلم اليهم نصه باللغة الانجليزية وعقب ذلك أرسل الوفد التلغراف الآتى نصه الى المستر لويده جوج رئيس الوزارة الانجليزية وهو :

« يا صاحب السعادة » :

« تعلمون ضرورة أن وزارة رشدى باشا لما علقت سحب استقالتها على سفر الوفد قبلت استقالتها نهائيا . وليس لذلك معنى الا الحيلولة بيننا وبين عرض قضيتنا على مؤتمر السلام . وقد نتج فعلا من هذه السياسة أن أعظم رجال مصر أهلية لادارة البلاد فى هذه الآونة قد بدأوا يرفضون بتاتا تأليف وزارة تعارض مشيئة الأمة التى هى مجمعة على طلب الاستقلال . فالنتيجة الطبيعية لذلك أن تقع مسئولية بقاء البلاد بلا حكومة على الذين وضعوا من هم أهل للوزارة فى مركز حرج أمام ضمائرهم وأمام مواطنيهم . غير أن السلطة العسكرية عمدت الى تحميلنا مسئولية امتناع المرشحين للوزارة عن قبولها . أعنى أرادت أن نكون نحن المسئولين عن أعمال الذين منعونا عن السفر فسيبوا بالمنع الأزمة الحالية . لأن السلطة العسكرية أنذرتنا اليوم بأننا نضع الحماية موضع البحث ونعرقل تأليف الوزارة الجديدة وتوعدتنا بأشد العقاب العسكرى . على أنها تجهل أننا نطلب الاستقلال التام ونرى الحماية غير مشروعة . كما تعلم بالضرورة أننا قد أخذنا على عاتقنا واجبا وطنيا لا نتأخر عن أدائه بالطرق

[١١٣]

صوتهم لمؤتمر السلام • ظلم صارخ يزيد في ايلامه للانفس ما يصلنا كل يوم من الأنباء عن المطالب القومية التي يعرضها للمؤتمر نواب الحجار وأرمينية وفلسطين وسوريا ولبنان تلك البلاد التي كانت للأمس ايلات تركية •

[١١١] ها نحن أولاء محكوم علينا بالبيكم نعلك فيه شكيمة الغيظ • وبالحرز المبرح نلبس ثيابه حدادا على حريتنا المسلوقة •

« ان الدولة التي تسومنا الحسف ، ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا الى المؤتمر • ساخرة بوعودها • كأنها لم تكن ، تقصد بهذه الوعود سوى أن تفوت على الأمة فرصة نفيسة ، وأن تعيى هم بنيتها •

« ان الوزارة التي أندفعت بوطنيتها الى انتهاج ما يوافق القضيه المصرية اضطرت للاستقالة لأنها لم تستطع الصبر على مثل هذا الانتهاك اللاحق بأقداس حقوقنا ونحن نعتقد أنه لا يوجد مصرى واحد جدير بأن يدعى مصريا يستطيع أن يؤلف وزارة يكون مفروضا عليها حتما أن تسير على برنامج يرمى الى خنق البلد والقضاء على البقية الباقية لها من الحقوق •

« أبلغنا جنابكم من قبل أمانى البلاد ومطالبها • فمن الفضلة تكرير بيانها الآن • وغير خاف على جنابكم أيضا جميع أساليب الدهاء المستعملة لابتلاع البلد بالمرّة تحت ستار ما يسمونه اصلاحات سياسية وقضائية وادارية • والذي نقصده الآن انما هو أن نشهدكم على المعاملة الجائرة التي ترضأ بها مصر لكي تقولوا لحكومتم أنه على الرغم من العهود التي التزمت بها انجلترا على رؤوس الأشهاد وعلى الرغم من المبادئ التي أقرها الحلفاء بالاجماع • لازال في العالم أمة تتحكم فيها القوة الغاشمة لخدمة مصالح لا اتفاق لها مع دواعى المدنية وهى أقل اتفاقا مع دواعى العدل والانصاف » (١) •

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

رئيس الوفد المصرى

(امضاء) سعد زغلول)

(١) تقول الوثائق البريطانية ان هذين الكتائبين المرفوعين الى السلطان والى ممثلى الدول الاجنبية في مصر هما اللذان دفعا السلطات الانجليزية فى القاهرة الى التفكير فى نفي زعماء الوفد •

F.O. 407/184 No. 64.

نلعب بها أيدي حزب الاستعمار ، والتي تطلب اليه بحقها عليه أن يغضب لغضبها • ويقف في صفها • فتتال غرضها وانه على ذلك لقدير •

« واننا نتشرف بأن نرفع عبارات الاخلاص الى مقام عظمتكم الكريم ،،،
توقيعات أعضاء الوفد (١)

٤ مارس ١٩١٩ •

احتجاج الوفد الى معتمدى الدول بمصر

كما أرسل في اليوم نفسه الخطاب الآتى الى معتمدى الدول العظمى بمصر :

القاهرة في ٤ مارس ١٩١٩ •

[١١٠]

« جناب المعتمد ... »

« قضي الأمر وبلغ العسف غايته :

« لم ينفع مصر أن كانت شرفا لأقدم أشعة المدنية في العالم ، ولا أنها زينت صحف التاريخ بآثار مجدها الخالد • لم ينفعها أن نالت حريتها من قبل بسفك دم أبنائها • ولا أنها مازالت دائبة يوما بعد يوم من عهد محمد على الكبير الى الآن على أن تستعيد المركز الذى لها حق الوجود فيه بين الأمم • لم ينفعها تقديمها لقضية الحلفاء أثناء الاقتتال أفيد أنواع المعونة تأثرا • وقيامها بذلك فى نفس الساعة التى افتتحت بريطانيا العظمى فيها الحرب بأشد ضروب التصرفات السياسية ظلما وهو اعلانها الحماية • لم ينفعها مالها من وحدة العنصر ، ونبوغ الطبقة الراقية فيها ، وما عليه أهلها من الشغف ، بالنظام وتعشق الحرية ، والتسامح العظيم ، تلك الخصائص التى تجعلها جديرة بالاستقلال •

« اذن فكل شيء يجب أن يتوارى أمام مطامع الاستعماريين التى لا نهاية لها •

« ان المصريين دون جميع الأمم التى غيرت الحرب مركزها السياسى هم وحدهم الذين بطشت بهم يد القوة فحرمتهم حتى من حقهم فى أسمع

(١) بلغ عدد التوقيعات على هذا الكتاب ١٥ توقيعاً لكل من : على شعراوي ، عبد اللطيف الكياتى ، محمد محمود ، حافظ عفيفى ، أحمد لطفى السيد ، سليمان ، حسين واصف ، عبد الحائق مدكور ، حمد الباسل ، محمود أبو النصر ، عبد العزيز فهمى ، سينوت حقا ، محمد على ، اسماعيل صدقى ، سعد زغلول • وتشير الوثائق البريطانية الى

القدم فى ٣ مارس لا ٤ مارس • F.O. 407/184 Enc. in No. 74.

لذلك لم يكن ليتوقع أحد في مصر أن يكون آخر حل لمسألة سفر الوفد هو قبول استقالة الوزيرين لأن في ذلك متابعة للطامعين في اذلالنا وتمكيننا للعقبة التي ألقيت في سبيل الادلاء بحجة الامه الى المؤتمر . وايدانا بارضا بحكم الأجنبى علينا الى الأبد .

« ولقد نعلم أن عظمتكم ربما كنتم مضطرين لاعتبارات عائلية أن تقبلوا عرش أبيكم العظيم الذي خلا بانتقال أخيك المغفور له السلطان حسين الى رحمة الله ، ولكن الأمة من جهة أخرى كانت تعتقد أن قبولكم لهذا العرش في زمن الحماية الوقتية الباطلة رعاية لتلك الظروف العائلية ليس من شأنه أن يصرفكم عن العمل لاستقلال بلادكم .

« غير أن حل المسألة بقبول استقالة الوزيرين اللذين اظهرا احترامهما لارادة الأمة لا يمكن أن يتفق مع ما جبلتم عليه من حب الخير لبلادكم والاعتداد بمشيئة شعبكم .

« لذلك عجب الناس من مستشاريكم كيف أنهم لم يلتفتوا الى أن الأمة - في هذا الظرف العصيب - انما تطلب يا أرشد أبناء محررها الكبير محمد على أن تكونوا العون الأول على نيل استقلالها مهما كلفكم ذلك . فان همتكم أرفع من أن تحددها الظروف .

« كيف فات مستشاريكم أن عبارة استقالة رشدى باشا لا تسمح لرجل مصرى ذى كرامة وطنية أن يخلفه في مركزه ؟ كيف فاتهم أن وزارة تؤلف على برنامج مضاد لمشيئة الشعب مقضى عليها بالفشل ؟

« عفوا يا مولانا . قد تكون مداخلتنا في هذا الأمر . وفى غير هذا الظرف غير لائقة ، ولكن الأمر جل الآن عن أن يراعى فيها أى اعتبار غير منفعة الوطن الذى أنت خادمه الأمين . [١٠٩]

« ان لمولانا أكبر مقام في البلاد فعليه أكبر مسئولية عنها وفيه أكبر رجاء لها . واننا لا نكذبه النصيحة اذا تضرعنا اليه أن يتعرف رأى أمته قبل أن يتخذ قرارا نهائيا في أمر الأمة الحالية ، فاننا نؤكد لسدته العلية أنه لم يبق أحد من رعاياه من أقصى البلاد الى أقصاها الا وهو يطلب الاستقلال . فالحيلولة بين الأمة وبين طلبها مسئولية لم يتحرر مستشارو مولانا أمرها بالدقة الواجبة .

لذلك

« دفعنا واجب خدمة بلادنا واخلصنا لمولانا أن نرفع لسدته شعور أمته التى هى أشد ما تكون رجاء في استقلالها وأخوف ما تكون من أن

(١) يرى البريطانيون أن هذا الالتماس كان مغلفا بروح التهديد للسلطان اذا ما اصر على تشكيل وزارة جديدة . F.O. 407/184 No. 64.

كتاب الوفد المصرى الى عظمة السلطان

[١٠٦]

كان المصريون يتوقعون ألا تقبل استقالة وزارة رشدى باشا رغم الحاحه فى قبولها . ولكن هذه الاستقالة قبلت ، وكان قبولها دليلا على أن السلطة الانجليزية فى مصر لا تقيم وزنا لأى اعتبار لا يتفق مع مطامعها ، وأكبر ظننا أنه لو صرح للوفد المصرى وبعض الوزراء بالسفر الى أوروبا لما نتج عن ذلك شئ يحرم انجلترا مما كانت تصبو اليه نفسها . وربما كان ذلك التصريح سببا فى تهدئة المصريين وبث روح الثقة فى نفوسهم .

فلما قبلت هذه الاستقالة أرسل الوفد الى عظمة السلطان الكتاب الآتى فى ٤ مارس ١٩١٩ وهو :

« يا صاحب العظمة :

[١٠٧]

« يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى أن يرفعوا الى مقام عظمتكم بالنيابة عن الأمة ما يلى :

« لما اتفق المحاربون على أن يجعلوا مبادئ الحرية والعدل أساسا للصالح وأعلن أن الشعوب التى غيرت الحرب مركزها تؤخذ رأيها فى حكم نفسها أخذنا على عاتقنا السعى فى استقلال بلادنا والدفاع عن قضيتها أمام مؤتمر السلام مادام أن حق الأقوى قد زال .

« واعتمادا على هذه الظروف وعلى أن مصر غرمت كل ما قدرت عليه من المغارم فى صف القائمين بحماية الأمم الصغرى ، لا يكون لدى مؤتمر السلام ما يمنع من الاعتراف بحريتنا السياسية اتباعا للمبادئ التى أسس عليها ، عرضنا رغبتنا فى السفر على كبير وزرائكم صاحب الدولة حسين رشدى باشا فوعده بمساعدتنا على السفر وثوقا منه أننا انما نعبر عن رأى الأمة كافة . فلما لم يسمح لنا بالسفر وجبسنا داخل حدود بلادنا بقوة الاستبداد لا بقوة القانون ، وحيل بيننا وبين الدفاع عن قضية هذه الأمة الأسيفة ، ولما لم يستطع دولته أن يتحمل مسئولية البقاء فى منصبه فى حين أن الشعب يصادر فى مشيئته استقال هو وزميله صاحب المعالى عدلى باشا يكن استقالة نهائية قوبلت من الشعب بتكريم شخصيهما والاعتراف بوطنيتهما ، ولقد كان الناس يظنون أنه كان لهما فى وقتيهما الشريفة دفاعا عن الحرية عضد قوى من نفحات عظمتكم .

[١٠٨]

نرى أى شرع قرأوا أن مصلحة الأمة بتجارتها تبلغ زهاء ثلاثة عشر مليوناً
يضحي بها لمصلحة بضعة أشخاص اجانب عنها لهم فوق هذه المصلحة
مصالح فى بلادهم تكفيهم العيش وشر الحاجة لو قنعوا بها ؟ فى أى شرع
قرأوا أن القاضى يجب أن يكون اجنبياً عن المتقاضين لا يعرف لغتهم
ولا أخلاقهم ، وأن المتقاضين هم الذين يجب عليهم أن يتعلموا لغته
ليترافعوا بها ليتمكن من القضاء فيها بالقانون الذى يعرفه هو وصيه
يجعلونه . أليس من الغريب أن تصدر هذه المطالب من حملة القوانين
فما الذى ننتظره من حملة السيف والخنجر ؟

« أعجب من هذه المطالب زعم هؤلاء المحامين بأن الأمة المصرية
تقبلها - كيف يرضى المصريون أن ينقلب شرعهم رأساً على عقب ويستبدل
به شرع لا يعرفون مبادئه ، ولا يدركون مناحيه بلغة لا يعرفونها ولن
يعرفوها الا اذا بدلوا بغيرهم ؟ كيف يقبلون أن يتراجع عنهم من لا يمكنهم
أن يشرحوا بلغتهم وقائع قضيتهم ويرتاحون الى أن يقضى فيهم من يجمل
عوائدهم وأخلاقهم وميولهم وتاريخهم ؟ أليس هذا الزعم جرأة على الحق
لا مثيل لها ؟

« ان من يقرن هذه الطلبات الخاصة بالقضاء بمذكرة السير برونيات
المستشار المالى والتشريعى وهى التى رد عليها حضرة صاحب الدولة رشدى
باشا رئيس الوزراء فى مذكرته المشهورة يرى الكل صادراً عن ميل واحد
هو الرغبة فى جعل المصريين غرباء فى بلادهم .

قبول استقالة رشدى باشا

[١٠٥]

ولما لم يمكن تحقيق رغبات دولة رشدى باشا ولم يمكن كذلك
زحزحته عن هذه الطلبات قبلت استقالته التى سبق أن قدمها وأصر
عليها . وهذا نص كتاب قبول الاستقالة :

« عزيزى وشدى باشا » :

« ان استقالة دولتكم التى رفعتها اليها كانت من أشد بواعث
الأسف لدينا ، فمع الشكر لدولتكم ولحضرات زملائكم على ما قمتم به من
الخدمات الصادقة أرجو الاستمرار فى إدارة الأعمال الى أن يتم تأليف
الوزارة الجديدة ، والله المستعان . » (١)

أول مارس ١٩١٩ .

(١) جاء قبول استقالة الوزارة بعد رفض الحكومة البريطانية لشروط رشدى بالسماح
بالسفر لأعضاء الوفد المصرى بالإضافة له ولعدلى بعد أن قبلت سفر الأخير فقط .
F.O. 407/184 No. 56.

« ولا نستطيع أن نفيض الآن في كيفية انشاء المحاكم الوطنية الجديدة ، ولكننا نقول أنه من الضروري ايجاد أوربي بجانب الوطنى فى المحاكم للنظر فى المسائل الأهلية . »

« وليس من السعوبة على أعضاء نقابة المحاماة المختلطة اعداد أنفسهم لهذه التغيرات ، ولما كانت اللغة الانكليزية آخذة فى الانتشار بسرعة فاننا لا نظن أن تبدو معارضة من جانب المصريين فى هذه التغيرات والقانون الانجليزى معمول به فى الهند وفى السودان . »

نشر هذا فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٦ فبراير ١٩١٩ فما كاد الوفد يطلى عليها حتى بادى رئيسه بأعداد الرد عليه وأرسله الى بعض الجرائد لنشره ولكن الرقيب لم يصح بذلك . ونحن نثبت للقارىء هنا رد سعد باشا الذى حرم الناس من قراءته فى حينه وهو :

« طلب المحامون الانجليز العشرة أن تكون المرافعة أمام المحاكم باللغة الانجليزية ، وأن توضع القوانين رسميا بهذه اللغة وأن يكون وضعها على المبادئ الانجليزية وأن يكون بجانب كل قاض وطنى قاض أجنبى . وزعموا أن المصريين يقبلون هذه المطالب عن طيب خاطر وأنها لازمة لضمانة المصالح الانجليزية فى مصر . »

[١٠٣]

« أبدوا هذه الملاحظات ولم يقدموا على مطلب منها دليلا بل لم يستأنسوا لها بشئ من المعقول مخالفين بذلك ما تقتضيه صناعتهن من البرهنة على صحة طلباتهن وكأنهم يتوهمون أن جنسيتهم كافية لتبرير كل طلب ومصصلحة مواطنهم تعلق صحة كل رغبة . ولكن فاتهم أن يعلموا أننا فى نهاية زمان القوة وبداية عصر الحق وأن المصالح متساوية فى وجوب العناية بها لا فرق بين مصلحة القوى ومصصلحة الضعيف ، وأن الأمة المصرية لا يمكن أن تترك الغير يتحدث عن ميولها بما يوافق رغبته ، ولا أن تفض الطرف عن كل ما يمس مصصلحة بنيتها . »

« ان مصالح الانجليز فى مصر كغيرها من مصالح الدول الأجنبية قديمة ولم يمسها ضرر من عدم وجود ما يطلبه هؤلاء المحامون فما الذى حدث الآن حتى تتضرر تلك المصالح بعدم جعل اللغة الانجليزية وحدها هى لغة القوانين والمرافعات وبعدم وضع القوانين على المبادئ الانجليزية . ومن عدم وجود قاض انجليزى بجانب كل قاض وطنى . ألا توجد بمصر مصالح أخرى تجب رعايتها غير المصالح الانجليزية ؟ أين مصالح الأمة المصرية بتمامها ؟ أين مصالح الأمم الأخرى النازلة فيها ؟ هل يريد هؤلاء الحقوقيون أن تداس كل هذه المصالح تحت أقدام المصالح الانجليزية ؟ »

[١٠٤]

[١٠١]

مطالب المحامين الانجليز العشرة ورد رئيس الوفد عليها

أثار عشرة من المحامين الانجليز عاصفة بمصر بمذكرة قدموها الى لجنة الغاء الامتيازات طلبوا فيها مطالب فندها ورد عليها المحامون لدى المحاكم المختلطة بمذكرة طويلة . ثم عالج الموضوع السير وليم برويت المستشار القضائي وسكرتير لجنة الغاء الامتيازات . ولكن المحامين العشرة عادوا الى مطالبهم وتأييدها والالحاف في انفاذها ، وقالوا في مذكرة جديدة قدموها ما ملخصه :

« من الواجب علينا رعاية لمصلحة الأمة البريطانية في مصر وضمانة للمصالح المالية والاقتصادية الانجليزية فيها أن نذكر للجنة آراءنا بصراحة فنقول انه ليس في الامكان تحقيق الآراء القانونية الجديدة التي تطلبها اللجنة الا اذا أصبحت اللغة الانجليزية عاجلا أو آجلا لغة المحاكم بصفة نهائية .

« ونحن نطلب وضع القوانين الجديدة باللغة الانجليزية رسميا ومن الممكن ترجمتها الى اللغتين الفرنسية والعربية ويجب أن تكون اللغة الانجليزية اجبارية في الدفاع الشفوي والتحريرى أمام جميع المحاكم عدا التي يجب أن تكون لغتها عربية . ولكن لا تكون اللغة الانكليزية (١) اجبارية الا بعد مضي مدة محدودة نقترح أن تتراوح بين خمس وسبع سنين .

« ويجب أن يوضع القانون الأهلى مطابقا للأصول القانونية الانجليزية . ونرى أنه من الموافق ادخال نظام القانون الجنائى الانجليزى فى مصر ، وليس لقائل أن يقول أنه ليس لدينا ما يدل على نجاح هذا النظام فيها اذ الأمر بالعكس .

[١٠٢]

ونحن متأكدون أن تطبيق القانون الجنائى الانكليزى فى مصر يكون حاسما لكثير من العلل الموجودة فى النظام الحالى وخصوصا سوء النظام بين البوليس والنيابة ولا بد أن نتساءل هنا ان كان من الممكن ادخال نظام المحلفين فى المحاكم الجنائية فى مصر أولا ، ونظن أن ادخاله لا يجد شيئا من الصعوبة .

(١) مرة اللغة الانجليزية ومرة اللغة الانكليزية هكذا فى المذكرات .

[١٠٠]

وإمرافق حاملي اقراطيس الدين المصرى لهى من الأمور المحسودة ، وفد
أبدينا نحن أنفسنا قبولنا لها وإقرارنا عليها . ولكن مرافق مصر وحقوق
أمة يبلغ عددها اثنى عشر مليوناً من النفوس هل هى مما يداس بالأقدام ؟
ان مصر من عهد محمد على تتولى التقنين بنفسها لنفسها . أما الآن وفى
الوقت الذى ترتفع فيه مرتبة الشعوب ، فىأى تهكم مر مؤلم تسقط
مرتبتنا وتنزع منا امتيازات كنا نتمتع بها تحت السيادة التركية . فأى
جريمة اجترمنها حتى نضرب بهذا الحكم المحزن ؟ وما الذى نلام عليه ،
اللهم الا أننا عاوننا بريطانيا العظمى بقدر ما تسع طاقتنا وبكل وسائلنا
فى الصراع الذى قام به الحلفاء ضد ما حاوله ألمانيا من بسط سلطتها على
العالم طبقاً لهذين المبدأين الجرمانيين المقوتين المستنكرين اللذين قد
تدهورا الآن تدهورا تاماً وهما : (ان القوة فوق الحق) ، و (ان كل
شعب يحق له أن يرغم شعباً آخر ولو كان متحضراً ولكنه أقل منه تقدماً
أو مفترضاً بأنه كذلك على الخنوع لخصارنه) . نعم اننا فى ميدان
الحضارة لا يبلغ بنا الجنون الى الادعاء بأننا بلغنا شأواً دولة كبريطانيا
العظمى . الا أنه على الأقل لاتصح المقارنة بيننا وبين بعض البلاد الشرقية
الأخرى الموضوعة تحت حماية الدول الأوروبية . ان مصر بما لها من
النظامات السياسية والادارية والقضائية تؤلف من زمن بعيد حكومة
حقيقية ، باتم المعانى الحديثة لهذه الكلمة . فهى تأبى تشبيهها ببلاد فى
طفولة الحضارة ، وترى أن لها الحق الشرعى فى وضع نفسها من جميع
الوجوه فى الميزان بإزاء دول أخرى كانت خاضعة فيما مضى من الأيام
للحكم التركى ثم تمتعت من يوم تحريرها بنظام دستورى شبيه بالنظام
الذى نطالب به .

الامضاء

حسين رشدى

« فى كلا المجلسين لايجوز البحث فى شئون الدين العمومى وبصفة عامة فى جميع التعهدات والالتزامات الناشئة عن اتفاقات دولية »

« وانى اضيف فى هذا المقام بصفة عرضية لأجل استيفاء بيان الضمانات المالية التى تعرضها على دائئينا أننا لا نمانع مطلقا فى قبول هيئة أو مستشار مالى تكون موافقته ضرورية :

١ - لأجل أبة زيادة فى المصروفات طالما لم يوجد احتياطى عام يتجدد مقداره .

٢ - لأجل أخذ أى مبلغ من هذا الاحتياطى .

٣ - لأجل عقد أى قرض .

« ويكون موكولا الى هذه الهيئة أو المستشار المالى من الجهة الأخرى السهر على دفع مجموع المال المتحصل من الضرائب العقارية الى صندوق خاص لحين وفاء المبلغ اللازم لتسديد فوائد واستهلاك أصل الدين الممتاز والدين المضمون وكذلك للمحافظة على بقاء الاحتياطى الخاص والرصيد المخصص لادارة الحركة وهما الأمران المخولان الآن لصندوق الدين » [٩٩]

(ج) يكون الوزراء مسئولين بطريق التضامن أمام مجلس النواب عن السياسة العامة للحكومة ويكون كل منهم مسئولا عن كل عمل من أعمال ادارته يخالف القانون .

ان السير وليم برونيت يتكلم عن مسئولية الحكومة البريطانية أمام الجاليات الأجنبية وأمام حاهلى القراطيس المصرية (١) . فهذه المسئولية تغطيها الضمانات التى تفرضها تغطية كافية وافية . ولكن هناك مسئولية أخرى ملقاة على عاتق الحكومة البريطانية وقد أغفل السير وليم برونيت الكلام عليها : تلك هى مسئوليتها أمام الشعب المصرى . ان بريطانيا العظمى ملزمة أدبيا بأن تضمن للشعب المصرى وجود حكومة قائمة على المبادئ المقررة فى القانون العام الحديث فمسئولية الوزراء أمام نواب الأمة تتكفل بهذا الالتزام . فشتان ما بين هذا وبين مشروع الاصلاحات الدستورية الذى وضعه السير وليم برونيت . نعم ان العناية بمرافق ١٥٠٠٠٠ فرد هم مجموع الجاليات الأجنبية فى مصر (٦٢٩٧٤ يونانيا ، ٣٤٩٢٦ ايطاليا ، ٢٠٦٥٣ انجلىزيا ، ١٤٨٩١ فرنسا ، ٧٧٠٥ روسيا ، ٢٤١٠ روسيا ، ١٨٤٧ ألمانيا ، ١٩٥٨ من الملل الأخرى) .

(١) أى الدائنين الأجانب للخزينة المصرية .

ثانيا : اذا كان أحد النواب قال للسير ولیم برونيث ان المجلس الحالى تنقصه الخبرة الفنية الكافية لبحث مشروع قانون عن السفانج (الكمبيالات) فاني أسائل السير ولیم برونيث كم رجلا من بين المستشارين وغيرهم من الموظفين الانجليز في مصر الذين يريد أن يوليهم منصب التقنين يستطيع أن يبحث مشروع قانون كهذا بحث خير ملم بأطراف الموضوع .
ان المجالس النيابية كلها تدرس المسائل الفنية وتفصل فيها بناء على تقرير ذوى الخبرة الفنية . ومجلسنا كان له أيضا أن يستعين بآراء رجال الفن للبت في مشروع كهذا . ثم اننا لاننكر هنا أننا انما نطلب حق التقنين فيما يختص بنا نحن المصريين . أما القوانين التى كان يجب بحكم الامتيازات الحصول على تصديق الدول عليها لجعلها نافذة فى الأجانب (كما هو الحال بالنسبة لمشروع القانون الخاص بالسفانج) فانا نقبل بشأنها نظاما خاصا .

« والنظام الدستورى الذى يجب منحه لمصر ينبغى ان يكون فى اجهاله :

(أ) « مجلس نيابى ومجلس عال (مجلس أعيان) يؤلف كلاهما من المصريين دون سواهم ويختار أعضاء مجلس النواب بطريق الانتخاب . وأما أعضاء مجلس الأعيان فيعينهم ولى الأمر لمدة حياتهم من بين الوزراء وكبار موظفى الحكومة السابقين .

(ب) « لا يصدر قانون الا بعد تصديق المجلسين عليه واعتماد السلطان له . أما القوانين التى كان تنفيذها فى الأجانب على عهد الامتيازات يقتضى مصادقة الدول عليها ، فهذه القوانين لا يسرى احداها عليهم الا بعد قبول بريطانيا العظمى باعتبارها حالة محل الدول ويجب ذكر هذا القبول فى ديباجة القانون نفسه قبل ايراد نصوصه وأحكامه .

« وما هى الهيئة التى تستشيرها الحكومة البريطانية لأجل ابداء قبولها أو رفضها ؟ انى أقترح أن يكون ذلك موكولا الى المحكمة العليا مجتمعة بهيئة عامة أى بجميع غرفها وبعد أن ينضم اليها بعض عناصر أجنبية منتخبة كالمحلفين بالجلسات التجارية ، مثلا ، فهذه الطريقة تشابه الطريقة المتبعة الآن لسن القوانين المختلطة مع بعض التحسين فيها (المادة ١٢ من القانون المدنى المختلط) .

هذا فيما يتعلق بضمان مصالح الجاليات الأجنبية . وأما الوسيلة المؤدية الى ضمان مصالح حاملى قراطيس الديون المصرية ، فتكون على الوجه الآتى :

هذا البلاغ ، فانه لا يتضمن لا من حيث المنطوق ولا من حيث المفهوم انقاصا في حقوق مصر . والحال أن السير ولیم برونيت ينوى اصابتها بنقص من هذا القبيل ، اذ أنه يريد أن ينتزع منها حق سن القوانين بنفسها لنفسها ، بل ان ذلك البلاغ يؤخذ منه بالعكس أن بريطانيا العظمى قصدت أن ترفع مصر فوق المستوى الذي كانت فيه حينئذ وذلك لأنه يتضمن الإشارة الى زوال بعض القيود التي كانت مفروضة على مصر بمقتضى الفرمانات العثمانية . وفي الواقع لا يمكن العقل أن يتصور كيف أن الحماية من الوجهة المنطقية تقضى بتخفيض شأن مصر ، فان بريطانيا العظمى لم تجد الى ذلك العهد ما يدعوها الى توجيه أى ملام الى مصر ، ولم يحدث بعد ذلك العهد الا كل ما يوجب الغبطة بها والاستقباح منها . فلقد جاءت بريطانيا العظمى الى مصر في عام ١٨٨٢ بدعوة من ولى الأمر حينئذ لقمع فتنة عسكرية ، وقابلتها جميع الطبقات الرزينة من السكان مقابلة الصديق لصديقه ، وقام ضباط أركان حرب المصريون بمؤازرتها في مهمتها بتقديم المعلومات والخطط الى هيئة أركان حربها . وعندما اشتبكت بريطانيا العظمى في الحرب مع تركيا بقيت هادئة بل جنحت الى تمام السكون وذلك بالرغم من اضطراب الضمائر اضطرابا خطيرا من الوجهة الدينية بسبب الخلافة . بل ان مصر تعدت ذلك الموقف أيضا فبذلت للجيش البريطاني معونة من أفضل وجوه المعاونة الفعلية ، فجعلت تحت تصرف القائد العام جميع مواردها من مال ومؤونة ووسائل نقل ورجال ، فأرسلت الى فلسطين جيشا للمساعدة المستديمة يبلغ عدده ١٧٠٠٠ مصرى (فرقة العمال وفرقة الجمالة) ، ولقد أوجب استبقاء هذا الجيش بهذا العدد على الدوام استخدام نحو مليون ونصف مليون من رجال مصر . ولقد اعترفت هيئة أركان الحرب البريطانية وفي مقدمتها القائد العام اعترافا جاهرته به على رؤوس الأشهاد بالمعاونة التي قامت بها مصر للجيش البريطاني .

« ولست أريد التوسع في التعرض للآراء المؤلفة التي أبدتها السير ولیم برونيت عن المستوى السياسى للبلاد المصرية . ولكن أكتفى بالإشارة في عرض الحديث الى الملاحظتين الآتيتين :

أولا : اذا كان المفكرون من أبناء مصر لم يكن لهم نصيب فعلى أكبر في أعمال اللجنة المؤلفة لتنقيح القوانين بقصد التوصل الى إلغاء الامتيازات الأجنبية فانما ذلك راجع الى أن السواد الأعظم منها كان يرى فى بقاء النظامات الدولية في مصر ضمانا ضد مطامع الضم التي يرمى اليها غلاة أنصار التوسع الاستعماري من رجال الانجليز كصديقي السير ولیم برونيت .

« أفهل من الجائز أن يفرض على مصر - وهي التي كانت في أيام سيادة الأتراك الاسمية عليها متمتعة باستقل ذاتي تام - مشروع للاصلاحات الدستورية كهذا المشروع ، وذلك في وقت يدور فيه البحث على اقامة دول مستقلة لأقوام ليس لهم من الخبرة سوى ميزة العنصرية ، وقد كانوا بالأمس عبارة عن مجرد ولايات بسيطة يحكمها الأتراك ؟ ليت شعري أصبح عرض ذلك على مصر في الوقت الذي يجاهر فيه أولو الحل والعقد في بلاد الخلفاء من أعلى المنابر وعلى رؤوس الأشهاد بما للشعوب الصغيرة من الحق في حكم نفسها بنفسها والهيمنة على ادارة أقدارها وشئونها ، بل بعد أهرق عشرة ملايين من رجال الخلفاء دماءهم لفوز مبادئ الحرية والعدل ؟

« هذا ولقد ذهب السير وليم برونيت مذهبا مستنكرا حينما يقول في مذكرته أن حق الشعوب الصغيرة في حكم نفسها بنفسها وتولى ادارة شئونها هو أمر مقبول بالنسبة للشعوب التي تتألف من أمة متجانسة وليس هذا حال مصر . ولعمري أن القارئ المصري ليتحول وجهه بإزاء مثل هذا المذهب الى صحيفة مرقومة كلها بعلامات التعجب والاستههام . والسير وليم برونيت يؤيد مذهبه هذا بوجود جاليات أجنبية في مصر ، ولكن هل كان في تدفق السيل الألماني والسيل النمساوي على فرنسا وانكلترا قبل الحرب ما يمنع توافر التجانس في كل من هذين البلدين ؟ نعم ان الأجانب في مصر يتمتعون ببعض امتيازات مستنبطة من معاهدات قديمة وعادات عتيقة يعتبر بقاؤها اليوم من الأمور المناقضة لروح العصر . ولكن هذه الحال الخاصة لا يمكن الاستناد عليها لزماننا اليوم . ومن حقنا في حكم أنفسنا وتولى شئوننا بأنفسنا وهو الحق الذي كنا ولا نزال نتمتع به قانونا الى الآن .

[٩٤]

« يقول السير وليم برونيت : ولكنكم تحت حماية بريطانيا العظمى فأجيب على ذلك أن حقنا في سن شرائعنا بأنفسنا لا يتنافر مطلقا مع حماية تكون متلائمة بوجه صحيح وفكر سليم مع ظروف البلاد وأحوالها . ان الحماية ليس معناها الضم والاستلحاق ولكن مشروع الاصلاحات الدستورية الذي وضعه السير وليم برونيت يقرب الحماية الى ضم مجرد بسيط ، ولتأييد مشروعه يتمسك بالبلاغ المرسل من الحكومة البريطانية الى المرجوم السلطان السابق ولكن يلاحظ أولا أن هذا البلاغ صدر في وقت لم تكن فيه المبادئ العامة للحرية والعدل قد بلغت الشأو الذي وصلت اليه في طورها الحالي ، ثم ان هذا البلاغ يؤدي على أية حال الى استبعاد المشروع الذي يجنح اليه السير وليم برونيت ، وحسبنا أن نقرا

[٩٥]

فانبرى للرد عليه دولة حسين رشدى باشا بمذكرة مفصلة (١) وطبعت هذه المذكرة وأذيعت فى جميع الاوساط ، فكان لها أثر كبير فى فتح أعين الأمة الى ما يدبر لها من القضاء على كيانها كأمة مستقلة . وزاد اعجاب الأمة بموقف رشدى باشا وها هو نص المذكرة :

مذكرة حسين وشدى باشا

[٩٢]

« ان الانسان ليستغرق فى الذهول كأنه فى حلم عميق ويبهت من الدهشة التى تصدمه عندما يطلع على مشروع الاصلاحات الدستورية الذى قدمه السير وليم برونيت .

« هذا المشروع - وما أدراك ما هذا المشروع - يتلخص فيما يأتى :

اولا : مجلس نواب مصرى ولكن استشارى محض - مجلس أعيان له السلطة التشريعية فعلا ومؤلف من أعضاء رسميين (هم الوزراء المصريون والمستشارون الانكليز ومن فى مرتبتهم من الموظفين الانجليز (٢) الآخرين) . ثم من أعضاء منتخبين (١٥ أجيبيا و ٣٠ مصرياً) ولكن بحيث أن اجتماع الأعضاء الأجانب المنتخبين مع الأعضاء الرسميين تتكون منهم الأغلبية فى مجلس الأعيان » . « فترى أن شزيمة من الأجانب (الأعضاء المنتخبين بمجلس الأعيان والمستشارين والموظفين الانكليز الآخرين) مع معانوة ستة أو سبعة من الوزراء - غير مصريين ، ولكنهم مسئولون أمام الحكومة الانجليزية ترى هذه الشزيمة تقنن لمصر ، فهى تسن القوانين لا فيما يتعلق بالأجانب وحدهم ، بل فيما يسرى أيضا على المصريين أنفسهم ، وحينئذ فلو أن ممثلى الأمة فى مجلس النواب وفى مجلس الأعيان رفضوا المصادقة على مشروع من مشروعات القوانين فان هذا المشروع يكتسب القوة القانونية رغما عن ذلك ويصبح نافذاً فى المصريين ، وما ذاك الا لأن العناصر الأجنبية فى مجلس الأعيان قد تكون قررت بمعاونة بضعة وزراء مصريين غير مسئولين أمام الأمة .

[٩٣]

ثانيا : ولايقف الأمر عند هذا الحد فان مشروع السير وليم برونيت يجيز أيضا فى الأحوال المستعجلة تقديم مشروع القانون الى مجلس الأعيان مباشرة دون عرضه أولا على مجلس النواب .

(١) أرسلت المذكرة الى رئاسة مجلس الوزراء والى دار الحماية .
(٢) مرة يكتبها الانكليز ومرة يكتبها الانجليز فى أصل المذكرات .

من الوفد المصرى

الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

كما أرسل الشكوى الآتية الى الدكتور ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى ١٦ فبراير ١٩١٩ :

« رئيس مندوبى الولايات المتحدة

[٩١]

بسفارة الولايات المتحدة

بباريس

« سمع المؤتمر أخيرا بصفة رسمية أقوال مندوبى سوريا النى كانت جزءا من الدولة التركية ولازال ممتنعا عن سماع صوت المصريين . فهل من المقبول أن اقساما معادية للحلفاء تصل الى الادلاء بباطلها وان مصر التى اشتركت فى أعمال الحرب فى صف الحلفاء تحرم من هذا الحق ؟ »

« ان المركز القاسى الذى تضعنا فيه انجلترا ليفوق فى مناقضته للمعقولى كل ما يتصوره العقل البشرى .

« فمصر وهى وحدها التى حيل بينها وبين العالم المتمدين تضرع الى مؤتمر الصلح أن ينقذها من هذا العناء .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من عادة الانجليز ان يعملوا فى البلد الذى يحتلونه أو يستعمرونه عمل المقيم فيه أبد الدهر وان كانوا يعلمون أن لا حق لهم فى الإقامة فيه بل ولو علموا أنهم على وشك الخروج منه . تلك خطتهم التى يسيرون عليها . وتطبيقا لهذه القاعدة تراهم فى الوقت الذى كانت فيه الأمة المصرية ثائرة تطالب باستقلالها وتسعى للخلاص من الحماية الانجليزية بكل ما فى وسعها كان النسير وليم برويت مستشار وزارة الحفانية يضع مشروع قانون نظامى (١) المدولة المصرية يقلب جميع الأوضاع القضائية والمالية والسياسية ويجعل المصريين اأانب فى بلادهم .

[٩٢]

(١) أى : دستور .

« ان الحلفاء ما فتئوا يصرحون جهرا بأنهم انما خاضوا غمار الحرب لتحرير الضعفاء وتحكيم مبادئ العدل فى الأرض ، فهل لمؤتمر الصلح ان يقضى على ما تأتية انجلترا معنا من ضروب السياسة المناقضة تمام المناقضة لهذه التصريحات وأن يساعدنا على اقرار هذا العدل فينا ؟ »

« ان انجلترا لم تقف عند حد ما عاملت به الوفد المصرى بل هى اتخذت دستور البلاد هزوا . اذ هى تركتها من ٢ ديسمبر للآن بلا وزارة ؟ ذلك أن رئيس مجلس الوزراء ووزير المعارف طلبا بموافقة السلطان أن يشخصا الى لندرة للمفاوضة مع رجال الحكومة هناك فى شأن نظام مصر المستقبل . ولكن لسلطات الانجليزية أثبت عليهما السفر أول الأمر فهاجها هذا الحجر فقدا استقالتهما وأيداها مرتين . وبعد شهرين أذن لهما بالسفر ولكنهما لما شاهدا البلاد قائمة قاعدة تدوى كافة أرجائها بنصرة الاستقلال التام أيقنا ألا فائدة من السفر مادام الأهالى ممنوعين عن التوجه لعرض مطالبهم الوطنية على مؤتمر الصلح . ومن أجل هذا اشترطا لسحب استقالتهما رفع الحجر عن المصريين . »

[٩٠]

« تلك حال مصر التى لها بمقتضى ما وضعه المؤتمر من المبادئ أن ترسل مندوبين يمثلونها فيه فانها لم تقتصر على قطع علاقاتها مع دول الوسط (١) بل هى اشتركت فعلا فى الأعمال الحربية . ان هذا حق لا مراء فيه . وحرمان مصر من التمتع به لا يكون الا سكوتا عن الحق من جانب القضاة الذين بيدهم ميزان العدالة . »

« المهم ان ذلك السلام الدائم الذى تصبوا اليه الدول لعسير تحقيقه ما لم تحل جميع المسائل حلا نهائيا مرضيا . والبت فى مصر مصر بدون سماع قولها انما هو استيفاء لمشكلة هى من أمهات المشكلات لتعلقها بأهم بلد فى القارة الأفريقية ، وبقاء هذه المشكلة قائمة لا يكون من ورائه الا دوام استياء المصريين وسخطهم ، وليس هذا بمتفق مع ما تسعون اليه من السلام المقيم . »

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الإمضاء (سعد زغلول)

(١) دول الوسط التى ضمت كلا من امبراطورية النمسا - المجر والامبراطورية الألمانية ثم من انضم اليهما فى حربهم ضد الحلفاء (فرنسا - بريطانيا - روسيا) ثم من انضم اليهم .

« على أنه قد مضى عشرة أيام على الأقل بعد الوقت الذى لابد أن يكون المندوب السامى وصل فيه الى لندرة • ومع ذلك فلم يصلنى جواب ما •

« يستحيل على أن أقبل اى ناخير جديد واننى اعنبر فى حل من القيام ولو مؤقتا بأى عمل ، حتى ولو كان مستعجلا فأعود الى التمسك بكتائى المشار اليه المؤرخ فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ ، والتمس من عظمتكم بكل الحاح انهاء حالة شاذة قد زاد طول العهد عليها •

« واننى لعظمتكم يا مولاي العبد المخلص والهادم الأمين المطيع » •

القاهرة فى ١٠ فبراير ١٩١٩

(حسين رشدى)

[٨٩] وكان الوفد يقظا يستفيد من كل ظرف طارىء لخدمة القضية المصرية ، فعمل على اذاعة آراء السير برسيغال • ورد سعد باشا عليه وعمل أيضا على الاستفادة من موقف رئيس الوزراء رشدى باشا •

والحق أن هذا الموقف قد أفاد القضية المصرية فائدة عظيمة ، فقد أظهر أن الأمة متضامنة فى مطلبها لا فرق بين الحكومة والشعب ، وأذكى روح الحماسة فى نفوس الجمهور • وخلق فى البلد موقفا شاذا هو خلوها من حكومة كان له أكبر الأثر فى الحركات التى قامت بعد ذلك الوقت •

[١٨٩] وكان كل يوم يمر يضاعف القلق واضطراب الخواطر واهتياج الشعور ورأى الوفد ألا تفوته هذه الفرصة من غير أن يبلغها الى مؤتمر الصلح فأرسل الشكوى الآتية الى الميسو كليمنسو رئيس المؤتمر فى ١٥ فبراير ١٩١٩ :

[٨٩ب] « أرسلنا لجنايبكم عدة تلغرافات لم يصل لنا رد عليها فحزنا فى الأمر وأخذنا نتساءل هل منعت شدة المراقبة التى تخلق صوت المصريين وصولها اليكم ، اذ لا نستطيع أن نتصور أن ضميركم الشريف لا يثور غضبا لو كنتم علمتم بما تسام به أمتنا جميعها من صنوف المعاملات • كما لا نتصور أن مؤتمر الصلح وهو المجلس الأعلى للقضاء بين الشعوب يسمح ان تنتهك حرمة أمة ما مثل هذا الانتهاك وأن يحجر على بنيتها الاتصال بباقي العالم المتمدن وأن تكلم أفواههم وتكسر أقلامهم • أهلة سوى أن الدولة المحتلة تريد ارهاقهم بمطامعها السياسية •

بعد ذلك اعلن الرئيس انفضاض الجلسة . ومما يجدر ذكره أنه أثناء ابداء هذه الملاحظات وعقب ابدائها أظهر الحضور ارتياحا كبيرا لما يصطنعه لموافقتها لل رأى العام المصرى .

تصميم رشدى باشا على الاستقالة

[٨٧]

لما كرر رشدى باشا تقديم استقالته والح فى قبولها وفشلت المساعى فى حملة على سحبها ، أراد المندوب السامى ان يقنعه بالعدول عنها ، فوعده وأكد له الوعد بأنه عندما يصل الى لندن يبذل جهده فى فناع الحكومة الانجليزية فى التصريح له ولزميله عدلى باشا بالسفر الى إنجلترا .

ولكن لما وصل السير ونجت الى لندن ومضت المدة الكافية لاقتناع الحكومة الانجليزية باصدار هذا التصريح ولم يرد منه شيء . قدم رشدى باشا العريضة الآتية الى عظمة السلطان وهى :

« يا صاحب العظمة السلطانية :

[٨٨]

« على اثر كتابى المرفوع الى سدة تكم العلية بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ الذى ألححت فيه ذلك الاحاح على عظمتكم بقبول استعفائى قد كنت رضيت من باب التوفيق بالاتفاق الآتى بيبانه : وهو أن صاحب المقام الجليل المندوب السامى ينتهز فرصة سفره الى لندن فيشرح شفها للحكومة البريطانية أننى بعد وصول الحالة الى الحد الذى بلغته أصبحت لا اكتفى بما عرض على وقتئذ من سفرى أنا وزميلي عدلى باشا الى لندرة فى النصف الأول من فبراير واننى أشترط لسحب استعفائى شرطا أساسيا وهو اباحة السفر الى أوروبا لمن يطلبه من المصريين . وكان من ضمن ذلك الاتفاق ورود جواب الحكومة البريطانية بالتلغراف فى بحر مدة مناسبة بعد وصول المندوب السامى الى إنجلترا . وأنه اذا كان هذا الجواب سلبيا فان عظمتكم تقبلون استعفائى فورا . وأنى فى أثناء هذه الفترة أبأشر بصفة وقتية محضة تسيير الأمور المستعجلة ، الأمر الذى دعانى للتوقيع على مرسوم تجديد المحاكم المختلطة منعاً لوقوف سير القضاء .

ومالوفاتها العلمية • ثانيًا : أن تقوم الأدلة على ضرورة وضعها كالأحصائيات وقضاء المحاكم وآراء أهل الفن •

« لست أنكر الفائدة من مناقشة مشروع جديد لهذه الجمعية ولكني ألاحظ أن موضوع المناقشة الآن ليس مجرد مذهب علمي في مسألة بعينها وإنما هو أعظم من ذلك بكثير هو أمر يمس حالتنا السياسية والاجتماعية مما لا يصح أن يتخذ هذا المنبر أداة له (يريد منبر خطابة الجمعية) •

« استمحيكم القول بأنني أخشى كثيرا أن يكون في بحث هذا الموضوع في هذه الجمعية العلمية خروج بها عما وضعت له • وأن يتخذ ذلك وسيلة للقول برضا الأمة بهذا التقنين وأن يستغنى به عن مناقشات الجمعية التشريعية التي هي الأداة التشريعية النظامية في البلاد •

« وأشار حضرة المحاضر الى أنه تحول على الجمعية التشريعية مشروع ينضمن تعديلا في نصوص القانون الخاصة بالضربات والجروح ولم نفعل فيه شيئا • نعم ان هذا المشروع تحول عن لجنة الحقانية التي أنا رئيسها فرأت أنه يلزمها للاقتناع بضرورة التعديلات المعروضة بيانات واحصاءات طلبت من وزارة الحقانية تقديمها اليها وكررت هذا الطلب عدة مرات حتى انتهى دور انعقاد الجمعية ولم ترد هذه البيانات • [٨٦]

« رأيت أنه من واجبي أن أبدي لحضراتكم ما قدمت من الملاحظات ، ولكن هناك أمر آخر هو أهم ما يجب التنبيه اليه • قد تكلم حضرة المحاضر عن الباب الثاني من المشروع وفي هذا الباب ما يتعلق بحالة سياسية لا وجود لها الآن بمصر • ان بلادنا لها استقلال ذاتي ضمنته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى • وعشنا يحاولون الاعتماد على ما حصل من تغيير هذا النظام السياسي أثناء الحرب • انكم أيها السادة تعلمون وكل علماء القانون الدولي يقررون أن الحماية لا تنتج الا من عقد بين أمتين تطلب احدهما أن تكون تحت رعاية الأخرى وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية • فهي نتيجة عقد ذي طرفين موجب وقابل ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلا •

« وفي سنة ١٩١٤ أعلنت انجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية فهي حماية باطلة لا وجود لها قانونا • بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنتهي بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة » •

مذكرات عبد الرحمن فهمي - ١١٣

ومى يوم ٧ فبراير كان جنبه يلقى القسم الأخير من المحاضرة وكانت القاعة غاصة بجمع كبير من عظماء الوطنيين والأجانب وفي مقدمتهم وزير الحفارية (١) ومستشارها (٢) ووكيلها (٣) وكثير من رجال القضاء والمحاماة فى المحاكم الأهلية والمختصة وغيرهم • وحضرها سعد باشا وأخوانه أعضاء الوفد ومعهم كثير من المشتغلين بالحركة الوطنية فامتلات بهم القاعة ولم يبق بها موضع لقدم •

وما كاد المستر برسيفال يفرغ من القاء محاضرتة حتى قام سعد باشا وأبدى الملاحظات الآتية • قال :

« أيها لسادة :

[٨٤]

« انى أشكر حضرة المحاضر على ما قاله من أنه يريد أن يكون لمصر فى المستقبل شرع خاص • ولكنى أقول لحضرتة أن هذا الشرع موجود فعلا منذ أمد بعيد - ان أمتنا المصرية ليست من قبيل الأقوام الهمج الذين ليست لهم شرائع مقرررة • وأيما بلد ما كبلدنا تكون له حياة عريقة فى القوانين والشرائع فان من الخطر أن يعمد الى تغيير كل فى شرعه بدون أن تدعو الضرورة لذلك ، أو تهدى اليه التجربة والاختيار •

« ان قانون العقوبات المصرى المأخوذ عن القانون الفرنسى جرى عليه العمل من زمن طويل • فهو جزء من محصولنا القانونى تشريته أفئدة قضائنا ومحامينا وسرى فى أخلاق الأمة سير الدم فى الجسد • قد يكون فى المشروع الذى تكلم عنه حضرة المحاضر بعض نصوص صالحة فى ذاتها • ولكنى لا أرى محلا لقلب التشريع الموجود الآن رأسا على عقب من الأرض الى السماء ومن السماء الى الأرض •• ان فى ذلك ضرا عظيميا بما ألفه لناس فى هذه البلاد من المعلومات القانونية • ولكن يظهر أن المراد هو التخلص من النظريات والتقاليد المؤسسة عليها هذه المعلومات •

[٨٥]

« لأجل وضع نصوص قانونية مكان أخرى موجودة من قبل ينبغى أولا أن تكون هذه النصوص الجديدة متفقة مع أخلاق البلاد وعاداتها

(١) عبد الحالى ثروت باشا •

(٢) المستر ايموس •

(٣) محمد شكرى (انظر : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ص ١٠٤) •

« حقا انه ليس لنا المداخلة فى شىء من هذا اذ كله يدخل ضمن الدائرة السياسية الخاصة بحليفتنا الكبيرة وان المسيو بيشون لا يتأخر عن تنبيهنا لواجباتنا ان تطرف أحد منا مثل فرنكلين بيريون ووجه اليه سؤالا عن مثل هذه الأمور .

« نعم ان المسألة المصرية فى ذاتها ليست من اختصاصنا ولكن الذى من اختصاصنا نحن الفرنسيين كسائر ذوى الشأن فى الحرب هو النظر فى أمر السلام الذى ضحينا من أجله بكل شىء ، وكيف يستتب فى المستقبل فى كافة البقاع التى يمكن أن يكون مهددا فيها .

« اذن فهذا وحده سبب كاف يسوغ لنا حق المداخلة لمصلحة كل من كان نظامه السياسى موضعاً للنزاع من بعض الوجوه أولئك الذين ربما قاموا عاجلا أو آجلا بأعمال يكون من شأنها العبث بسلام العالم فى المستقبل » .

رد رئيس الوفد المصرى على مستر برسيغال المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية

[٨٣]

فى الوقت الذى كان الوفد مشغلا فيه بإرسال بياناته واحتجاجاته الى أعضاء مؤتمر السلام من أمريكيين وفرنسيين وإنجليز وإيطاليين .

وفى الوقت الذى كانت الأمة المصرية مشغلة فيه بأمر مستقبلها يسعى كل فرد منها لتعرف حقائق الأمور وما وصل اليه سعى الأقطاب والزعماء .

نقول فى هذا الوقت نفسه كانت السلطة الانجليزية تعد القانون الذى وضعه السير برونييت (١) المستشار القضائى بوزارة الحفانية المصرية .

وفى أوائل شهر فبراير ١٩١٩ كان المستر برسيغال المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية يلقى فى جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع محاضراته عن مشروع قانون العقوبات .

(١) كان المشروع الذى أعده السير وليم برونييت يهدف الى إنشاء مجلس شيوخ تسيطر عليه غالبية من الأوروبيين ومنتخبا سلطات أعلى من السلطات التى يملكها مجلس النواب المكون من المصريين . F.O. 407/184 No. 152 Memorandum by Sir R. Graham on the Unrest in Egypt.

فى الدلالة على تعسف السلطات وعدم اكتراث مؤتمر السلام بهذه
المظالم نقتبس منها ما يلى :

« الأمم المنتظرة فى الدهليز »

[٨١]

بينما الفكرة الأساسية للمؤتمر تتحدد بجلاء وبينما تضافر الأمم
يتكون فى شكل عصابة أو جمعية • لازل بدელიز المؤتمر شعوب واقفة
تطلب بالحاح أن يكون لها من يمثلها ، فهل الرئيس ولسن سيسافر
قبل صدور قرار بقبولها ؟ وهل سيسمح بسماع لينين ومندوبيه رسل
العصابات ولا تنال كل الأمم الأخرى المضطربة المركز شيئا من هذه
الرعاية ؟ •

وبعد أن تكلم صاحب المقالة عن سوريا وأرمينيا وتساءل عمن
سيسمح لهم بالكلام باسم هذه الشعوب انتقل الى مصر فقال ما ترجمته
حرفيا :

« أهذا كل ما هنالك ؟ كلا • بل هناك أمم أخرى محكوم عليها
بما نسميه « البكم الرسمى » أليس صحيحا أن المصريين التمسوا عطف
المؤتمر على مصالح مصر ؟ •

« أليس صحيحا أن وفدا منهم تكون تحت رئاسة سعد زغلول
باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ؟ •

« أليس صحيحا أن سعد زغلول باشا ورفيقه رشدى باشا وعدلى
باشا كانوا قد حصلوا من السير ونجت المندوب السامى البريطانى على
وعد باعطائهم جوازا للسفر وتصريحا بدخولهم جلسات المؤتمر الثانوية
لأن باريس ليست هى ستوكهلم ؟ •

« أصحيح أنه لما صار تسويق الوفاء بهذا الوعد امتعض المصريون
على خلاف ما هو معروف عنهم من التناهى فى الامتثال والولاء ؟ •

[٨٢]

« أصحيح أن هذا الامتعض قد كان مظهره هجر المناصب الوزارية،
وأنه من أواخر نوفمبر لم يوجد مصرى واحد يقبل مسئولية تشكيل
الوزارة تحت رعاية بريطاتيا العظمى ؟

« أصحيح أن المصريين لم يوقفوا هذا الموقف مدفوعين بعوامل
حزبية متطرفة ، بل الذى دفعهم اليه انما هو خيبة ظن رجالهم الذين
كانوا ينتظرون قرارا دوليا يحقق بالفعل تلك الأقوال التى صرح بها
رجال السياسة من الانجليز أنفسهم ؟

« أصحيح أن هذه المسألة تضر بالمنزلة التى للسلطان فؤاد
لدى الجمهور ؟ •

الآن • قمؤتمر الصلح لا يسعه وهو يسير على قاعدة العدل المجرد عن
التهوى الا أن يقرر خلوص الاستقلال التام لها ، ولا عبرة لها بالاحتلال
لكونه مؤقتا وفعليا ولا بالحماية لكونها وضعت أثناء الحرب وبلا رضا
من المصريين بها •

« ان مصر لا حاجة لها بوصاية الغير ؟ ولا حمايته بل هي اهل لادارة
شئونها بنفسها وللقيام بما عليها من الواجبات فى سبيل المدنية
والعمران • وعبتنا يحاول خصومنا التذرع بالمصالح الأجنبية وضروره
حمايتها • ان هذه المصالح لا شئ يهددها بل نحن مستعدون استعدادا
صادقا لقبول كل ما تقرره جمعية الأمم من الضمانات الكافلة
لصيانتها • [٨٠]

« ان أملنا فى النجاح قائم على ما لدينا من الثقة المطلقة فى ألا هواده
فى المبادئ التى أقرها المؤتمر وأن ليس عند الأخذ بها من محيص •
وهى تقتضى عليه بسماع أوجه دفاعنا قبل البت فى قضيتنا •

« وانا نرجوكم أن تتنازلوا لعرض طلبنا هذا على المؤتمر ولنا
وطيد الأمل أن تعيروهم من على عنايتكم وجميل تعضيدكم •

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(سعد زغلول)

نائب فرنسى

يستجيب لدعوة مصر

بالرغم من المجهودات العظيمة التى بذلها الوفد وبالرغم من لهجة
تلغرافاته التى تحرك أجند العواطف وأصلب الارادات فان صوتا من
أصوات هؤلاء السادة الرسميين الذين استغاث بهم الوفد بأمريكا
وانجلترا وفرنسا وايطاليا لم يستجيب لدعوته (١) اللهم الا ذلك
النائب الفرنسى الحر المسيو دى مونزى ، اذ أن صوته قويا بجريدة
« اللاترن » الفرنسية الصادرة فى ٥ فبراير ١٩١٩ ولأهمية مقالته هذه

(١) تشير الوثائق البريطانية ان ممثلى امريكا وفرنسا فى القاهرة كانوا ضد أى
تخفيف للقبضة البريطانية على مصر وان كان الممثل الانجليزى فى القاهرة قد لاحظ أن
ابناء الجالياتين الايطالية والفرنسية كانوا أقل تماطلا مع نظام الحماية القائم بحكم ما يترتب
عليه من ضعف مركزهم • F.O. 407/184 No. 54.

[٧٨] الأمم من الضمانات الكافلة لرعاية تلك المصالح . دون أن يكون في ذلك
مساس باستقلالها .

واننا ونحن تحت سلطان القوة القاهرة ، لا أمل لنا الا ثقتنا بأنكم
لا تتسامحون في تطبيق المبادئ التي شرعتموها وباسم هذه المبادئ
عينها نناشدكم أن تسمعوا صوت مصر قبل البحث في أمرها . وألا
تسمحوا بأن تحرم من استقلالها التام ارضاء للأقوياء .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى

الى رئيس مؤتمر الصلح

وفى يوم ٢ فبراير ١٩١٩ أرسل الوفد الى رئيس مؤتمر الصلح
تلغرافا أشار فيه الى ما سبق أن أرسله الى المؤتمر ، وطلب منه بالتحاج
أن يعرض قضية مصر على المؤتمر وهذا هو نص التلغراف :

[٧٩] « الميسو جورج كنيمنسو

رئيس مؤتمر الصلح

بباريس

« نحن وكلاء الأمة المصرية جميعها عرضنا لكم بتلغرافنا المرسل فى
١١ يناير الماضى أننا محبوسون فى حدود بلادنا ، محظور علينا السفر
لتقديم مطالبنا القومية للمؤتمر . وناشدناكم الدمة ألا تتخذوا سكوتنا
الاکراهى رضا ضمينا منا بسلطة الأجنبى التى نزلت بنا قوة واقتدار
وألا تبتوا أمرا فى مصيرنا قبل سماع أقوالنا .

« يدل ما يرد من الاخبار على أن المؤتمر مشغول الآن بأمر البلاد
التي غير الحرب مركزها السياسى ، وأن مصر نظرا لأحوالها الخاصة
لجديرة بكل عناية عند تسوية أمر مستقبلها . اذ هى حصلت على حريتها
من سنة ١٨٤٠ وآخر الروابط التى كانت تربطها بتركيا قد انقطع

بكل ما تستطيع من الهدوء والسكينة لهو استمرار لتلك السياسة المخالفة
للحق والعدل اللذين اتخذهما العالم قاعدة لنظامه الجديد .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى

الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

وأرسل الوفد فى نفس اليوم أيضا التنازلات الآتى : الى الدكتور
ولسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة وهو :

[٧٧] الدكتور ودرو ولسن

رئيس الولايات المتحدة

بباريس

نحن المصريين محبوسون فى حدود بلادنا ولكننا لم نياس من أن
تشم لنا المبادئ السامية التى وضعتوها للسياسة الدولية الجديدة .
فان مصر بمركزها الخاص أولى بانطباق مبادئكم الحرة من كل ما عداها
من الأمم الصغرى التى تغير مركزها السياسى بنتائج الحرب . والتى هى
اليوم محل للبحث فى تعيين مصيرها . أنها قد نالت حريتها فعلا من
سنة ١٨٤١ . فما ننتظر من مؤتمر السلام الذى اتخذتم العدل المجيد
عن الهوى أساسا لأحكامه الا استقلالها بفك رباط السيادة التركية عنها
نهائيا . وما كان الاحتلال الفعلى البريطانى ولا الحماية التى أعلنت وقت
الحرب بدون اتفاق مع المصريين ليكسبه بريطانيا العظمى عليها أى حق .

لبست مصر فى حاجة لوصى ولا معين بل هى قادرة على النهوض
بنفسها ، واحتمال نصيبها من أعباء المدنية .

قد يقول من لهم منفعة استعمارية فى استعبادنا أن لهم وللأجانب
مصالح فى مصر ولكنكم أعدل من أن تسمحوا باستعباد أمة تاريخية بحجة
أن لغيرها فيها مصالح . على أننا مستعدون للقيام بما تقتضى به جمعية

من الوفد المصرى الى كبير وزراء الدولة البريطانية

وقد انتهز الوفد فرصة منع السلطة الاجتماع الذى دعا اليه وأرسل
الى رئيس الوزارة الانكليزية التلغراف الآتى فى أول فبراير سنة
١٩١٩ وهو :

[٧٥] صاحب السعادة المستر لويد جورج

بباريس

ان السلطة الانجليزية فى عهد رئاسة أكبر وزير من الأحرار لم
تقف فى اهتمام الحرية الشخصية عند حده منعنا من السفر ، بل غلت
فى اهتمامها الى أدق آثارها . أجل لم يكف أن طورت هذه الحرية فى
مظاهرها الوطنية بما صار اتخاذه من ضروب التضيق والتقييد على حرية
الصحافة وحرية الاجتماعات العمومية بل وصل الأمر الى المساس بحياتنا
داخل أسوار المنازل وكل هذا تحت أستار الأحكام العرفية .

ومن المستحيل علينا وقد مضى ثلاثة أشهر بعد الانتصار فى الميدان
الشرقى أن ندرك الوجه المبرر لهذا النظام الاستثنائى خصوصاً وأننا فى
١٣ نوفمبر طلبنا الغاء من مندوبكم السامى هنا فأجابنا بما يقوى فينا
هذا الأمل ، وأضاف أن المفاوضة جارية فعلاً بهذا الصدد .

ولكن السلطة العسكرية ما زالت للآن تطبق هذا النظام الاستثنائى
حتى على أمور هى من أبرأ ما يكون ومن أبعد الأشياء عن الدخول تحت
متناول القوانين العسكرية . ان سوء استعمال هذا النظام بلغ فينا حدا
يظن معه أن ما يقاسيه المصريون من صنوف الكيد وضروب التعدي على
الحرية انما هى أمور متعمدة مقصودة . على أن السلطة التى لا تحجم عن
اتخاذ أشد طرق المعاملة عسفا تفر مع ذلك من احتمال مسئوليتها علنا . [٧٦]

دعوت فريقا من أعيان البلاد وذوى المكانة فيهما ليجتمعوا عندى
بالامس اجتماعاً ودياً فأمرت السلطة العسكرية بمنع هذا الاجتماع .
فمن هذه الحادثة تستدلون على مقدار ما يعاني المصريون من جراء الأحكام
العرفية التى لم يعد الآن مبرر لبقائها .

وانا مع احتجاجنا باسم الأمة المصرية على بقاء هذه الأحكام ، نصرح
علنا بأن إقامة نظام تدعمه القوة المسلحة فى وجه أمة تطالب بحقوقها

فيناء على هذا الاعلان الصادر تحت الاحكام العرفية بتاريخ ٢
نوفمبر ١٩١٤ ، أرجو أن تتكرموا بالمدول عن اقامة هذا الاجتماع (١) .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

قائد القوات البريطانية في مصر
الامضاء (الجنرال هـ. و. و. وطن)

رد سعد باشا

ولم يكذ سعد باشا يستلم هذا الجواب حتى ارسل خطايا الى القائد
العام يسأله فيه ان كان لديه ما يمنع من ارسال اخطار لمن وجهت اليهم
الدعوة لحضور اجتماع ٣١ يناير بأن هذه الدعوة منعت بناء على امر
السلطة العسكرية ، فانه منه الرد الآتي : -

[٧٤] القاهرة في ٢٨ يناير ١٩١٩

يا صاحب السعادة :

ايما للاعلان الصادر في جريدة الاجيبيشان غازيت بتاريخ يوم الثلاثاء،
٢٨ يناير ١٩١٩ بمناسبة دعوتكم لحفلة شاي في يوم الجمعة ٣١ الجاري
أخبركم أنه لا مانع عندي من أن تنشروا اعلانا آخر تصرحون فيه أن دعوتكم
منعت قهرا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

قائد القوات البريطانية في مصر
الامضاء (الجنرال هـ. و. و. وطن)

(١) كتب السير شيتهم برقية في ٣ فبراير ١٩١٩ الى وزارة الخارجية البريطانية يشير
فيها الى أن الاجتماع كان سوف يعقد في سرادق كبير يقام الى جوار دار سعد زغلول ، وكان
سيسبب اضطرابا للأمن .
F.O. 407/184 No. 34 Cheetham to Curzon Feb. 3, 1919. Tel. No. 18.

التي أنتم أولى الانجليز برعايتها وأقدمهم على رد الحكومة الى احترامها .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

مغادرة السير ونجت المندوب السامى

[٧٢]

البلاد المصرية

وفى ٢١ يناير ١٩١٩ غادر القاهرة السير ونجت (١) المندوب
السامى تصحبه قرينته اللادى ونجت قاصدين لندن . والفهوم لدى
الجميع أن انجلترا استدعته لتأخذ رأيه فى حالة مصر وتستشيريه فى
السياسة التى يجب اتباعها فى تلك البلاد .

منع السلطة الانجليزية

عقد اجتماع الوفد المصرى

اراد الوفد أن ينبه أفكار الأمة ويوضح خطته فى العمل على نيل
البلاد حقوقها فعزم على عقد اجتماع ببيت الأمة فى يوم ٣١ يناير ١٩١٩ .

فلم تكن تعلم السلطة الانجليزية بنبا هذا الاجتماع حتى أدركت
خطره وهو اذكاء روح الوطنية فى النفوس . ولهذا أرسلت القيادة العليا
للقوات البريطانية بمصر الكتاب الآتى الى الوفد وهو :

القاهرة فى ٢٧ يناير ١٩١٩

[٧٣]

يا صاحب السعادة :

علمت أن سعادتكم تعدون اجتماعا فى منزلكم بمصر فى ٣١ الجارى
بحضره ندى الستائة أو السبعائة شخص . وانى أرى أن مثل هذا
الاجتماع قد يحلث منه اطلاق للأمن .

(١) سير فرانسيس ريجنلد وينجت : ولد سنة ١٨٦١ ، كان رئيسا للمخابرات
المسكوية فى حملة استرداد السودان ١٨٩٨ ، ثم عين سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما
للسودان (١٨٩٩ - ١٩١٦) ، وأخيرا مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر (١٩١٧ - ١٩١٩) .

كانت حتى أن رئيس الوزارة طلب أن يسافر هو ووزير المعارف لمفاوضة الحكومة الانجليزية في مستقبل مصر ، فلما لم يجب الى طلبه الا بالتسويق استقال هو وزميله في ٢ ديسمبر الماضي . وبناء على رجاء مندوبكم السامي أجل عظمة السلطان قبول هذه الاستقالة ومع ذلك فانهما أصرا عليها وامتنعا عن مباشرة أى عمل من أعمال الحكومة وفوق ذلك فان رئيس الوزارة قد جدد استقالته مرتين في ٢٣ و ٣٠ ديسمبر فلم يبق عندنا الآن وزارة أصلا ولم يعقد مجلس الوزراء منذ أربعين يوما . وعلى أن مجلس الوزراء هو السلطة الوحيدة الممثلة لمصر الآن . وبعيد عن الذهن أن يتصور شذوذا أشد من هذا في حكومة هي ذاتها من الشذوذ بمكان أحقيق برئيس مجلس النواب أن يرضى بأن نظاما نيابيا يعطل على هذا النحو .

[٧٨]

هوان لا يدري الى متى يستطيع الصبر عليه : أبتل هذا الاذلال يؤمل الانجليز في القرن العشرين أن يكسبوا صداقة الأمم ، الكتم أنفاس الحرية خاض الانجليز غمار الحرب ؟ أم أنهم انما صلوأ حرها لحماية الشعوب الضعيفة واقرار الحق والعدل في نصابهما ؟

تلك هي الأسئلة التي يطوف طائفها بأذهان المصريين كل يوم من أيام حبسنا وعند كل تصرف من التصرفات الجارية في مصر . وما ينقم الانجليز من المصريين الا أنهم غرموا لهم في حربهم مغارم شتى : كنائب مصرية مسلحة حاربت معهم جنبا لجنب . وعمالا يربو عددهم على المليون ، وأموالا ومؤنا ودواب ، وشيئا آخر لا يقل أهمية عما ذكر : وهو اخلادهم الى السكنينة التامة طول الحرب مع أن الانجليز استهانوا بكرامة المصريين وعيشوا بحقوقهم اذ أعلنوا حمايتهم على مصر بلا مسوغ من القانون ولا ضرورة من ضرورات الحرب . فعلوا ذلك نابذين ما عرضه عليهم بعض أولى الراى من المصريين من أن تعلن مصر استقلالها وتحمل مع الانجليز كصديقة حليفة لهم أعباء الحرب بقدر طاقتها .

أبعد هذا يعامل المصريون معاملة الأعداء يحصرون في بلادهم ويصادرون في حريتهم ويهانون في كرامتهم ؟ ولا شك أن هذه الحال مجهولة لدى مجلس النواب الانجليزى والراى العام والا لما دامت .

فباسم الأمة المصرية التي تعرفون قدمها في المدنية أناشدهم الشرف الانجليزى والتقاليد الانجليزية الا ما عرضتم حالنا على مجلس النواب وسعيتم بنفسكم منذ اليوم في حماية الحرية الشخصية وجعل السلطة تخلى بيننا وبين تنفيذ المهمة التي علقتهأ أمتنا في أعناقنا . لسنا ندرى أى وقع يقع التماسنا منكم ولكننا ندرى أن هذه المعاملات في العصر الحاضر ظلما وبلا مسوغ سبة للانسانية وطمس للعالم التقاليد البريطانية

غير أن الحكومة الانجليزية شئت أن تجعل بيننا وبين الشعب الانجليزي الكريم سدا لا يستطيع كسره . وزعزعت في نفوسنا الثقة بعمود الانجليز واستخفت بالحرية الشخصية والتقاليد الانجليزية من وراء الرأي العام الذي لا تشك في تأله متى اطلع على حقيقة تصرفاتها .

لسنا جمعية سرية ولا عاملين في الخفاء بل اننا نعمل لحريتنا في العلن وبالصرحة . عرضنا رأينا في أمر بلادنا يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ على مندوبكم السامي في مصر وأفضينا اليه بعزمنا على السفر الى انجلترا وعرضنا ذلك أيضا على الحكومة الأهلية (١) يومئذ فلم يقف في سبيلنا أحد فشرعنا نأخذ رأى البلاد في صيغة توكيلات تناقلها الناس وتداولوها فاذا عمال الحكومة يأمرؤن الناس بالكف عن هذه التوكيلات ويصادرونها بالقوة ، فلما احتججنا على ذلك بالتصرف المناقض للحرية كتب اليها رئيس الوزارة المصرية أن هذا من عمل المستشار الانجليزي وأن هذه التوكيلات اعتبرت مخللة بالنظام العام . وكانت تلك هي أول مظاهر خنق الحرية الشخصية في البلاد نقول خنقها وتصدقنا فيها الحوادث ، فان الموظفين الانجليز في الحكومة المصرية أخذوا يسيثون الى من أمضوا التوكيلات بطريقة لا تسمح بالشك في أنهم قد تنازلوا عن تقاليدهم القومية في احترام الحرية ، واتخذوا لأنفسهم في معاملة الناس شعارا [٧٠] لا يليق بسبأء القرن العشرين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى أن السلطة العسكرية لم تعطنا جوازات السفر الى انجلترا فسألنا المعتمد السامي التوسط في الأمر ، فكان جوابه أنه بعد أن استشار حكومته لا يستطيع التدخل في أمر السلطة العسكرية . طريقة جميلة لخنق الحرية بحبل من حرير . ولكنها مع ذلك أصرح ما يكون في الدلالة على نية الحكومة الانجليزية بالنسبة للمصريين .

احتججنا تلفرافيا الى رئيس الوزارة الانجليزية على هذا الحبس في ٤ ديسمبر ١٩١٨ فلم يجبه احتجاجنا نفعا الى اليوم . وكان الحكومة الانجليزية تريد أن تكرهنا على السكوت وأن تقدم الى مؤتمر السلام هذا السكوت الاكراهي دليلا على رضانا بحمايتها .

ليس في التعبير بالحبس ، عن منع السلطة ايانا من السفر شيء من الغلو ، فان المصريين الآن محبوسون حقيقة في حدود بلادهم من أكبر كبير الى أصغر صغير لا يعطى أحد منهم جوازا بالسفر الى أية جهة

(١) يقصد الحكومة المصرية .

من الوفد المصرى

الى رئيس مجلس النواب البريطانى

وفى اليوم التالى أرسل الوفد الى رئيس مجلس النواب (١)
الانجليزى التلغراف الآتى :

« جناب رئيس مجلس النواب البريطانى [٦٨]

بلنسن

« لما عقدت الهدنة ووقف العالم على باب السلام وتصفية المشاكل الدولية كان من الطبيعى أن تتقدم مصر بعرض حالها على مؤتمر الصلح لتخلص من وضع شاذ لم يكن ليبرر وجوده الا المجاملات الدولية على حساب الحق والعدل . سيادة لتركيا أكرهت مصر على قبول ترتيبها عليها . واحتلال الانجليزى قلب الى حماية لم يكن لها داع ، ولكنها ألبيت ثوب الضرورة الحربية . ولا شك أن وصفا كهذا لا يمكن تسوية أمره الا باتفاق دولى فى مؤتمر الصلح .

لهذا المعنى أراد المصريون أن يعرضوا قضيتهم على المؤتمر فتألف برئاستى وفد من النواب وغيرهم من ذوى الرأى مزودين بتوكيل من أعضاء الهيئات النيابية وعدد عديد سواهم من أهل البلاد للسعى فى تسوية حال مصر باستقلالها .

قرر هذا الوفد أن يبدأ عمله بالسفر الى انجلترا ليعرض على الشعب الانجليزى الحر مطالبه ويتخذ من تعضيد الرأى العام الانجليزى عدة يعتمد بها لدى السؤل الأخرى . ولم يكن قراره هذا محلا للخراطة فأننا على الرغم من اعلان الحماية التى أثارته الشكوك فى نيات الحكومة البريطانية لا نستطيع التصديق بأن البريطانيين يجنثون فى عهودهم - وشرفهم مربوط بها - ويصرون على البقاء فى مصر بالقوة ورغم ارادة أهلها بل أننا على ضد ذلك ظننا أن الفرصة الحاضرة هى الفرصة البنى كان ينتظرها اللورد سالسبورى اذ قال للسفير الفرنساوى (خطأ ما يظنه قومكم من أننا نريد البقاء فى مصر الى ما لا نهاية فأننا لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف) . [٦٩]

فعلى شرف الأمة البريطانية الضمنية به كان اعتمادنا فى أن تساعدنا انجلترا على استقلالنا لتكسب بذلك صداقتنا الخالصة . وما صداقة الشعب أيا كان بالشىء القليل .

House of Commons (١) المقصود مجلس السوم

معرضها بالرجاء فى الاستقلال تطمع فيكم أن تتصموا مهمتكم الانسانية بالحزم الذى هو اخص صفات الأمريكان .

ونحن هؤلاء قوم مصر ان كنا وقعنا فى الضعف بحكم تداول السلطات بين الناس فاننا أبناء أفدم مدنيت العالم ولم نكن كما يراد منيلنا لأعينكم قوما منحطين جديرين بوصاية الغير عليهم . لسنا نعجل برأى البريطانيين فينا أمام مؤنمر السلام ولكن بوادرهم فى مصر لاتدل الا على أنهم يريدون أن يحرموننا كل مزايا المبادئ الولسنية حتى من حق ابداء رغبتنا فى نظام بلادنا السياسى . فان الوفد المصرى الذى وكسه الأمة لاسماع أعضاء المؤتمر صوتها مازال محجورا عليه أن يجوز حدود البلاد . كذلك أخذت القوة على جميع المصريين كل سبيل السفر الى أوروبا فأصبح عسيرا عليهم أن يشكوا فى أن حبسهم على هذا النحو إنما يراد به الطيلولة بين صوت مصر وبين المؤتمر . ولتتخذ هذا السكوت الاكراهى دليلا على الرضا بالحماية . وليس خافيا عليكم أن هذه الحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى إنما كانت من بادى رأى الانجليز وبلا اتفاق بينها وبين الأمة المصرية التى لم يبد منها أية علامة من علامات الرضا الصريح أو الضمنى فيها .

[٦٧]

« أليس أن تمسك بريطانيا بالحماية معناه أن قاعدة حق الأقوى لازال معمولا بها ؟ أو ليس أنها فازت بتقرير هذه الحماية نهائيا فلا يفسر وصولها الى هذا الغرض الا بأن الولايات المتحدة إنما نصرت الحلفاء لتسهيل لها استرقاق الأمم ؟ كلا . ان ايماننا بمبادئ الدكتور ولسن واعتقادنا بحزم أمريكا فى تطبيقها بغاية الدقة يجعلنا فى حل من الرجاء فى تحقيق مطالبنا . وان بلادنا بمبادئها القديمة وثروتها وتجانس أهلها وقدرتها على أن تقوم بنفسها من غير قيم وخلوها الآن من كل سيادة قانونية للغير عليها ، أولى الأمم بالتمتع بنعم المبادئ الجديدة لسياسة العالم .

« فبين يديكم نضع آمالنا القومية ولذمتكم نكل الدفاع عنها حتى لا تضيع حقوقنا بحجة أن خصومنا أقوياء واثقين أن فى الانسانية لحسن الحظ قوة أخرى هى قوة المبادئ لا تستخدم لاذلال الأمم بل لتخليص الانسانية من رجس البغى ولتحرير رقاب الشعوب ونقول ذلك متمسكين بقول الدكتور ولسن « ان مصلحة أضعف الشعوب مقدسة كمصلحة أقواها » .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

بالسيادة الأجنبية . ولا شك في أن تسوية المسألة المصرية من غير سماع رأى المصريين من جهة مخالف كل المخالفة لمبادئ الدكتور ولسن التى أقرها جميع الحلفاء وأطرافها جلالة ملك إيطاليا فى خطبته الأخيرة التى تردد صداها فى سرائى الكورينال . وفيه من جهة أخرى ما فيه من انتهاك حقوق أمة قديمة المدنية مستعدة للمحافظة على مصالح الأجانب فيها ورعاية مالهم من الامتيازات والحقوق .

« ولا حاجة بنا الى أن نبسط لكم أن الحماية التى أعلنتها بريطانيا على مصر ليست الا عملا من جانبها ومن تلقاء نفسها ومن غير اتفاق مع الأمة المصرية ولا رضا منها بأية صورة من صور الرضا الصريح ولا الضمنى فهو أمر باطل أمام القانون الدولى ومخالف للمبادئ الجديدة التى أنتجتها الحرب الحاضرة والتى هى حقيقة بتلك الضحايا الهائلة .

« فمصر الآن أصبحت بحكم نتائج الحرب حرة أمام قانون الحق والعدل . وما كان المؤتمر الذى يضمكم بين أعضائه الأجلاء ليكون واسطة لاذلال الشعوب الصغيرة واتباعها للأمم الكبرى .

« فنحن المحرومين من اسماع صوتنا نضع قضيتنا بين يديكم واثقين تمام الثقة فى عدلكم وحبكم للحرية .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى الى وزير خارجية امريكا

وكذلك أرسل الوفد فى نفس اليوم التلغراف الآتى الى وزير خارجية امريكا وهو :

« جناب المستر لنسنج
بسفارة الولايات المتحدة
بباريس

« اليكم أيها الأمريكان يرجع الفضل فى تأييد الحق والعدل . فالإنسانية مدينة لكم باخائها المستقبل (١) . والأمم الصغيرة التى أحبيتم

(١) المقصود فى المستقبل . .

[٦٣] على هذا التلغراف ثم هتفت ثلاث مرات هتافا شديدا اهتزت له أركان المكان وسرى دويه فى الفضاء :

« ليحيى الرئيس ولسن . . . لتحىى أمريكا . . . لتحىى مصر وليحيى الاستقلال . »

« ولقد كان لهذه الخطبة أثر كبير فى البلاد ، فقد انتشر خبرها بين جميع الطبقات وتناقلها الناس فى القاهرة ، وعواصم المديريات . فلم يبق ببلد الا وعرفها . وقد أذكت الروح الوطنية فى جميع أفراد الأمة لتقف على أخبار الحركة وتعلن تأييدها للوفد فى خطته وموافقتها على برنامجها . »

أما الوفد فقد زاده هذا التأييد شجاعة وثباتا . وقد رأى أن يستمر فى تنوير رؤساء الحكومات الأوربية بالموقف فى مصر فأرسل الى رئيس الوزراء الإيطالية فى ١٣ يناير ١٩١٩ التلغراف الآتى :

[٦٤] جناب السنيور أورلاندو (١)

بسفارة إيطاليا

بباريس

« ان قرب مصر من إيطاليا حدا بكثير من الايطاليين الى اتخاذها وطننا ثانيا لهم . وبفضل مجهوداتهم الفكرية ونشاطهم فيما يزاولونه من الأعمال قد صاروا من أهم أصحاب المصالح وتوثقت بيننا وبينهم علاقات المودة من زمن بعيد . تلك العلاقات تشجعنا أن ننتظر من إيطاليا عطفها فى هذا الظرف العصيب الذى فيه يقضى فى مستقبل الأمم الصغيرة . »

« ولقد كنا بلا ريب نعد أنفسنا أسعد حظا لو استطعنا أن نعرض مباشرة على مسامعكم أعمال امتنا . ولكن الوفد المصرى الذى وكلته الأمة عنها فى طلب استقلالها والدفاع عن قضيتها قد حجرت عليه القوة أن يبرح حدود البلاد . »

« تلقاء ذلك لا يسعنا الا أن نلتم نظر العالم الى أن حبسنا عن السفر ووضع الأمة المصرية فى حالة يستحيل عليها أن تبدى رغبتها فى أمر مستقبلها أمام مؤتمر السلام لا يمكن أن يتخذ عليها حجة فى الرضا

(١) فيتويو ايمانويل أورلاندو (١٨٦٠ - ١٩٥٢) رجل سياسة ايطالى كان رئيسا لوزراء إيطاليا (١٩١٧ - ١٩١٩) وتولى رئاسة وفدا فى مؤتمر الصلح فى باريس .

وهي المساس بحقوق العائلة الحاكمة عائلة محمد على ذلك الرجل العظيم الذى هو أول عامل لاستقلال مصر فى تاريخها الحديث وأول بناء فى صرح مدينتها الجديدة • نية لا وجود لها الا فى السنة الذين يدعونها رجما بالغيب أو لوصم حركة الأمة للاستقلال بوصمة انكار الحقوق على ان تعلق الأمة لهذه العائلة الكريمة أظهر من أن يكون محلا للشكوك •

« كلا فلسوف يعرف هؤلاء وهؤلاء أن مصر الحرة ستحترم كل حق لديها لأنها ستكون باستقلالها مدينة للحق والعدل •

« أرائى قد بلغت بكم غاية ما كنت أريد أن أجدكم بها من حيث وجهتنا فى عملنا وخطتنا التى أعلنها الى الدول • فلم يبق على الا أن أردد ثناء الانسانية على الدكتور ولسن واعترافنا نحن المظلومين بجميله على ما يعانى فى الدفاع عن قضيتنا وأدعوكم بمناسبة هذا اليوم الذى هو أول يوم لانعقاد مؤتمر السلام الى أن تظهر احساساتنا الاكيدة نحو محرر الشعوب بأن أرسل اليه بعد موافقتكم تلغرافا يتضمن آيات ثنائنا عليه واعتمادنا بفضلله على الانسانية بالنص الآتى :

فى اجتماع عقد اليوم حضره كثيرون من أعضاء الجمعية التشريعية • بقية الهيئات النيابية وغيرهم من أعيان البلاد تقرر بالاجماع أن أرسل اجنابكم تلغرافيا النداء الآتى لمناسبة افتتاح مؤتمر الصلح :

« الى رئيس الولايات المتحدة ذلك الرجل العظيم الذى قاد أمته فى خوضها غمار المعترك الأوروبى لمجرد خدمة الانسانية وتخليص العالم فى المستقبل مما يعانى من أهوال الحرب ، نرسل آيات الولاء وعبارات الاحترام •

« الى الفيلسوف الكبير والسياسى القدير الذى يتبوا اليوم أعلى مركز بين قادة الأمم ، وبسمو مبادئه آمن رجال السياسة فى جميع الاقطار ، نقدم واجب التحية ومنتهى الاعجاب •

« الى رجل الديمقراطية الكبرى الأمريكية • الذى غادر بلاده لينشر على العالم لواء السلام المقيم يرفعه العدل الشامل وتحوطه عصبة الأمم بحمايتها لعرض قضيتنا مصر التى يتسلط عليها الأجنبى تسلطا ياباه أهلها أجدهون •

فلتحببى الولايات المتحدة وليحببى الدكتور ولسن •

ولقد وافق هذا الجمع الحاشد بين الهتاف العالى والتصفيق الشديد

[٦٠] الشيء . وأن الأجانب في مصر صلة أنعم بها من صلة بيننا وبين ينابيع العلم ومواطن الاختراع والاكتشاف ، وأن مصر المستقلة لابد لها من الدخول في المسابقة العالمية ولا شك في أنه يهمها جيدا أن تكون باكورات هذه المسابقة في بلادها .

« تعلمون أن حالنا الاجتماعية الخاصة مانع شديد من مخالطة الأجانب في بلادنا المخالطة التامة التي من شأنها أن تولد في النفوس الصداقة الأكيدة التي تغني في البلاد الأوربية عن الامتيازات . وقد نتج عن ذلك أن الأوربي يقيم في بلادنا بين ظهرانينا شطر عمره ولا يزال مع ذلك أجنبيا عنا لا يعرف منا إلا الوجه الخارجي لصفات المعاملات دون أن يعلم متاحينا الداخلية ودون أن نعلم منه هذه المناحي أيضا لأن بيوتنا غير مفتوحة لهم فبيوتهم غير مفتوحة لنا بحكم المقابلة فلا بد لهم من إدارة تحجب لهم الإقامة بيننا وهذه الإدارة هي الامتيازات .

« كذلك تعلمون كما ألمت لكم أنه من الضروري لنا جعل بلادنا ميدانا للمسابقة العلمية والتجارية والصناعية وهذه المسابقة مترتبة على كثرة وفود الأجانب الى مصر المتوقف في ذاته على ثقتهم باكرام وفادتهم وضمانة طيب الإقامة لهم ولا سبيل الى ذلك الآن مع الاعتبارات الاجتماعية التي أشرت اليها الا بقاء الامتيازات .

« واني شديد الثقة بأنه بعد زمان ما سيري الأجانب أنفسهم الا حاجة لهم بهذه الامتيازات بل سوف يجبون أن ينزلوا عنها متى خالطونا أو عرفونا معرفة تامة بعد نيلنا الاستقلال .

« بهذه المناسبة أروى لكم على سبيل الفكاهة أني قد أطلعت على ورقة مطبوعة مهملة التوقيع ينصح كاتبها فيها بالألا تقبل الامتيازات الأجنبية الا بطريقة المساومة ولا نرضى بضمانات حقوق الدائن الا بأخذ ورد على طريقة المساومة أيضا . ينصحنا أن نجعل أمر استقلالنا ميدانا للمساومات التي لا تليق بصراحة الأحرار ! وللناس عدد رؤوسهم آراء !! ويظهر لحسن الحظ أن كاتب هذه الورقة ليس مصرياً وأنه شاعر بأن الرأي العام المصري ضده ولذلك كتب اسمه ولم يجرأ على اظهاره .

« عجباً . كيف يظن ذلك الكاتب بنا أن نسمح لأنفسنا بالخوض في أمر حقوق ثابتة للغرب عندها تقضى علينا النعمة باحترامها وتدعونا المصلحة الى تسهيل السبل لتنفيذها .

« أغرب من ذلك وأدخل في باب الوهم - ولكن من وجه آخر أن من المسرفين على أنفسهم من يكاد يصل بنياتنا التي صرحت بها لكم نية أخرى

المصالح وأن تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية وإدارية واجتماعية نستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت تلك عاداتها فيما مضى .

ثانيا : تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها سنحترم بكل دقة وإذا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو إلى تحويل البقية بمقتضيات الأحوال فإنها تعرض ما يعين لها من وجوه التعديل التي من شأنها المساعدة على تقدم البلاد مع صيانة المصالح المتطورة فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر غاية في الاخلاص والجمالمة . [٥٩]

ثالثا : تتعهد مصر بالبحث في وضع طريقة للمراقبة المالية لا نقل في أهميتها بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة عما كان منبعا قبل اتفاقية سنة ١٩٠٤ ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومي .

رابعا : تكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيدا للمحافظة على حياد قناة السويس .

خامسا : تعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانات جمعية الأمم وأن تشترك بهذه المنابة بقدر ما لديها من الوسائل في تحقيق مبادئ العدل والحق على النمط الحديث .

« وأن من الفضيلة أن نقرر بأن كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان لأن مصر والسودان كل لا يقبل التجزئة بل أن السودان كما قال الليستشار المالئ في تقريره سنة ١٩١٤ « ألزم لمصر من الاسكندرية » .

« قد يطيش الفهم فيظن أن هناك منافاة بين طلب الاستقلال والرضا بامتيازات الأجانب . كلا . لا منافاة بين الاثنين في الوجود وإن كان فيه تضيق لثائرة السيادة التامة التي يقتضيها الاستقلال فلنكن عمليين ولنطرح المناقشات العقيمة التي لا طائل تحتها والتي لا يعتبر الاصرار عليها الا ضربا من المكابرة . والمكابرة في القضية العامة خروج على الوطنية الصادقة . ولنقبل على عملنا اقبال العالمين بما ينفع الأمة .

« ان تحبيب الأجانب في الإقامة بمصر وتسهيل سبل العمل لهم مفيد للبلاد أكبر فائدة لنقدم عن طيب خاطر مرغبات هذه الإقامة ولنسهل بما في طاقتنا سبل المزاخمة التعليمية والتجارية والصناعية فانكم لا تنكرون أن هذه القرون الأخيرة قد عزلتنا عن الحركة العالمية بعض

على السواء فلا سيادة لقوى على ضعيف بل الكل أعضاء حقوقهم متساوية
في الآخاء الانساني العام .

» من الناس من يرون هذا المذهب السياسي الجديد أجمل من أن
يتيح في هذه الحياة الدنيا . حياة المزاخمة على البقاء والمغالبة على
المنافع . . . نعم مذهب جميل ولكن تطبيقه ممكن متى جسد الدكتور
ولسن في تطبيقه بحزمه المعروف . وأنه لجاد . بل ارتقى الى أن
اقول ان تطبيقه سهل متى صحت نيات أكثرية الدول التي أقرته
بالاجماع . ذلك لأن هذا المذهب غير مخالف لما ألف الانسان من
الوصايا الدينية وقواعد الفلسفة الاخلاقية ثم هو متفق مع الأفق الذي
وصلت اليه الانسانية في تطورها الجديد . ألا ترون أن مبادئ
الديموقراطية التي أوجدت هذا المذهب تنتشر على جميع صورها الممكنة
في أرجاء البلاد المتقدمة بقوة هائلة وبسرعة لم يعهد لها نظير في تاريخ
المبادئ الانسانية ، ألا ترون أن أفكار الشعوب في هذا الوقت متجهة
الآن الى الاستعاضة عن مظهر هذه المزاخمة الوحشي بمظهر انساني
صرف ، مزاخمة الأسواق التجارية . بمعنى أنه عوضاً عن أن كانت
التجارة يسيرها المدفع وتحميها حدود المستعمرات تصبح التجارة
تسيرها الحرية وتروجها جودتها وفضلها على غيرها . وبذلك تتحقق
المزاخمة لكنها على صورة أكثر تمثيلاً مع روح الديموقراطية الحاضرة .

[٥٨]

» ثقوا كل الثقة بهذه المبادئ الجديدة فإنه لا مناص من تنفيذها
ولا تقولوا كيف ننال الاستقلال وما أعدنا لتيله العدة المعروفة .

» كلا ان بلادنا كما قلت لكم خلوا الآن أمام القانون الدولي من كل
سيادة اجنبية وبعيد على مؤتمر السلام أن يرتب سيادات جديدة للأقوياء
على غيرهم . بل ما وجد الا ليقرر احترام الحقوق ويصرر الأمم من
الاستعباد .

» وان إيماننا بقواعد الحق والعدل هي عدتنا . وكفى بها علة .
وان اجماع أمتنا على الاستقلال حجة قائمة . وما ينقصنا الا أن يسمع
مؤتمر السلام صوت الأمة ، ولكن سيصله ولو من بعيد . يصله فينصت
اليه على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذي يعقد اليوم أشبه ما يكون
بما سبقه من المؤتمرات . هذا هو التلويح الذي ننحوه في قضيتنا
وأما نقطة مصر المستقبلية فهي :

اولاً : تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية وأن تراعى في
تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ما للأجانب فيها من

[٥٦]

« فنحن أمام القانون الانساني أصبحنا أحرارا من كل حكم أجنبي
فلا ينقصنا الا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فنزول العوائق
التي تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل . »

ولهذا الغرض السامي المطابق لما في نفوس المصريين جميعا أفت
أنا وأصحابي الوفد المصري لنسعى إلى الوصول إلى الاعتراف بهذا
الاستقلال وتشرفنا بتوكيل الأمة أيانا . وما ضرنا أن أمرت الحكومة
الناس بالكف عن تلك التوكيلات وبمصادرتها لأن مالدينا منها ومن
خطاب الوزير الأول الذي تعترف فيه الحكومة بعملها ما يكفي في
إفاده أن الأمة مجمعة على طلب الاستقلال . . . هل أمة كصر مدينتها
أقدم المدفوعات وفضائلها الاجتماعية التي تنتقل بالوراثة من جيل إلى
جيل ظاهرة الأثر من حيث وداعة الأخلاق وحب احترام القوانين
والتعامل النام في الميول يمكن أن تسأل في أمر استقلالها من غير أن
تجرح عواطفها المدنية بهذا السؤال ؟ وهل أبناء المدنية الفرعونية
والمدينة العربية غريب عليهم أن يستقبلوا فيشاطروا في تقدم المدنية
في خطواتها إلى الأمام ؟

« غير أننا كنا مضطرين إلى هذا التوكيل لأنه قد عزي إلينا أننا
لا نطلب من الحياة إلا الدرك الأسفل أن نعيش آمنين طاعمين كاسين .
فكان توكيل الأمة الجواب القاطع على هذا الاتهام . »

« منعنا عن السفر وصودرت الحرية في أشخاصنا وفي المصريين
جميعا فلم نصادر (١) مرجعا من المراجع الا احتجاجنا لديه على هذا
التصرف . وما نحن أولاء لا نزال نطمح في أن يخل بيننا وبين القيام
بمهمتنا بأنفسنا . وإن ما أؤكده لكم هو أن هذا المنع لم يزد زملائني
الا حبا في التقدم إلى الغرض العام وحده في توضيحه كل ما يستدعيه
من الضحايا سالكين سبيل الحق والعدل . وما لنا غيره في من سبيل . »

[٥٧]

« كان في عرف السياسة مباحا أن تضحي بمبادئ الحق والعدل
قربانا على مذبح المنفعة . وقليل ما كانت تحترم الا اذا اتفقت مع
هذه المعبودة السياسية العامة . ولكننا ندخل الآن بمبادئ الدكتور
ولسن في عصر من السياسية جديد . عصر العدل المجرد عن الهوى وكفيلته
عصبة الأمم . عصر فيه منفعة الضعفاء تكال بنفس الكيل الذي اتخذ
لنفعة الأقوياء . عصر احترام الانسانية في الشعوب الضعيفة والقوية

(١) نعره .

يعلم أعماله الى الأمة بصفة رسمية . وذلك لكي يكون على بينة من المراحل التي سارت فيها قضية البلاد فتزداد بذلك التفافا حول الوفد وثقة به من جهة وتقوى به روحها المعنوية من جهة أخرى .

وكان الوفد يرمى الى غرض آخر وهو أن يزيد الأجانب المقيمين في مصر علما بحقيقة الحركة المصرية وأغراضها ووسائلها حتى يطمئنوا اليها ولا تؤثر فيهم الدعاية السيئة التي كانت أعداء الحركة لا يفتنون يبنونها بينهم . لذلك دعا سعادة حميد الباسل باشا عضو الوفد نفرا كبيرا من أعضاء الجمعية التشريعية والهيئات النيابية الأخرى والعظماء وكبار ذوى الآراء للاجتماع بمنزله في ١٣ يناير ١٩١٩ لسماع كلمة الوفد فيما يعمل لتحقيقه من الحصول على استقلال البلاد كاملا وحريتها تامة .

وهذا هو الخطاب الذي ألقاه سعد زغلول باشا رئيس الوفد في في هذا الاجتماع :

« أيها السادة :

[٥٥]

« انى أشكر زميلي حميد الباسل باشا على أن هيا هذه الفرصة التي انتهزها لأحدثكم عن تفاصيل هذه الأزمة التي تجتازها مصر في الوقت الحاضر حتى لا يفوت بعض أولى الراى عندنا شيء من أعمال الوفد الذي شرفه البلاد بتوكيلها للسعى في قضيتها الكبرى ، قضية الاستقلال .

« ليست فكرة الاستقلال جديدة في مصر بل هي قديمة يتأجج في قلوب المصريين الشوق الى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه وتخبو تارة كلما استطاعت القوة أن تخمد أنفاس الحق .

« ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة لأن رابطة السيادة التركية أخذت تتضاءل حتى لم يبق شك في انقطاعها وأن الاحتلال الفعلي لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذي قال في ٣ نوفمبر ١٨٨٦ « نحن لا نبحث الا عن الخروج من مصر بشرف » .

« قلب هذا الاحتلال الذي لم يكن له حق في البقاء الى حماية من بادية رأى الانجليز ومن غير اتفاق مع مصر ولكنها هي أيضا أمر باطل بطلانا أصليا أمام القانون الدولى ومخالف مخالفة صريحة للمبادئ الجديدة التي خرجت بها الانسانية من هذه الحرب الهائلة .

« لقد عرفتكم منابر الحرية والمساواة حطيبا فياضا . وطالما اهتزت أعوادها اعجابا بصراحتك وترنحت طربا بانتصارك للفقراء على الأغنياء ، وللضعفاء على الأقوياء ، وللسوقة على الشرفاء ، فهل هي لا تزال على عهدنا تعرف فيك حامى أشرف المبادئ أم هل أصبحت ننكرك بعد أن ألبست أمة بأسرها ثوب الحداد على الحرية الشخصية ؟

« مسموح - على المبادئ القديمة - لرجل السياسة أن يكون استعماريًا غير أنه لا يعلم أحد إلى اليوم أن حب الاستعمار أجاز لدولة حصر أمة ليس بينها وبينها حرب . وإذا كان حب الاستعمار لا يبيع للمستعمرين والمحافظين مثل هذا التصرف فكيف بالأحرار ؟

« أن الحكومة الانجليزية التي استطاعت ما استطاعت لا يعجزها شيء . ولكنها لا تستطيع بغط الحق وتعتمد الأذلال أن تكسب شيئا من قلوب المصريين . على أننا نكرر أن المصريين يعلمون حق العلم أن الأمة البريطانية الشريفة لا تعلم شيئا عن هذا الحبس ولو علمته لغضبت له . فان الغضب للحرية أظهر صفات الأحرار .

[٥٤]

« وتفضلوا ياسيدى الرئيس بقبول عظيم الاحترام » .

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية

ورئيس الوفد المصرى

(امضاء) (سعد زغلول)

خطاب رئيس الوفد المصرى

فى الاجتماع الذى عقد بمنزل الباسل باشا

اختتمت فكرة الحرية الكاملة فى أذهان المصريين وتعشقها الجميع بلا استثناء ، وأصبح كل مصرى يتساءل عما وصلت إليه الحركة وما يراد لها فى المستقبل .

فلم تكن أعمال الوفد المصرى حتى ذلك الوقت تعلن إلى الأمة المصرية بصفة رسمية بل كانت تنقل إليها أخبارها بطرق غير مباشرة . ولكن الوفد رأى أن المسألة قد وصلت إلى الحد الذى يجب عليه فيه أن

[٥٢]

بل هبوا هذه الأمة لا متمدنة ولا مساعدة فهلا عاملتموها بما انفتحت عليه مع الدكتور ولسن من (أنكم تعدلون في الذين نحبون أن تعدلوا فيهم ودى الذين لا تحبون أن تظلموهم) ؟ فإذا كنا لا نجد هنا للعدل ظلا فيما يتعلق بحرية السفر والاقامة فأجدر بنا ألا ننتظر عدلا نعامل به فى أكبر من الحرية الشخصية خطرا ، وأعلى منه فى التقيد أثرا وهو حرية البلاد السياسية .

وعلى أى وجه قلبنا أسباب حبسنا فى بلادنا لا نجد له مبررا فى الشرائع الانسانية ولا موجبا فى الأعمال العسكرية ، الا احتمالا واحدا ، لا يزال بنا بقية من حسن الظن تصرفنا عن الاعتداد به وهو : انه يراد تقديم سكوتنا الاكراهى فى مؤتمر الصلح دليلا على أنه رضا بحالتنا السياسية الحاضرة ، أى الحماية .

ويشهد الله أننا ما ظننا يوما واحدا منذ أعلنت الحماية أنها نظام يراد اقامته فى مصر ، بل كل ما فهمناه أنها ضرورة حربية ينتهى أجلها بانتهاء الحرب . ولم نكن لنظن أن انجلترا تنوى التمسك بحماية صادرة منها وحدها من تلقاء نفسها وبدون اتفاق بينها وبين الأمة المصرية .

فاسمحوا لنا سعادتكم أن نسائل من شخصكم الرجل الحر هل يستطيع أن يقنع ضميره المملوء حرية بأن ما يقع فى مصر باسمه وبأمره غير مناف تمام المنافاة للحرية التى اختارها شعارا قضى العمر فى خدمتها وبلغ باسمها أعلى مركز يتمناه الانسان ؟ كلا فان مبادئ الحرية وحبس ثلاثة عشر مليونا أمة واحدة أمران لا يجتمعان . لذلك يجوز أن نصرح بحقيقة وأن كانت مرة وهى أن أعلى مركز يتبوءه رئيس حكومة انما هو التوفيق التام بين ضميره وبين قوله وعمله . الى الرجل الحر فنترك الحكم لنفسه أو عليها فى هذه القضية .

[٥٣]

« واسمحوا لنا أيضا أن نسائل رجل السياسة هل يعرف الشعب الانجليزى الشريف شيئا عن حبس المصريين فى بلادهم ؟ أم هل كان الحبس كما هو الظاهر اجراء من السلطة التنفيذية وعلى مسئوليتها من غير أن يعلم الشعب من أمره شيئا ؟ وهل تغتفر تقاليد الشعب الانجليزى الحر مثل هذا النصرف مهما جر فى ظاهر الأمر من المنافع ؟ وما علمنا جورا يجنى من ورائه الا الخسران وإلى أى مبدأ ترجع الوزارة هذا التعسف وإذا استطاعت أن تتخلص من هذه المسئولية بالقائها على عاتق السلطة العسكرية . فهل يستطيع سعادة الرئيس أن يقنع ضميره الحر بأن فى حبس الأمة أدنى فائدة للأعمال العسكرية أنبقى الى الآن معنى لما يسمى أعمالا عسكرية فى مصر بعد الهدنة بشهرين .

من الوفد المصرى الى رئيس الوزارة البريطانية

وكذلك أرسل الوفد التلغراف الآتى الى المستر لويد جورج كبير وزراء انكلترا وأحد أعضاء مؤتمر السلام وهو :

القاهرة فى ١٢ يناير ١٩١٩

[٥١] صاحب السعادة المستر لويد جورج

كبير وزراء بريطانيا العظمى

دوننج ستريت - لندن .

يا صاحب السعادة

تشرفت بأن أرسلت لسعادتكم تلغرافاً فى ٤ ديسمبر الماضى بسطت فيه ما وقع من رجالكم فى مصر من العسف ومصادرة الحرية الشخصية . وقد مضى على ذلك شهر كامل ولا تزال الحال كما كانت . حتى ان الأمة المصرية بأسرها من أكبر وزير الى أصغر فلاح محبسون داخل حدود بلادهم لا يسمح لأحدهم بالخروج من هذا الحصار الشديد .

وتلك هى حالنا التى ليست ظروفها مجهولة لديكم ولا ندرى أى مسوغ من القانون العام أو من القواعد الاجتماعية بل من أساليب السياسة المعقولة يسوغ للانجليز أن يعتمدوا هذه المعاملة المهيئة لأمة تاريخية كأمتنا .

أجل ان أمتنا العريقة فى المدنية مهما ضعفت قوتها لها عند العالم كرامة المعلم الأول وفضل السبق فى المدنية .

بل أنكروا عليها السبق فى المدنية واطمسوا آياته الناطقات واكفروا بصنيعها على العالم وهبوها لفيقا من المتوحشين نظامهم الفوضى وقانونهم الاعتداء . أفلا حفظتم لها حق المساعد المعين ؟

وانتقمتم فى هذه الحرب برجالها وأموالها وصرحتم فى مواطن شتى بأن ذلك كان من أكبر العوامل فى احراز النصر فى الشرق فبينما مصر المساعدة تنتظر أن تعامل بما يتفق مع حالها اذا هى تراكم غداة الهدنة قد قلبتم لها ظهر المجن وحبستم أهلها بين حدودها على الذل والهوان .

أمن الجائز أن المصريين الذين أتت عليهم هذه الحرب وهم ما يكون
لحقوقهم في الحرية يبعدون - تحكما - عن المؤتمر الذي يقام فيه العدل
بين الأمم في حين أن الشعوب الأخرى التي كانت إلى الأمس تحت نير
سيادة الغير تدعى لتجادل عن نفسها ؟

أو من المقبول أنه في الوقت الذي يتبادل فيه ملك انجلترا ورئيس
الولايات المتحدة الخطب الجميلة التي يهتف لها العالم بأجمعه وفي ساعة
اعلانها حق جميع الناس في الحرية وجهرهما بأن على الأقوياء واجب [٥٠]
العطف على الضعفاء . أمن الجائز أنه في هذه الساعة نفسها تعاني أمة
بأسرها مرارة الألم من المساس بحريتها السياسية وفوق ذلك يفصونها
بحرمانها حتى من التطلع لطلب العدل والانصاف ؟ .

اننا تلقاء ما نعرفه لفخامتكم من حرية الضمير وبعد النظر للمذنبين
تشف أعمالكم عنها لا يسعنا أن نظن أنه يفوتكم أن حبس أمة بهذه
الكيفية يمكن أن يضر بمستقبلها بل ربما مس بما بيننا نحن المصريين
وبين بلدكم العظيم العريق في الحرية من العلاقات التي طالما حرصنا على
أن تكون مطبوعة بطابع الكمال والتي ليس من شأن مثل هذه المعاملة
أن تقويها في النفوس .

على هذا لنا وطيد الأمل أن نرى عما قليل من آثار عدلكم ما يخرجنا
من هذا الموضوع المؤلم الذي جاوز في استمراره الحدود .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصري

الامضاء (سعد زغلول)

من الوفد المصرى

الى المعتمد السامى

حاول الوفد أن يسافر الى باريس حيث يعقد مؤتمر الصلح ليعرض القضية المصرية عليه ، فذهبت محاولاته مع الريح . وأرسل التلغرافات المتوالية الى رؤساء وزعماء الدول الكبرى الظافرة ولكن أحدا من هؤلاء لم يكلف نفسه عناء الرد عليه . يضاف الى ذلك أن مندوبى الدول الصغرى كانوا يفدون تباعا على باريس لتمثيل بلادهم فى مؤتمر الصلح مع أن هذه الدول لم تبلغ شأوا مصر فى التقدم والعمران ولم تضح بما ضحت به مصر لنصرة الحلفاء .

وهذا ما دفع الوفد الى ارسال كتابه الآتى الى المعتمد السامى (١)
البريطانى بمصر وهو :

« القاهرة ١٢ يناير ١٩١٩ »

[٤٩] **ياصاحب الفخامة**

أتشرف بأن أجدد باسم الوفد المصرى احتجاجنا على الحجر الذى ضربته السلطة العسكرية دون سفرنا الى أوروبا واعتراضنا مرة أخرى على هذا التصرف الضار بالحرية الشخصية التى كانت حمايتها فى كل زمان من أخضر تقاليد الأمة البريطانية .

ولقد كنا منذ خطابنا الأول الذى أرسلناه الى فخامتكم فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ نتعلل بالرجاء فى أن الحكومة البريطانية بعد أن ازدادت علما بحقيقة هذا التصرف الشاذ الذى منيت به مصر بلا حق ووقفت تمام الوقوف على ما ترتب عليه فى طول البلاد وعرضها من الأثر السيئ لا تتردد فى القضاء عليه .

ولكن انتظارنا تلك النتيجة قد ذهب سدى . بل رأينا مع الدهشة المؤلمة أن وفود البلاد المجاورة لنا تسلك سبلها الى أوروبا بعد أن تجوس خلال ديارنا فتلقى فى قلوب أهلها من الغضاضة ما يستدعيه عدم المساواة فى المعاملة .

أمن الجائز أن يحبس المصريون وحدهم داخل حدود بلادهم دون جميع أمم الشرق وأن يحال بينهم وبين اسماع العالم المتمددين صوتهم ؟

(١) يقصد المندوب السامى .

« مسيو جورج كليمنسو »

بباريس

والى رئيس مؤتمر السلام الذى يحكم فى مصير الأمم الصغرى لا على قاعدة المفاوضة بين الأقوياء • بل على قاعدة العدل المجرد عن الهوى • الى الرجل المعروف فى العالم بشدة عارضته فى الحق (١) • ينهى الوفد المصرى الموكل عن الأمة المصرية فى طلب استقلالها والدفاع عن قضيتها. ندى أعضاء مؤتمر المصلح ، ان القوة أخذت علينا كل سبيل الى أوروب حتى لا يسمع مؤتمر السلام صوت الشعب المصرى ورأيه فى حكم نفسه • ومهما يكن من الاتفاق المزعوم حصوله على المسألة المصرية • فان الحكم فى مصيرنا من غير أن نسمع أقوالنا مناقض لما اتفق عليه جميع الحلفاء • على أن لنا أكثر من حق أن نطمع فى مساعدة فرنسا التى كان شعارها فى كل زمن أنها ممهدة طرق الحرية للشعوب والمساعدة لها على نيلها •

« ان عقولنا وميولنا وقوانيننا مطبوعة بطابع الروح الفرنساوية لأن كل مدينتنا الحديثة لا تزال على رغم ما وضعه الاحتلال البريطانى من العوائق مطبوعة بالطابع الفرنساوى وجاذبيتنا لفرنسا وعطفها علينا آثارهما أشهر من أن تذكر •

« فباسم الحرية التى أنت نصيرها القوى فى كل موقف من مواقفك الخطابية أو الكتابية ، وباسم العدل المجرد عن الهوى الذى تعهدت بأن تجعله أساسا لجميع أحكام المؤتمر • وباسم الانسانية التى تأبى أن تكره الأمم على أن تنتقل من يد الى يد أخرى كما تنتقل ملكية السلع نناديك من وراء البحر ألا تتخذ سكوتنا الاكراهى الذى هو النتيجة الطبيعية لحبسنا فى حدود بلادنا دليلا على رضانا بسيادة الغير علينا وألا تسمح بالحكم فى مصيرنا من غير أن نسمع أقوالنا » •

[٤٨]

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(سعد زغلول)

(١) وقد كتب بجانبها يبلغ •

اليه من الاستقلال التام في شئونها الداخلية والخارجية معا . واعتمادا على هذا نتقدم بعرض مسألتنا لنظر الدول كافة وعلى الخصوص بريطانيا العظمى وأمريكا .

واننا مع مانقدمه لايسعنا الا لفت نظر المؤتمر الى أننا لا ننكر النتائج الادارية الحسنه التي حصلت مصر عليها بفضل المشورة الأوروبية مدة الأربعين سنة الماضية ، ولكننا مع ذلك نلفته أيضا الى أن بلادنا سارت على سبيل رقي مداركها السياسية شوطا لا يمكن انكاره . أن مصر قد قطعت المرحلة التي تحتاج فيها لوصاية الأجنبي وأصبحت أهلا لأن تحكم نفسها وتدير شئونها بغير مداخله الغير ولا ينقصها الا عطف العالم المتمدنين عليها ومساعدتها لنوال هذا الغرض . أما حجتها التي تعتمد عليها في هذا الصدد فواضحة جلية مما كان منها أثناء الحرب الماضية .

« فباسم الحرية والمبادئ الديمقراطية نرفع صوتنا هذا للدول العظمى وعلى الأخص لبريطانيا وأمريكا مؤملين بقلوب ملؤها الثقة الوطيدة أن تساعدنا على تحقيق غرضنا المنشود من زمن طويل وهو تحرير بلادنا تحريرا تاما واستقلالها استقلالاً مكفولا بضمانة الدول كما سيكون الحال في شعوب أوروبا الضعيفة وذلك تطبيقا لمبادئ الحق التي رسمها الرئيس ولسن ونادى بها الجميع .

من الوفد الى رئيس مؤتمر الصلح ببائيس

[٤٧]

ولما لم تنمر الرسائل التلغرافية التي أرسلت الى اندكتور ولسون رئيس الجمهورية الأمريكية ثمرها المرجو أرسل الوفد المصري الرسالة التالية للمسيو كليمنسو (١) رئيس الحكومة الفرنسية ورئيس مؤتمر السلام في ١١ يناير ١٩١٩ .

(١) المسيو جورج كليمنسو (١٨٤١ - ١٩٢٩) سياسي فرنسي ، عضو في مجلس النواب الفرنسي (١٨٧٦ - ١٨٩٣) ثم مجلس الشيوخ منذ ١٩٠٢ ، ورئيسا للوزراء ١٩٠٦ - ١٩٠٩ للمرة الأولى ، و ١٩١٧ - ١٩٢٠ للمرة الثانية ، ومثل فرنسا في مؤتمر السلام في فرساي (١٩١٩) وتولى رئاسة المؤتمر .

من الطلبة النازلين بانجلترا

الى مؤتمر الصلح

قام المصريون جميعا بوادى النيل يؤيدون الوفد المصرى ويؤازرونه واتصلت أنباء الحركة بجميع المصريين فى كل الأصقاع فقام هؤلاء يرفعون الصوت عاليا بحق مصر فى الاستقلال التام . ومن ذلك ما أرسله الطلبة المصريون النازلون بانجلترا الى مؤتمر الصلح وهذه ترجمته :-

[٤٥] « بناء على التصريحات المتكررة التى أعلنتها دول الحلفاء وعلى الأخص بريطانيا العظمى وأمريكا من أنهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لصيانة مصالح الأمم الضعيفة وتحريرها من استعباد الأقوياء وتخويلها حق النظر فى شئون نفسها وترقية بلادها لمصلحة نفسها على ما تقتضيه تقاليدها ووفق عاداتها وأخلاقيها .

« وبناء على ما لنا من الثقة التامة فى أن تلك الدول الفخام موطنة العزم بنية صادقة على الوفاء بموجب تلك التصريحات المتكررة التى دوت بها أرجاء العالم .

« فنحن الموقعين عليه نتقدم اليكم بالأصالة عن أنفسنا وبالنسبة عن المصريين النازلين ببريطانيا العظمى من مسلمين وأقباط ملتزمين بكل احترام أن ينظر المؤتمر بصفة رسمية فى قضية الأمة المصرية وأن يعير مطالب المصريين الحق من العناية ما يوصلهم الى أن يحيوا حياة الأمم الحرة .

« عند اعلان الحرب على تركيا سنة ١٩١٤ كانت مصر من الوجهة القانونية الدولية ولاية من ولايات الدولة العثمانية ذات استقلال داخلى . وبهذه الصفة فهى داخلة تحت حكم المبادئ التى تقرر تطبيقها على ولايات الدولة العثمانية فلها أن تبت فى مصير نفسها عملا بالمبدأ القاضى بذلك على المعنى المراد منه ، ولا يجوز عدلا جرمانها من التمتع به ، وإن الحماية التى أعلنتها حكومة بريطانيا فى ديسمبر أى بعد شهرين من دخول تركيا الحرب ليس من شأنها أن تمس ما للمصريين من حق البت فى مصيرها فإن هذه الحماية باطلة قانونا اللهم الا اذا صار الاحتجاج بحق الفتح والاحتلال العسكرى ، ذلك الحق الذى توافق الحلفاء ومن بينهم بريطانيا على القضاء عليه والاستعاضة عنه بما هو اليق بالانسانية وهو وجوب ترك الحرية للشعوب نفسها لتبت فى مصيرها ، هذا الحق الذى نادى به بريطانيا العظمى بوجوب تطبيقه على الأمم الضعيفة مدلة بذلك على أنها حاملة لواء تحرير هذه الشعوب من رق الحكم الأجنبى وإنالها ماتميل

الاجتماعية ما يفسده عادة حكم الاجنبى عمدا ومن غير نمد وحسى ببلع ما يؤهلنا اليه استعدادنا من درجات الكمال . نبغى أن نظل كاسيين ثقة الأجانب نسهل لهم وسائل مايزاولونه من الاعمال التجارية والصناعية في بلادنا ونرعى مالهم فيها من الامتيازات خير رعايه . نبغى أن نبقى كما كنا في الماضى عارفين برسوخ قدمهم فى المدنية الحديثة مستعدين لأن نستقدم من كبار الفنيين منهم من عسانا نحتاج اليهم للمساعدة فى الأعمال العامة ، ولكن لا على أن يكون مناط الاختيار الاعتبارات الجنسية فقط كما هو حاصل الآن ، بل الكفاءة حيثما وجدت بصرف النظر عن كل اعتبار آخر .

» نبغى أن نسهل الدخول فى العائلة المصرية الكبرى لكل من يريد وذلك بتخفيف قيود التجنس بالجنسية المصرية . وبالجملة نبغى استقلالنا التام المجرد عن كل سيادة أجنبية من غير أن يكون فى هذا الاستقلال مساس بحقوق الأجانب وامتيازاتهم المالية فى التشريع والقضاء وحرمة المنازل والحرية الشخصية وكل مايتعلق بالأمن العام . تلك هى آمالنا ومقاصدنا . وكل ماعدا ذلك مما يخالفه ليس إلا عملا من أعمال أعداء القضية الوطنية . [٤٤]

» فباسم الوفد المصرى أعلن الى كل أجنبى فى مصر من ذوى المصالح ، ان هذا الوفد الذى يسعى لاستقلال أهل البلاد يقرن بسعيه للاستقلال احترام المصريين حقوق الأجانب كل الاحترام . كما أنى انتهز هذه الفرصة لأشهد كل رجل حر على المعاملات المناقضة للحرية التى منى بها الوفد المكلف باسماع مؤتمر الصلح صوت مصر ، وعرض مطالب أهلها . ولأعلن أن كل حكم فى مستقبل المصريين من غير أن نسمع أقوالهم مناقض لقواعد الحق والعدل التى جعلت أساسا لأحكام مؤتمر السلام .

القاهرة فى ١٠ يناير ١٩١٩

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

لقد كان من مميزات الحركة المصرية أن جميع الطبقات والهيئات كانت تعمل للوصول الى الغرض الذى كانت ترمى اليه وهو استقلال البلاد ولم يكن العمل مقصورا على الهيئات المتصلة بالوفد بل كان يشمل أيضا الهيئات الأخرى الغير متصلة به فكانت الاحتجاجات ترسل الى سفراء الدول من الوفد ، ومن الهيئات والجمعاعات الأخرى التى لم تكن مشتركة معه فى العمل ، وكانت تلهرافات الاحتجاج ترسل الى كبريات الصنخف الأوروبية والأمريكية من كثير من الجماعات والهيئات المنظمة وما ذلك الا لأن الروح الوطنية كانت تعم جميع طبقات الأمة فى داخل البلاد وخارجها .

بيان للنزلاء الأجانب

ولم يكتف الوفد بهذا حرصا منه على عدم تسمم أفكار الجاليات الأجنبية بما يذيعه مشايعو المحتلين ، فأصدر في ١٠ يناير ١٩١٩ البيان الآتى :

« ختمت هذه الحرب الكبرى بالنتيجة الباهرة الحقيقة بها وهى تحكيم الحق والعدل فى الشئون الدولية بدلا من حق الأقوى وحفظ الموازنه وبذلك يمكن الوصول الى سلام دائم فيه تنتقل المنافسة المسلحة الى مسابقة سلمية مشروعة تضمن حرية التجارة فى كل بلد على أساس ثابت متين . سلام فيه تزول الاحقاد التى تزرعها فى نفوس الشعوب الصغيرة سيادة الشعوب الكبيرة عليها بالقوة القاهرة . سلام فيه تنعدم بين الأمم الكبيرة أسباب الخلاف الناشئ من المزاخمة فى الاستعمار واستئثار بعضها بمنافعه دون البعض الآخر . سلام فيه تصبح رواج التجارة غير مرتبط الا بأسبابه الذاتية دون الاعتبارات السياسية والقوى الحربية . » [٤٢]

« على هذا الأساس رأت مصر أن الفرصة قد تهيأت لها كما تهيأت لغيرها أن تخرج من العبودية التى أرادها عليها الأقوياء لتدخل فى هذا الاخاء الانسانى العام . »

« لهذه الغاية وكلت عنها الوفد الذى أراسه ليسعى بالطرق المشروعة فى استقلالها استقلالاً تاماً مجرداً من كل سيادة أجنبية . ومازال هذا الوفد ينتظر أن يعطى جوازات السفر منذ ستة أسابيع . وعلى رغم احتياجنا لدى السلطات البريطانية العليا ولدى وكلاء الدول فى مصر فان الاعتداء على حريتنا الشخصية لايزال قائماً يمنعنا من السفر . »

« واثنا فضلا على ما أجملناه من برنامجنا لوكلاء الدول السياسيين بمصر ، يسرنا أن نوقف كل ذى مصلحة فى مصر من الأجانب على حقيقة هذه الحركة السلمية وآمال مصر المستقبلية ذلك لاننا نعتمد أيضا فى بلوغ غايتنا من تحرير بلادنا على جميع الرجال الأحرار الذين تترتاح نفوسهم للعمل لحرية الشعوب المظلومة . ولا يترددون فى أن يجعلوا حب نشر الحرية وتحقيق مبادئ الحق والعدل يجب (١) فى نفوسهم كل عاطفة أخرى . » [٤٣]

« لهذا الغرض نعلن الى جنابكم أننا ونحن نعبر عن أغراض الشعب المصرى ينبغى أن نتمتع نحن أيضا بتلك الحرية التى تمكن وطننا من أن يستعيد مقامه القديم ويقوم بنصيبه من خدمة الانسانية . ينبغى أن نشتغل بشئون بلادنا فى شكل حكومة دستورية حتى نصالح من حالتنا

(١) وقد كتبها فى الهامش مرة أخرى « يلحق » .

تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية وادارية واجتماعية ، تستعين على تحقيقها
بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت عاداتها فيما مضى .

٣

[٤١] « تعلن مصر أن امتيازات الأجانب فيها ستحترم بكل دقة وادا
كان العمل أظهر أن بعضها يدعو الى تحويل اليق بمقتضيات الأحوال
فانها تعرض ما يعن لها من وجوه التعديل التى من شأنها المساعدة على
تقدم البلاد مع صيانة المصالح المنظور فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك
واسعة الصدر غاية فى الاخلاص والمجاملة .

٤

« تتعهد مصر بالبحث فى وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل فى
أهميتها بالنسبة للبلاد الأجنبية ذوات المصلحة عما كان متبعها قبل
اتفاقية ١٩٠٤ ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومى .

٥

وتكون مصر مستعدة لقبول كل ما تراه الدول من الاحتياطات مفيدا
للمحافظة على حياد قناة السويس .

٦

وتعتبر مصر نفسها حائزة لأكبر شرف بوضع استقلالها تحت
ضمانة جمعية الأمم وأن تشترك بهذه المثابة بقدر ما لديها من الوسائل
فى تحقيق مبادئ الحرية والعدل على النمط الحديث .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

بين الوفد والجاليات الأجنبية

رأى الوفد المصرى فى ذلك الوقت أن من أهم واجباته أن تعرف الجاليات الأجنبية فى مصر حقيقة المطالب المصرية التى كانت فى ذلك الوقت تجهل مايرمى إليه الوفد من هذه الحركات المتتابعة التى كان يقوم بها . وقد انتهزت السلطات البريطانية ذلك الجهل فأخذت تذيع فى الأوساط الأجنبية أخبارا عن الحركة المصرية التى من شأنها أن تذهب الطمأنينة من نفوس الأجانب (١) .

فطن الوفد الى هذه الواجب فأصدر البيان التالى :

[٤٠] ملخص وجيز عما تراه الأمة المصرية فى نظام مستقبلها

١

د تطلب مصر الاستقلال التام :

(أ) لأن الاستقلال حق طبيعى للأمم .

(ب) لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال بل هى سفكت فى سبيله دم أبنائها . ولقد كان ماحزته من النصر فى ميدان القتال كافيا لرد السيادة إليها لولا اجماع الدول العظمى فى سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ واكراهها على تقليل مطامعها الى أدنى حد ممكن وجعلها تكتفى بالاستقلال الداخلى فقط وهو مع ذلك واسع النطاق يكاد يبلغ حد الاستقلال التام .

(ج) لأن مصر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الاسمية اذ أن تركيا أصبحت بسبب نتائج الحرب لاتستطيع التمسك بهذه السيادة .

(د) لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها الجنسية والأدبية .

٢

• تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية وأن تراعى فى تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية من جهة ها للأجانب فيها من المصالح وأن

(١) ظل الادعاء البريطانى قائما بأن أهم دواعى احتلالها لمصر واستمرار هذا الاحتلال حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم . وقد رفع هذا الادعاء فى مواجهة الثورة العربية والمركة الوطنية التى اشتد عودها قبل قيام الحرب المالية الأولى .

بمنصب الوزير الأول لمصر وعدم اهتمامى مع ذلك بمصيرها فى الوقت الذى
سيحصل فيه البت فى أمرها نهائيا .

فأتوسل الى عظمتكم بقبول ذات الاستعفاء بدون ارجاء ولكيلا أجعل
سبيلا الى تجديد التسويف أجاهر أنه قطعى لا رجوع فيه . فلم يعد محل
للمفاوضات فيما يتعلق به ولم يبق سوى الاشتغال بتأليف وزارة جديدة .
وانى لعظمتكم يا مولاي

العبد الخاضع والخادم المخلص الأمين
الامضاء (حسين رشدى)

من الوفد الى الدكتور ولسن

[٣٩] وفى يوم ٣ يناير ١٩١٩ أرسل الوفد تلغرافا ثالثا الى رئيس
جمهورية الولايات المتحدة يطلب منه المساعدة فى تسهيل سفر الوفد ،
وهذا نصه :

جناب الدكتور ودرو ولسن

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

باريس

« قد أحطنا سعادتكم بتلغرافين متتاليتين علما بما اتخذته السلطات
البريطانية من منع سفر الوفد المكلف بالدفاع فى أوروبا عن مطالب مصر
الوطنية .

« واننا رغم مشاغلهم الهامة المتعددة نعتقد بأنكم لا تتركون موضوعا
تلزم فيه معونتكم تحقيقا للاحترام الواجب نحو الحرية .

« وبما أننا لازلنا ممنوعين عن مغادرة بلادنا . فالوفد المصرى يكرر
لبعثتكم رجاءه بتسهيل السبل له حتى يتمكن من عرض مطالب بلاده » .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

الامضاء (سعد زغلول)

**من الوفد المصرى
الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة**

[٣٧]

**جناب الدكتور ودرو ولسن
رئيس جمهورية الولايات المتحدة
بلندن**

« فى يوم وصولكم الى انجلترا يرفع الوفد المصرى الى سعادتك باسم جميع المصريين بأن تستعملوا نفوذكم لدى الحكومة البريطانية للتصريح لنواب البلاد الممنوعين من مغادرة بلادهم لغير سبب مقبول بأن يذهبوا الى أوربا حتى يحيطوا السلطات المختصة علما بآمالهم ورغباتهم الوطنية .

« وان أعضاء الوفد اذا هم شددوا فى طلب سفرهم لعرض مطالب مواطنيهم فى قضية مستقبل مصر السياسى على أنظار سعادتك وعلى الرأى العام البريطانى وعلى أنظار من سيجتمعون حول مائدة مؤتمر الصلح فانهم لم يطالبوا الا بحق طبيعى مقدس .

« ان مصر تطلب استقلالها - وهو الحق الطبيعى للشعوب . وترفع بكل احترام هذا النداء لسعادتك للوصول الى هذا الغرض الشريف .

وليل الجمعية التشريعية المنتخب.

ورئيس الوفد المصرى

(الامضاء) سعد زغلول

٢٦ من ديسمبر ١٩١٨

تصميم رشدى باشا على الاستقالة

ولما لم تجب السلطة الانجليزية دولة رشدى باشا الى طلبه ولم تقبل استقالته أرسل هذا الخطاب القاطع بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ الى عظمة السلطان وهو :

[٣٨] يا صاحب العظمة السلطانية :

« ان التأجيل فى قبول استعفائى قد يكون من عواقبه تحميل المسئولية التى أردت والتى أريد قطعيا اجتنابها وهى مسئولية قهائى

رسمية ، ولكن حدثت مساع ومخابرات أخرى بغير هذه الصفة لم توصل إلى نتيجة ما .

« في هذه الأثناء تألفت وفود من أعضاء الهيئات النيابية (١) في البلاد وطلبوا أن يسمح لهم بالسفر إلى لندرة ليدافعوا عن مصلحة مصر فنصحت أن يؤذن لهم في ذلك. وأن تسمح أقوالهم فلم يصغ لنصحي ولم يكتفى (٢) بذلك بل أبوا على أنا نفسى أن تسمح أقوالى فيما عساه أن يكون نظام الحماية .

« لهذا التصرف ستحرم مصر دون غيرها من الأهم أن يسمع صوتها في الوقت الذى يبت في مصيرها .

« فبناء على هذه الاعتبارات يلزمنى أن أعود فألح لدى عظمتكم مع الاحترام بقبول استعفائى »

الحادم الوضيع والصادق المخلص

الامضاء (حسين رشدى)

٢٣ ديسمبر ١٩١٨

ولقد كسبت قضية مصر بهذه الاستقالة كسبا جديدا ، فقد أثبتت أن الأمة حكومة وشعبا قد أجمعت أمرها على السعى لاستقلالها لا فرق بين الحكام والرعايا ، يضاف الى هذا أن هذه الاستقالة قد زادت الحركة القومية قوة على قوتها ، وانتشر نبؤها بين طبقات الأمة التى كانت تتربص كل ما يقوم به زعمائها من الأعمال وذاع نبا الاستقالة فى جميع الأوساط شأنه شأن غيره من الأنباء الخطيرة .

وسمى الانجليز سعيًا حثيثًا لحمل رشدى باشا على سحب استقالة وزارته ، غير أنه كان مصرا على الاستقالة ، وقد لقي تشجيعا من طبقات الشعب فزاره فى منزله كثير من كبار الموظفين والاعيان وأعضاء الجمعية التشريعية ليظهروا له اعجابهم بموقفه .

(١) يقصد أعضاء الوفد المصرى .

(٢) هكذا وردت فى الاصل وصحتها (لم يكتف) .

[٣٥] صاحب العظمة السلطانية :

« فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ رفعت الى سدتكم السنية التقرير الآتى.
نصه :

{ ان الحوادث تتوالى بسرعة وقد أوشكت مفاوضات الصلح أن
تبتدىء وعما قريب يشرع فى تسوية جميع المسائل التى نشأت عن
الحرب . وأن لمن الأهمية العظمى أن يعرض بطريق مباشر على حكومة
صاحب الجلالة البريطانية رغائب عظمتكم ورغائب حكومتكم فيما يختص
بمستقبل مصر السياسى ولهذا أعرض على عظمتكم أن تعهدوا الى والى
زميلى عدلى باشا القيام بهذه المأمورية وفى أثناء غيابنا ينوب عنى سرى
باشا فى رئاسة مجلس الوزراء وثروت باشا فى وزارة الداخلية وينوب
زيور باشا عن عدلى باشا فى وزارة المعارف) .

« ولقد عرضت هذا رأى بعد موافقة عظمتكم على الحكومة البريطانية
بواسطة فخامة القومسيير العالى (١) فكان جوابها حاملا لى على تقديم
استقالتي فرفعتها بالنص الآتى الى عظمتكم :

صاحب العظمة السلطانية :

عندما أخذت على عاتقى أمام ضميرى وأمام وطنى وأمام التاريخ
مسئولية منصبى فى عهد النظام الجديد قد عاهدت نفسى عهدا أساسيا أن
أطلب من الحكومة الانجليزية عند الشروع فى مفاوضات الصلح أكثر
ما يمكن من الحرية لمصر .

والآن وقد أوشكت هذه المفاوضات أن تبتدىء طلبت من الحكومة
الانجليزية بعد تصديق عظمتكم أن تسمع أقوالى فكان جوابها بمشابة
التسويق « الى ما بعد الصلح » على أننى بالعكس أرى أن الوقت الحاضر
هو الذى ينبغى فيه عرض ما لمصر من الأمانى القومية وتأييده .

فلهذه الأسباب أشرف بتقديم استعفائى بين يدى عظمتكم من
رئاسة الوزراء ووزارة الداخلية وأن زميلى عدلى يكن باشا الذى عينتموه
لمرافقتى فى مهمتى يتمسك بمشاركتى فى هذا الأمر فهو يقدم شخصيا
استعفاه من وزارة المعارف العمومية » .

[٣٦] « ولكن رفع الرجاء الى عظمتكم ألا تقبلوا هذه الاستقالة الا بعد
مراجعة لندرة فلم يكن جوابها الجديد الا مؤيدا للجواب الأول .
« لهذا أصررت على الاستقالة . ومن ذلك الحين لم ترد تبليغات

(١) يقصد المندوب السامى وقد جاءت القومسيير العالى ترجمة لـ
High Commissioner.

وبين تحقيق رغباتكم الصحيحة التي أقركم عليها الحلفاء وهي « توجيه مصر الأمم الى حيث تنجه ميولها » .

« أجل أن السلطة البريطانية قد طلبت إلينا أن نبدي اقتراحات مكتوبة في إدارة مصر بشرط أن لا تخرج عن دائرة الحماية التي رتبناها . وأنها بذلك تطلب إلينا المحال لأن مصر لم تقبل مطلقا هذه الحماية التي ليست الا عملا من الأعمال الحربية والتي مع كونها مناقضة لآمالنا في الاستقلال فهي مناقضة أيضا للحقوق التي كسبناها من تركيا من زمان بعيد . فان هذه الحرب أبعد ما يكون من أن تضيق دائرة تلك الحقوق بل على ضد ذلك توسع فيها الى حد الاستقلال تطبيقا للمبادئ الجديدة التي تقضى باحترام الجنسيات . وانا تلقاء ذلك لنأسف لتصرف حكومة أمة اعتقادنا بحريتها متين .

[٣٤] وانا لمعدورون في أن نقف في وجه هذا التصرف لأننا لم نصنع الا الى داعي وجودنا القومي .

لهذه الأسباب

« وباسم مصر ذلك البلد الراقى في معارفه ، القديم في مدنيته ، ذلك البلد المتجانس السكان والمتمشرب بأفكار التقدم والتمدن ، نحتج بشدة على كل اعتداء على حقوقه واستقلاله . فمصر تضرع الى جنابكم أن تهيئوا لها فرصة أن تسمع صوتها بالاحتجاج وبآمالها الشرعية » .

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية

ورئيس الوفد المصري

(الامضاء) سعد زغلول

استقالة رشدي باشا من الوزارة

قلنا انه في الوقت الذي ذهب فيه سعد باشا ورفيقاه الى المعتمد السامي البريطاني للتحدث معه في شأن مصر ومستقبلها السياسي كان رشدي باشا وزميله عدلي باشا يرفعان تقريرا الى عظمة السلطان يبديان فيه رغبتهما في السفر الى انكلترا للتكلم في شأن القضية المصرية وأنهما عرضا هذه الفكرة على المعتمد السامي فلم ترق في نظره ولذلك قدم رشدي باشا كتاب استقالته الى عظمة السلطان فلم تقبل .

ولقد بذلت مساع كثيرة لحمل رشدي باشا على العدول عن الاستقالة فرفض وزاد على ذلك أن قدم كتابا الى عظمة السلطان يصر فيه على الاستقالة وهذا نصه :

ماتنى جنيه ، فكان أوداك النواة الأولى لحزاة الوفد ثم أخذ سيل التبرعات والاكتابات يتدفق على هذه الحزاة من أنحاء البلاد المصرية (١) .

من الوفد المصرى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة

[٣٣]

وفى يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٨ أرسل الوفد الاستنجد الأتى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ليعينه على تحقيق مسعاه فى السفر لحضور مؤتمر السلام وهو : جناب الدكتور ولسون

رئيس جمهورية الولايات المتحدة - باريس

« سافرت من بلادك لتبلغ العالم القديم آية الهدى ولتمثل للعيون عزم أمريكا الحرة على تسوية شئون الأمم على قاعدة الحق والعدل ، فأضفت الى مجدك مجدا آخر حقيقا بشكر الانسانية ، وليس فى العالم أمة تعدل الأمة المصرية فيما استشعرته من الفرح لطلوع صبح العصر الجديد الذى سيوشم العالم أجمع بفضل جهادكم فيفيض عليه نعم سلام لا يكدر صفوه ولا نقاء عبث العابثين من أهل الاتوقراطية أو سياسة أولى المنفعة وحب السلطان .

« وما من أمة أشد اعجابا من الأمة المصرية بتنزه الأمة الأمريكية عن الأتراض فى خوض غمار هذه الحرب . ذلك التنزه الذى مكنها من أن تطلب عالية الرأس أن يسوى فى العدل بين الأقوياء والضعفاء وبين الأمم الكبيرة والأمم الصغيرة .

لذلك ترى مصر حقا عليها على أثر وصولكم الى أوروبا لتلوا بنفسكم الدفاع عن أسمى القضايا وأشرفها وهى قضية الانسانية ، سعيكم الذى فيه نجاح الحق والعدل .

« ان الوفد المصرى الذى من أعضائه كثير من أعضاء الجمعية التشريعية والذى قد وكلته الأمة توكيلا خاصا فى السفر الى أوروبا ليعرض على أولى الشأن مطالب المصريين ويؤيدها بالبرهان ، قد كان يرى واجبا عليه أن يقدم اليكم شخصا تحيات مصر وعبارات اعجابها لو استطاع لذلك سبيلا . غير أن السلطة مع الأسف قد منعتة جوازات السفر فحرمتنا بذلك من أن نفضى الى الراى العام بآلامنا وأمانينا وعرضت القضية المصرية الى خطر الأحكام غير المبينة على الحجج الكافية والأدلة الصحيحة . وحالت بين مصر

(١) هذا التسم غير متصل بالسياق العام للمذكرات ولكننا نثبتته فى مكانه كما جاء بها .

مستقبل مصر بدون أخذ رأى الأمة المصرية فيه (١) .

القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩١٨ .

امضاءات أعضاء الوفد المصرى (٢)

تأثير هذا الاحتجاج

لم يكد هذا الاحتجاج يصل الى ممثلى الحكومات الأجنبية فى مصر حتى ذاع خبره فى جميع البلاد والأوساط ، وتناقله أفراد الشعب وحيثاته المختلفة ، وأصبح موضع حديثهم ، ومثار إعجابهم ، وكان له أثر بليغ فى ازدياد حماسة الشعب والتفافه حول الوفد ، وكانت النداءات التى يوجهها الوفد الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وإلى أعضاء مؤتمر الصلح ، وممثلى الحكومات الأجنبية فى مصر تشعل نار الحماسة فى الشعب ، وتقوى الرابطة بينه وبين الوفد ، وكان المظهر الخارجى البديع لهذه الرابطة الوفود التى أخذت تتدفق كالسيل الجارف على بيت الأمة لتتعرف خطى الوفد وأعماله .

[١٣٣]

وبدأ اتصال الوفد من ذلك الوقت بطلبة المدارس فتألفت منهم لجنة سميت « لجنة الطلبة » كانت تعقد اجتماعات متوالية ، فى أمكنة مختلفة . ومتابعة لهذه الخطة أرسل الوفد الاستنجد الآتى الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ليعينه على تحقيق مسعاه فى السفر لحضور مؤتمر السلام .

أموال الوفد

قد يسأل الانسان : كيف كان الوفد يحصل على المال الذى يستخدمه فى بث دعايته فى الداخل والخارج ؟ والجواب عن ذلك أن أعضاء الوفد اكتبوا بما استطاع كل منهم ، فاجتمع بذلك بضعة آلاف من الجنيهات ، وكان نصيب سعد باشا من هذا الاكتتاب أن باع ١٧٠ مائة وسبعين فدانا من أخصب الأراضى كان يملكها فى مديرية البحيرة بسعر الفدان ٢٠٠

(١) يلاحظ أن أصل الخطاب كان موجها الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر باللغة الفرنسية وانه مؤرخ فى ٩ ديسمبر وليس ٦ ديسمبر كما جاء فى المذكرات F.O. 407 Enc. 1 in No. 49.

(٢) بلغ عدد هذه الامضاءات فى الأصل الفرنسى ١٦ امضاء لكل من : سعد زغلول باشا ، على شعراوى باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، محمد محمود باشا ، حمد الباسل باشا ، عبد العزيز فهمى بك ، أحمد لطفى السيد بك ، محمد على بك ، محمود أبو النصر بك ، عبد اللطيف المكباتى بك ، سيتوت حنا بك ، دكتور حافظ عفيفى بك ، مصطفى النحاس بك ، جورج خياط بك ، حسن واصف باشا ، ميشيل لطف الله بك .

الداخلية ، وأن التوكيلات التي تداولت اعتبرت مما يدعو للاخلال
بالنظام العام » .

[٣١] « الله شهيد أن البلاد لم تكن قط أكثر منها سكينه ورزانه عندما
أهاب بها الداعي واستوقفها لتجهر برأيها في هذا المشهد الرهيب .
فالمصريون شبابا وشيوخا ، سكان مدن وقرى ، أغنياء وفقراء ، كلهم قد
نسوا ما بينهم من الفوارق الطائفية والمذهبية والحزبية وقاموا جميعا
بدافع الاخلاص والوطنية قومة رجل واحد ملين دعوة الداعي يزينهم
الاعتدال والتعقل في القول والفعل .

« ولقد كنا نعتقد أن تداخل السلطات في هذا الشأن لا يتجاوز حد
عمل احتياطي من أعمال الضبط وأن ما فيها من التعسف ليس
منبعثا الا عن افراط في الغيرة ، ولم يدر بخلدنا أن استنكار السلطات
لهمتنا يبلغ بها الى المعاملات الجديدة التي عاملتنا بها وهي منعنا عن
السفر لأوربا لأداء موجب التوكيل الذي أخذناه على عاتقنا ، ذلك أن
قدمنا طلبا كتابيا لفخامة المندوب السامي البريطاني نرجوه فيه أن يتوسط
لدى السلطة العسكرية لمنحنا جوازات السفر فورد إلينا الجواب في أول
ديسمبر سنة ١٩١٨ من السكرتير الخصوصي يبلغنا أن فخامته بعد أن
استشار حكومة جلالة ملك بريطانيا لا يستطيع التوسط المطلوب .

« فنظرا لأن تلك الاجراءات يصعب التوفيق بينها وبين الروح
السائدة في الأمم والحكومات التي سيأخذ مندوبوها مجالسهم في مؤتمر
الصلح ، ونظرا لأن هذه الاجراءات مناقضة على خط مستقيم للتأكيدات
المتكررة على رؤوس الملاء أن صوت الشعوب وافصاحها بالحرية عن
ميولها القومية سيكون لها الأثر الفاصل في تقرير مستقبلها .

« ونظرا لتلك المعاملات الاستثنائية التي عوملت بها الأمة المصرية
حتى لم يسلم منها الوزراء المصريون أنفسهم من الاستهتار بمبدأ الحرية
الشخصية ومن غمط مبدأ الحق الطبيعي لكل أمة في أن تسمع قبل من
عاداها صوتها بالنسبة للمسائل الجوهرية الخاصة بها ، تلك المسائل
التي لا يمكن الوقوف عليها الا بعد اعطاء الأمة كامل الحرية في التعبير
عن رأيها .

نظروا لكل ما تقدم

[٣٢] « أتينا بهذا محتجين لدى حضرات نواب الدول الصديقة التي يهمها
أمر مصر على الخطة التي صار اتخاذها معنا وعلى كل قرار يتخذ بشأن

السكينة وحسن الوفاء قد آن الأوان لتجهر ، على هذا المنوال من السكينة والوفاء ، بما لها من الحق في أن تحيا حياة حرة خالصة من القيد والأغلال .

« كل مصرى يمازج فؤاده هذا الشعور وكل مصرى كان يضبط شعوره حتى وافته هذه الفرصة فتفتحت أفئدة الأمة جمعاء واندفعت من ذاتها تطلب لمصر الاستقلال الذي كان دائما ضالبتها المنشودة والذي من أجله سفكت تارة دم أبنائها في ميادين القتال وتارة كانت تهب للمعارضة بغاية الشدة كلما عرض من الحوادث ما من شأنه اقصاصها عنه .

[٣٠]

« مصداق هذا الشعور الراسخ أن الوفد الذي تألف من الموقعين عليه للقيام بمطالب البلاد الحقبة والدفاع عنها في الخارج لم يكده يتم تأليفه حتى تقبلت الأمة مهمته بالارتياح وأيدته فيها بالاجماع . ولقد كان هذا الوفد الذي من بين رجاله كثير من أعضاء الجمعية التشريعية أن يستغنى عن أى توكيل خاص لأداء مهمته هي من بديهيات الحق الطبيعي للحكومات ، فكر في أنه لو حصل على رأى الأمة في صورة توكيل يضيئه أفرادها وخصوصا من يكونون منهم قائمين بوظائف نيابية لكان ذلك أبلغ في الدلالة على مشيئة البلاد وأقوم في البيان عن كنه شعورها ، لدى من ليسوا عالمين بحقيقة حالها .

لم تكده هذه الفكرة تظهر حتى أخذ الجمهور على نفسه أمر تحقيقها ولم تكن الا برهة من الزمان يسيرة حتى امتلأت التوكيلات بألوف الامضاءات من بينها عدد عظيم للعلية من أفراد الأمة كأعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات والمجالس البلدية وغيرهم . ومما لا ريب فيه أن هذه الحركة لو تركت وشأنها لأجمعت الأمة بهذا الشكل على مطابقة مأموريتها لما يخامر كل فؤاد من أفئدة أبنائها .

« ولكن مبادئ الحق والعدل التي انتشرت في العالم انتشارا لا يقاوم بدليل ما يرن في آذاننا من أصواتها الواصلة اليينا من أوروبا وأمريكا وما نقرأ عنها في تصريحات كبار الرجال أولى الشأن في التعبير عن آراء أممهم — هذه المبادئ يظهر أن أمتنا بالغت في الاعتداد بها .

« نقول هذا لأنه كانت تصدم أفكارنا التي تتوارد علينا تباعا من الاجراءات التي تباشرها السلطة لمنع تداول التوكيلات ثم مصادرة ما تم التوقيع عليها فعلا .

« نظلم وفدنا لدولة رئيس الوزراء من هذه الاجراءات فكان جوابه :

« ان الأوامر الخاصة بذلك قد كان صدورها من جناب مستشار

نداء الوفد لمعتمدى الدول الأجنبية بمصر

[٢٨] كانت كل المكاتبات والمراسلات الى ذلك الوقت تدور بين الوفد من جهة ودولة رئيس الوزارة المصرية أو ممثلى الحكومة الانجليزية من جهة أخرى . وقد رأينا أن الوفد لم يحصل على نتيجة يرتاح اليها من جهة أخرى ، فالحكومة المصرية لم تستطع أن تحول بين الانجليز وبين مصادرة التوكيلات ولم يفلح الوفد فى الحصول على جوازات السفر من السلطة العسكرية الانجليزية والمندوب السامى البريطانى . ورأى أنه قد حان الوقت لكى يعرف ممثلو الدول الأجنبية حقيقة ما ترمى اليه الحركة المصرية فأرسل فى ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ النداء الآتى بعد الى معتمدى الدول الأوروبية بمصر :

[٢٩] « إيماناً بالتصريحات المؤكدة التى أعلنها ساسة الحلفاء عند نشوب الحرب ولازالوا يجاهرون بها من انتصارهم للحرية والحق .

« واعتماداً على تلك الروح الجديدة التى تدفع أمم العالم وديمقراطياته نحو ذلك المثل الأعلى مثل الحياة المطمئنة فى كنف العدل وبجوحة السلام .

« وثقة على الأخص بأن دخول جمهورية الولايات المتحدة الفاصل فى المعترك العالمى لم يكن لها فيه من قصد سوى صيانة حقوق الأمم الضعيفة واستئتناج عصر عدل مجرد عن الهوى تبور فيه الى الأبد صفقة من لا ينظر الا الى ارضاء مطامعه الشخصية ولا يهمه غير بسط سلطته على بنى الانسان اعتماداً على القوة والجبروت .

« فمصر التى تعرف واجباتها وتهتم بمصالح نفسها — وقد دخل ذلك الايمان قلبها وجعلت ذلك الاعتماد وهذه الثقة سندها — رأت بمجرد عقد الهدنة الأخيرة أنها بعد أن لبثت طول مدة الحرب على أكمل حال من

(١) حتى هذا الوقت كانت درجة التمثيل الأجنبى فى مصر لا تزيد عن درجة المعتمد والفنصل العام Agent and Consul-General وذلك بحكم أنها كانت قبل ١٩١٤ حزباً من الدولة العثمانية ثم فرضت عليها الحماية البريطانية بعد ذلك .

« هل تقبلون سعادتك أن يخنق صوت أمة بأسرها بينما أرجاء العالم تدوى بأصوات الأمم المطالبة بما لها من الحقوق وبحرية التصرف في مستقبلها ؟ »

« وهل تقبل أمتكم العظيمة وهي خارجة تحمل أكاليل النصر من حرب لم تخض غمارها الا دفاعا عن الحرية أن يصوب باسمها أنفذ سهم في قلب هذه الحرية ؟ »

« ان مصر وهي عارفة بحقوقها وواجباتها رأت أن توقف بنفسها الرأي العام الانجليزي على حقيقة حالها وأن تطلعه على مطالبها القومية مؤملة في عدله تمام تحقيقها . »

« فالذين بيدهم السلطة لم يكفهم أن يمنعوا تداول التوكيلات التي قصد بها تحويل الوفد المكون لهذا الغرض وهو الدفاع عن قضية مصر ، بل تجاوزوا ذلك الى وضع عراقيل على طريق هذا الوفد الى انجلترا . »

« وهذا أمر يشبه أن يكون الغرض منه اقامة سد منيع بيننا وبين الرأي العام الانجليزي فيصبح عسيرا أن يقف على الحقائق من مصادرها الطبيعية . »

« فبالنيابة عن الوفد المصري أرفع هذه التصرفات لنظركم السامي » (١) .

القاهرة في ٤ ديسمبر ١٩١٨

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصري

(الامضاء) سعد زغلول

(١) أرسل سعد هذه البرقية باللغة الفرنسية الى مستر لويد ولكن المندوب السامي أصدر أمرا الى الرقابة بمنع ارسال هذه البرقية وبعث بترجمتها الانجليزية الى لندن .
(انظر : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٦٤ - ١٦٥) .

تتفق مع خطة الحكومة الانجليزية التي اعلنتها من قبل فلا بأس من تقديمها اليه بالكتابة لافتنا نظرنا في هذا الصدد الى خطاب السير ميلن شيتهم الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر ، فأجبنا فخامته أمس بأننا لا نستطيع أن نفاوض فيما لا ينطبق على رأي الأمة الذي عبرت عنه بالتوكيلات الصادرة لنا وأبنا له كيف أن إيقاف الرأي العام الانجليزي على حقيقة الرأي المصرى غاية لا تدرك هنا بل بسفر وفد الأمة •

« فمهما يكن من تلك الصعوبات التي لا نعرف طبيعتها وتلقاء تصريح دولتكم المتقدم ذكره وما اعلن عن سفر دولتكم ومعالى وزير المعارف كوفد من قبل الحكومة فأننا لا نزال نعتد بحق على عدلكم في أن تصرفوا قبل سفركم جهدكم الى تسهيل السفر على وفد الأمة أيضا •

« وأنا شديد الثقة في أنه يعز عليكم أن تفوت مصر هذه الفرصة الوحيدة لعرض مطالبها الحققة •

« وفي انتظار الرد تفضلوا يا دولة الرئيس بقبول عظيم احترامى ، ، القاهرة في ٤ ديسمبر ١٩١٨ •

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب
ورئيس الوفد المصرى
(الامضاء) سعد زغلول

من الوفد الى رئيس الوزارة الانجليزية

[٢٨]

وفى نفس اليوم أرسل الوفد الى رئيس وزراء انجلترا التلغراف الآتى :

« صاحب السعادة المستر لويد جورج الوزير الاول لبريطانيا العظمى •

دوننج ستريت - لندن

« تحدث في مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدل التي هي شعار دولة بريطانيا العظمى وللسياسة الحرة التي لا زلتم اماما لها الى حد أن المصريين أصبحوا يتساءلون هل التصريحات التي ما فتىء سياسة المملكة يعلنونها كل يوم لا يعنى بها الا فريق من بنى الانسان دون فريق آخر أقل استحقاقا للرعاية •

مصر فيذهبون الى دار الحماية ويؤلفون الوفد ويسعون للحصول على جوازات السفر الى أوروبا ، في هذا الوقت ، وفي يوم ١٣ نوفمبر بالذات كان صاحب الدولة حسين رشدي باشا يرفع تقريراً الى صاحب العظمة السلطان في وجوب سماع صوت مصر في مؤتمر الصلح والدفاع عن حقها في تقرير مصيرها ، وأن يكون هو وعدلى باشا الوفد الذى يمثل الحكومة في مؤتمر الصلح ، وقد صادف هذا التقرير ارتياح عظمة السلطان وهذه صورته :

حضرة صاحب العظمة السلطانية :

« ان الحوادث تتوالى بسرعة ، وقد أوشكت مفاوضات الصلح أن تبتدىء ، وعما قريب يشرع فى تسوية جميع المسائل التى نشأت عن الحرب ، وانه لمن الأهمية بالمكانة العظمى أن يعرض بطريق مباشر على حكومة صاحب الجلالة البريطانية رغائب عظمتكم ورغائب حكومتكم فيما يختص بمستقبل مصر السياسى ، ولهذا أعرض على عظمتكم أن تعهدوا الى والى زمبلى عدلى باشا فى القيام بهذه المأمورية ، وفى أثناء غيابنا ينوب عنى سرى ياشا فى رئاسة مجلس الوزراء وثروت باشا فى وزارة الداخلية وينوب زيور باشا عن عدلى باشا فى وزارة المعارف » . وقد عرضت هذه الفكرة على المندوب السامى عند مقابلة رشدي باشا اياه فى ذلك التاريخ فلم ترق فى نظره فخرج رشدي باشا من عنده وقدم استقالته الى عظمة السلطان ولكنها لم تحز قبولا .

خطاب الوفد الى رئيس الوزراء

بطلب تسهيل سفر الوفد

وفى ٤ ديسمبر ١٩١٨ أرسل الوفد الى رئيس الوزراء الخطاب الآتى :-

« حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء »

[٢٧]

« لما شرعنا فى السفر الى انجلترا لنطلع أولى الشان فيها على رأى الأمة المصرية فى حكم نفسها تشرفنا بمقابلة دولتكم فى ١٣ نوفمبر الماضى فصرحتم لنا بأنه قد حدثت صعوبات يتوقف على النظر فيها البت فى أمر الجوازات ، فوسطنا فخامة المندوب السامى فى ذلك ، فكان جوابه فى أول ديسمبر الجارى أنه بعد مخابرة حكومتكم لا يستطيع المداخله عند السلطة العسكرية فى أمر تلك الجوازات ، غير أنه أن كان لدينا اقتراحات

الوفد أن يطلب طلبات غير مطابقة لمشئنة الأمة التي عبرت عنها بالتوكيلات المعطاة لنا • واني ألفت نظر فخامتكم الى أن هذه التوكيلات التي أقبل عليها كثير من علية القوم كأعضاء الجمعية التشريعية والهيئات النيابية الأخرى ما كانت الا لتستغرق أفراد الشعب كلهم (١) لو لم تتدخل السلطات وتمنع تداولها وتصادرها • وأن سفرنا الى انجلترا لم يكن الغرض منه الا مفاوضة رجال السياسة ونواب الأمة وغيرهم ممن يدرون الرأي العام البريطاني الذي اليه ترجع الشؤون الحكومية لأننا مقتنعون بأن نجاح قضيتنا يتوقف جله على ما فطر عليه هذا الرأي العام من حب العدل والحرية والانتصار للضعيف •

من هذا ترون فخامتكم أنه يستحيل علينا أن ندرك غرضنا بواسطة تبليغات تقدم في مصر فقط مادامت القضية التي ندافع عنها يجب عرضها بادى ذى بدء على الرأي العام البريطاني وهو لا يمكنه أن يحيط علما بنفائسها الا من مصادرها الطبيعية ، أى من ممثلى الأمة المصرية ، فعدم تمكننا من السفر يقضى على المهمة التي أخذنا على عاتقنا تنفيذها طوعا لمشئنة البلاد ، على أنه من الصعب التوفيق بين منعنا من السفر وبين ما تقتضيه مبادئ الحرية والعدل التي فتحت بريطانيا العظمى وشركاؤها أبوابها لخير الانسانيه ولتحقيق ميول الشعوب •

وتفضلوا فخامتكم بقبول فائق الاحترام ،،،

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(الامضاه) سعد زغلول

القاهرة فى ٣ ديسمبر ١٩١٨

وفد الحكومة

[٢٦]

قلنا ان الشعور الوطنى لم يكن مقصورا على فئة ذون أخرى • بل ان جميع طبقات الأمة كانت تشعر بأن الواجب عليها أن تعمل للاستقلال ونجاتها من الحال التي كانت عليها فى أيام الحرب ، وليس أدل على ذلك من أنه فى الوقت الذى كان سعد باشا وزهلاؤه يسعون لاستقلال

(١) بمعنى تستوعب أفراد الشعب كلهم •

« وأضيف الى ذلك أنكم ان كنتم تريدون تقديم اقتراحات بخصوص كيفية الحكم في مصر مما لا يخرج عن الخطة التي رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل . فالأفضل أن مثل هذه الاقتراحات تقدم كتابة الى فخامته - ولهذه المناسبة ألفت نظركم الى خطاب (١) السير ميلن شيتهم الذي أرسله بناء على أمر حكومة جلالة الملك الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر » .

القاهرة في أول ديسمبر ١٩١٨

المخلص

ج . س . سيمس

السكرتير الخاص بالنيابة

جواب الوفد على رد دار الحماية

وفي يوم ٣ ديسمبر ١٩١٨ أرسل سعد باشا كتابا (٢) الى المندوب السامي باللغة الانجليزية وهذه ترجمته :

صاحب الفخامة السير فرنسيس ريجنلد ونجت

المندوب السامي لحكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .

تشرفت باستلام الخطاب المؤرخ أول ديسمبر ١٩١٨ الصادر من سكرتير جنابكم الخاص ردا على كتابي المؤرخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ [٢٥] المختص بجوازات السفر المطلوبة لأعضاء الوفد المصري .

« ولقد ورد في هذا الخطاب أن فخامتكم مستعدون لقبول ما يقدم لكم من الاقتراحات المكتوبة بشأن نظام الحكم في مصر ، بشرط أن لا تكون غير متفقة مع الخطة التي سبق أن رسمتها حكومة جلالة الملك . وردا على هذا لا يسعني الا أن أصرح لجنابكم بأنه لا يسوغ لي ولا لأحد من أعضاء

(١) المقصود به التبليغ الذي أرسله القائم بأعمال المعتمد البريطاني في ١٠ ديسمبر ١٩١٤ عقب إعلان الحماية على مصر في ١٨/١٢/١٩١٤ رسميا . وعزل الحديو عباس حلمي ، وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، وكان بمثابة دستور أولى لنظام الحماية ، (انظر ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٦٩) .
(٢) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ص ١٩ .

يا صاحب الفخامة :

« أتشرف بأن أعرض على فخامتكم أنه قد ألف وفد برياستي بقصد السفر الى انجلترا للمفاوضة مع أولى الحل والعقد البريطانيين بشأن مستقبل مصر . وقد أرسلت الى رئاسة الجيش الانجليزي بتاريخ ٢٠ الجاري خطابا التمسست فيه اعطائي أنا وزملائي جوازات السفر فأجابت السلطة العسكرية في اليوم التالي بأن طلبنا سينظر فيه في أقرب وقت ، ولما كانت المهمة التي أخذناها على عاتقنا تفضي بوجودنا بلندرة (١) من غير تأخير فقد حررنا أمس طالبين النظر في ملتسنا واليوم ورد لنا خطاب من السلطة العسكرية يتضمن أنه حدثت بعض صعوبات لم يتيسر معها اجابة طلبنا الى اليوم وأنه بمجرد تذليل هذه الصعوبات تسارع الى اجابتنا الى طلبنا ، وتلقاء هذه الاجابة ونظرا الى أنه من الضروري أن يكون وفدنا بلندرة قبل الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر جئنا بهذا راجين من فخامتكم أن تتفضلوا باستعمال مالكم من نفوذ لدى السلطة العسكرية لحصولنا على جوازات السفر سريعا وفي الوقت المناسب .

[٢٤]

وأنا معتمدون كثيرا على تقاليد بريطانيا العظمى التي مازالت تقدم للعالم كثيرا من الأمثلة على تمسكها بمبادئ الحرية الشخصية اعتمادا يجعل لنا الثقة في أن طلب التصريح لنا بالسفر سيفصل فيه عاجلا .
وانا في انتظار اجابة ملتسنا نقدم لفخامتكم عظيم الاحترام والتبجيل » .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصري

الامضاء (سعد زغلول)

رد دار الحماية

فجاء الرد في أول ديسمبر ١٩١٨ وهذه ترجمته .

عزيزي زغلول باشا :

« كلفت من قبل فخامة المعتمد السامي البريطاني باحاطتكم علما بوصول خطابكم المؤرخ ٢٩ الماضي وباخباركم ردا عليه بأن فخامتكم قد رأى بعد استشارة حكومة جلالة الملك أنه لا يستطيع التوسط لدى السلطة العسكرية في هذا الموضوع .

(١) لندرة هي لندن وكان الساسة والصحفيون المصريون في ذلك الوقت يستخدمون الترجمة الفرنسية للاسم بحكم ثقافتهم .

بك (٤) وواصف غالى بك (٥) .

وقد كان لانضمام سينوت بك حنا وجورج بك خياط الى الوفد اثر عظيم زادته قوة على قوته ، واطهرت أنه يمثل الأمة المصرية بجميع طوائفها .

طلب السفر الى مؤتمر الصلح

وفي يوم ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ أرسل سعد باشا الى السلطة العسكرية يطلب له ولأصحابه جوازا بالسفر الى أوروبا لعرض مطالب البلاد على مؤتمر الصلح والتمكن من اسماع صوت مصر في أعطاها حق تقرير مصيرها . فردت عليه السلطة في اليوم التالي قائلة بأن طلبه سينظر فيه في أقرب وقت ممكن . فطلب اليها في يوم ٢٨ التعجيل بالنظر في طلبه ، فجاءه منها في اليوم التالي ما ملخصه :

[٢٣]

« أنه قد عرضت صعوبات تمنع من اجابته الى طلبه في الوقت الحاضر ، ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر بأعطائه وصحبه الجوازات التي يطلبونها » .

فما وصل هذا الرد الى سعد باشا حتى أمر بكتابة الخطاب الآتي :
الى المندوب السامي باللغة الانجليزية وهذه ترجمته :
الى صاحب الفخامة السير ريجنلد ونجت
المندوب السامي لحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى .

(٤) محمود أبو النصر هو أحد أعضاء الحزب الوطني الذين شاركوا مصطفى كامل ومحمد فريد في العمل السياسي . له مواقف وطنية مشهورة تحمل بسببها العنت من سلطة الاحتلال البريطاني ترافع عن ابراهيم ناصف الورداني في ١٢ مايو ١٩١٠ ودافع عنه دفاعا بليغا مع أحمد مصطفى وابراهيم بك الهلباوى . شارك في اجتماع المؤتمر المصري ومباحثاته في ٢٩ ابريل ١٩١١ لقمع الفتنة الطائفية والتي خطبة فيه . ترافع في القضية التي اتهم فيها محمد فريد وعلى فهمي كامل واسماعيل حافظ بالخط على كراهية الحكومة في مارس ١٩١٢ .

(محمد فريد - مذكرتي بعد الهجرة ص ٥١ هامش ٥) .

(أحمد شفيق - القسم الثاني ج ٢ ص ٢١١) .

(٥) واصف غالى باشا ابن بطرس غالى الذي اغتيل ١٩١٠ . ذا ثقافة فرنسية عالية . في ١٩١٩ أصبح ممثلا غير رسمي للسياسة المصرية في باريس الى أن التحق بالوفد . شغل منصب وزير الخارجية في وزارة سعد زغلول الأولى من يناير الى ديسمبر ١٩٢٤ ، وأيضا في وزارة النحاس عام ١٩٢٨ . كان ضمن وفد المفاوضات في لندن من مارس الى مايو ١٩٣٠ عين وزيرا للشئون الخارجية في وزارة النحاس في مايو ١٩٣٦ وكان عضو وفد المباحثات من أجل المعاهدة المصرية البريطانية .

اليه كلا من أصحاب السعادة والعزة حمد الباسل (١) وسينوت حنا بك (٢) وجورج خياط بك واسماعيل صدقي باشا (٣) ومحمود أبو النصر

(١) حمد الباسل (١٨٧١ - ١٩٤٠) مغربي الأصل ولد بمصر ونشأ نشأة بدوية ، عين عمدة لقبيلة الرماح بالفيوم خلفا لوالده محمود الباسل . تخلى عن منصب العمدية لأخيه عبد الستار الباسل ، وفي عام ١٩١١ عين في مجلس مديرية الفيوم ، ثم انتخب عضوا في الجمعية التشريعية ، وبعد ذلك اختير وكيلا للوفد المصري . ألف كتاب « نهج البداوة » .

(مركز وثائق و تاريخ مصر المعاصر : مذكراتي بعد الهجرة ، ص ٤٢٦) .

(٢) سينوت حنا ولد في أسيوط ١٨٨٠ ، من عائلات الصعيد العريقة ، درس في مدرسة اللايئاس الفرنسية بأسيوط ثم كليات الفرير بالاسكندرية . كان من أصدقاء مصطفى كامل ، وبدأت صلته بسعد زغلول في الجمعية التشريعية حيث عين عضوا بها في أواخر ١٩١٣ . انضم إلى أعضاء الوفد المصري في نوفمبر ١٩١٨ . وكان ينشر المقالات في الصحف لسان حال الوفد ضد الحكومة وضد الاحتلال ، وضد لجنة ملنر حيث كان يدعو إلى مقاطعتها ، وكان شعاره « لا قبطي ولا مسلم ، وإنما كلنا أمام الوطن مصريين » . وكان من الموقعين على النداء الموجه إلى الشعب في ٢٤ مارس ١٩١٩ ، وقد نفى مع سعد زغلول إلى عدن سنة ١٩٢١ وانتخب عضوا بمجلس النواب المصري سنة ١٩٢٤ .

(زكي فهمي : صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير الرجال في مصر ، ص ١٢٩) .

(٣) اسماعيل صدقي باشا (١٨٧٥ - ١٩٤٩) ابن أحمد باشا شكرى من كبار رجال الحكومة في عهد الخديو اسماعيل والخديو توفيق - جده لوالدته محمد سيد أحمد باشا رئيس ديوان الأمير محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا الكبير . ولد بالاسكندرية . نال ليسانس الحقوق ١٨٩٤ وعمل موظفا بالحكومة اختير ناظرا للزراعة ١٩١٤ . واشترك في الحركة الوطنية ونفى مع سعد زغلول وصحبه إلى مائدة في مارس ١٩١٩ . سافر إلى باريس مع الوفد المصري بعد الإفراج عنه - وهناك اختلف مع أعضائه . اشترك في مفاوضات « عدلى - كيرزون » ١٩٢١ التي فشلت . عين وزيرا للمالية في وزارة ثروت عقب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ . اشترك في لجنة دستور ١٩٢٣ شكل وزارة برياسته (١٩٣٠ - ١٩٣٣) وفي أثناء حكمه استبدل الدستور وألف « حزب الشعب » . ترأس الوزارة مرة أخرى في ١٩٤٦ . اضطلع بمفاوضة الحكومة البريطانية وكان يمثلها « لورد ستانيسجيت » وانتهت بمعاهدة « صدقي - بيغن » التي فشلت . استقال من الوزارة وذهب إلى أوروبا مصطافا . مات في باريس ١٩٤٩ ونقل جثته إلى القاهرة .

(اسماعيل صدقي : مذكراتي ص ٥٠)

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٠ .

وعلى الرغم من تشديد السلطة في أوامرها بمصادرة التوكيلات ، ومنع الناس من توقيعها ، فقد كان الاقبال عليها بالغاً أقصى درجة من الحماسة . وتفنن الناس في ابتداع كل وسيلة لامضائها وتوصيلها الى الوفد .

« ضم بعض أعضاء الى الوفد »

[٢٢]

لما خرج عضوا الحزب الوطنى الأستاذان محمد زكى على بك ومصطفى الشوربجى غاضبين - عرضت على سعادة زغلول باشا بأن المصلحة تقتضى بأن يكون الحزب الوطنى ممثلاً فى الوفد المصرى . وقلت له أئننى أعرف شابين معتدلين من هذا الحزب وهما مصطفى بك النحاس (١) القاضى الأهلى ، والدكتور حافظ بك عفيفى (٢) طبيب جمعية رعاية الطفل .

فاستدعاهما سعد زغلول باشا وبعد أن أنس فيهما خيراً اجتمع الوفد المصرى وقرر ضمهما اليه .

وفى هذه الأثناء راجت فى البلاد حركة العمل على طلب استقلالها فتبارى القوم بحماسة شديدة ليحصل كل منهم على أكثر عدد ممكن من التوكيلات المذكورة كما سعى كثيرون للانضمام الى هيئة الوفد فضم

(١) ولد عام ١٨٧٦ ، ودرس بمدرستى الناصرية ثم الحديوية وتخرج فى مدرسة الحقوق وخدم بالسلك القضائى حتى عين قاضياً بالمحاكم الأهلية ، وقد اشترك فى ثورة ١٩١٩ ونفى سنة ١٩٢١ مع سعد زغلول الى سيشل ، وفى وزارة سعد سنة ١٩٢٤ عين وزيراً للمواصلات ، وقد خلف سعد بعد وفاته ١٩٢٧ فى رئاسة الوفد ورئاسة البرلمان الانلانى . ألف وزارته الأولى سنة ١٩٢٨ وفى عهد وزارته الثانية أجـ رى مفاوضات مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية . ألف وزارته الثالثة بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، حيث تم فى عهده توقيع بروتوكول الاسكندرية بالشاء الجامعة العربية . وفى عهد وزارته الخامسة قام فى أكتوبر ١٩٥١ بالغاء معاهدة ١٩٣٦ . اعتزل الحياة السياسية بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى وفاته ١٩٦٥ (يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٣١١) .

(٢) ولد سنة ١٨٨٦ بالقاهرة ، تلقى تعليمه بها ، ثم حصل على دبلوم الطب سنة ١٩٠٧ ، وفى عام ١٩١٩ انضم الى الوفد ، وكان من بين الأعضاء الذين سافروا الى باريس . وقد استقال من الوفد نتيجة المنازعات التى نشبت بين أعضائه ١٩٢١ وقد أراد عبد الحالى ثروت شمه الى وزارته الثانية سنة ١٩٢٧ كوزير للدفاع ، ولكن الملك فؤاد رفض ، فاختر وزيراً للخارجية فى وزارة محمد محمود فى يونيو (١٩٢٨) .

ورغما عن هذا الجواب صدرت أوامر مشددة بمنع التوقيع على التوكيلات ، فلما علم سعد باشا بذلك كتب الى وزير الداخلية الخطاب الآتى :

[٢١] حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء .

الحاقا لما حررت لكم أمس أتشرف بأخبار دولتكم أن رجال الحكومة لم يقتصروا على منع التوقيع على التوكيلات بل تجاوزوه الى مصادرة ما تم التوقيع عليه منها ، كما يتبين لدولتكم من صورة الخطاب طيه ، فالفقت نظر دولتكم لهذه المعاملة التى يابها عدلكم ومبادئ العصر الحاضر .

وتفضلوا بقبول احترامى ،،

القاهرة فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٨ .

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب

ورئيس الوفد المصرى

(سعد زغلول)

رد رشدى باشا

فاجابه رئيس مجلس الوزراء بما يأتى :

حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا :

اجابة على كتابيكم المؤرخين ٢٣ ، ٢٤ الجارى أتشرف بأحاطتكم علما أنه اذا كانت صدرت أوامر من جناب مستشار الداخلية لمنع امضاء التوكيلات المشار اليها فى كتابيكم المذكورين وبمصادرتها عند الاقتضاء فانما كان ذلك لأن القطر لا يزال تحت الأحكام العرفية ولأن مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو الى الاخلال بالنظام العام .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام ،،،

تحريرا فى ٢١ صفر ١٣٢٧ - ٢٥ نوفمبر ١٩١٨ .

رئيس مجلس الوزراء

الاهضاء (حسين رشدى)

غير أن السلطة العسكرية حينما رأت انتشار هذا التوكيل فى أنحاء القطر ، واقبال الأمة على توقيعه عملت لذلك ألف حساب ، وقدرت فيه خطرا يهدد مركزها فأمرت رجال الادارة فى العواصم والاقاليم بمصادرته ومنع تداوله بكل ما فيهم من قوة . فلما علم سعد باشا بذلك بادر بكتابة الخطاب الآتى الى صاحب الدولة حسين رشدى باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية .

(يطلب اليه أن يأمر بوقف هذه الاجراءات وترك الناس أحرارا فى التوقيع على التوكيل ، وهذا نصه) (١) :

حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء .

[٢٠]

أتشرف بأن أرفع الى دولتكم ما يلى :

« لا يخفى على دولتكم أنه على أثر فوز مبادئ الحرية والعدل التى جاهرت بريطانيا العظمى وشركاؤها بتحقيقها ، ألفت مع جماعة من ثقات الأمة ونوابها ، وأصحاب الراى فيها وفدا ينوب عنها فى التعبير عن رأيا فى مستقبلها تطبيقا لتلك المبادئ السامية ، لذلك شرعنا فى جمع هذا الراى بصيغة توكيل خاص فوق ما لكثير منا من النيابة العامة فأقبل الناس على امضاء هذا التوكيل اقبالا عظيما مع السكينة والهدوء ، وهذا أقل مظهر نعرفه من مظاهر الاعراب عن رأى أمة فى مصيرها .

لكنه قد اتصل بنا أن وزارة الداخلية قد أمرت بالكف عن امضاء هذه التوكيلات ونظرا الى أن هذا التصرف يمنع من ظهور الراى العام فى مصر على حقيقته فيتعطل بذلك أجل مقصد من مقاصد بريطانيا العظمى ، وشركائها ويحرم الأمة المصرية من الانتفاع بهذا المقصد الجليل .

« التمس من دولتكم باسم الحرية والعدل أن تأمروا بترك الناس وحريرتهم يتمون عملهم المشروع ، واذا كانت هناك ضرورة قصوى ألجأت الحكومة الى هذا المنع فانى أكون سعيدا لو كتبتم لى بذلك حتى تكون على بصيرة من أمرنا ونساعد الحكومة بما فى وسعنا على الكف عن امضاء تلك التوكيلات .

« وفى انتظار الرد تفضلوا يا دولة الرئيس بقبول شكرى سلفا على تأييد مبادئ الحرية الشخصية وعظيم احترامى لشخصكم الكريم » .

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية

ورئيس الوفد المصرى

(سعد زغلول)

(١) العبارة الأخيرة التى تبدأ من (يطلب) أصلها تبدأ من (يلتبس) وشعبت لتعاد صياغتها مرة أخرى بخط غير خط عبد الرحمن فهمى وإن كان قد حدث التعديل دون أى إخلال بالمعنى .

والى هنا انتهى الحديث بين سعد باشا وبين عضوى الحزب الوطنى
ورخرج الأخران غاضبين ، واجتمع الوفد بعدئذ وأعاد النظر فى صيغة
التوكيل وأقرها على الوجه الآتى :

« نحن الموقعين على هذا الامضاء بالجمعية التشريعية قد أنبنا عنا
حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ،
ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى
السيد بك ، ولهم أن يضمنوا اليهم من يختارونه فى أن يسعوا بالطرق
السلمية المشروعة حبثما وجدوا للسعى ، فى استقلال مصر استقلالاً
تاماً » (١) .

نوفمبر ١٩١٨

طبع هذا التوكيل وتناوله الناس يوقعون عليه ، وتبارت الهيئات
المصرية بسائر أنواعها فى التوقيع عليه . وانتشر فى أرجاء البلاد
وأقبلت عليه طبقات الأمة توقع عليه بحماس وارتياح .

= وكنت متوهما أنهم فرحون بهذا المشروع مستبشرون به ثم سألتهم : هل أتيتم
بعض التوقيع ؟ فقالوا : نريد أن نقرأ ما كتبتم . فقلت لهم : امضوا بلا مراة فاستشاطوا
غضباً وقالوا كيف نمضى بلا قراءة على مشروع هو أهم مشروع ونحن نعرف الأصول والعواعد
ولا يصح لأحد أن يمضى على شيء حتى يعرفه ، قالوا ذلك وكرروه بانفعال شديد وحدة
رائدة » .

قال سعد : « اذا تأملتم قولى اتفقتم معى وزالت حدتكم لانى طلبت ذلك عشما فيكم
حتى اذا أظهرتم الثقة التى انتظرها سررت بذلك ثم قرأتم كما تشاءون . ولا يمكن
أن يفسر طلب الامضاء بدون قراءة الا لهذه الغاية . وكنت أتعلم بعد هذا البيان أن
تكسر حدتهم ويزول انفعالهم ولكنهم استمروا فى حدتهم فتركت المناقشة معهم ، راخذ
محمد ناشا محمود ولطفى بك السيد ومحمد على علوبة يكلمونهم بتلطف وحسن مجاملة
فلم يزدادوا الا غضبا ، وقالوا انه لا حق لكم فى انسابه غيركم ، ولا بد أن تبينوا لنا
بروجرامكم . وجاء فى كلامهم أن الأحكام العرفية الغيت ، فقال قائل منا أنها لم تلغ ،
قالوا : اذا لم تلغ هذه الأحكام فكيف ساع لكم أن تجهروا بهذه التوكيلات وتعلنوها
للأمة ؟ »

فبيل لهم : أن هذا عمل مخاطرة ولا ندرى اذا كانت الحكومة تقره أم تنكره ، فقالوا
اذن لابد أن تكونوا أعطيتكم الحكومة وعددا كاذبة فاستشطت من هذه العبارة غيظا ، وقلت
متفعلا وبشدة : أنا لا أسمح بمثله هذا لكلام ، ولا ينبغي أن تهجموا علينا بمثله
وتشتمونى فى بيتى ، فأرغى الشورىجى وأزيد ثم انصرف وانصرف معه الأقران وبقي محمد
زكى مستمرا فى حديثه وشدة محمد محمود ناشا يستعطفه فلم يهدأ وقال أن هذا ليس
بيتك بل بيت الأمة » .

(١) عدلت هذه الصيغة الى ما هى عليه بناء على طلب رجال الحزب الوطنى . بجملها
مريحة فى النص على (الاستقلال التام) .

(انظر : ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ ، ص ١٥٤) .

[١٧]

عمل التوكيل وظروفه

وبعد أن تألف الوفد على هذه الصورة وسن لنفسه هذا القانون ، رأى أنه من الواجب عليه أن يكون في يده توكيل خاص (١) بالمطالبة بحقوق مصر في تقرير مصيرها وبالسعى في سبيل حريتها واستقلالها ما وجد لذلك سبيلا ، وأن يوقع على هذا التوكيل جميع رجال الهيئات التشريعية والنيابية ، والعدد الممكن من وجوه البلاد وأعيانها ، وذوى رأى فيها ومن سائر طبقات الأمة التي هي قوامها وعمادها فوضع أولا هذه الصورة :

« نحن الموقعين على هذا الاعضاء بالجمعية التشريعية قد انبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي بك ومحمد علي بك وعبد اللطيف المكباتي بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفي السيد بك ولهم أن يضموا اليهم من يختارون في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا ، في استقلال مصر تطبيقا لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب » .

[١٨]

ولما اطلع رجال الحزب الوطني على هذه الصورة ، ذهب الأستاذان مصطفى الشوربجي ومحمد زكي على بك عضوا الحزب الى سعد باشا وناقشاه في صيغة التوكيل وقد احتدا في هذه المناقشة لدرجة شعر فيها سعد باشا بشيء من الاهانة ، فقال لهما : كيف تسمحان لنفسيكما بهذه الحدة ؟ وكيف تهيناني في منزلي ؟

فأجاباه بأن هذا بيت الأمة ، فانطفتأت حدة سعد باشا وابتسم قائلا : « وأنا متنازل عن هذه الاضافة . ومن هذا التاريخ أطلق هذا الاسم على بيت سعد باشا (٢) » .

(١) جاء في مذكرات سعد بأنه كان لابد من الحصول على « توكيل » من الناس لانبائتنا عنهم للمطالبة بالاستقلال التام » . مذكرات سعد زغلول (كراسة ٣٢ ص ١٨٤٦ .
(٢) يقول سعد في مذكراته عن هذا اللقاء (كراسة رقم ٣٢ ص ١٨٥٤ - ١٨٥٥) :
« حضر لمقابلتي كل من مصطفى الشوربجي ومحمد زكي على ومعهما شابان آخران في حلال المباحثات الدائرة لتكوين الوفد واعداد صيغ التوكيلات فاستقبلتهم أحسن استقبال =

حوله الحديث وعليه أن يدون الحديث كتابة بعد انتهائه ويقدم للرئيس وإذا لم يتمكن العضو من إحاطة الرئيس قبل الحديث فيجب أن يبين لمخاطبه أنه لا يشخص الوفد في حديثه •

المادة الحادية والعشرون

كل عضو يقوم بنفقاته الخاصة من سفر وإقامة وليس له أن يطلب إلا ما ينفقه في شئون متعلقة بمهمة الوفد ولا ينفق شيئا من نقود الوفد إلا في فائدة الوفد •

المادة الثانية والعشرون

لا يصرف شيء من نقود الوفد إلا بقرار من الوفد ويمضى اذن الصرف من الرئيس وأمين الصندوق ويقرر الوفد مبلغا بصفة سلفة مستديمة للصرف منه على الشئون المستعجلة بشرط أن يصدق الوفد على ما يصرف بعد نفاذ مبلغ السلفة وطلب تقرير غيره •

المادة الثالثة والعشرون

للفد أن يصطحب عمالا مأجورين للمساعدة في الأعمال الادارية والكتابية ويكونون بحسب طبيعة عملهم تحت اشراف السكرتير أو أمين الصندوق والجميع تحت ادارة الرئيس ويحلف الموظفون اليمين. بالآ يفشوا سرا يتصل بهم بحسب وظائفهم •

المادة الرابعة والعشرون

نقود الوفد تكون مما يتحصل من التبرعات التي يدفعها أعضاؤه أو غيرهم ممن يريدون المساعدة في عمل الوفد •

المادة الخامسة والعشرون

ما يتبقى من نقود الوفد بعد انقضاء مهمته يصرف في شأن من الشئون المصرية العامة بحسب ما يقرره اذ ذاك الوفد •

المادة السادسة والعشرون

[١٦]

يعين الوفد لجنة تسمى باللجنة المركزية للوفد المصري يختار أعضاؤها من ذوى المكانة والغيرة ومهمتها جمع التبرعات على ذمة الوفد وإرسالها اليه ومراسلة الوفد بما يهم من الشئون الخاصة بمهمته •

تصدق عليه في ٢٣ نوفمبر ١٩١٨

صورة طبق الاصل
السكرتير
محمد بدر

ويشرف على أعمال اللجان والأعضاء ذوى الوظائف وعلى عمل السكرتارية وأمانة الصندوق .

المادة الرابعة عشرة

السكرتير يتولى العمل الكتابي للوفد ويكون فى عهدته المحفوظات والمحاضر والكتب وغيرها من أوراق الوفد غير ما يتعلق بأوراق الحسابات .

المادة الخامسة عشرة

أمين الصندوق يحفظ النقود المجموعة على ذمة مصروفات الوفد العمومية اما لديه أو بالبنك الذى يعينه الوفد ويشرف على الأعمال الحسابية وهو مسئول عن كل تصرف فى نقود الوفد .

المادة السادسة عشرة

يعتبر الوفد فى حالة دائمة الانعقاد وتنعقد جلساته النظامية بدعوة من الرئيس وعند الضرورة يجوز أن يتخذ الرئيس ما يراه فى القرارات المستعجلة وعليه فى هذه الحالة أن يعرضها فى أول جلسة نظامية لادراجها ضمن المحضر .

المادة السابعة عشرة

محاضر الجلسات تتضمن - مع التلخيص - جميع المداولات والقرارات ويجب أن تعمل أيضا مذكرات بكل حديث ذى شأن يتعلق بمهمة الوفد .

المادة الثامنة عشرة

يتصدق على المحضر بالجلسة التالية ويمضى بعد التصديق عليه من الرئيس والسكرتير .

المادة التاسعة عشرة

فضلا عن المحاضر يتخذ السكرتير سجلا يقيد فيه يوميا جميع ما يهم من الحوادث والانتقالات والأعمال ويؤشر على هذا السجل يوميا من الرئيس . [١٥]

المادة العشرون

ليس لأحد أعضاء الوفد أن يحدث أى شخص من الأشخاص العموميين باسم الوفد الا اذا عرض على الرئيس الموضوع الذى سيبدور

المادة الخامسة

لايسوع للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها فليس للوفد ولا لأحد من أعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى « استقلال مصر استقلالا تاما وما يتبع ذلك من التفاصيل » .

المادة السادسة

يقسم كل واحد من أعضاء الوفد على قضاء مهمته على الوجه الذى انتدب له وعلى التضامن فى العمل وعدم افشاء أسرار الوفد .

المادة السابعة

إذا طرأ ما يستدعى انفصال أحد الأعضاء فيكون ذلك بقرار من ثلاثة أرباع الأعضاء على الأقل وللعضو أن يستقيل فى أى وقت شاء دون أن يكون له حق الرجوع فى المبالغ التى يكون قد دفعها .

المادة الثامنة

للفد أن يضم اليه أعضاء آخرين مراعىا فى انتخابهم الفائدة التى تنجم عن اشتراكهم معه فى العمل .

المادة التاسعة

يسافر الوفد الى أى جهة يرى فى التوجه اليها فائدة للقضية المصرية وله أن ينتدب بعض أعضائه للسفر الى أى جهة كانت متى وجد لذلك فائدة .

المادة العاشرة

تصدر القرارات بأغلبية الآراء وإذا تساوت يرجح رأى الفريق الذى فيه الرئيس .

المادة الحادية عشرة

يعين الوفد رئيسا وسكرتيرا وأميناً للصندوق ويصح أن يكون لكل منهم مساعدون من الأعضاء . [١٤]

المادة الثانية عشرة

للفد أن يعين من يراه من أعضائه بوظائف معينة وله أن يعين لجانا يحدد عدد أعضائها واختصاصاتهم .

المادة الثالثة عشرة

الرئيس يخص (١) الوفد ويرأس جلساته ويحافظ على نظامه

(١) يمثل .

فهمى بك ، محمد محمود باشا ، أحمد لطفى السيد بك (٣) ، عبد اللطيف
المكبباتى بك ، محمد على بك (أعضاء) .
وهم سبعة جميعهم من أعضاء الجمعية التشريعية .

قانون الوفد

وبعد ذلك وضعوا للوفد قانونا يضبط أعماله ويجرى العمل
بمواده ، وتصدق عليه فى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ وهذا نصه :

المادة الأولى

[١٢] تألف وفد باسم (الوفد المصرى) من حضرات سعد زغلول باشا
وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى ومحمد على بك ، وعبد اللطيف
المكبباتى بك ، ومحمد محمود باشا ، وأحمد لطفى السيد بك .

المادة الثانية

مهمة هذا الوفد السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد
للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما .

المادة الثالثة

يستمد الوفد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا
او بواسطة مندوبيهم فى الهيئات النيابية .

المادة الرابعة

[١٣] يدوم هذا الوفد مادام العمل الذى انتدب لأجله قائما وينفرض
بأنفضاضه .

(٣) أحمد لطفى السيد مفكر وفيلسوف عربى . ورائد من رواد الحركة الوطنية .
حصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ - التحق بخدمة القضاء ورقى الى وظيفة مساعد نيابة
عام ١٨٩٦ فوكيلا للنيابة . استقال من منصبه ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة . شارك فى
تأسيس حزب الأمة وتولى رئاسة تحرير الجريدة (١٩٠٦ - ١٩١٤) عاد الى خدمة
القضاء . عين مديرا لدار الكتب المصرية (١٩١٥ - ١٩١٨) فمديرا للجامعة المصرية عام
١٩٢٥ . فوزيرا للمعارف ١٩٢٨ . عاد الى ادارة الجامعة ١٩٣٠ ثم استقال ١٩٣٢ وفى
يولية ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة .

عين عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ فرئيسا له (١٩٤٥ - ١٩٦٣) . عين
وزيرا للخارجية ١٩٤٦ . فنائبا لرئيس الوزراء وعضوا بمجلس الشيوخ . أسهم فى عدة
مجامع وجمعيات علمية . ترجم لأرسطو فيلسوف اليونان . جمعت خطبه ومقالاته
وأحاديثه . دون مذكراته . نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٨ .
(الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال ص ٦٢) .

متماسكه ، وسكانها عنصر واحد ، وهم كثيرو العدد ، وبلادهم غنية ، وبالجملة فشروط الاستقلال التام متوفرة في مصر ٠٠٠ الخ ، •

وان الانسان ليعجب ، كيف انتقلت أخبار هذا الحديث ، وغيره مما يدور بين سعد باشا وزملائه الى جميع طبقات الشعب ، في جميع البلاد بهذه السرعة ، كما يعجب من قوة الأثر الذي أحدثته هذه الأخبار في النفوس ، ولا تفسير لهذا الا أن النفوس كانت ظمأى طوال مدة الحرب ، الى الحرية والاستقلال التام ، فوجست في عمل سعد باشا وزميلييه ما يروى ظمأها وينفع غلتها ، وأخذ الناس يتسابقون الى التردد على بيت سعد باشا ليعرفوا أخبار المقابلة ، وما يفكر الزعماء في عمله .

[١٧]

تأليف الوفد المصري

[١٨]

وعقب انصراف سعد باشا وزملاءه من لندن السير ونجت المندوب السامى البريطانى تقابل جنايه مع دولة حسين رشدى باشا رئيس الوزراء وحادثه في شأن حضور سعد باشا وزميلييه وتكلمهم معه في شأن الاستقلال وأظهر له دهشته وعجبه من أفراد ثلاثة يتكلمون في أمر أمة بأسرها دون أن يكون لديهم ما يخول لهم التكلم باسمها •

فلما بلغ سعد باشا وصحبه أقوال السير ونجت (١) هذه أخذوا يوالون الاجتماع في منازلهم للتشاور في هذا الأمر فصبح رأيهم على أن يؤلفوا من أنفسهم وفدا يتكلم باسم الأمة ويعبر عن آمانيها ، وكانوا يحتمعون تارة بمنزل محمد محمود باشا (٢) وتارة بمنزل سعد باشا وفيه تم تأليف الوفد المصري على النحو الآتى :

سعد زغلول باشا (رئيسا) على شعراوى باشا • عبد العزيز

(١) يؤكد هذا الإبلاغ على وجود صلة بين رشدى وسعد •

(٢) محمد محمود باشا ولد ١٨٧٧ بساحل سليم بأسسيوط - والده محمود باشا سليمان من كبار ملاك الأراضي بها •

تعلم بأسسيوط ثم استكمل دراسته في أكسفورد بإنجلترا • بعد عودته عين مفتشاً بالمالية فمديراً للبيوم ثم البحيرة • اشترك في تأليف الوفد المصري واعتقل مع سعد زغلول في مالطة سنة ١٩١٩ • وسافر الى الولايات المتحدة للنعاية للقضية المصرية • شارك مع بعض زملائه في تكوين حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ حيث اختير وكيله • اختير عام ١٩٢٦ وزيرا للمواصلات ثم للمالية ثم خلفه عدلى يكن في رئاسة حزب الأحرار • شكل وزارته الأولى عام ١٩٢٨ واشترك أثناءها في مفاوضات مع هندرسون وزير الخارجية البريطانية • كان أحد أقطاب الجبهة التي مثلت مصر في مفاوضات ١٩٣٦ • بعد وزارته الأخيرة ترأس المعارضة في مجلس النواب حتى تولى في يناير ١٩٤١ • (د • يوفان ليب • تاريخ الوزارات المصرية • ص ٣٢٢)

شعراوى باشا : يبقى أمر آخر ، وهو حقوقي أرباب الديون من الأجانب فيمكن بقاء المستشار الانجليزى بحيث تكون سلطته هي سلطة صندوق الدين العمومي .

سعد باشا : نحن نعترف الآن أن انجلترا أقوى دولة في العالم وأوسعها حرية وأنا نعترف لها بالأعمال الجلييلة التي باشرت بها في مصر . فنطلب باسم هذه المبادئ التي نطرقها الآن أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ، وأننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصا (١) لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء تسافر للتكلم في شأنها مع ولاية الأمور في انجلترا ، ولا نلتجئ هنا لسواك ، ولا في الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ، ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلقا على أحوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب .

السير ونجت : قد سمعت أقوالكم ، واني أعتبر محادثتنا محادثة غير رسمية ، بل بصفة حبية ، فاني لا أعرف شيئا من أفكار الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، وعلى كل فانا شاكر زيارتكم ، وأحب لكم الخير .

وعلى ذلك انتهى الحديث ، وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرا . فانصرف الزعماء الثلاثة .

انتقلت الخبر هذه المقابلة الى طبقات الشعب المختلفة في القاهرة . ومنها الى مدن القطر الكبرى ، فالبلاذ كلها ، فاثارت حماسة الشعب وسروره واستحسانه ، وأصبحت حديث الناس في كل مكان ، لأنها صادفت هوى في نفوسهم ، وعبرت عما كان يجيش في صدر كل واحد منهم ، وكان الانسان أينما سار يسمع الناس يرددون أقوال على باشا شعراوى للسير ونجت : « اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا صداقة العبد للسيد » . وقول سعد باشا له حينما اتهم الأمة المصرية ، بأنها ليس فيها رأي عام بعيد النظر « انى ان وافقت على ذلك أنكرت صفتي ، فاني منتخب لعضوية الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابي بمحض ارادة الرأي العام رغم معارضة الحكومة ، واللورد كتشنر في هذا الانتخاب » وقول عبد العزيز فهمي بك ردا على قول السير ونجت « ان نسبة الأميين في مصر أكبر منها في البلاد الأخرى » ، « ان هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فان لمصر تاريخاً قديماً باهراً ، وسوابق في الاستقلال التام ، وهي أمة

(١) مثلا .

وأما من جهة تشبيهها بالطفل يتخيم اذا غنى بأزيد من اللازم ، فاسمحوا لى أن أقول : ان حالنا ليست مما ينطبق عليها هذا المثل ، بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الأطباء استحبال عليهم أن يعرفوا من أنفسهم موقع دائه ، بل هو نفسه الذى يحس بالم الداء ويرشده اليه ، فالمصري وحده هو الذى يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيد في الأشغال العمومية ، وفي القضاء وغير ذلك ، فالاستقلال التام ضرورى لرقينا .

[١٥] السير ونجت : أتظنون أن بلاد العرب (١) ، وقد أخذت استقلالها ستعرف كيف تسير بنفسها .

سعد باشا : ذلك ما سيكشف عنه المستقبل ، ومع هذا فاذا كانت بلاد العرب وهى دون مصر بمراحل أخضت استقلالها ، فمصر أجدر بذلك (٢) .

السير ونجت : قد كانت مصر خاضعة لتركيا ، أف تكون أحط منها اذا خضعت لانجلترا ؟

شعراوى باشا : قد آكون عبدا لرجل من الجعليين (قبيلة عربية) وقد آكون عبدا للسير ونجت الذى لا مناسبة بينه وبين الجعلى ، ومع ذلك لا تسرنى كلتا الحالتين ، لأن العبودية لا أرضاعا ، ولا تحب نفسى أن تبغى تحت ذلها ، ونحن كما قلتم نريد أن نكون أصداق لانجلترا . صداقة الأحرار ، لا صداقة العبيد .

السير ونجت : ولكن مركز مصر حريا وجغرافيا يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها ، وقد تكون غير انجلترا .

سعد باشا : متى ساعدتنا انجلترا على استقلالنا (٣) ، فائنا نعطيها ضمانا معقولة ، على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا فنعطيها ضمانا فى طريقها للهند ، وهى قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل وتحالفها على غيرنا ونقسم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود .

(١) يقصد ملكة الحجاز التى حكمها الشريف حسين .

(٢) ورد فى مذكرات عبدالعزيز لهي أنه قائل عنه العبارة وليس سعد .

(٣) جاء فى نفس المذكرات أن سعدا قال : استقلالنا التام . انظر : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

عبد العزيز فهمي بك : نحن نطلب الاستقلال التام ، وقد ذكرتم جنابكم أن الحزب الوطني انى من الحركات والكتابات ، بما أضر ولم يفد ، فأقول لجنابكم ، ان الحزب الوطني كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وقد يكون فى طريقة الطلب ، التى سار عليها الحزب الوطنى ما يؤخذ علينا ، وذلك راجع الى طبيعة الشبان فى كل البلاد ، فلأجل ازالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى ، الذى هو مبدأ جميع الأمم ، وهو الاستقلال التام ، قام جماعة من الشيوخ ، الذين لا يظن فيهم التطرف ، فى الاجراءات ، وأسسوا حزب الأمة ، وأنشؤوا صحيفة (الجريدة) (١) وكان مقصدهم هم أيضا الاستقلال التام ، وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى ، وذلك معروف عند الجميع ، والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ، ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مباغين فيه ، فان أمتنا أرقى من البلغار ، والصرب ، والجبل الأسود ، وغيرها [١٤] ممن نالوا الاستقلال قديما وحديثا .

السير ونجت : ولكن نسبة الاميين فى مصر ، أكبر منها فى البلاد التى ذكرتها الا الجبل الأسود ، والبانبا على ما أظن .

عبد العزيز فهمي بك : ان هذه النسبة مسألة ثانوية ، فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فان لمصر تاريخا قديما باهرا ، وسوابق فى الاستقلال التام ، وهى أمة متماسكة ، وسكانها عنصر واحد ، ذو لغة واحدة ، وهم كثير العدد ، وبلادهم غنية ، وبالجملة فشرط الاستقلال التام متوفرة فى مصر ، ومن جهة نسبة الاميين والمتعلمين ، فهذه مسألة لا دخل لها فى الاستقلال كما قدمت ، لأن الذين يقودون الأمم فى كل البلاد أفراد قلائل ، فالشعب الانجليزى العظيم ، الذى يحب الحرية ، ولا يفرط فى شئ منها يثق كل الثقة بحكومته ، ويترك الأمر لزعمائه ، وهم أفراد قلائل يقودونه ، وهو يتبعهم بلا مناقشة فى كثير من الأحوال ، ويسلم لهم أموره لشدة ثقته بهم ، ولا يشترك نوابه كلهم ، فى مناقشة الأمور وبحثها ، وإنما العامل منهم فئة قليلة ، فبلاد مصر يكفى أن يكون فيها ألف متعلم ليقوموا بإدارتها ، كما ينبغى وهى مستقلة استقلالاً تاماً ، ولدينا نحن كثير من المتعلمين ، وكثيرا ما أعلن ولاية الأمور فى مصر أن التعليم زاد فى البلاد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين المتعطلين .

(١) انظر : أحمد زكريا الشلق : حزب الأمة ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة

زوال هذه المراقبة كي ينفسوا عن أنفسهم ، ويفرجوا عن صدورهم ذلك الكرب ، الذى تولاهم أكثر من أربع سنين .

السير ونجت : حقا اننى مبال لازالة المراقبة المذكورة ، وقد تخابرت فعلا انا وجناب القائد العام للجيش البريطانى فى هذا الغرض . ولما كانت هذه المسألة عسكرية فانه بعد اتمام المخاطبة والاتفاق مع جناب القائد سأكتب الى الحكومة البريطانية وآمل أن نتلقى منها ردا مرضيا ، ثم استمر قائلا : يجب على المصريين ، أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه متى فرغت إنجلترا من مؤتمر الصلح ، سنعلن بأمر مصر ومطالبها ولن يكون الأمر الا خيرا .

سعد باشا : ان الهدنة قد عقدت ، والمصريون لهم الحق . أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ، ولا مانع يمنع الآن ، من أن يعرفوا ما هو هذا الخير ، الذى تريده لهم إنجلترا .

السير ونجت : يجب ألا تتعجلوا ، وأن تكونوا متبصرين فى سلوككم ، فان المصريين فى الحقيقة ، لا ينظرون الى العواقب البعيدة .

سعد باشا : ان هذه العبارة مبهمه المعنى ، ولا أفهم المراد بها .

السير ونجت : أريد أن أقول : بأن المصريين ليس لهم رأى عام بعيد

[١٣]

النظر .

سعد باشا : لا أستطيع الموافقة على ذلك ، فانى ان وافقت أنكرت صفتى فانى منتخبة لعضوية الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام ، رغم معارضة الحكومة واللورد كتنشر فى هذا الانتخاب ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك .

السير ونجت : ان كثيرا مما حصل قبل الحرب من الحركات ، والكتابات ، من محمد فريد وأمثاله فى الحزب الوطنى ، بلا تعقل ولا دوية قد أضر بمصر ، ولم ينفعها ، فما هى أغراض المصريين ؟

على شعراوى باشا : اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر ، لا صداقة العبد للسيد (١) .

سعد باشا : ونحن أعمل لهذه الصداقة ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقي الأمم المستقلة .

السير ونجت : ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أكثر مما يلزمه تخم .

(١) يقول عبد العزيز فهمى فى مذكراته : ان ونجت قد رد دهشا على هذه الملاحظة بقوله : (اذن أنتم تطلبون الاستقلال) .

على أن يطلبوا من دار الحماية ، أن تحدد لهم موعدا يقابلون فيه ، المعتمد السامى البريطانى للتحدث اليه ، فى طلب السفر الى لندن ، لعرض مطالب البلاد ، على الحكومة الانجليزية .

فحدد الموعد بالساعة الحادية عشرة ، من صباح يوم ١٣ من نوفمبر ١٩١٨م وهو اليوم الذى عد بعدئذ مبدءا للجهاد الوطنى ، والذى عد بعد المعاهدة المصرية عيداً رسمياً (١) ، تشترك الحكومة والشعب فى الاحتفال به واحياء ذكراه .

تبدأ هذه المذكرات اذا ، منذ اليوم الثالث عشر ، من شهر نوفمبر ١٩١٨ م ، فى الوقت المحدد من ذلك اليوم ، وهو الساعة الحادية عشرة صباحاً قابل نواب الأمة الثلاثة ، سعد باشا زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وعلى باشا شعراوى ، وعبد العزيز فهمى بك العضوان فيها ، ونجت باشا المعتمد السامى البريطانى فى دار الحماية ، ودار بينهم وبينه الحديث الآتى :

[١٢]

حديث سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك مع المندوب السامى

سير ونجت : ان الصلح اقترب موعده ، وان العالم سيفيق من غمرات الحرب ، التى شغلته زمناً طويلاً ، ومصر سينالها خير كثير ، فاصبروا واعلموا ، ان الله مع الصابرين ، وان المصريين هم أقل الأمم تألماً من أضرار الحرب ، وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالاً طائلة ، وان عليهم أن يشكروا بريطانيا العظمى ، التى كانت سبباً فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم .

سعد باشا : اذا كانت انجلترا كما تقول ، قد فعلت خيراً لمصر ، فان المصريين بالبداية يذكرونه لها مع الشكر ، ان الحرب كانت كحريق انطفأ ، ولم يبق الا تنظيف آثاره ، وانى أظن أن لا محل لدوام الأحكام العرفية ، ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات ، فالتناس ينتظرون بصبر نافذ ،

زغلول فى بيته اجتماعاً دعا اليه كثير من أعضاء الجمعية التشريعية كان من بينهم على شعراوى الذى تبرع فى هذا الاجتماع بمبلغ كبير من ماله الخاص . اختير كممثل للوجه القبلى فى مقابلة السير ونجت سنة ١٩١٨ - كما كان عبد العزيز فهمى يمثل الوجه البحرى . عندما حدث الانشقاق فى الوفد انضم على شعراوى الى جانب المدلين الذين أصبحوا فيما بعد « الأحرار الدستوريين » بعد انضمامه انسحب من ميدان العمل السياسى معتكفاً فى قريته .

(١) يتضح من هذه العبارة ان هذا التعليق قد وضع بعد عام ١٩٣٦ .

طبقة ثالثة كانت تجهر بعدائها لانجلترا وحلفائها وتدعو الله جهارا أن يخذلها ، وينصر الأتراك وحلفاءهم الألمان .

وقد تطوع من مكنتهم الظروف ، من هذه الفئة ، فى جيوش السنوسيين فى الغرب ، وفى الجيش التركى الذى كان يعد لمهاجمة مصر من الشرق ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الفرصة قد سبغت لمصر لكسب حريتها ، والتخلص من الحكم البريطانى .

فالحركة القومية المصرية اذا لم تخدم ناراها ، فى أيام الحرب ، وان هدأت الى حين ، فلما أنيحت الفرصة ، بعد اعلان الهدنة ، ظهرت هذه الحركة ، أمام أعين الناس قوية رائجة ، وكان سيف الأحكام العرفية . يمنع الناس فى أول الأمر ، من الجهر بأرائهم ، ثم أخذوا بعد ذلك يجهرون بها ، على الرغم من هذا السيف المصلت فوق رؤوسهم ، ولم يكن التفكير فى أمر البلاد ومستقبلها مقصورا على فئة أو طائفة دون أخرى ، بل كان هذا التفكير عاما ، وكأنما قد أوحى الى الأمة بجميع طبقاتها ، أن قد حان وقت العمل لتقرير مصير البلاد ، فكانت جماعات كثيرة ، من طبقات الأمة المختلفة ، تفكر فيما يجب عليها أن تعمله ، وليست الجماعة التى تألف منها فيما بعد الوفد المصرى الا احدى هذه الجماعات ، ألقت بين قلوبها روابط قديمة ، وزمالة فى العمل ، ترجع الى عهود بعيدة ، وتقارب فى التفكير ناشئ من تقارب البيئة الاجتماعية ، وكانت هذه الفئة ، بحكم مركزها ونفوذها وصفتها النيابية القديمة قوية فى مطلبها ، واتفق رأيها بعد البحث والتشاور ، على أن خير ما نفعله ، أن تسافر الى مؤتمر الصلح تبسط أمامه قضية مصر ، وتطالب باستقلالها .

[١١]

ولما كانت الأحكام العرفية مبسطة على البلاد فى ذلك الوقت ، وكان السفر الى خارج القطر ممنوعا ، الا بتصريح من السلطة الانجليزية ، فقد اتفق سعد زغلول باشا ، الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ، وهو الذى تؤهله صفته النيابية لأن يتكلم باسم الأمة المصرية ، وعبد العزيز فهمى بك (١) ، وعلى شعراوى باشا (٢) ، العضوان فى الجمعية التشريعية ،

(١) من قدامى الساسة المصريين - ولد عام ١٨٧٠ اشتغل بالمحاماة ثم انتخب عضوا بالجمعية التشريعية فى عام ١٩١٤ ثم نقيبا للمحامين . اشترك فى عضوية الوفد المصرى منذ تأسيسه الى عام ١٩٢١ حين الفصل عنه - عين عضوا بلجنة دستور ١٩٢٣ ، عمل رئيسا لمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض - عين وزيرا للحقانية - عين رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٤١ بعد وفاة محمد محمود باشا . تولى أكثر من منصب وزارى منذ عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٣ وهى الزراعة والأوقاف والمالية والمعارف العمومية .

(2) النظارات والوزارات المصرية . جمع فؤاد كرم . ص ٦٠١) .

(٢) على شعراوى باشا من مديرية المنيا ، والده حسن اغا ، اختير ثانيا عنها فى الجمعية التشريعية بعد الحرب العالمية الأولى بدأ التحرك السياسى بين الزعماء . عقد سعد =

[١٠]

وميض النار من خلل الرماد (١)

كان الذين يأخذون بظاهر الأمور ، فى أثناء الحرب العظمى ، يعتقدون أن الأمة المصرية . راضية عن الحال التى آلت اليها أمرها ، بعد إعلان الحماية عليها فى عام ١٩١٤ . لقد كان الانجليز يسيطرون على الحكومة ، ويأمرونها فتاتمر ، وكانت الأقوات والدواب تؤخذ من الفلاحين ، فلا بحركون ساكنها ، والعمال المصريون يساقون الى ميادين القتال فى فلسطين والدردييل ، وفى أوروبا ، والبلد هادى ، والأمور سائرة على اذلالها .

لكن هذا الاعتقاد خاطىء ، يؤدى الى عدم فهم الثورة المصرية على حقيقتها ، فلو أن حقيقة الأمور كانت كظاهرها ، لما قامت الثورة فى سنة ١٩١٩ ، أو لأخمدت بعد قيامها ببضعة أيام ، ولكانت كما قال كبير من كبراء الانجليز ، « كشعلة تطفئها بصقة » ، أما الحقيقة فهى أن التى كانت تضطرم فى نفوس الأمة المصرية ، قبل عام ١٩١٤ م لم يخمد أوارها ، بل بقى وميضها خلل الرماد .

وكان فى الأمة طبقة وثقت بوعود انجلترا ، التى قطعتها على نفسها ، لرجال الحكم فى مصر ، وقت أن أعلنت حمايتها على البلاد ، وذلك متى خرجت ظافرة من معمة القتال ، وكانت فيها طبقة أخرى قليلة الثقة بهذه الوعود ، ولكنها كانت ترى أن الظروف تحتم على الأمة ، أن تنتظر حتى يحين الوقت الملائم للمطالبة بحقوق البلاد ، ومنها

(١) يتضمن هذا القسم الموجود من ص ١٠ الى ص ١٧ فى الملف الأصل للمذكرات لقاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، بين المندوب السامى البريطانى السير ريجنلدوينجت والزعماء المصريين الثلاثة : سعد زغلول وعبد الميز فهمى وعلى شعراوى ، وقد تكرر نص نفس اللقاء مرة أخرى فى المذكرات بين ص ١٨ ، ص ٢٢ ، ويلاحظ أن النص فى القسم الثانى (١٨ - ٢٢) قد أدخلت عليه تعديلات عديدة ليصبح الحديث بضمير التكلم بدلا من ضمير الغائب ولم تستهدف هذه التعديلات غير ذلك ، كما يلاحظ أن النص فى القسم الأول (ص ١٠ - ص ١٧) مكتوب بخط غير خط عبد الرحمن مما يدل على أنه كلف آخر بكتابته بعد أن قام بتعديله على النحو الذى أشرنا اليه ونكتفى هنا بنشر النص المعدل منعا للتكرار .

ثم تناول ألمانيا فقال : اننا لا نقصد من محاربتها الا أن ترضى بمنزلة تساوى منزلة الشعوب الأخرى فى العالم بدلا من منزلة التسلط والسيادة .

ثم قال : لقد امتاز برنامجنا بأنه مبدأ العدالة لجميع الشعوب والجنسيات وحق العيش مع بعضها بعضا على شروط متساوية للحرية والأمان وعندى أنه ان لم يكن هذا المبدأ أساس العدل الدولى فلا يمكن أن تقوم له قائمة .

ثم أكد بأن الأمريكين لا يستطيعون العمل على مبدأ آخر ، ولذا صمموا على وقف أرواحهم وأوقاتهم وكل ما يمتلكون على تقرير هذا المبدأ وتبريره .

المغزوة الى فرنسا (١) ، ثم أن العمل الجائر الذي ارتكبه بروسيا نحو فرنسا في ١٨٧١ فيما يتعلق بالالزاس واللورين والذي زعزع السلم في أوربا في نحو خمسين سنة يجب تلافيه وإزالته وذلك بقصد أن يضمن السلم من جديد لأجل مصلحة الجميع .

[ج٨]

٩ - يجب تصحيح الحدود الطليانية طبقا لمقتضى مبدأ الجنسيات .
١٠ - أن شعوب النمسا والمجر الذين نود أن يكون لهم مقام مضمون ومسان بين الأمم يجب أن يغتنموا الفرصة السانحة لضمان تقدمهم الذاتي (٢) .

١١ - يجب إخلاء ألمانيا والصرب والجبل الأسود وإعادة أراضيها المحتلة ويجب أن يكون للصرب منفذ حر مأمون الى البحر ، ويجب أن تحدد العلاقات المتبادلة بين الممالك البلقانية بواسطة الاستشارة الودية على القواعد التاريخية الخاصة بالجنسيات والسيادة . ويجب إيجاد ضمانات دولية ضامنة لتلك الممالك استقلالها السياسي والاقتصادي وسلامة أراضيها في الوقت نفسه .

١٢ - أن الأجزاء التركية من المملكة العثمانية الحالية يجب أن تكون سيادتها مضمونة وأما الجنسيات الأخرى الخاضعة الآن للحكم العثماني فيجب أن تضمن لها الحياة المأمونة والتقدم الذاتي . ويجب أن يكون اندردنيل مفتوحا وحرا على اللوام وأن تكون حرته مثبتة بضمانات دولية .

١٣ - يجب جعل بولونيا (٣) مملكة مستقلة مشتملة على الأراضي التي يقطنها سكان بولونيا وأن يكون لها منفذ حر مأمون الى البحر ، وأن يضمن استقلالها السياسي والاقتصادي وسلامة أرضها بضمانات دولية .

[د ٩]

١٤ - يجب تأليف جمعية عامة من الأمم بمعاهدات يحدد مضمونها بجلاء بقصد منح ضمانات متبادلة للاستقلال السياسي وسلامة الأراضي للأمم الكبرى والأهم الصغرى كذلك (★) .

ثم أكد الدكتور ولسن ضرورة ثبات جميع الحكومات والشعوب التي تقف في وجه الاوتوقراطية حتى النهاية قائلا : اننا لا نحجم عن القتال حتى نحصل على هذه النظمات والمعاهدات .

(١) المقصود اقليم الالزاس واللورين .

(٢) تم ذلك على أنقاض مبراطورية النمسا - المجر الثنائية التاج .

(٣) كانت بولونيا أو بولندا مقسمة بين روسيا وألمانيا ومبراطورية النمسا وجميعها

قد خرجت من الحرب مهزومة !

(★) لوحظ أن عبد الرحمن فهمي قام بتزقيم صفحات مكتبته من مذكرات هنا على

النحو الآتي :

بالنسبة لمبادئ ولسون أعطاهما ترقيميا خاصا من (٦ ا الى ٩ د) ثم واصل التزقيم

من ص ١٠ الى ص ١٧ وتوقف ثم عاد ليزقم بعدها برقم ١١ واستمر التزقيم الى نهاية الملف

سواء كان في وقت السلم أو في زمن الحرب إلا في حالة وجود سبب طرق البحار كلها أو بعضها دون الملاحة لتمكين العمل الدولي من ضمان صون المعاهدات الدولية (١) .

٣ - يجب أن تزال بقدر الامكان جميع الحواجز والعوائق الاقتصادية وأن توجد مساواة في المعاملات التجارية بين الشعوب التي ترضى بالسلم وتشترك في ضمان صيائمه .

٤ - لابد من تبادل ضمانات وافية تامة بقصد ضمان انقاص التسليح الدولي الى الحد الأدنى الذي يكون ملائماً لصون السلم الداخلي .

[٧ ب]

٥ - يجب أن تجرى تسوية جميع المطالب الاستعمارية على مبدأ الحرية والتسامح والانصاف التام وأن تكون مبنية على المراعاة التامة للمبدأ الذي مؤداه أنه بعد تحديده جميع مسائل السيادة ، يجب أن تراعى مصالح السكان المرتبطين بذلك بقدر مراعاة المطالب العادلة للحكومة التي يجب أن تحدد صفتها .

٦ - يجب اخلاء الأرض الروسية كلها (٢) وأن يكون ذلك مصحوباً بتسوية جميع المسائل التي تمس روسيا بأسلوب يضمن لها أحسن معاونة تجرى بملء الحرية من سائر أمم العالم بحيث أنها تتمكن بدون أدنى عائق من أن تقرر بحالة الإستقلال التام أمر تقدمها السياسي وأمر سياستها الوطنية والمعاملة التي ستبديها الأمم نحو روسيا في الأشهر التالية ستكون بمثابة برهان قاطع على عطفها المنزه عن الغرض .

٧ - أن بلجيكا - كما يجمع العالم كله على ذلك - يجب اخلاؤها وإعادة استقلالها (٣) دون أدنى محاولة لتقييد السيادة التي تتمتع بها بالاشتراك مع سائر الأمم الحرة ، وهذا العمل هو فوق كل عمل آخر وسيلة لإعادة الثقة بين الأمم في القوانين التي وضعتها لإدارة العلاقات المتبادلة بينهما . وبدون هذا العمل المصلح يكون بناء الحق الدولي وسلامته عرضة للخطر على الدوام .

٨ - يجب تحرير جميع الأراضي الفرنسية وإعادة جميع الجهات

(١) كان من أهم أسباب دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب تعرض الملاحة الدولية للأخطار من جراء حرب القواصات الألمانية .

(٢) كانت روسيا تشهد حرباً أهلية وقتذاك ، بعد استيلاء البلاشفة على الحكم ، اشتركت فيها جيوش بعض الدول الأوروبية .

(٣) كان السبب المباشر لدخول بريطانيا الحرب انتهاك الألمان لميثاق بلجيكا .

ما ستفعله انجلترا بعد عقد الهدنة ، اذا بها توعد الى مستر برونيات -
المستشار القضائي الانجليزي - بوضع تشريع ينزل بهصر من علياء مجدها
وحريتها الى حضيض الذلة والمهانة والاستعباد ، فأوقد بذلك النيران في
النفوس وقام أهل الرأي في وجهه قومه تردد صدها في الخافقين ، وكانت
سببا في انتباه الأمة الى ما يببب لها في الخفاء بعد صبرها وطول أناتها .

مبادئ الرئيس ويلسون الأربعة عشر

وقبل أن نبدأ في الكلام على الحركة الوطنية وتفصيلها ، رأينا أن
نكتب للقارئ هنا مبادئ الرئيس ويلسون التي كان لها الحظ الأوفر
في اخماد نار الحرب الكبرى ، والتي أصبحت فيما بعد مبادئ السلام .
فبطلتها ألمانيا ودول الحلفاء ، والذي دعانا الى نشرها هو أن القارئ ستعترضه
كثير من الاشارات اليها عند قراءة المذكرات وما هي :

مبادئ ويلسون الأربعة عشر :

[١٦] في يوم ٨ يناير ١٩١٨ ألقى الدكتور ويلسون رئيس جمهورية
الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمة (١) خطاباً طويلاً عن الحرب
وعن الأسباب التي دعت أمريكا لخوض غمارها ثم قال : « لقد دخلنا
الحرب عقب حوادث الاعتداء على الحقوق ، تلك الحوادث التي كانت تمسنا
جداً والتي كانت تجعل حياتنا متعذرة لو أنها بقيت بدون عقوبة . ولو
أننا لم نتخذ التدابير اللازمة لمنع تجدها . فالذي نطلبه والحالة هذه
أن يعود العالم الى حالة الأمن والصلحية للحياة وأن يكون أمنه مضموناً .
وفي ذلك مصلحة مشتركة لجميع الشعوب . »

ويستنتج من هذا أن برنامج السلم في العالم هو برنامجنا ، وهذا بيان :

١ - يجب البحث في معاهدات الصلح وعقدتها بحالة الصراحة
التامة ، والا تكون بعد ذلك اتفاقات دولية خصوصية من أي نوع بل
تسارس السياسة أعمالها جارية فيها على أسلوب الصراحة والجر .

٢ - الحرية المطلقة لسير الملاحة في البحار في خارج مياه الحدود

(١) يقصد الكونجرس الأمريكي .

العبارة وهو أن تلك الحقوق قد سقطت عن مصر ، صحيح لا غبار عليه ، وحق لا مرية فيه . وأما الشق الثاني وهو أن تلك الحقوق آلت الى جلالته ملك انجلترا ، فباطل بطلانا مطلقا ولا يمت الى الحق بأى سبب . ولذلك قالت فى هذا التبليغ أيضا (فحكومة جلالته الملك تعتبر « وديعة » تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت اليها بالصفة المذكورة . (وواجب الانسانية وحقوق الحرية توجبان على كل انسان حر أن يرد الوديعة الى أصحابها بمجرد طلبها ، وهل ينكر أحد فى العالم أن مصر قصرت فى طلب حقها ووديعتها ؟)

وفى منشور القائد العام (١) الذى أصدره فى ٧ نوفمبر ١٩١٤ « أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن تطلب الى الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالى ، وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من عرقلة حركات جيوشها الحربية أو تقديم أية مساعدة لأعدائها » .

ولا شك فى أن السلطة العسكرية لم تقف عنده هذه الحدود التى سنها القائد العام ، فى منشوره هذا . بل تجاوزت فيه كل حده وخرجت على كل حق فقد نظمت من تلقاء نفسها حملات جاست بها خلال [٥] الديار وأخذت فى جمع الرجال وقسروهم على التطوع فى الجيوش التى تحارب الدولة العليا فمن كان منهم يستطيع الحرب قدموه طعمة لنيرانها المتأججة . ومن لم يستطيع أقاموه فى صفوف العمال وأقسام الأشغال التى لا بد للجيوش المحاربة منها . كما أخذت فى جمع ماشية الأهلىين على اختلاف أنواعها ، ووضع يدها على ما تنبت الأرض من قطن وكتان وجبوب ، فى مقابل أثمان تحددها السلطة بنفسها لنفسها ، وتلزم الناس قبولها . وباليتمها كانت تأخذ ما تحتاج اليه هى وحدها بهذه الطريقة الجائرة ، ولكنها كانت تأخذ هذه الأشياء بأثمانها الضئيلة وتبيعها للدول الأخرى بالأثمان العالمية ، فكانت بذلك شر وسيط وأنهم تاجر ومع هذا كله وقفت الأمة المصرية على بكرة أبيها تنظر الى هذه الأعمال بعين الأسف والرجاء لأن كل فرد من أفرادها قدر فى نفسه أن انجلترا سيحبلها شرفها وأباؤها وسمو خلقها على الاعتراف بهذا الجميل الذى لا يقدر ، فترد « الوديعة » الى أربابها وتعترف لمصر بحقها فى الحرية والاستقلال وتتخذها صديقة لها تعاملها معاملة الند للند لا معاملة الحر للعبد ، وهذا ما كان ينتظره كل مصرى من بريطانيا العظمى ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، ولكن خاب الأمل وضاع الرجاء . اذ بينما الناس ينتظرون

(١) اللغتن جتال جون غرانفل مكسويل ، قائد الجيوش البريطانية بالقطر المصرى .

بأن لمصر حرية معترفا بها كسيبتها على يد محمد علي في ميدان القتال
سنة ١٨٤٠ ، ١٨٤١ .

وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، أعلن وزير خارجيه انجلترا (١)
بسط الحماية على مصر فقال : « يعلن وزير الخارجية لدى حكومة ملك
بريطانيا العظمى أنه نظرا الى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا قد
وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد
المشمولة بالحماية البريطانية . وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر .
وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها
ومصالحها » .

ومعنى هذا في العرف السياسي الذي يحدده القانون الدول أن مصر
أصبحت حرة طليقة من كل قيد يجعل لأية دولة أخرى أية وسيلة في
التدخل في شئونها الخاصة أو العامة ، ولا هبرة في نظر الحق ، ولا فيما
تواضع عليه علماء السياسة بما قامت به انجلترا بفرض حمايتها على
البلاد ، فإن للحماية شروطا لا تكون صحيحة الا بتوافرها ، وذلك أن
الحماية لا تتم صفتها الا بمعهده يتوثق بين حكومتين متمثلتين في استقلال
الشخصية .

[٤] متميزتين في التحرر من كل ما يمس سيادتهما ، تعهد احدهما الى
الأخرى في الاشراف ببعض ما لها من الحقوق في داخل بلادها وفي خارجها
في نظير مساعدتها ومعاونتها بما تستطيع القيام به في سبيل الدفاع
عنها اذا حز بها أمر أو تعرضت سلامتها للخطر وعلى الدولة الحامية الأخذ
بناصر الدولة المحمية ومعاونتها وارشادها الى ما فيه اصلاح شئونها
وتدبير أمورها واثماء ثروتها وترقية مركزها . فإنت ترى أن الحماية عقد
بين طرفين متراضيين ولم تكن مصر التي بسطت انجلترا عليها حمايتها
من تلقاء نفسها طرفا راضيا بحال من الأحوال (٢) . ولهذا فإن انجلترا
لما ألغت هذه الحماية قالت عنها أنها عمل غير مرض . واذا كانت الحماية
على الصورة التي أعلنتها انجلترا على مصر من تلقاء نفسها عملا باطلا فإن
كل دعوى من نوعها أو من نوع أخطر منها تكون أشد اغداقا في الباطل ،
وذلك كقول انجلترا في تبليغها الذي وجهته الى السلطان حسين حينما
أسند اليه عرش مصر على لسان مستر ملن شيتهم (٣) « وبذلك تكون
الحقوق التي كانت لسلطان تركيا للخديوي السابق على بلاد مصر قد سقطت
هنهما وآلت الى جلالته (جلالة ملك انجلترا) فالشق الأول من هذه

(١) السير ادوارد جراي .

(٢) الحماية بالأصل علاقة تماقدية .

(٣) القائم بأعمال المتعهد البريطاني في القاهرة (لورد كشمير) .

وما معنى الجزية التي كانت تدفعها مصر الى تركيا بعد معاهدة ١٨٤٠ م ،
١٨٤١ م أليست تدل على أن الصلة لم تنقطع ؟ ثم أليس تعيين الولاة ،
واقرار الخديويين قد كان من اختصاص تركيا وهذا بلا ريب يجعل لسلطان
آل عثمان يدا في شئون مصر ! نقول : لو أن الدول الأوروبية لم ترغب
مصر على قبول هذين الأمرين وما يتعلق بهما ، بل تركت مصر وشأنها
بواجه من الدولة العثمانية وحدها ما تواجه لما حدث شيء من هذا ، ولكن
ذلك انما كان بتألب الدول ، وفي مقدمتها إنجلترا ، ضدها وانتزاع أكثر
ما كانت الجيوش المصرية قد استولت عليه ، وارغامها على قبول هذه
الامور التي لو لم تقبلها لضاعت عليها كل الثمرات التي جنتها من حروبها
وانصرافاتها . فأنت ترى أن مصر لم تقصر في طلب حريتها واستقلالها ،
ولم تخضع للدولة التي كانت تسودها ، ولكنها ارغمت على ذلك بما
لا طاقة لأمة في العالم باحتماله ، ولدينا مثال على ذلك لا يزال نصب
أعيننا ، هذه الامبراطورية الألمانية ، ماذا يقال فيها وفي ما هي عليه من
قوة وبأس وعلم واختراع وجيوش جرارة وسكان كثيرين ، هل كان يظن
أنها لو ركت لفرنسا أو لانجلترا آكان في قدرة أحدهما أن تهزمها أو
تنال منها أي مثال ! ولكن لما تألبت عليها الدول جميعا كانت النتيجة
ما هو معلوم مشهور ، فمصر وهي دون المانيا بمراحل في كل شيء ،
ولم يكن يسعها أمام الدول المتألبة عليها الا ما كان . على أن مصر مع
هذا قد كانت تدفع مبلغ الجزية على ضآلته ، تفضلا منها للدولة الخليفة
التي كانت تنظر اليها بعين العطف ، وتتمنى لها كل خير .

[٢]

ومع هذه الحالة ، فان الدول - وفي مقدمتها إنجلترا - لم تنكر أن
مصر سيادة نفسها ، وأنها حرة في ادارة شئونها . ولهذا لما قامت الحرب
العالمية واشتركت فيها تركيا ضد الحلفاء دفع الحلفاء انجلترا الى اعلان
الأحكام العرفية والى بسط الحماية عليها والى خلع الخديوى عنها . ولم
يكن لانجلترا في هذا الانقلاب والتغيير أي حق اللهم الا ما كان من
الضرورة الحربية التي تبيح كل محظور ، وإن كان الحق في ذاته ما يزال
حقا بالمطال في نفسه ما يزال باطلا ، على أنه قد جاء في منشور القائد
العام للجيوش البريطانية الذي أعلن به قطع العلاقات بين بريطانيا العظمى
والدولة العلية في ٧ نوفمبر ١٩١٤ ما يأتي :

[٣]

« ان بريطانيا العظمى تحارب الآن (الدولة العلية) لغرضين :
وهما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كسبها محمد علي في الأصل
في ميدان القتال ، واستمرار هذا القطر على التمتع بالسلم والرخاء اللذين
تمتع بهما مدة الاحتلال البريطاني في ٣٠ سنة » .
فهذا اعتراف صريح من إنجلترا على لسان قائده جيوشها بمصر ،

المقدمة

[١]

كان سياسة الانجليز وما يزالون يزعمون أن مصر ظلت مستعبدة للأتراك منذ أغار عليها السلطان سليم (١) ، الى أن قطعت الحرب العظمى علاقتها بهم ، يقولون ذلك تبريرا لمطامعهم الاستعمارية ، (وهم مع هذا لا يريدون أن يتناجوا فيما بينهم بما يخالج نفوسهم وتنطوى عليه جوانحهم من المطامع والأغراض ، بل هم يجاهرون بأنه ما دامت الحالة بين مصر والترك قد كانت على ما وصفوا فلماذا لا يرضى المصريون بأن يكونوا مع بريطانيا العظمى ، على ما كانوا عليه مع تركيا ؟ مع أن المصريين يعلمون أن الانجليز أكثر تمدنا وأقوى بطشا وأرسخ قدما في العلوم والآداب ؟ ان هذا يدل على أن المصريين ينكرون الجميل ولا يستطيعون أن يميزوا بين الصالح والضار ولا بين الحبيب والطيب ١٩ .

ولا شك في أن هؤلاء السياسة من الانجليز انما يخدعون أنفسهم ويغالطون ضمائرهم ويحاولون أن يطمسوا معالم التاريخ وما سجلته وقائع الأيام في الوثائق التي لا تمحى ، وفي المعاهدات التي لا تنسى . وهذا تقرير منهم لأنفسهم لن يبؤوا منه الا بالخذلان القاضح ، وهم يعلمون كما تعلم الدول جمعاء أن مصر ، وهي تعرف أن الجالس على عرش السلطنة العثمانية انما كان خليفة للمسلمين وأن في أعناق رعاياه فرض الطاعة وواجب الخضوع والاذعان ، ان مصر وهي تعرف هذا لم يمنعه ذلك من الحنين الى الاستقلال والنزوح الى الحرية وخلع ربة المشاركة في الأمر ، ولذلك قامت في وجه صاحب الخلافة وهزمت جنوده في غير موقعة وما زالت تخرج من معركة ظافرة الى معركة حاسمة حتى كتبت بنمائه أبنائها صحيفة الاستقلال ، ووثيقة للتحرر من الخضوع لسلطان تركيا في سنة ١٨٤٠ و ١٨٤١ م (٢) . فانت ترى أن الأمة المصرية ميالة بفطرتها الى الحرية نزاعة بطبيعتها الى الاستقلال ، فاذا نادى به أو قامت بأعبائه ، فانما تنادى بحقها الطبيعي وتقوم بما لا ترى لنفسها الحياة الا به . قد يقول قائل :

(١) عام ١٥١٧ .

(٢) من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ ، والفرمانات الصادرة من السلطان في فبراير

ديونية عام ١٨٤١ .

الجزء الأول

بين لقاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨
وانطلاق القضية في الميدان الدولي
٦ يونية ١٩١٩

المذكرات

والتاريخ الأول ليس من عندياتنا بل من عند صاحب المذكرات
الذى اختاره كنقطة بدء ليوميّاته ، أما التاريخ الثانى فهو تاريخ انطلاق
الثورة الى العمل الخارجى .

وللحقيقة بذل الباحثون « بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر »
غاية الجهد لتحقيق هذا السفر الهائل من « يوميات مصر السياسية » التى
وضعها عبد الرحمن فهمى على شكل مذكرات مستعينة فى ذلك بالوثائق
البريطانية والسوريات وشتى المراجع .

وقد استمر هذا الجهد الدائب لنحو ثلاث سنوات متواصلة يبذله
فريق من هؤلاء الباحثين تشكّل من السادة : جمال مهنا ، وماجده سليم ،
ومسئولة عطية ، وعفاف مصطفى وناعده مرزوق .

وفى تقديرى أن لصلهم هذا بقية سوف يستغرق سنوات أخرى
من العمر حتى تصل هذه المذكرات على نحو ما نشتهيها من دقة وأمانة .
وعلى الله قصد السبيل .

د . يونان لبيب رزق

- ٣٦ - ملف رقم ٣٦ (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة ٣٧٣٥
(بالبوستة وكنت في الأول) وينتهي بالصفحة رقم ٣٨٤٧ .
- ٣٧ - ملف رقم ٣٧ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة ٣٨٤٨
(الفكرة أن عدم محبته لزيارة الناس) وينتهي بالصفحة ٣٩٦٠ .
- ٣٨ - هذا الملف غير موجود .
- ٣٩ - ملف رقم ٣٩ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٠٧٤ (ثم
قدم المدعى العمومي) وينتهي بالصفحة رقم ٤١٨٦ .
- ٤٠ - ملف رقم ٤٠ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤١٨٧ (نائب
الأحكام - ما اسم الجريدة) وينتهي بصفحة ٤٢٩٩ .
- ٤١ - ملف رقم ٤١ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٣٠٠ (غير
حسنه) وينتهي بصفحة ٤٤١٢ (وروى حكايته الهادفة للاتهام) .
- ٤٢ - ملف رقم ٤٢ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٤١٣ (عن
زيارته لبيت الشريعى) وينتهي بصفحة ٤٥٢٥ .
- ٤٣ - ملف رقم ٤٣ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ بصفحة ٤٥٢٦ (وان
كان بعضهم وينتهي بصفحة ٤٦٤٠ بالعبارة الآتية (ولا تسأل
أيها القارئ عما قابلتني به الأمة من مظاهر الاعزاز والتكريم مما
أنساني آلامى وأمراضى) .
- وقفل المحضر الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم .

توقيعات

عبد المنعم سيد أحمد محمد محيي الدين مراد فهمي

ويتضح من استعراض الملفات الثلاثة والأربعين أنها قد انقسمت
الى مجموعتين : تضم أولاهما : ٢٩ ملفا وتتضمن « يوميات مصر السياسية
بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٧ . وثانيتهما : وتشمل ١٤ ملفا تعالج قضية
المؤامرة بجلساتها التى استمرت نحو ثلاثة شهور .

ولما كان من المستحيل نشر هذه المذكرات فى مجلد واحد فسوف
نقوم على نشرها بعد تحقيقها فى أجزاء نبدأها بهذا الجزء الأول الذى
تضمن الفترة الممتدة من ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ وحتى ٦ يونيه ١٩١٩ .

٢٦ - ملف رقم ٢٦ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم
(بعد قطع المحادثات) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٢٧٣٠
الآتية (والبرلمان الآن في دور الانعقاد) .

٢٧ - ملف رقم ٢٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم
(بدأ في ١٢ نوفمبر ١٩٢٤) وينتهي الملف بالصفحة رقم
بالعبارة الآتية (تتولى توزيع الأموال بالطريقة التي تراها

٢٨ - ملف رقم ٢٨ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم
(المادة ٦٠ - يجوز للاتحاد) وينتهي الملف بالصفحة رقم
بالعبارة الآتية (ثم وقف سعد باشا وألقى الخطبة الآتية

٢٩ - ملف رقم ٢٩ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم
(خطبة سعد باشا) وينتهي الملف من (بيت الأمة الى مدفن
بالامام الشافعي) .

٣٠ - ملف رقم ٣٠ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بفهرس
صفحة رقم ٥١ الى صفحة ٦٦ . ويليهما الصفحة رقم ٥٦ .
تبدأ بالعبارة الآتية (القبض على ومحاكمتي) وينتهي
بالصفحة رقم ٣١٦٩ بالعبارة الآتية (وأما الثاني فأردت أ
أكرته فلم أستطع) .

٣١ - ملف رقم ٣١ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة
٣١٧٠ (وهذا بعد البحث) وينتهي بالصفحة رقم ٣٢٨٢

٣٢ - ملف رقم ٣٢ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة
٣٢٨٣ (هل كان الخمسة والعشرون عضواً) وينتهي بالصفحة
٣٣٩٥ بالعبارة الآتية (ستتاح لك فرصة الاستجواب)

٣٣ - ملف رقم ٣٣ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة
٣٣٩٦ (المستر مكسويل مما هو فيه) وينتهي بالصفحة
٣٥٠٨ .

٣٤ - ملف رقم ٣٤ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة
٣٥٠٩ (حتى ما كان الفراش يدخلها) وينتهي بالصفحة
٣٦٢١ (أنا أتكلم على داخل البيت) .

٣٥ - ملف رقم ٣٥ : (المحاكمة العسكرية) يبدأ الملف بالصفحة
(ما هو الباب الى على الشارع) وينتهي بالصفحة ٣٧٣٤

الملف بالصفحة رقم ١٧٨٥ ، التي تنتهى بالعبارة الآتية (نقيب المحامين الشرعيين محمد خيرت راضى) .

١٨ - ملف رقم ١٨ : (المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ١٧٨٦ (ربح قرار نقابة المحامين الشرعيين) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٨٩٠ التي تنتهى بالعبارة الآتية (لا يلوح فى اللحظة الراهنة) .

١٩ - ملف رقم ١٩ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٨٩١ (فاذا تركت الأمور تجرى مجراها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٩٩٥ التي تنتهى بالعبارة الآتية (فى بيت الجزائر بك) .

٢٠ - ملف رقم ٢٠ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٩٩٦ التي تبدأ بالعبارة الآتية (نائب الأحكام لحمد باشا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢١٠٠ التي تنتهى بالعبارة الآتية (فرد نسيم باشا على الأمر الملكى) .

٢١ - ملف رقم ٢١ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢١٠١ (قبول نسيم باشا لتأليف الوزارة) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٢٠٥ التي تنتهى بالعبارة الآتية (وفى ٣١ مارس ١٩٢٣) .

٢٢ - ملف رقم ٢٢ : (المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ٢٢٠٦ (الافراج عن سعد باشا وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٣١٠ التي تنتهى بالعبارة الآتية (نفس مشروع الرد على المذكرة) .

٢٣ - ملف رقم ٢٣ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٣١١ بالعبارة الآتية : (نص مشروع الاعلان) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٤١٥ التي تنتهى بالعبارة الآتية (فأنتم متمرنون على السياسة) .

٢٤ - ملف رقم ٢٤ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٤١٦ (كيف تدخلون السوق) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٥٢٠ وتنتهى بالعبارة الآتية (بصفته وزير الخارجية) .

٢٥ - ملف رقم ٢٥ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٢٥٢١ (بلغت الطلب الذى طلبه سعد باشا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ٢٦٢٥ التي تنتهى بالعبارة الآتية (فيه اعتداء صارخ على حقوق مصر فى السودان) .

الملف بالصفحة رقم ٨٩٩ . والملف بنظام صفحة بيضاء وصفحة مدونة .

١٠ - ملف رقم ١٠ : (المذكرات - لجنة ملنر ٣) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٩١٤ (الوفد يطلب سفر عدلى باشا الى باريس) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٠٥٠ والصفحات غير متسلسلة أيضا .

١١ - ملف رقم ١١ : (المذكرات) يبدأ بالملف بالصفحة رقم ١٠٥١ (الذى نحن مهتمون باتمامه) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١١٥٥ ويوجد شطب فى بعض الصفحات كما توجد عبارات بين السطور وتعليقات على الهوامش وأوراق صغيرة .

١٢ - ملف رقم ١٢ : (المذكرات) يبدأ بالصفحة رقم ١١٥٦ (من ذلك القلق كثيرا) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٢٦٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (دخلت فى هذه الصناعية) الملف مدون بالأسلوب السابق ذكره .

١٣ - ملف رقم ١٣ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٢٦١ (نقابة تدافع عن حقوقها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٣٦٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (لطلب الاستقلال وضحت ماضحت من دماء أبنائها وحرية) والملف مدون بالأسلوب السالف ذكره .

١٤ - الملف رقم ١٤ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٣٦٦ بالعبارة الآتية (شيوخها وفتيانها) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٤٧٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (واعتباطها باسناد رياسة الوزارة الى دولة عدلى باشا) ، والملف بنفس الأسلوب السابق .

١٥ - ملف رقم ١٥ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٤٧١ بالعبارة الآتية : (اجتهاده لمن اختارهم أعضاء لوزارته) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٥٧٥ التى تنتهى بالعبارة الآتية (على أفى أؤكد لكم) والملف مدون بالنظام السابق .

١٦ - ملف رقم ١٦ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٥٧٦ (ان هذا الانقسام) وينتهى الملف بالصفحة رقم ١٦٨٠ التى تنتهى بالعبارة الآتية (نشرت الوثائق الرسمية للمفاوضات) والملف مدون بالنظام السابق .

١٧ - ملف رقم ١٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٦٨١ وتبدأ بالعبارة الآتية (توقف الأمة بعد قطع المفاوضات) وينتهى

٣ - ملف رقم ٣ : (المذكرات ٢١١ - ٣١٥) . ويبدأ الملف بالصفحة رقم ٢١١ (اعتداء الأرمن على المتظاهرين) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٣١٥ (قبول استقالة الوزارة الرشدية) . جميع الصفحات واحدة مدونة وواحدة بيضاء . وهي مدونة بالقلم الكوبيا ، ويوجد شطب في بعض الصفحات .

٤ - ملف رقم ٤ : (المذكرات ٣١٦ - ٤٠٧) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٣١٦ (عودة الموظفين الى أعمالهم) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٤٠٧ التي ينتهي بالعبارة الآتية (نشر هذا الحديث مؤخرا) الملف مدون بالأسلوب السابق .

٥ - الملف رقم ٥ : (حوادث مصر من يونية ١٩١٩ . المذكرات) يبدأ الملف بصفحة ٤٢٢ وينتهي بصفحة ٨٤٠ . مع الاضافة بان أرقام الصفحات لا تعبر عن تسلسلها بسبب عدم وجود أرقام كثيرة وسيتم حصر الصفحات الموجودة بهذا الملف بدار الوثائق لاثبات الصفحات الموجودة والصفحات الناقصة .

٦ - ملف رقم ٦ : (المذكرات - ٦) يبدأ الملف بصفحة ٨٦١ (زيارة المسير كليمنسوس لمصر) وينتهي الملف بصفحة ٩٦٩ بالفقرة الآتية (ويقال من جهة أخرى أن يوسف باشا) والصفحات غير متتابعة حيث توجد صفحات ناقصة والملف أيضا بنظام صفحة بيضاء وصفحة ملونة .

٧ - ملف رقم ٧ : (المذكرات) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٤٠٨ (احتجاج الوفد على معاهدة الصلح مع النمسا) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٩٠٢ بالعبارة الآتية (حقق الله ذلك . سعد زغلول) وهذا الملف كسابقه توجد به صفحات ناقصة .

٨ - ملف رقم ٨ : (المذكرات - لجنة ملنر) يبدأ الملف بصفحة صغيرة غير مرقمة تبدأ بعبارة (لم يكن هذا وحده هو ما تبغيه الجلثرا) والصفحة التالية رقمها ٥١٤ ، وتبدأ بالجملة الآتية (التمهيد لقدم لجنة انكليزية الى مصر) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٦٥٠ التي تنتهي بالعبارة الآتية (فيها أعظم تحقيق وتبرير) ، والصفحات أيضا غير متتالية بالنسبة للأرقام المدونة عليها .

٩ - ملف رقم ٩ : (المذكرات - لجنة ملنر ٢) يبدأ الملف بالصفحة رقم ٦٥١ (رد سعد زغلول باشا على خطاب كيرزون) وينتهي

فهرس المذكرات العام

يبدأ بصفحة ١ وينتهي بصفحة ٥٠ وهو عبارة عن بيان خاص بالمذكرات الموجودة في داخل ملفات ومنه يتبين أرقام الصفحات والتواريخ المختلفة اعتباراً من ١٩١٨/١١/١٣ الى ١٩٢٧/٨/٢٣ . ويبدأ هذا الملف في الصفحة الأولى بعبارة : (المقدمة . وتشتمل على مبادئ الرئيس ولسون) وينتهي الملف بالعبارة الآتية (مات سعد زغلول) . الأوراق الموجودة بهذا الملف مدونة بالقلم الكوبييا . ويوجد شطب في بعض الصفحات قبل صفحة ٤٠ . وهذا الملف صفحة مكتوبة وصفحة بيضاء ، وغير موقع عليه في آخره ولا يوجد عليه رقم من الخارج .

١ - ملف رقم ١ : مدون عليه من الخارج العبارة الآتية (من تأليف الوفد في نوفمبر ١٩١٨ الى قبول استقالة وزارة رشدي باشا في أول مارس ١٩١٩) وعنوان الملف (المذكرات ١ - ١٠٥) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١ التي تبدأ بالآتي : (مقدمة - كان سياسة الانجائز وما يزالون يزعمون أن مصر ظلت مستعبدة للأتراك) وينتهي الملف بالصفحة رقم ١٠٥ التي تبدأ بالآتي : (قبول استقالة رشدي باشا) وهذه الصفحة مدون بها حتى منتصفها فقط . ويوجد شطب في بعض الصفحات كما توجد أوراق صغيرة بعضها مرقم والبعض الآخر غير مرقم . وجميع الصفحات مدونة بالقلم الكوبييا ، وبنظام صفحة مدونة وصفحة بيضاء ، كما توجد تعليقات على الهوامش (تهميشات) .

٢ - ملف رقم ٢ : مدون عليه من الخارج العبارة الآتية (كتاب الوفد الى السلطان فؤاد في مارس ١٩١٩ - المذكرات ١٠٦ - ٢١٠) يبدأ الملف بالصفحة رقم ١٠٦ التي تبدأ بالعبارة الآتية (كتاب الوفد المصري الى عظمة السلطان) وينتهي الملف بالصفحة رقم ٢١٠ التي تبدأ بالآتي (بلاغ رسمي . القاهرة في ٢ ابريل ١٩١٩) وهذه الصفحة مدونة حتى نصفها فقط . الملف مدون بنظام صفحة مكتوبة وصفحة بيضاء ، وتوجد أوراق صغيرة بالملف كما يوجد شطب في بعض الصفحات .

ويبدو حرص الرجل في أكثر من أمر أولها : أنه لم يشر لنظام تبادل تلك الرسائل وإنما كان يسوقها في مذكراته تحت عنوان تقارير عن أخبار الوفد المصري بأوروبا . وثانيها : أنه لم يأت بنصوص تلك المراسلات كاملة مما كان يمكن أن يدل على طبيعتها من حيث كونها مراسلات متبادلة بين رئيس الوفد وسكرتيره ، بل كان يسوق إجراء منها ، هي الأجزاء الخاصة بالأحداث السياسية التي كانت تجري في باريس للوفد من حيث الاتصالات مع الأطراف الأخرى أو العلاقات بين أعضاء الوفد نفسه ، وثالث الأمور التي تدل على حرص الرجل أنه لم يضمن مذكراته أيًا من تلك الرسائل التي بعث بها إلى زغلول في باريس والتي شملت القسم الثاني من دراسة الدكتور محمد أنيس (من ص ١١٥ إلى ص ٢٣١) وهو القسم الأكبر من الدراسة .

ويبدو أن عبد الرحمن فهمي قد رأى أنه ليس ثمة ضرورة لتضمين المذكرات مثل هذه الرسائل التي كانت أما على شكل رد على مكاتبات من زغلول إليه ، وأما على شكل تقارير عن أحوال مصر ومسيرة الأعمال الثورية مرفوعة لزعيم الثورة في العاصمة الفرنسية . ويدعم هذا التصور أن المذكرات قد تضمنت مثل هذه التقارير التي بعث عبد الرحمن فهمي ببعضها أو بجانب منها لسعد زغلول .



ومن الملاحظات على مذكرات عبد الرحمن فهمي إلى ما تضمنته تلك المذكرات .

كما سبق الإشارة تنقسم هذه المذكرات إلى ثلاثة وأربعين ملفًا تضم ٤٦٤٠ صفحة ، وقد أودعت دار الوثائق التاريخية القومية من جانب ابنه المهندس مراد فهمي منذ أكثر من عشرين عامًا ، على وجه التحديد يوم الثلاثاء ٤ فبراير عام ١٩٦٤ .

وفيما يلي بيان بموضوع هذه المذكرات وعدد أوراقها طبقًا للمحضر الذي تسلمت بمقتضاه اللجنة التي تكونت من دار الوثائق القومية المذكرات ، وهو محضر يتسم بقليل كبير من الدقة ، جاء فيه :

تم الافراج عنه فى ٨ فبراير عام ١٩٢٤ . ورغم ذلك فقد حظيت تلك الفترة فى المذكرات بمساحة غير قصيرة زادت عن الألف وخمسمائة صفحة (من ص ٩٨٨ الى ص ٢٥٢٠) ولم يكن معقولا أن يتمكن وهو فى السجن من متابعة يوميات مصر السياسية بهذه الدقة التى لم تقل بأى حال عن درجة متابعتها لها فى الفترة السابقة على سجنه أو اللاحقة لها .

٤ - يقودنا ذلك الى الملاحظة الرابعة ومؤداها أن عبد الرحمن فهمى قد كتب مذكراته من خلال « أوراق الوفد » ، مما يمكن استنتاجه بسهولة من أمرين ، أولهما : ان المحور الأساسى للمذكرات كان الوفد فى نشأته وحرركته واتصالاته بل ومنذ مولده وحتى رحيل مؤسسه سعد زغلول . ولم يكن هذا المحور عبد الرحمن بك نفسه . ثانيهما : أنه كثيرا ما وجدنا أوراقا داخل المذكرات ، وبترقيم مختلف عنها ، وبخط غير خط عبد الرحمن فهمى ، وأول مثل على ذلك ما جاء بعد صفحات قليلة من بداية المذكرات ، على وجه التحديد تسع صفحات ، من نص لقاء الزعماء الثلاثة مع المندوب السامى البريطانى وما تبودل فيه من أحاديث . والواضح أن محضر هذه الجلسة شأنه شأن كثير من الأوراق التى كتبت فى المذكرات بخط غير خط عبد الرحمن فهمى ، كان بخط أحد الزعماء الثلاثة الذين شاركوا فى اللقاء ، أو خط واحد من رجال الوفد أملاه عليه زعيم من هؤلاء الزعماء .

٥ - غلب على عبد الرحمن فهمى طابع الحذر الذى كان جزءا واضحا من شخصيته ، وهو الطابع الذى أهله لتولى رئاسة الجهاز السرى للوفد ابان الثورة .

فقد كان من المتوقع أن يكشف لنا بصفته الرأس المدبر لهذا الجهاز طريقة تنظيمه وأهم أعماله ، ولكن من الغريب أن مذكرات زعيم الجهاز السرى خلت من أية إشارة عن هذا الجهاز ، وكأنه كان يخشى أن تقع تلك الأوراق فى أيدي سلطات الأمن فتكون دليلا على ادانته بدلا من أن تكون دليلا تاريخيا يعين المؤرخين على فهم الدور الذى قام به جهاز من أهم أجهزة ثورة ١٩١٩ .

٦ - وتتصل آخر الملاحظات بالملاحظة السابقة عليها ، فقد كان عبد الرحمن فهمى حريصا فى مذكراته فيما يتعلق بالمراسلات السرية التى جرت بينه وبين سعد زغلول ابان وجود الوفد المصرى فى باريس عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ والتى نشرها المرحوم الاستاذ الدكتور محمد أنيس تحت عنوان « دراسات فى وثائق ١١٩ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى » .

ونقول « يوميات مصر السياسية » : أولا : لأن « عبد الرحمن فهمى » الكاتب كان بطول ما يزيد عن الأربعة آلاف صفحة التى تضمها المذكرات حريصا أشد الحرص على عدم ذكر « عبد الرحمن فهمى » الثائر أو السياسى الا فى المواضع التى يستلزم السياق فيها مثل هذا الذكر .

ونقول « يوميات مصر السياسية » ثانيا : لأنه عندما كان عبد الرحمن فهمى يتناول حادثة ما خلال الفترة التى تناولتها المذكرات (١٩١٨ - ١٩٢٧) يكون هو بطلها ، كان يعالجها بدرجة من الحياد تصل أحيانا الى حد البرود ، حتى أنه يمكن القول ان الرجل ظل يتعامل بنفس منطق العمل السرى الذى اتقنه مع مذكراته ، فان كان هذا العمل قد استلزم من عبد الرحمن فهمى انكار ذاته والتعامل دائما مع « الموضوع » لا مع « الشخص » ، فقد فعل ذلك بالضبط مع مذكراته ، ولم نجده منفعا فى أى موقف يخصه ، كما لم يسمح لنفسه بالتعبير عن مشاعره أو انطباعاته فى أى قضية أو علاقة كان طرفا فيها .

وليس أدل على قدرة الرجل على ضبط انفعالاته من أنه رغم خلافه مع سعد زغلول عام ١٩٢٦ ، والذى أدى به الى اعتزال الحياة العامة لفترة غير قصيرة بعد ذلك فانه اعتبر وفاة رئيس الوفد ومؤسسه فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ ، نقطة نهاية مناسبة لمذكراته ، وهو فى هذا لم يسمح لمشاعره الخاصة لتتولى عليه اختيار نقطة أخرى ، وكان يحق له أن يفعل !

وإذا كانت مثل هذه الملاحظة تحسب للرجل ، الا أنها تحسب على المذكرات ، فمن المفروض أن تكون المذكرات شخصية ، أما وقد حاول أن يجردها من النوازع الذاتية فهو فى نفس الوقت قد جردها من توصيفها « بالمذكرات » .

ونقول « يوميات مصر السياسية » ثالثا : لأن عبد الرحمن فهمى « كشخصية عامة » لم يبدأ حياته فى عام ١٩١٩ ، كما لم تنته تلك الحياة عام ١٩٢٧ . فقد كان شخصية عامة من قبل ، كما كان شخصية عامة من بعد ، وهو الأمر الذى أوضحناه أثناء حديثنا عن الرجل .

٣ - ومع توصيف مذكرات عبد الرحمن فهمى بأنها « يوميات مصر السياسية » فان ذلك لا يعنى أنه سجلها بشكل يومى ، ففى تقديرنا أنه قد عكف على هذا السفر العظيم يدونه خلال الفترة التى اعتزل فيها العمل السياسى بعد عام ١٩٢٦ والتى بلغت نحو السنوات العشر .

ذلك أن صاحب المذكرات كان رهن المحاكمة ثم ألقى فى السجن فيما عرف « بقضية المؤامرة الكبرى » منذ أول يوليو عام ١٩٢٠ وحتى

ثانيا : المذكرات

ثلاثة وأربعون ملفا تتضمن ٤٦٤٠ صفحة فولسكاب هي مجموع
مذكرات عبد الرحمن فهمى ، وهى على حد ما نعلم حتى الآن ، أكبر
مجموعة من المذكرات وضعها سياسى مصرى حتى يومنا هذا .

وقبل التعرف على ما تضمنته هذه المذكرات ينبغى تسجيل عدد
من الملاحظات عليها :

١ - أنها باستثناءات بسيطة ، سوف يشار إليها فى موضعها ،
مكتوبة بخط عبد الرحمن فهمى نفسه ، وللحقيقة فانه بينما استنزفت
مذكرات أخرى (سعد زغلول مثلا) جهود الباحثين لكفك طلاسمها فان
خط صاحبنا كان واضحا غاية الوضوح ، على عكس شخصية كاتبها التى
كانت غامضة غاية الغموض .

٢ - رغم أن صاحبها أو من أودعها دار الوثائق القومية اسموها
« بالمذكرات السياسية الخاصة بالمرحوم عبد الرحمن فهمى » الا أن الأخذ
بهذه التسمية فيه تجاوز كبير لحقيقة الأوراق التى بين أيدينا ، وافتتات
على التوصيف العلمى للمذكرات .

فالمذكرات سواء كانت على شكل يوميات أو شكل ذكريات والتى
خلفها لنا بعض الزعماء المصريين ، أو الساسة ورجال الدولة من الأجانب
هى فى الحقيقة نشر للتجربة الخاصة بهؤلاء بكل ما يحوط بهذه التجربة
من أحداث ، وعلاقات وانطباعات ، يكون صاحب هذه المذكرات محورها .

يختلف الأمر بالنسبة « لعبد الرحمن فهمى » ، فالذى بين أيدينا فى
الحقيقة ينطبق عليه توصيف « يوميات مصر السياسية من ١٣ نوفمبر
١٩١٨ الى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ » وهى الفترة التى بدأت باللقاء المشهور
بين المندوب السامى البريطانى فى القاهرة السير ريجنالد ونجت وبين
الزعماء المصريين الثلاثة : سعد زغلول ، وعلى شعراوى ، وعبد العزيز
فهمى ، وانتهت بوفاة سعد زغلول .

البريطاني استبعادهما من هيئة المفاوضات المصرية (١) • وهو في هذا
كأنما كان يدافع عن نفسه •

ثم أنه قد اشترك معهما في تأسيس الهيئة السعدية أوائل عام
١٩٣٨ ، ودخل برلمان أحزاب الأقلية الذي تأسس في ذلك العام ، ثم
في عام ١٩٤٤ ، نائبا عن الحزب ، وأسهم مساهمة فعالة في تحرير
صحفه ، مما يؤكد - في نهاية الأمر - أن ذلك الجزء من حياة الرجل
الذي قضاه في قيادة العمل السرى لتورة ١٩١٩ كان عزيزا عليه ، ولم
ينفصل عنه حتى الرmq الأخير •

(١) روز اليوسف في ١٩٣٦/٤/٩ مقال تحت عنوان « الحملة الطائفة على
كبيرين في الوفد الرسمي المصري - المتصبون يحملون بجهالة على الأبرياء » •

والاستعداد للمفاوضات مع الانجليز ، وتراوح نشاطه في هذا المجال بين الدعوة « لتجنب احتدام المعارك الانتخابية (١) » وبين الدعوة « لترك الحزبية » (٢) .

ثانيتهما : رغم كل دوافع الاهتمام بالشئون المصرية خلال تلك الفترة الحافلة من التاريخ المصري يلاحظ أن « عبد الرحمن فهمي » قد أعار للقضايا العربية اهتماما ملحوظا ، خاصة وأنه قد واكب ادارته لسياسة روز اليوسف أحداث الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ . فكتب عن فلسطين التي تجاهد « وستعرض قضيتها على العالم » (٣) ، بينما كان يناشد الرأي العام الانجليزى حل القضية الفلسطينية (٤) .

وبدا نفس الاهتمام عندما عالج مجريات الأمور في سوريا (٥) . وعندما طالب أبناء الشرق ، وكان يقصد العرب بالأساس ، أن يتحدوا (٦) .

ثالثتها : تأثره الواضح بقرباته لآل ماهر ، وهو التأثير الذي بدأ بأجلى شكل في تأييده المطلق لوزارة « على ماهر » التي كانت قائمة عند توليه ادارة روز اليوسف ، فكثيرا ما كان يخصص مقاله الافتتاحي للتنويه بانجازات الوزارة ، وهو تنويه مستمر قائما حتى بعد انتهاء عهدها وتشكيل الوزارة النحاسية (٧) .

رابعتهما : (وآخرها) ارتباطه الشديد بتلميذه في الجهاز السرى أحمد ماهر والنقراشى ، وهو الارتباط الذى صنع خريطة حياته خلال السنوات العشر الأخيرة ، فهو قد دافع عنهما باستماتة عندما أراد الجانب

(١) روز اليوسف : ١٩٣٦/٣/٢٠ ، مقال تحت عنوان « الساعة الرهيبة » .

(٢) روز اليوسف : ١٩٣٦/٢/٢٠ مقال تحت عنوان : « دعونا كثيرا لترك التحزب ولكننا ندعو اليوم خاصة لمصلحة الوطن » .

(٣) روز اليوسف ١٩٣٦/٦/١

(٤) روز اليوسف ١٩٣٦/٦/١٤

(٥) روز اليوسف ١٩٣٦/٢/١٧ مقال بعنوان : الشرق المضطرب - جنایات يرتكبها غلاة الاستعمار - ماذا في سوريا الشقيقة ؟

(٦) ' روز اليوسف في ٢٥ / ٢ / ١٩٣٦ مقال بعنوان « يا أبناء الشرق اتحدوا » .

(٧) انظر مقالات : « مشروعات ماهر باشا كلمات يدعو اليها الاخلاص » ١٩٣٦/٥/٢٨ ، مشروعات ماهر باشا أمام البرلمان ١٩٣٦/٥/٣١ ، مشروعات ماهر باشا حرة أخرى ١٩٣٦/٦/٢ .

فهو قد رأى فى ماضيه خلال سنوات الثورة (١٩١٩ - ١٩٢٠) ، وفى تضحياته بالسجن فى سبيلها (١٩٢٠ - ١٩٢٤) ، ثم فى دوره بعد ذلك فى احتواء طبقة العمال أثناء موجة المد الشيوعى خلال العام الاخير (١٩٢٤) . رأى فى كل ذلك مبررا لنقد سعد والتحدث عنه فى مجالسه كما اتهمه الأخير . وقد تصور ان على « زعيم الامه » أن يقبل منه كل ذلك ، ولم يكن ليخالجه ، ولو للحظه ، أنه يمكن فى ظل المساورة السياسية ان يفقد المكانة السياسية التى تمتع بها منذ أن تفجرت الحركة الثورية قبل ذلك بسبع سنوات ، غير ان ذلك قد حدث فعلا ، ولم يجد الرجل مناصا ، مع هذا ، سوى أن ينسحب نهائيا من الحياة العامة ، ويعكف على كتابة مذكراته التى ننشرها فى هذا الكتاب .



وتأتى المرحلة الأخيرة من مراحل الحياة العامة لعبد الرحمن فهمى بعد أن اشتغل بالصحافة مديرا لتحرير « روز اليوسف » عام ١٩٣٦ ثم انضم للهيئة السعدية بعد تكوينها عام ١٩٣٨ ، ودخل البرلمان التى كونتها أحزاب الأقلية ، وحتى وفاته ٠٠ مرة فى برلمان ١٩٣٨ - ١٩٤٢ ، والثانية فى برلمان ١٩٤٤ حتى توفى بعد ذلك بعامين .

ويلاحظ الباحث أن عودته الى الحياة السياسية لم تحدث بشكل فجائى ، وانما تمت بعد تمهيد لها خلال العام السابق (١٩٣٥) حين عاد اسمه يتردد فى الصحف حينما نشر خلال الفترة بين مارس ومايو من ذلك العام مجموعة من المقالات فى مجلة « كل شيء والدنيا » تحت عنوان « مذكرات عبد الرحمن فهمى بك عن وظائف الحكومة » كشف فيها كثيرا مما لم يكن معروفا عن حياته العامة قبل ثورة ١٩١٩ (١) .

وتولى فى أول العام التالى إدارة تحرير روز اليوسف اليومية ، وقد دأب لنحو عام على كتابة « المقال الافتتاحى » للجريدة ، والحقيقة أنه من خلال كتاباته الصحفية ، ثم من خلال انتمائه للهيئة السعدية كأحد أعضائها البارزين وكأحد نوابها ، يمكن استنباط مجموعة من الحقائق حول تلك الفترة الغامضة من حياة عبد الرحمن فهمى :

أولاها : أنه استمر طول الوقت داعية « للوفاق الوطنى » ، خاصة خلال الفترة التى تلت أحداث ١٩٣٥ ، وبعد تكوين الجبهة الوطنية

(١) . نشر أعداد ٣/١٧ ، ٣/٢٤ ، ٣/٢٧ ، ٤/٣ ، ٤/١٠ ، ٥/١ ، ٥/٨ ، ٥/١٠
من مجلة كل شيء والدنيا .

وقراء ، وعمت جميع طبقاته على اختلاف أوساطها ، (١) .

ونلاحظ هنا ان عبد الرحمن فهمى كان من رجال الادارة الذين اشتغلوا بالسياسة ، فهو لم يكن من قبل عضواً فى أية مؤسسة أو جماعة ذات طابع سياسى مثل ان يكون عضو فى حزب كما كان بعض اعضاء الوفد الذين انتموا لحزب الأمة أو للحزب الوطنى ، كما أنه لم يدخل اياً من المجالس التشريعية التى عرفت فى عهد الاحتلال (شورى القوانين - الجمعية العمومية - الجمعية التشريعية) وهى مجالس كانت تطرح فيها القضايا السياسية مما جعل لعضائها مواقف سياسية اعطتهم شهرة كبيرة ، ويقدم سعد زغلول نموذجاً امثل لذلك .

ولعل هذا الدخول غير المسبوق بأى « دور سياسى » كان محسوباً ل « عبد الرحمن فهمى » كما كان محسوباً عليه .

فهو من الناحية الأولى قد أدخله المعتزك السياسى دون تاريخ سابق وبالتالي دون حزازات سابقة ، ومن ثم كان قادراً على مد جسور العلاقات مع سائر الفرقاء ، وعلى تجميعهم فى جبهة وطنية عريضة مثلها الوفد ، خاصة خلال فترة موجة المد الثورى (١٩١٩ - ١٩٢٠) .

وهو من نفس الناحية مضافاً اليه المكانة التى كان قد شغلها فى الجهاز الادارى ، قد أهله أن يكون محل ثقة على نطاق واسع ، ودع سائر الأطراف ، فقد وثق به سعد ومنافسوه على زعامة الوفد فى نفس الوقت ، ولاشك أن هذه الثقة هى التى دفعت بعبد الرحمن فهمى الى مجموعة المراكز التى تولاها فى اطار الوفد خلال تلك المرحلة من حياته : سكرتيراً للوفد ، وزعيماً لتنظيمه السرى ، ثم الممثل الأساسى للحزب الكبير فى عمله الدائب للهيئة على الحركة العمالية بعد خروجه من السجن عام ١٩٢٤ ، وحتى اعتزاله للعمل السياسى بعد ذلك بنحو عامين .

بيد أنه على الجانب الآخر فإن عدم اشتغال عبد الرحمن فهمى بالسياسة قبل عام ١٩١٤ كان محسوباً عليه فى بعض النواحي . فالرجل وإن كان قد تميز بالصلابة الوطنية فقد افتقد المرونة السياسية .

ولعل النهاية المأساوية لعلاقته بسعد زغلول عام ١٩٢٦ تؤكد ذلك ،

(١) صفحات مطوية من أيام الجهاد - من ذكريات عبد الرحمن بك فهمى الدنيا المصورة ١٩٣٩/٩/٨ .

وكان من الطبيعي ان يترك هذا الحادث بدوره بصماته على مستقبل عبد الرحمن فهمي . فهو مع عدائه للانجليز كان يمكنه الانضمام الى صفوف الحزب الوطني ، ولكنه لم يفعل بحكم ما أصاب علاقة الحزب من نحسن مع الخديو على عهد كتشنر ، ثم بعد قيام الحرب الاولى وتلاقى زعماء الحزب مع عباس في المنفى .

أما الجهة التي جمعت بين العداء للانجليز والعداء للخديو فقد كان الوفد المصري الذي شغل عبد الرحمن فهمي منصبا من أهم مناصبه ، وهو منصب السكرتير العام ، ودخل الرجل من خلال ذلك معترك السياسة ، ومن أوسع أبوابه الصراعية وهو أمر لم يكن ماضى الرجل الوظيفي ، كأحد كبار الاداريين يوحى به .

وباستثناء محمد محمود باشا الذي شغل قبل الحرب مناصب ادارية كبيرة وصلت به الى مدير البحيرة . بهذا الاستثناء فان عبد الرحمن فهمي يقدم نموذجا فريدا في الزعامة الوفدية بين عامي ١٩١٨ ، ١٩٢٦ . ولا تفسير لهذا التفرد سوى ما أصاب الرجل من السلطتين الفعلية ممثلة في الانجليز ، والشرعية ممثلة في الخديو ، من أضرار ، وما اكتشفه عن السلطتين من أخطار تحيط بالوطن .



وتأتي المرحلة الثانية من مراحل الحياة العامة لصاحب المذكرات ، وهي المرحلة التي وضع عنها مذكراته ، والتي تبدأ مع بدء الحركة الوطنية بقاء ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ الشهير ، وتنتهي بالخلاف الشهير الذي تفجر بينه وبين سعد زغلول عام ١٩٢٦ والذي اعتزل بعده الحياة العامة ، وإن كان قد امتد بكتابة مذكراته لعام آخر بعد ذلك ، وحتى وفاة زغلول في أغسطس ١٩٢٧ .

قطع من هذه السنوات . نحو أربعة أعوام قضاها عبد الرحمن فهمي داخل السجن بين أول يولية عام ١٩٢٠ حتى أوائل ١٩٢٤ .

وقد تضاربت الأقوال عن بداية الاتصال بين عبد الرحمن فهمي وبين الوفد . وتأخذ الإجابة منه شخصا اذ يقول ان اهتمامه بالحركة السياسية يرجع الى سنة ١٩١٨ منذ تأسيس الوفد المصري . فقد رأى من واجبه « كمصري له مكانة محترمة بين الهيئات المصرية ونفوذاً معروف لدى كبار رجالها أن يشترك في هذه الحركة التي عمت مدن القطر المصري » .

مذكرات عبد الرحمن فهمي - ١٧

وهو المعهد الذى بدأ بعد وفاة السير الدون جورست ونولى اللورد كتشنر
لمنصب العميد الانجليزى عام ١٩١١ .

فقد حلت الازمة بقرار بترك الرجل لمنصب مدير الجيزة وتوليه
لمنصب وكيل ادارة الاوقاف وهى ادارة كانت حتى ذلك الوقت خاضعة
مباشرة للخديو وكان الانجليز عازفين عن التدخل فى شئونها بحكم ما
لها من طابع دينى .

بالاضافة الى ذلك فانه لم يكن ليرضى الخديو خروج الرجل على
هذا الشكل المهين استجابة لضغوط المستشارين الانجليز ، وهو الذى
ينتمى الى الارستقراطية الحاكمة .

ولاشك ان ابعاد عبد الرحمن فهمى عن منصب مدير الجيزة ، قد
خلف لديه بالاضافة الى المرارة الشخصية ، قناعة مؤكدة بمدى ما يتعرض
له استقلال الادارة المصرية من تدخل حتى فى أبسط الامور ، وان العميد
البريطانى ومستشاريه وموظفيه المنبئين فى كل مكان فى طول البلاد
وعرضها هم الحكام الحقيقيون للبلاد .

وتفسر هذه المرارة وتلك القناعة أسباب انخراط عبد الرحمن
فهمى بهذا الشكل الملحوظ فى الحركة الوطنية ضد الانجليز بعد الحرب ،
وهو الذى لم يكن معروفا عنه أى نشاط سياسى قبل ذلك .

وفى وكالة « الاوقاف العمومية » تكرر بين عبد الرحمن فهمى
والخديو خلاف مثل ذلك الذى كان قد جرى بينه وبين الانجليز من
قبل ، وهو ما اشار اليه الرجل فى مقالين آخرين من مقالاته فى الدنيا
المصورة (١) .

وقد دار الخلاف هذه المرة حول تفتيش المطاعنة الذى اراد الخديو
عباس ضمه الى الاوقاف ، غير أن عبد الرحمن فهمى مع ما استشعره من
شكوك حول الصفة رفض أن يكون أداة لتنفيذ مآرب الخديو والمحيطين
به ، وهو الامر الذى ادى فى النهاية الى احالته للمعاش بعد أن رفض
الاستقالة ، ولم يدخل الرجل بعد ذلك قط خدمة الحكومة ، أو على حد
تعبيره « وبهذا بقيت بعيدا عن خدمة الحكومة منذ سنة ١٩١٣ الى
الآن » (٢) .

(١) الخديو السابق والاقواق فى ١٩٣٥/٥/٨ ، الخديو ينتقم باحالى الى المعاش
فى ١٩٣٥/٥/١٥ .

(٢) مقال الخديو ينتقم باحالى الى المعاش - الدنيا المصورة ١٩٣٥/٥/١٥ .

وبلغ هذا الترقى ذروته بما جرى بعد ذلك بعامين من تعيينه مديراً للجيزة ، وكانت من المديريات المصرية الكبرى التى لا يليها الا شخصية مرموقة . وفى الجيزة بدأت المتاعب التى شكلت فى النهاية جانبا هاما من شخصية عبد الرحمن فهمى ، بل وربما يمكن القول أنها هى التى دفعته ، بدرجة أو بأخرى ، للانخراط فى تيار الحركة الوطنية ، وجعلت له هذه المكانة البارزة فى التاريخ المصرى ، ولو أنه لم يفعل ذلك لربما لم يزد تاريخه عن رجل ادارة كفؤ ضمن عشرات من الرجال التى عرفتهم الادارة المصرية بامتداد تاريخها الطويل .

وفى تقديرنا ان اهم اسباب المتاعب التى واجهت عبد الرحمن فهمى أنه أراد المحافظة على استقلاله فى اتخاذ القرار ، وهو ما لم يعد متاحا فى ضوء التطورات التى كانت قد جرت منذ الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ وما سارت عليه السياسة الانجليزية منذ ذلك الوقت من هيمنتها على الادارة المصرية - فى البداية من خلال المستشارين الذين تم تعيينهم فى النظارات ، ثم بعد ذلك من خلال عشرات من كبار وصغار الموظفين الذين انبثوا فى الادارة المصرية ، فى القاهرة أو فى المديريات ومع هؤلاء اصطدم عبد الرحمن فهمى ، ولاسباب بدت للرجل غريبة ، غير أن الأهم بالنسبة للانجليز لم يكن أسباب الصدام بقدر ما كان استقلال القرار لأى موظف مصرى مهما بلغت درجته .

ويروى لنا الرجل إشكال هذا الصدام التى تتالت بين عامى ١٩٠٩ ، ، ١٩١١ حتى انتهت باخراجه من منصبه الرفيع .

ففى ثلاث مقالات طويلة (١) روى عبد الرحمن فهمى قصة صدامه مع الانجليز كاملة والتى بدأت بخلاف مع المستر ايرلند مفتش رى مديرية الجيزة الذى استطاع ان يؤلب عليها زملاءه فى نظارات الأشغال والمالية والداخلية وانتهى الأمر بمواجهة بين الرجل والمستر هيزل مستشار الداخلية بحضور محمد سعيد رئيس النظار وناظر الداخلية وحدد المستشار الانجليزى طلباته فى أحد أمرين ، أما الابعاد عن مديرية الجيزة أو الاحالة الى المعاش .

ولحسن حظ عبد الرحمن فهمى أن هذه المواجهة قد جرت خلال عهد الشقاق الثانى بين دار المعتمد البريطانى وبين الخديو عباس الثانى،

(١) الدنيا المصورة : بينى وبين مفتش الرى الانجليزى ١٧/٣/١٩٣٥ ، عن وظائف الحكومة ٢٤/٣/١٩٣٥ ، كيف أراد الانجليز احوالى الى المعاش ١/٥/١٩٣٥ .

العقاد والتابعي بل والسيدة فاطمة اليوسف نفسها ، قد اختلفوا اختلافا جذريا فى المفاهيم والقضايا وحرية الحركة عن عبد الرحمن فهمى الذى بدا وكأنه قد جاء من عصر غير عصرهم •

وهو بنفس الدرجة لم يصب نجاحا فى الهيئة السعدية ولنفس الأسباب ، فاذا كان أحد مؤسسى الهيئة هو ابن أخيه الدكتور أحمد ماهر فان بقية زعاماتها كانت تنتمى للطبقة الوسطى الصغيرة مثل محمود فهمى النقراشى المدرس السابق وإبراهيم عبد الهادى زعيم الطلبة الوفدين السابق •

يضاف الى كل ذلك كم المتغيرات الفكرية التى عرفتها الساحة المصرية خلال فترة حياة الرجل بالتحديث تارة وبالدعوات السلفية تارة أخرى ، وهو ما كان صعبا على عقلية الرجل المحافظة استيعابه •

وتبدو هذه العقلية المحافظة من اسلوب عبد الرحمن فهمى فى مذكراته ومن فهمه الذى يتضح من صفحات هذه المذكرات لما ينبغى أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية من تقنين محدد ، ومن رفضه لما اصاب أبناء البيوتات ، مما كان من أهم دواعى جفوته مع سعد زغلول •

ويبقى القول انه اذا كان طول عمر عبد الرحمن فهمى قد حسب لتاريخه فى بعض اطوار حياته فانه قد حسب على هذا التاريخ فى اطوار أخرى •

مراحل العمر :

تخرج عبد الرحمن فهمى من المدرسة الحربية عام ١٨٨٨ ، وقبل أقل من عشرين عاما ، على وجه التحديد عام ١٩٠٦ ، ولم يكن قد تجاوز من العمر ستة وثلاثون عاما ، كان قد ترقى بسرعة فى سلم المناصب حتى أصبح مديرا لبنى سويف •

ومع التسليم بأن كفاءة الرجل كانت من أهم عناصر هذا الصعود السريع ، فان الكفاءة وحدها لا تفسر هذه السرعة • ولا شك أنه كان وراء ذلك أيضا انتماء عبد الرحمن فهمى للطبقة الحاكمة التى تربى فى حجرها وكونه أحد أبناء الطبقة الاجتماعية التى هيمنت على أمور السلطة والثروة منذ عصر اسماعيل ، بل وقبل ذلك •

الذى اعقبه الحزب الشيوعى المصرى والذى حاول الاستيلاء على قيادة الحركة العمالية . وعندما تم التصدى لهذه المحاولة فقد أوكلت العملية تماما الى عبد الرحمن فهمى وقد نجح فى ذلك .

تعاظم شأن الجماعات الايديولوجية مرة أخرى خلال الثلاثينات وما تبقى من عمر عبد الرحمن فهمى بظهور مصر الفتاة (١٩٣٣) ثم دخول الإخوان المسلمين الى المعترك السياسى (١٩٣٨) ثم ما استتبع كل ذلك خلال الحرب الثانية من نشاط الجماعات الماركسية . ولاشك ان الرجل لم يكن قادرا على استيعاب كل تلك المتغيرات كما انه لم يعد اداة مناسبة لاتخاذ موقف منها .

عاصر عبد الرحمن فهمى أيضا خمسة من حكام أسرة محمد على ، خديويين وسلاطين وملكين الخديو توفيق الذى توفى عندما كان عبد الرحمن شابا لم يتجاوز الثانية والعشرين (١٨٩٢) ، والخديو عباس حلمى الثانى الذى احتك به وعاشه حتى اصطدم به فاحاله الى المعاش عام ١٩١٣ أى قبل عزل هذا الخديو بعام واحد ، ثم كل من السلطان حسين كامل الذى توفى عام ١٩١٧ والسلطان أحمد فؤاد الذى عاصره خلال ثورة ١٩١٩ وتصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ .

بعد التصريح عاصر الرجل الملك فؤاد الاول لاربعة عشر عاما متتالية من عهده الملكى بعد أن كان قد عاصر السنوات الخمس من عهد ابنه فاروق الاول .

وهو بامتداد هذه الفترة قد عاين الوانا شتى من الحكم الاوتوقراطى لأبناء أسرة محمد على حاربها فى بعد الأوقات وتهادن معها فى أوقات أخرى .

على المستوى الاجتماعى عاش عبد الرحمن فهمى عصر صعود طبقة الافندية من أبناء كبار الملاك خلال المرحلة الاولى من حياته ، ومن أبناء الطبقة الوسطى الصغيرة خلال المرحلة الثانية .

واذا كان قد نجح فى التعامل مع الطبقة الاولى خلال ثورة ١٩١٩ أو السنوات القليلة التى اعقبها فهو لم ينجح بنفس القدر عندما حاول العودة الى العمل السياسى بعد عام ١٩٣٦ فان عمله فى « روز اليوسف » لم يكلل بالنجاح لأنه كان واضحا أن أبناء هذه الطبقة الجديدة الوسطى اتصغرت الذين عبروا عن انفسهم من خلال هذه المجلة من أمثال عباس

ومن الرجل الى العصر :

فالسنة والسبعين عاما التي عاشها عبد الرحمن فهمي (١٨٧٠ - ١٩٤٦) شهدت تطورات كبيرة على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية كان من البديهي أن تؤثر بدرجة أو بأخرى على مسيرة الرجل .
على المستوى السياسى شهدت الفترة ثورتين كبيرتين ، العربية وكان صبيبا صغيرا أبان تفجرها ، وثورة ١٩١٩ وكان فى قمة النضج عند نشوبها وكان من أخطر صناعاتها .

عرفت نفس الفترة الاحتلال البريطانى للبلاد ثم اعلان الحماية عام ١٩١٤ وما ترتب عليها من هيمنة انجليزية على شتى مقدرات مصر .

عاصر الرجل أيضا قدوم ملتر وصدور تصريح ١٩٢٢ ثم ما تبع ذلك من سلسلة المفاوضات الطويلة المصرية - البريطانية التي استمرت بشكل أو بآخر حتى عامه الاخير وهو عام مفاوضات صدقي - بيفن .

راقب عبد الرحمن فهمي أيضا نشأة الحركة الوطنية وظهور الأحزاب المصرية قبل عام ١٩١٤ وأن لم يستطع الانخراط فيها بحكم ما استمر يتولاه من مناصب رفيعة لم تكن تسمح له سوى ان يكون ممثلا للسلطة لا حربا عليها .

وهو أيضا عايش الطور الثانى من الحركة الوطنية والعمل الحزبى لذى بدأ مع ثورة ١٩١٩ وبعدها ، وقد انتقل فى هذه المرحلة من دور (المراقب) الى دور (المشارك) بل دور أحد الصناع الاساسيين للاحداث .

أكثر من ذلك فهو قد شاهد بأسى الانقسامات التى اصابت الوفد وظهور أحزاب جديدة منبثقة عنه ومعادية لقيادته ، بدءا من الأحرار الدستوريين فى أوائل العشرينات ، ومرورا بالهيئة السعدية فى أواخر الثلاثينيات ، ووصولا الى الكتلة الوفدية فى منتصف الاربعينات وقبل وفاة الرجل بعامين فقط . وقد عادى الرجل ظاهرة الانقسام الوفدى ، وهو عداء ادى الى قطيعة بينه وبين سعد زغلول ، غير أنه فى نهاية الامر انجرف فى تيارها عندما انضم خلال السنوات الاخيرة من حياته الى الهيئة السعدية ولكن بعد أن كان قد أفل نجمه الى حد بعيد .

أيضا عرفت نفس الفترة ظهور الجماعات الايديولوجية التى تعاطف شأنها فى النصف الاول من العشرينات بقيام الحزب الاشتراكي المصري

ولا شك ان هذا الانتماء الاجتماعى هو الذى ادى الى سرعة ارتقائه للوظائف الحكومية خلال المرحلة الاولى من مراحل عمله العام ، سواء فى ادارة المديرية أو فى وزارة الاوقاف .

ثم ان هذا الانتماء الاجتماعى ممكنه من الاتصال بالطبقة والتأثير فيها ، مثل على ذلك ما رواه فى « صفحات مطوية من أيام الجهاد » عن أن شخصين من كبار رجال الحزب الوطنى فى الاسكندرية كانا فى طريقهما لأوربا لتشكيل وفد آخر بكل مردودات هذا العمل من اضعاف الوفد المصرى ، فاستعان ببعض السيدات اللائى كن يعملن فى صفوف الحركة الوطنية لاقناع « حرمى الشخصين عضوى الحزب الوطنى بالاسكندرية بأن قيام نفر من أبناء الأمة ضد ارادة المجموع عمل ينافى الوطنية الصحيحة ، ويلصق العار بفاعله ابد الدهر » .

« ومن حسن الحظ أن هاتين السيدتين اقتنعتا تمام الاقتناع بصدق هذه النظرية فحالتا بين زوجيهما وبين القيام بهذا السفر بعد ان كادت محاولتهما تؤدى الى الطلاق » (١) .

ومثل هذه القصة وقصص أخرى كثيرة حفلت بها ذكريات عبد الرحمن فهمى ومذكراته انما تدل على قدرة الرجل فى التأثير على الطبقة الحاكمة ، ولم يكن ليقدّر على مثل هذا التأثير دون معرفة حقيقية بها ، وهى معرفة نابعة من أنه منها .

وقد أثر هذا الانتماء الاجتماعى فى جانب آخر ، وهو انه كان محل ثقة سائر أعضاء الوفد فى تدبير نفقات العمل السرى الذى تولى تنظيمه ، وهو عمل يكون من حق المسئول الأول عنه دفع مصروفاته دون الافصاح عن وجوه الصرف .

يضاف الى كل ذلك فان هذا الانتماء اعطى للرجل القدرة على اتخاذ المواقف وهو يعلم تماما انه قادر على مواجهة ما يترتب عليها ، فباختياره الخاص - فرض على نفسه عزلة مرتين ، أولاها عام ١٩١٣ بعد اصطدامه مع الحديو حول تفتيش المطاعنة مما أدى الى احواله للبعاش بعد أن كان الرجل الثانى فى الأوقاف واستمر دون أى عمل أو حركة حتى أواخر عام ١٩١٨ مع تكوين الوفد المصرى ، وهو فى كل ذلك كان يحيا بصفتة أحد الأعيان ، ومرة أخرى بعد اختلافه مع سعد زغلول عام ١٩٢٦ فقله استمر لعشر سنوات دون أى عمل ودون أى نشاط ولم يكن هذا ليؤثر عليه فى دخوله المالية أو وضعيته الاجتماعية .

(١) فى فجر النهضة الوطنية (الحلقة ١) ، صفحات مطوية من أيام الجهاد من ذكريات عبد الرحمن فهمى .
مجلة الدنيا المصورة ، ٧ يناير ١٩٣١ ج ٣ .

غير ان الاصل قد يفسر أمرا آخر بالنسبة لعبد الرحمن فهمي ، وهو استياء الرجل المستمر من النزاع الذي تفجر منذ عام ١٩٢٢ بين سعد وعدلى ، وهو الاستياء الذي استمر في التزايد حتى انتهى بقطيعة بينه وبين سعد وبخروجه من الوفد سنة ١٩٢٦ مما كان بمثابة انتهاء للمرحلة الثانية من مراحل عمله العام .

اما التعليم فقد تخرج من المدرسة الحربية عام ١٨٨٨ وشارك في الحملة المصرية لاسترداد دنقلة ليعين بعد ذلك ياورا لمصطفى فهمي باشا ناظر الحربية ورئيس النظار بعدئذ .

وقد أثر التعليم العسكري على مسيرة حياة الرجل مما يمكن أن نلاحظه في أكثر من جانب .

فهذا النوع من التعليم كان الباب الذي دخل منه الرجل الى الوظائف العامة التي شغلها خلال المرحلة الاولى من مراحل العمل العام والتي وصل فيها الى منصب مدير المديرية .

وهذا النوع من التعليم هو الذي أعطى للرجل طابعه الذي عرف عنه بالصرامة والشدة وهو ما شهد به مجموع الشهود الذين استدعيتهم المحكمة اثناء محاكمته عام ١٩٢٠ فيما عرف بقضية المؤامرة الكبرى .

وأخيرا فان هذا النوع من التعليم هو الذي أهل عبد الرحمن فهمي للنجاح الباهر الذي أحرزه خلال عمله سكرتيرا للوفد ومنظما للعمل السرى للثورة ، فهو بالاضافة الى ما تمتع به من عقلية تنظيمية قادرة على ادارة مثل هذا العمل ، كان في الوقت نفسه كتوما وقادرا بالتالى على الامساك بشتى خيوط العمل بين يديه .

يبقى بعد ذلك الانتماء الاجتماعي وكان بالقطع ينتمى الى طبقة كبار الملاك مما يمكن تبينه من أكثر من حقيقة ، فهو في مقابلة للنبي هو وأعضاء اللجنة المركزية للوفد طلب المندوب السامى من كل منهم ان يذهب الى عزبته فأجاب عبد الرحمن فهمي بأنه ليس عنده عزبة ، وعندما سألته ممثل بريطانيا في مصر عن السبب رد بأنه قد باعها منذ وقت قصير (١) ، ثم انه في محاكمته في قضية المؤامرة الكبرى اعترف بأنه قبل المحاكمة بوقت قصير سحب مبلغ ٧٥٠٠ جنيهها من حسابه في البنك ليشتري ٥٠ فدانا في القليوبية .

(١) في فجر النهضة الوطنية (الحلقة ١) صفحات مطوية من أيام الجهاد من ذكريات عبد الرحمن بك فهمي ، مجلة الدنيا المصورة - ٧ يناير ١٩٣١ ج ٣ .

عبد الرحمن فهمى الرجل والمذكرات

عبد الرحمن فهمى بك (١٨٧٠ - ١٩٤٦) رجل الادارة المرموق قبل عام ١٩١٣ ودينامو الوفد المصرى (١٩١٨ - ١٩٢٦) ، والداعية الى ضم الصفوف (١٩٣٦ - ١٩٤٦) من الشخصيات التى لعبت دورا حاسما فى التاريخ المصرى ، خاصة خلال الفترة الثانية من الفترات الثلاث لتصديده للعمل العام .

وقبل ان نجول معه بامتداد عمره الطويل وعلى مراحل اسهامه العام ننوقف عند ..

أولا : الرجل والعصر

الأصل من الطبقة التركية التى حكمت مصر خلال القرن التاسع عشر ، بل وقبله ، والمهنة ضابط والانتماء الاجتماعى لطبقة الأعيان .
وتشير الوثائق البريطانية أن أسرة ماهر باشا التى خرج منها عبد الرحمن فهمى من أصل شركسى وهو الأصل الذى أتت منه عديد من الأسر الحاكمة فى مصر مثل أسرة أباطة .

ولا يعنى الأصل أن مثل تلك الأسر أقل وطنية من غيرها ، فقد عرفت مصر خلال تلك الفترة التى برز فيها عبد الرحمن فهمى فى ميدان العمل العام ابتداء من العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، عرفت عملية واسعة لتمصير أبناء هذه الطبقة التى انتمى اليها زعماء وطنيون بارزون قبل الحماية مثل محمد فريد نفسه أو كبار رجال دولة بعد ذلك مثل عدلى يكن وعبد الخالق ثروت .

دراسة تمهيدية

ولما كان من المستحيل اخراج مذكرات عبد الرحمن فهمى فى مجلد واحد ، فقد تم تقسيمها الى مجموعة من المجلدات سوف تصدر تباعا ، وقد راعينا أن يضم كل مجلد وحدة زمنية أو موضوعية قائمة بذاتها .

ولا يبقى بعد كل ذلك سوى الاعراب عن أمل المركز فى أنه نجح، ولو بدرجة محدودة ، فى تأدية بعضا من رسالته التى قام من أجلها ، وعلى الله قصد السبيل .

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

تقديم

تحقيق المذكرات ونشرها عمل شاق من الصعب أن يأخذه دارس على عاتقه منفردا ، مما يجعله أحد الواجبات الأساسية للمراكز العلمية التي يتوفر لها من الباحثين والامكانيات ما لا يتوفر لفرد بعينه .

وانطلاقا من هذا الفهم اعتبر « مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر » القيام بذلك العمل ركنا اساسيا من أركان الرسالة التي تأسس من أجلها ، خاصة وقد توفر لها الحصول على ما هو مودع من المذكرات من مؤسسة شقيقة هي « دار الوثائق القومية » ، وهو لون من التيسير قد لا يتاح بنفس القدر لغير « مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر » .

واذا كان تحقيق المذكرات ونشرها عموما من الصعوبة بمكان ، فإن تحقيق « مذكرات عبد الرحمن فهمي » أمر بالغ المشقة ، سواء بسبب ضخامة حجم المذكرات (١) ، أو بسبب اختلاف الخطوط ، مما يتطلب جهدا مكثفا للتحقق مما كتبه صاحب المذكرات بخطه ، وما كتبه له الآخرون ، أو بسبب ذلك الحشد الهائل من المعلومات التي تضمنتها المذكرات رغم قصر المدة التي تناولتها (١٩١٨ - ١٩٢٧) مما يتطلب متابعة دقيقة لكل ما اتصل بهذه المعلومات .

أدى ذلك الى أن تعكف مجموعة الباحثين التي تولت عملية التحقيق على هذا العمل لأكثر من أربع سنوات حتى تستطيع في النهاية الخروج به بشكله الذي يتضمنه هذا المجلد الأول من المذكرات .

(١) انظر المقدمة العلمية .

مذكرات عبد الرحمن فهدى

يوميات مصر السياسية

الجزء الأول

إرهاصات الثورة

١٣ نوفمبر ١٩١٨ - ٧ يونيو ١٩١٩

إشراف وتحقيق

أ.د. يونس لبيب رزق

الباحثون

جمال الدين أمين مهنا

ماجدة سليم شرقاوى

مسنولة عطية على



المكتبة الوطنية المصرية

١٩٨٨

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة العامة لأكاديمية الإسكندرية

مذكرات عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية





- عبد الرحمن فهمى فى سطور :
- ولد فى ٣ مارس ١٨٧٠ — وبعد تخرجه من المدرسة الحربية ، اشتغل ضابطا بالجيش المصرى .
- عين ياورا لناظر الحربية مصطفى فهمى باشا فى عام ١٨٩٦ فى عام ١٩٠١ نقل إلى العمل فى البوليس حيث تنقل بين مناصبه كوكيل لبعض المديرىات ، وأحيل للمعاش فى ١٩١٣ لاصطدامه بالمفتشين الانجليز والخديو .
- كان عبد الرحمن فهمى بك سكرتيرا عاما للجنة الوفد المركزية منذ تأليفها فى أوائل أبريل ١٩١٩ ، وكان المحرك الرئيسى للشورة ضد قوات الاحتلال ، وظل كذلك حتى قبض عليه فى أول يولية عام ١٩٢٠ وقدم للمحاكمة كمتهم أول فى قضية « المؤامرة الكبرى » .
- استمرت المحاكمة من ٢٠ يولية إلى ٦ أكتوبر ١٩٢٠ وانتهت بالحكم عليه بالاعدام ، ثم عدل إلى السجن لمدة ١٥ سنة .
- أفرج عنه ١٩٢٤ فى عهد وزارة الشعب .
- تولى تنظيم النقابات العمالية خلال عهد وزارة الشعب وربطها بالحركة الوطنية .
- انفصل عن الوفد فى ١٩٢٦ . بعد أن اختلف مع الزعيم سعد زغلول .
- تنتهى مذكراته بوفاة سعد زغلول ١٩٢٧ .
- عاد إلى العمل السياسى مرة ثانية سنة ١٩٣٥ ونادى بتكوين الجهة الوطنية .
- تولى رئاسة تحرير جريدة « روزاليوسف اليومية » من يناير سنة ١٩٣٦ .
- دخل البرلمان المصرى مرشحا عن الحزب السعدى لدائرة كرداسة بمديرية الجيزة من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٤ .
- توفى فى ١٣ يونية ١٩٤٦ .